

عرين الذئاب

أصدرت الطبعة الأولى في المملكة المتحدة 2020، عن دار «Head of Zeus Ltd».

حقوق الطباعة لـ «إيلودي هاربر» 2020

تأكيداً للحق المعنوي لـ «إيلودي هاربر»، تم تحديدها مؤلفة لهذا العمل وفقاً لقانون حقوق النشر والتصميم وبراءات الاختراع لعام 1988.

كل الحقوق محفوظة. لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا المنشور أو تخزينه في نظام استرجاع أو نقله بأي شكل أو بأي وسيلة، إلكترونية أو ميكانيكية أو بالنسخ الضوئي أو التسجيل أو غير ذلك، دون إذن مسبق من كل من مالك حقوق الطبع والنشر، والناشر المذكور أعلاه لهذا الكتاب.

هذا الكتاب هو عمل خيالي. جميع الشخصيات والمنظمات والأحداث التي تم تصويرها في هذه الرواية هي إما نتاج خيال المؤلف أو يتم استخدامها بشكل خيالي.

8 6 4 2 1 3 5 7 9

أتيح سجل فهرس لهذا الكتاب في المكتبة البريطانية، بالرقم:

ISBN (HB): 9781838933531 ISBN (XTPB): 9781838933548 ISBN (E):

Divaddict Publishing Solutions»، وتم التتضيد بواسطة «CPI Group (UK) Ltd»، الكاتنة

«Ltd»، والطبع مجلد في المملكة المتحدة بواسطة «CPI Group (UK) Ltd»، الكاتنة
في عنوان: «Croydon cr0 4yy»

مكتب دار «زيوس المحدودة»

الطابق الأول شرق 8-5، شارع هاردويك، لندن، الرمز البريدي eclr 4rg.

www.headofzeus.com

إيلودي هاربر

عرين الذئاب

ترجمة
نداء عادل

المحزون
للنشر والتوزيع MOLHIMONI

- ◀ الكتاب: عرين الذئب
◀ المؤلف: إيلودي هاربر
◀ التصنيف: رواية
◀ الناشر: دار ملهمون للنشر والتوزيع
◀ ترجمة: نداء عادل
◀ الطبعة الأولى: مارس 2023
◀ التصنيف العمري: +17

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام.

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN: 978-9948-793-00-7

إذن طباعة: MC-10-01-9545625



جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لملهمون للنشر والتوزيع، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من ملهمون للنشر والتوزيع.

الطباعة: AL MASAR PRINTING

   darmolhimon

 www.darmolhimon.com

 0097165551184

 SILICON OASIS, 20TH FLOOR
(SIT TOWER) - OFFICE 2004,
Dubai, UAE

إيلودي هاربر، صحافية، وحائزة على العديد من الجوائز العالمية في مجال القصة القصيرة، من بينها جائزة «بازار الأحلام السيئة» عام 2016، التي يُحكّمها ستيفن كينج، لقصتها: «السباحة البرية».

تعمل هاربر حالياً مراسلة ومقدمة برامج لدى «ITV News Anglia»، وقبل ذلك عملت في منصب منتج لأخبار القناة الرابعة.

إلى أخي وشقيقتي بالميلاد والزواج، يوجين، روث،
وتوم، مع كل محبتي.

العام 74 بعد الميلاد
شباط / فبراير

-1-

«الحمامات والنبيد والحب، يعجلون بقدم القدر».

مقولة رومانية

رفعتيديها كما لو كانت في الصلاة. كان البخار يتصاعد من جلدها، و ينساب الماء على رقبتها بينما تستلقي دافئة تحيط بها أصوات وضحكات أنثوية تترد مرتبكة في الحجرة. وتستقر في ذهنها. حدقت في أصابعها التي أخذت تحركها، وهي تشاهد الماء يتساقط، والبخار يتصاعد. همست لنفسها متسائلة: قد تكون هذه يد أي شخص، يمكن أن تنتمي إلى أي شخص، لكنها تنتمي إلى «فيليكس»!

فجأة تشابكت أصابع أخرى مع أصابعها، مما جعل حلمها يتوقف. وسحبته «فيكتوريا» إلى أعلى خارج الماء، وهي تقرص بشرتها بأظفارها، و تحاول إحياء تجعيد الشعر الملتصق الآن على أكتاف أمارا.

- أمارا. إنك تبللين شعرك، لا يمكنك الاستلقاء هكذا، صار مثل ذيل الفأر. بماذا كنت تفكرين؟

كان القلق يتصاعد في روحها. فالكثير من الأمور معلقة على ظهيرة هذا اليوم. ولا يمكنها أن تصدق عدم اكتراتها، واللامبالاة التي تشعر بها.

- لا أعرف، أنا...

- لا يبدو الأمر بهذا السوء.

استدارت أمارا لتواجه ديدو التي انزلقت في الماء للانضمام إليهما، وعبوس طفيف يعلو وجهها اللطيف

- لا يمكنك أن تلاحظي ذلك.

فردت بصوت أكثر حدة:

- الرجال ليسوا هنا من أجل الشعر على أي حال.

«دراوكا»، أثمن امرأة لدى «سيمو»، تراقبهن عبر حوض السباحة الضيق، وتنهض من الماء، ترفع ذراعيها وتتأرجح، فتتألاً الموجات الداكنة لشعرها الذي يشبه ريش الغراب، ومن خلفها بدا البحر من خلال النوافذ المنحنية مسطحاً ورمادياً. كان من المستحيل عدم التحديق فيها. لقد ذكّرت «أمارا» بتمثال «هيلين» طروادة في «أفيدناي»، عندما كان لها اسم آخر.. حياة أخرى.

قالت فيكتوريا، وهي تلهث وتمسك بأمارا بدهشة كبيرة:

- فينوس بومبيانا! الآلهة تسير بيننا! أوه، احمي

عيني من هذا المجد!

تجهم وجه «دراوكا»، وألقت ذراعيها لتطيح بالرداذ العالق عليها، بينما ضحكت «فيكتوريا» بصوت أقرب إلى الهمس:

- كما لو أن لا أحد هنا لديه ثدي مثلها!

علقت ديدو وهي تحدق في منافستهن:
 - - إنها جميلة رغم ذلك، لقد كانت هنا من قبل،
 أليس كذلك؟ ربما يفضلها الرجال، ربما...
 - بصرف النظر عن دراوكا، ما الذي لديهن وليس
 لدينا؟

قاطعتها فيكتوريا، وألقت نظرة لاذعة على رفيفات
 دراوكا الثلاث، اللواتي يحتلن معظم حوض السباحة، و
 يضحكن ضحكات مسرحية تشي بأكثر من المرح.
 - يمكنك أن تقولي جميعهن مثل الساقى في الحانة.
 حتى ماريا لها أذرع مثل حامل القمامة.

لا تبدو «أمارا» واثقة من أن لهن الحق في السخرية،
 قياساً إلى مكانتهن المتواضعة، وعملهن في بيوت البغاء،
 يعوين مثل الذئاب، شعرت أن بطنها يتشنج، قالت:

- أتساءل كيف سيكون شكل الرجال هنا؟
 - سيكونون...

لكن «فيكتوريا» لم تكمل فكرتها، فقد لفت انتباهها
 شيء ما وراء «أمارا»، وصرخت:

- يا أنت! اتركيها! دعيها تذهب!

وبدأت في الخوض في الماء نحو امرأة عجوز، تسحب
 ذراع «كريسا»، في محاولة لسحبها من حوض السباحة.
 وبينما «فيكتوريا» تحدق في المرأة، نجحت في سحب
 «كريسا» وإعادتها إلى الماء إلى جوارها.

انحنى المرأة إلى أسفل، ورفعت إصبعاً صلباً في وجه
 «فيكتوريا»:

- فيليكس؟ هل أنت من فتيات فيليكس؟
لم ترد أي واحدة منهن. وظلت الغريبة تنظر إليهن في دهشة، وهن مجتمعات معاً. سبحت «بيرونيس» نحوهن، وفمها مفتوح قليلاً، دلالة على دهشتها مما يحدث.
- بغايا فيليكس!

قالت المرأة العجوز بعصبية شديدة، وهي تلوح بيدها نحو الباب، وتطلب إليهن المغادرة.

حاولت «كريسا» الاحتجاج؛ لكن المرأة العجوز دفعتها إلى الخلف. وتوقفت نساء «سيمو» عن الرش والضحك. شعرت و«أمارا» كأنهن على الجانب البعيد من المسبح، لا يرين ما يحدث. كررت المرأة قائلة:

- فيليكس.. بغايا.. إلى الخارج الآن...

صرخت بهن وأخذت تشير بإصبعها إلى كل واحدة منهن على حدة. وحينما لم يتحركن انصياًعاً لأمرها، أمسكت بذراع أمارا صارخة:

- إلى الخارج... إلى الخارج، أخرجن الآن...

خدش الحجر جلد «أمارا»، حينما شدتها المرأة العجوز إلى جانب حوض السباحة، وقبضت أصابعها الصلبة على اللحم الناعم في أعلى ذراع أمارا بقوة مدهشة، فدفعت نفسها على البلاط الساخن لتتحرر من قبضتها، لكن المرأة استمرت في الصراخ مهددة باستدعاء «فيبو» إذا لم يتحركن بسرعة. يبدو أن ذكر اسم مدير الحمام أقتنعهن. فانسلت نساء «فيليكس» عاريات من الماء، وأسرعن إلى الغرفة المجاورة التي أصبحت أشبه بالبركة بسبب الماء

المتساقط عن أجسادهن، كن يرتجفن من البرد والظلام،
وضجيج صيحات المرأة العجوز تلاحقهنّ.

تشبّثت «أمارا» بالجدار الأزرق اللامع لتثبّت نفسها،
في محاولة لكيلا تفقد السيطرة على قدميها، فأمسكت
بلوحات لمخلوقات بحرية، وفم سمكة مفتوح ضخم على
مقربة من وجهها، وهي تمر.

كانت «فيكتوريا» هي الوحيدة من بين الخمس، التي
ما زالت تجادل العجوز عند وصولهن إلى غرف تغيير
الملابس في الحمام، لم يأتين إلى هنا ليتم التعامل
معهن بهذه الطريقة. كانت تعلق صفوف الخزائن الخشبية
المصقولة لوحات لعشاق ينغمسون في كل الأوضاع
الخادشة للحياء الممكنة. وملابس النساء ملقاة في كومة
على الأرض.

ظلت صيحات العجوز تلاحقهن:

- أسرعن.. أسرعن!

وألقت عباءة على «بيرونيس» التي لا تزال تبدو غارقة
كما فعلت في المسيح. أمّا «أمارا» فلم تكن تحتاج إلى
مزيد من التشجيع، انحنّت وبدأت تتسلل عبر كتلة الثياب،
وتسلّم توجاً⁽¹⁾ صفراء إلى «ديدو» التي ترتجف بشدة، ربما
من الخوف والبرد. «ديدو» جديدة على العبودية، ويبدو أنّ
كل إهانة تضربها مثل السكين في القلب. لكنّ «فيكتوريا»
هي الوحيدة التي ظلت هادئة ترتب ثوبها لفترة طويلة
بعد أن ارتدت باقي الفتيات ملابسهن. كانت تحدد في

(1) ثوب إغريقي

المرأة العجوز بكراهية خالصة. وحينما أشاحت «فيكتوريا بنظرها عنها، رأت «أمارا» المرأة ترسم علامة العين الشريرة.

تجمعت النساء في الخارج، في فناء الحمام الخاص. كان الرذاذ يضرب وجوهن، والرياح الآتية من البحر تهاجمهن ببردتها، في الحقيقة إنهن يقفن في حشد، مبللات بالفعل تحت ملابسهن. نظرت «أمارا» حولها، متفاجئة من أنهن هنا وحدهن، ثم لاحظت رجلين يحتميان تحت الأعمدة، زوج من الأشكال الضخمة غير المتناسقة يقفان أمام الحوريات والورود المطلية على الجدار. خطأ أحد الرجال، ووجهه يرتعد. إنه «ثراسو»، مضيف «فيليكس»، قال وهو يكور قبضتيه مستعداً للقتال:

- ما هذا؟ ماذا حدث؟

تراجعت «أمارا»، إنها تعرف مدى صعوبة سقوط تلك القبضات على أحد. قد تكون قاتلة.

- من الأفضل أن تسأله...

قالت أمارا، مشيرة إلى الرجل الآخر الذي بقي واقفاً في الظل، أردفت: أليس هو مع سيمو؟
- شخص ما وشى بفيليكس وتجاوزته.

أضافت «فيكتوريا»، بينما كان «ثراسو» يدور ملتفتاً إلى الرجل:

- نساء سيمو وحدهن من سمح لهن بالبقاء؛ تم طردنا جميعاً قبل وصول الرجال. أمر مريح للغاية، ألا تعتقد ذلك؟

لم ينتظر «ثراسو» لسماع المزيد، عبر الفناء، وانهاالت قبضته المتأرجحة على رأس الرجل الآخر، صارخاً:

- بالبوس! سأقتلك! أيها الكاذب اللعين.

ترنح «بالبوس»، وفقد القوة الكاملة من لكمة «ثراسو» الأولى، إلا أن الأخير واصل تسديد لكماته إلى رأسه مما جعله يفقد اتزانَه أكثر. أمسك «ثراسو» كتفي الرجل، ثم هوى بضربة من رأسه على أنف «بالبوس» وحطمه. زأر «بالبوس» بوجهه المملخ بالدماء، لكن «ثراسو» هاجمه مرة أخرى، وسقط الرجلان أرضاً، وهما يتبادلان اللكمات والعض والصراخ. بينما النساء يشاهدن، غير متأكدات مما يجب القيام به.

- لن يعجب فيليكس هذا. قالت بيرونيس، موضحة ما هو واضح.

رمقت «أمارا» «فكتوريا» على أمل الحصول على ملاحظة ساخرة، لكن «فيكتوريا» ظلت تنظر بعيداً. انبعثت ضجة من المدخل. واندفعت مجموعة من العبيد الذكور، فتحت النساء جانباً. وركض العبيد إلى مكان عراك الرجلين، في محاولة للتدخل، فنال أحدهم ركلة في وجهه، وبعد ذلك، أتى «فيبو»، مدير الحمام، وهو ينفث، وجسده البدين يكاد يمزق التوجا الخضراء التي يرتديها. أبعد «كريسا» عن طريقه في عجلة من أمره للوصول إلى القتال، وصرخ:

- كفى! أم أنكم لن تستجيبوا قبل الشعور بعصيان أسياذكم!

تدحرج الرجلان أخيراً. وكان «ثراسو» أول من وقف، بينما وجب على اثنين من العبيد مساعدة «بالبوس» للوقوف على قدميه.

صرخ فيبو في وجهيهما:

- هل تحاولان إغلاق عملي؟ تتشاجران على عتبة بابي مثل الكلاب في الحجيم؟ يجب أن أجعلكما تُجلدان! تمتم «بالبوس» بشيء ما، لكن «أمارا» لم تسمع ما قاله، وتابع:

- أنا لست مهتماً! غادرا الآن، كلاكما. وخذا البغايا الباليات معكما.

لم تنتظر النساء أي شخص ليحركهن. عبرن الفناء قبل أن يتمكن «ثراسو» من الوصول إليهن، لاحظت «أمارا» أنه يعرج. وجاء «بالبوس» في وضع أسوأ من صاحبه، الذي كان جلياً أنه تلقى عدة ضربات قوية، ووجه مثلها، كانت شفة «ثراسو» مشقوقة، وكان يحتضن إحدى ذراعيه. في لحظة كهذه لا أحد لديه ما يكفي من الحماسة لسؤاله عن شعوره.

صعدت النساء الدرج إلى البوابة الطويلة، تتقدمهن «فيكتوريا»، بينما تأخرت «بيرونيس» عنهن في الخلف، لم تكن بالسرعة الكافية لتجنب صفعه «ثراسو» الغاضب. جميعهن يعرفن لماذا ينتقدهن. إنه احتمال غضب «فيليكس» عندما يصلن إلى المبنى. شعرت «أمارا» بصراخ الخوف يعلو في داخلها، مثل ورم في حلقتها لا تستطيع ابتلاعه.

الدخول إلى الشارع يشبه العودة إلى نهر سريع التدفق. أمسكت أمارا بيد «ديدو»، وشققتا طريقهما عبر تجمعات الناس، متوجهتين إلى أعلى التل حيث بوابة المنتدى و الحجارة الرطبة الزلقة. كانت المرة الأولى التي تغادر فيها «أمارا» هذا المكان منذ أتت إلى بومبي مع «ديدو». ربما مضت بضعة أشهر فقط ولكن يبدو أنها زمن بعيد جداً. سافرتا على هذا الطريق معاً بعد أن اشتراها «فيليكس» من سوق العبيد في بوتولي. كان الطقس أكثر دفئاً تحت سماء زرقاء صافية في أواخر تشرين الأول/ أكتوبر، وما زالت تتذكر كيف اشترى «فيليكس» التين الناضج من أجل الرحلة. كانت ثماره حلوة الرائحة، وأطرافها وردية ولامعة، وعندما تشقها تتفتح مطلقة للزوجة على أصابعها. لقد كانت لحظة سعادة تقريباً. إذا كان من الممكن أن توجد السعادة في عالم تم شراؤها وبيعها فيه. لا تزال «أمارا» تتساءل عن هذا الفعل اللطيف من «فيليكس». لم تكن حينها تعرف إلى أي مدى سيكون الأمر غير معهود.

كانوا يتبعون رجلاً يحمل سلة ثقيلة من الأسماك تتمايل فوق رأسه في الممر المرتفع المؤدي إلى النفق المظلم الذي تتردد صدى خطواتهم فيه، كان الطريق عسيراً، والحشد يزداد حدة. نظرت «أمارا» إلى الوراء لترى «كريسا»، تعلق وجهها نظرة لا مبالاة، وهي تجر «بيرونيس» المنتفخة الوجه بعد أن تلقت صفعة حينما كانوا في أعلى التل. كان «ثراسو» بعيداً عن الأنظار. لا

بد أن ساقه تعطلَّ خطواته، وإلا فإنه لم يكن ليسكت عن بطء «بيرونيس». «فيكتوريا»، طبعاً، انطلقت إلى الأمام، فهي الوحيدة بين النساء الخمس لدى «فيليكس» التي ولدت في هذه المدينة، وعلى الرغم من كونها جارية، إلا أنها تألف المكان بطريقة لن ترغب فيها أي من الأخريات.

حينما أصبحوا داخل أسوار المدينة، استوى الطريق، ولكنه أصبح أكثر رطوبة. غمرت المياه حذاء «أمارا»، فساعدتها «ديدو» على الصعود على الرصيف المرتفع، حيث كان اثنان من بائعي الأقمشة يصرخان بعبارات عن ضرورة الابتعاد عن طريقهما. بينما كان هناك رجل يكس حوله أكاليل الآس، التي تقدم قرايين لمعبد «فينوس»، أخذ يقترب منهن قائلاً:

- لألهتكم؟ من أجل الحب؟ بنس واحد لاثنين. سعر جيد. يجلب لك الحظ السعيد.

أمسك الأوراق بالقرب من وجه «ديدو» إلى درجة أنها وضعت يدها بشكل غريزي لتعديل الحجاب الذي لم تعد ترتديه.

دفعت «أمارا» أكاليل الزهور بعيداً، صارخة:

- لا!

تضاءل الحشد عند وصولهم إلى المنتدى، وذاب في مساحته الشاسعة. كان الباعة المتجولون يخترقون الحشد، فيتوقف بعض المارة للنظر أو المساومة، وبعضهم الآخر يتخطى ذلك. في الطرف البعيد من الساحة يوجد معبد

جوييتر الذي يتصاعد البخور من درجاته، و يتأرجح المبنى في الحرارة قبل أن يتلاشى الدخان فوق الجبل الأزرق خلفه. فكرت «أمارا» في والدها، في الطريقة التي يبتسم بها عندما تسأله عما إذا كان يؤمن بالآلهة، فيقول: «للقصص القوة سواء صدقناها أم لا».

لا يزال الآخرون يبحثون عن «ثراسو». تشير إليه «ديدو» وهو يتصبب عرقاً في طريقه وسط الحشد. سألت بيرونيس:

- هل كسر أنفه مرة أخرى؟ يبدو فظيلاً.

ردت فكتوريا:

- أسوأ من المعتاد؟ هل أنت واثقة؟ أعتقد أن بالبوس ربما أعاده إلى وضعه الصحيح.

كانت «بيرونيس» تفتقد إلى حس الدعابة ولا تفهم النكتة، فتقول:

- لا، إنه يبدو رائعاً!

أصرت أن ترفع صوتها أكثر لتوضيح وجهة نظرها.

فهزت «كريسا» رأسها موبخة:

- سوف يسمعك.

لحق «ثراسو» بالركب، وقذفهم لتحريكه، حتى ينفرط عقدهم عبر المربع. كانت مجموعة من البحارة، ربما رسوا للتو في الميناء، يطلقون الصافرات عند مرور «أمارا»، ويشير أحدهم إلى ما يحبه، فتبتسم له ثم تخفض عينيها، يصفع الرجال بعضهم بعضاً ويضحكون.

فاض الطريق المؤدي إلى أسفل المنحدر بمياه الأمطار، وبدا سطحه كفسيفساء مكسورة من اللونين الأحمر والأصفر، مما عكس صور المباني المطلية التي تصطف على ضفتيه. أخذت النساء تحدق في فريق من حاملي القمامة المبللين يشقون طريقهم في الماء الذي يصل إلى ركباتهم، وترتفع حمولتهم المحظوظة عالياً، بينما الناس آمنون خلف الستائر السميقة، رأت «أمارا» جثة كلب ميت محشور بين حجرين عالق هناك بفعل التيار المتدفق. إذ لا تغسل كل الأوساخ مع هطول أمطار الصباح.

شقت النساء طريقهن بصعوبة على طول الممشى، وتوجهن يساراً إلى شارع ضيق يلتف حول المبنى حيث تتقلص مساحة التحرك بشكل أكبر، وتكون الحشود أقل كثافة.

عندما كانت أمارا طفلة، كانت تستمتع بفكرة العودة إلى المنزل في الأجواء الرطبة، تجلس مع والدتها أمام الموقد، وتجلب لهما خادمتهما النييد الساخن مع الخبز بالتوابل لتدفأ. لكن الجزء الأكبر من المبنى الذي يلوح في الأفق لا يمنحها أي إحساس بالعودة إلى البيت. لا يوجد مشروب ساخن في الانتظار، فقط «فيليكس» وغضبه.

احتشدوا خارج المبنى، محاولين الوصول إلى شيء من الجفاف تحت الشرفة المتدلية. بدا «ثراسو» متوتراً مثل النساء.

- أنتما الاثنتان، وأشار إلى فيكتوريا وأمارا، كان لديكما الكثير لتقولاه لأنفسكن في الحمامات. يمكنكما الآن شرح كل ذلك لفيليكس.

تسللت الآخريات إلى الداخل. نظرت «ديدو» إلى الورا بقلق. كانت «فكتوريا» تلمس ذراع «ثراسو» السليمة، وتميل رأسها، قائلة:

- سأخبر فيليكس عن مدى قوتك في القتال لقد دافعت عن شرفه. سيعني ذلك شيئاً ما بالنسبة إليه. كان من الصعب على «ثراسو» إظهار الامتتان لبغي، ولكنه هز رأسه باقتضاب. ونظر إلى «أمارا»، كأنه يتوقع شيئاً مشابهاً منها، لكنها لا تستطيع التفكير في أي شيء تود قوله. حدقت «فيكتوريا» فيها بنظرة تحذيرية، فقالت وهي تومئ برأسها إلى ثراسو:

- نعم، أنت فعلت ذلك. لقد كنت شجاعاً جداً. لهجتها اليونانية بدت ثقيلة بسبب الخوف.

قرع «ثراسو» الباب الخشبي المؤدي إلى شقة «فيليكس» فوق المبنى، فأجابته «باريس»، وقد علت وجهه تعابير غامضة، رافعاً حاجباً واحداً. كانت أمارا تقف بالقرب من المرحاض المخبأ في ظلام بئر السلم. اعتادت أن تشعر بالأسف نحو «باريس»، بسبب الوحدة التي عاشها في شبابه، وتنقله بين تنظيف أرضيات سيده في الطابق العلوي وخدمة العملاء في المبنى أدناه؛ لكن «باريس» لم يُظهر أي مؤشر على رغبته في رفقة الذئاب أو صداقتهن.

قال ثراسو، وهو يلوح له بصبر نافذ:

فيليكس

فأجاب باريس:

- إنه مع عميل، لذا عليك الانتظار

استدار «باريس» وصعد السلالم. فتبعوه، وخرجوا إلى الشرفة الضيقة المغطاة التي تحيط بشقة «فيليكس». مما جعلها تفكر في شبكة عنكبوت، والطريقة التي يدور بها الممر حول غرف سيدها، تلك التي تجذبك ببطء أكثر إلى الداخل، ولا تقطع مباشرة إلى المنتصف. تمكنت «أمارا» من سماع صوت ذكر غير مألوف، خافت جداً بحيث صارت لا تستطيع نطق كل الكلمات. على الرغم من أنها أدركت عبارة واحدة:

- أَدفع لك.

أشار «باريس» إليهم للذهاب إلى غرفة الانتظار الصغيرة.

جلس «ثراسو» بجسده الكبير على المقعد إلى جانب الموقد، وبصعوبة ترك مساحة للسيدتين على كلا الجانبين. اندفعتا إلى جانبه. كان الدفء المنبعث من النار ضئيلاً، وضوء النهار والهواء البارد يدخلان من الشرفة. خفق قلب «أمارا» خوفاً حينما عرفت أن «فيليكس» يضغط حاليًا على بعض المدينين الفقراء، ليحصل على آخر قرش في جيوبهم. ظل «ثراسو» يحدق مباشرة إلى الأمام كما لو كان مفتونًا بألسنة اللهب الصغيرة بالقرب من قدميه. كما لو أنها تشعر بالخوف الذي ينبعث منه. نظرت «أمارا» إلى الحائط. لا الحوريات أو عشاق

القمار هنا. كل شيء مطلي بنمط هندسي من الأسود والأبيض. تدور الخطوط الحادة وتتشابك في متاهة لا نهاية لها، يصعب متابعتها في جميع أنحاء الغرفة من دون الشعور بالدوار.

جلسوا ينتظرون بصمت لوقت طويل. كانت الأمطار تهطل بغزارة، والمياه تتساقط على السطح. كان من المستحيل معرفة ما إذا كان «فيليكس» وعميله لا يزالان يتعاملان مع هذا الضجيج. ثم لمحت «أمارا» شخصاً منكوباً يمر من المدخل، وسمعتة ينزل على الدرج. لا أحد يقوم عن مقاعد البدلاء.

ظهر رأس «باريس» من خلف الباب وقال:

– من الأفضل أن تدخلوا.

فنهض «ثراسو» تبعته «أمارا» و«فيكتوريا».

-2-

تفوح منها رائحة سخام المبغى!

سينيكا، التصريحات 1.2

الغرفة كبيرة ويغلب عليها اللون الأحمر. ظل سيدهم جالساً خلف مكتبه حينما دخلوا على الرغم من أنه فوجئ بوصولهم في وقت أبكر بكثير مما كان متوقفاً، إلا أنه لم يعطِ أي إشارة. كان «فيليكس» في مثل نصف حجم كتلة «ثراسو» الجسدية، ولكنه يمتلك ضعف قوته. جسده الناعم عبارة عن عضلات متجمعة. وقد أدركت «أمارا» أنه لا توجد نعومة في أي مكان على ذلك الجسم مخبأة تحت ثايا التوجا الشاحبة. لا شيء يشي بكذبة الحنان عندما يمسك بك.

قال فيليكس:

- كانت تلك عريدة سريعة! لا بد أن الأولاد الأغنياء لم يتمكنوا من الاستمرار لفترة طويلة بعد ذلك؟ لكنهم دفعوا لكم ضعفاً طبعاً، ونظر إلى فيكتوريا قائلاً: هذا ما أنتِ هنا لتخبريني به، أليس كذلك يا عزيزتي؟ كم من المال ربحته؟

ابتسم «فيليكس»، لكن أمارا شعرت» بغضبه يهتز من خلال كلامه الساخر، وبدأت الغرفة تزداد قتامة؛ لأن «باريس» أغلق باب الشرفة لتوه.

كادت «فيكتوريا تفتح فمها لتجيب، إلا أن «ثراسو» تدخل مقاطعاً:

- لقد كان سيمو سيمو خاننا ...

قاطعته فكتوريا:

- لا بد أنه فعل ذلك بالتعاون مع فيبو! كل فتيات سيمو بقين في حوض السباحة، لكن العجوز الحيزبون سحبتنا جميعاً من هناك. أجبرتنا على الخروج. قالت إنها أوامر فيبو، تلك العجوز الشمطاء! نحن لم نر المقامرين حتى ...

تدخل ثراسو قائلاً:

- بالبوس كان جزءاً من اللعبة أيضاً، لقد سحقته من أجلك، ذلك الصغير الكاذب ...

- لم يتوقف ثراسو عن ضربه إلا بعد أن أجبره فيبو على ذلك! ودراوكا كانت تحرق بنا؛ كانت تعلم، أنا واثقة من أنها ...

كانت «أمارا» تراقب «فيليكس» بينما «فيكتوريا» و«ثراسو» يواصلان تبرير ما حدث، يرسمان المشهد ويدافعان عن بعضهما بعضاً لإبعاد اللوم عن نفسيهما قدر الإمكان، وجرفه جانباً مثل دفع الفضلات من المراض. إنها تعلم أنه إذا لم يقاطعهما المدير، فسيبدأ قريباً في إلقاء اللوم على بعضهم بعضاً.

استمع «فيليكس» في صمت، محاولاً أن يمتص كل شيء، لكن غضبه ازداد بشكل واضح. إذا كانت هناك طريقة لجعل نفسها أصغر، حتى تصبح غير مرئية، فإنها سوف تنقلص إلى حجم الزغبة.

التفت فيليكس إلى أمارا بحدة، مباغتاً إياها بتوجيه الكلام إليها:

- وأنت؟ أليس لديك شيء مفيد لتقولينه؟ أم أنك ستظلين واقفة هناك مثل الكلب؟
أجابت متلعثمة:

- كان .. كان الأمر تماماً كما قالوا.

انتظر «فيليكس» أن تستمر بالكلام، والغضب يملكه، كان الجدار خلفه يضيء باللون الأحمر. عرفت «أمارا» أن سيدها على بعد لحظات من الانفجار. إذا لم يملأ الصمت، فلن يكون هناك شيء بينها وبين أمطار الضربات التي تتساقط. فقالت وعيناها تتجنبان وجهه، وتتوجهان عوضاً عن ذلك إلى اللوحة الجدارية التي تحيط بمكتبه. تتعقب القواعد السوداء، وتصل إلى جماجم الثيران المرسومة في الأعلى:

- أجبرت المرأة العجوز على الخروج من الحمامات. لقد استخدمت اسمك. لقد أرادت فقط النساء المنتميات إليك. لقد كانت إهانة موجهة إليك وحدك.

شهمت «فيكتوريا» بصوت مختنق. نظرت «أمارا» إليها، لترى الخوف في وجه «فيكتوريا» ثم أشاحت بنظرها سريعاً بعيداً.

- لا أعتقد أنها كانت إهانة من فييو، ماذا سيكسب؟ صمت الجميع، بينما أمارا تواصل حديثها، وتتنظر إلى الحقيبة الصغيرة من العملات المعدنية الموضوعة على المكتب بيد فيليكس اليمنى. فكرت للحظة: «لا بد أن سيمو قد رشاه... إنه التفسير الوحيد... حصل سيمو على صفقة صغيرة لطيفة تجري في الحمامات الآن، فلماذا يسمح بمضاعفة عدد النساء وخفض الأرباح إلى النصف؟

ظل المطر يتساقط، لكنّ شجاعتها نفذت تقريباً. لم يخفها أحد أكثر من الرجل الذي أمامها. فأخذت تنظر إلى المكتب، وتتجنب التحديق مباشرة في عينيه، والآن، عندما تفعل ذلك، يفاجئها تعبيره. هو يستمع. للحظة وجيزة رأته، وكان هذا كافياً. تابعت وقد بدأ صوتها يتزن أكثر:

- لا أعتقد أنّ فييو هو من يجدر بك معاقبته، قد يكون مفيداً لك، فإذا كان باستطاعة سيمو رشوته، يمكنك أيضاً أن تفعل ذلك. بهذه الطريقة يمكننا أن نجني المال من الحمامات، ونظهر في الوقت نفسه أنه لا يمكن التخلص منا بسهولة.

رفع «فيليكس» حاجبيه، والدهشة تعلوه من حديثها. حاولت «أمارا» التخلص من خوفها، متخيلة أنه مثل البخار يتصاعد من جسدها، ويتلاشى.

- أما بالنسبة إلى سيمو، فأنا واثقة من أنك تستطيع أن تلقنه درساً. أليس هو من يدير الحانة؟

ربما تصبح حانته أقل جذباً للزبائن.

ظل تعبیر «فيليكس» جامداً، يكاد لا يظهر عليه أي تغيير، ولكنها تعلم أنها تمكنت من تجاوز المرحلة الأسوأ في غضبه.

أوماً برأسه مشيراً إلى شفة ثراسو المنتفخة والمغطاة بالدماء:

- نباحك عال بالنسبة إلى كلب صغير! وماذا فعلت لبالبوس مقابل هذا؟
- لقد كسرت أنفه.
- أكثر من ذلك، هذا ما أرجوه.

نهض «فيليكس» من مقعده، وتراجعت الامرأتين إلى الخلف، بينما ظل «ثراسو» واقفاً في مكانه. طقطق «فيليكس» أصابعه ل«فيكتوريا»، التي بادرت مسرعة حتى يمرر يديه عليها، ويشعر بجسدها، ويعيد ترتيب ملابسها، وعلي وجهه نظرة ناقدة. إنه ليس رجلاً يلمس امرأة، بل بائعاً يفحص بضاعته. يصفع مؤخرتها بقوة، ثم يقول:

- هل تستطيعن أن تكسبن لي المقدار نفسه من المال مثل بغايا سيمو؟ أمم؟ هل ستفعلن؟ وأشار نحو أمارا من دون أن ينظر إليها، هي تعتقد ذلك، لكنني لست مقتنعة! أخذ ذقن فيكتوريا بين أصابعه، وسألها: ماذا كنت تفعلين في الحمام اليوم؟ هل كنت تتجولين في المكان مثل الفلاحين في الملاهي؟ ما هذا التراخي في مؤخرتك المسطحة؟

لم تستطع «فيكتوريا» أن تهز رأسها، لقد كان «فيليكس» يمسك بها بقوة.

- لقد رأيت دراوكا... تلك البغي لديها أفضل مؤخرة في بومبي. وماذا لديك؟ أي نوع من الأثداء هذا؟

ترك فيكتوريا، ودفع وجهها بعيداً، فظلت تتأرجح منتصبة، وتابع: من الممكن أن يكون سيمو قد دفع لفيبو، لكن هل كان سيطردك فيبو إذا كان يعتقد أن أيًا منكن يمكنها أن تمارس الحب مثل دراوكا؟ توقف برهة، يحضهم على الإجابة ولكنهم لا يجيبون: صديقنا سيمو كان يتفاخر أنه يبيع أفضل جسد. لذا أنتما في حاجة إلى إثبات هراء ما يتحدث عنه فيبو. ومن شروط هذا العمل أن يحصل فيبو عليك متى شاء كما يجب، من دون مقابل، كجزء من الخدمة. إذا لم تكن فتياته المفضلات بعد ذلك، فسأعرف السبب.

نظرت «أمارا» إلى «فيكتوريا»، في محاولة للحكم على رد فعلها، لكن وجهها في تلك اللحظة كان كالشمع.

- تحركا! أريد خمسة دنانير من كل منكما... كسولات... أخبرن الأخريات أنه من الأفضل أن يبدلن بعض الجهد.

صرخ بهما فقفزتا هلعاً، وكادت «أمارا» أن تتعثر بـ«باريس» عند المدخل وهي تخرج مسرعة من الغرفة، لكن «فيكتوريا» كانت أسرع. انتقلتا على طول الشرفة، وتدافعتا في طريقهما إلى أسفل الدرج. وصلت «فيكتوريا» إلى القاع أولاً. فاستدارت وسدّت الباب حتى لا تتمكن «أمارا» التي ظلت ثابتة على الحائط، متأثرة بغضب

«فيكتوريا» الواضح من العودة إلى الشارع. همست
فكتوريا:

- لماذا فعلت ذلك؟ فيليكس كان سيسقط فيبو لماذا
تطلبين منه أن يعيدنا؟ أي نوع من الأغبياء أنت؟
ردت أمارا وهي تصطدم بفيكتوريا أسفل السلم ذي
الرائحة الكريهة:

- فكري في المال. فكري في كل الرجال الأغنياء
الذين يذهبون إلى هناك ليسوا مثل السكارى الذين يأتون
إلى هنا.

- أنت مجنونة، وماذا كنت تعتقدين أنهم سيفعلون؟
سيدخلون إلى الحمامات حاملين أكياس الذهب؟ إنهم
يذهبون إلى هناك لممارسة الحب وليس للعثور على
عروس! والآن صار علينا أن نتحمل فيبو أيضًا!
حاولت «أمارا» أن تشرح أنها مستعدة لتجربة أي شيء،
مهما كان بعيد المنال، ومهما كان فظيغًا، أي شيء قد
يخرجهم من المبغى. إلا أن صوت «باريس» الحاد باغتهما
من أعلى:

- ماذا تفعلان كلتاكما؟

أجابته فيكتوريا وهي تسحب الباب نحوها:

- نغادر؟

انزلقتا في المطر، وفي غضون بضع خطوات، عادتا
إلى الداخل. على الرغم من أن السماء مظلمة ومغطاة
بالغيوم، إلا أن عتمها لا يعادل الظلام الدامس الذي يكتسح

المبغى. إذ يتم قفل المصاريع في الغرف الصغيرة لمنع الرطوبة.

كان الهواء كثيفاً بسبب الدخان المنبعث من مصابيح البخور والزيت. لم تكن المساحة أصغر بكثير من شقة «فيليكس» أعلاه، ولكنها بالنسبة إلى «أمارا»، تبدو ضيقة مثل المقبرة.

كانت «فايبا» تحاول منع مياه الأمطار من التدفق إلى المرحاض، فانتشرت الرائحة الكريهة في نهاية الممر بشكل أسوأ من المعتاد. نظرت إلى الأعلى لفترة وجيزة وحيتهما، ثم انحنت مرة أخرى لمهمتها. كانت «فايبا» تعمل هنا كذئبة قبل أن تكبر. حتى أنها أنجبت «باريس» البائس في إحدى الغرف. اليوم لا تكاد تكسب «فايبا» ما يبقئها على قيد الحياة، لكن «فيليكس» لم يرم بها إلى الشوارع لتدبر أمرها بنفسها حتى الآن.

سألت كريسا بينما كانت تدلف مع النساء الأخريات إلى حجرة بيرونيس:

- ماذا قال «فيليكس»؟

فأجابتها فكتوريا:

- سوف يحاول مرة أخرى مع فيبو. إنه يريد إقناعه بإعادتنا إلى الحمامات، مما يعني أن ذلك الخنزير كريه الرائحة سيأتي إلى هنا، وعلينا أن نعطيهِ ما يريد.

طوت ذراعيها، وظنت «أمارا» أنها ستخبر الجميع أنها هي السبب وراء هذه المحاولة، والمذنب في هذه

النتيجة، لكنها لم تفعل ذلك.

قالت بيرونيس:

- فيبو يأتي إلى هنا! لكنه لا يستطيع!

سألت أمارا وقد زال الرضى الذي شعرت به خلال حديثها مع فيليكس:

- هل هو سيئ إلى هذه الدرجة؟

فردت كريس مخاطبة أمارا وديدو:

- أنتما الاثنان لم تجرباه بعد. إنه الأسوأ. عملياً لقد خنقني في المرة الأخيرة. ورفعت يدها إلى حلقها وكأنها تتذكر أصابعه حول رقبتها.

رمقت «أمارا» «فيكتوريا» بنظرة مليئة بالندم، لكن الأخيرة تجاهلتها وقالت:

- أفضل جزء هو أنه يتعين علينا جميعاً أن نكسب لسيدنا المجيد خمسة دنانير بحلول الغد.

أطلقت كريساً أنيناً، وتساءلت بيرونيس التي تجهل متى يكون المرء جاداً ومتى يكون مماًزحاً:

- هل كان يمزح؟

أجابتها فكتوريا:

- لا يمزح صدقيني، إنني أقول إنه لم يكن في مزاج مرح.

- ولكننا لن نتمكن من فعل ذلك! هذا كثير جداً.

قالت كريساً، وهي ماتزال تراقب فاييا:

- علينا أن نحاول الوصول إلى أقرب رقم نستطيع الوصول إليه.

- مهما فعلنا، حتى فينوس نفسها ستتعثّر في الحصول على زبون في هذا الجو العاصف.
قالت فكتوريا:

- لن أذهب إلى الصيد من دون طعام. يمكننا أن نبدأ في مطعم «السابارو»، نأكل شيئاً، وربما بعد ذلك لن يكون المطر سيئاً للغاية.

شرعت النساء الخمس في إطفاء معظم مصابيح الزيت لتوفير الوقود والحد من الدخان. وكذلك الرائحة الكريهة المستمرة في الداخل. حتى اللوحات التي أحضرها «فيليكس» أخيراً - وهي عبارة عن مشاهد إباحية لا نهاية لها تزين الجزء العلوي من الجدران - صارت ملطخة فعلاً بالسخام. كانت المصابيح مصممة على شكل معين أرادته فيليكس من أجل أن تجعل العملاء في حالة مزاجية جيدة». لكن «أمارا» كانت تكره تلك المصابيح.

كان «جالوس»، حارس «فيليكس» الشخصي، يحرس الباب الرئيس، مباشرة مقابل حانة «الفيل». هو رجل طويل، عريض الكتفين، ويبدو أنه أفضل من «تراسو»، على الرغم من شراسته في القتال. أمسك بذراع «بيرونيس» وهنّ يحاولن المرور، وقال:

- انتظرن. لا يمكنكن الخروج دفعة واحدة. يجب أن تبقى إحداكن في الخلف. ماذا لو حصلت على عميل؟

سألته فكتوريا:

- ألا يمكنك المجيء وأخذ واحدة منا من مطعم السبارو؟ سنكون فقط على الطريق.
- لا. أنت تعرفين أوامر فيليكس. عودي إلى هناك.
- يا له من هراء! سيتعين علينا أن نحضر لها شيئاً ما عند عودتنا.
- وفابيا، إنها تبدو نحيفة للغاية.

إن وجود المرأة الأكبر سنًا، التي لا تكاد تتمسك بالحياة، يشبه ظل المستقبل الذي لا تريد أي منهن مواجهته. بالنسبة إلى «كريسا»، التي تكبرهم بسنوات عدة، تشتبه «أمارا» في أن يكون مصيرها بالمقارنة مع ما تعيشه «فابيا» مربعاً أكثر.

كانت الضوضاء التي تبعث من الحانة المقابلة عالية، حتى في هذا الوقت من اليوم. وتتألق لوحة جدارية عملاقة تتوهج بالألوان على جدارها الخارجي. إنه فيل محاط بأقزام راقصين، ومغلف بالثعابين من أجل الحظ السعيد. وقد كتب تحتها للتباهي: «سيتيوس أعاد الفيل!».»

لم تتوقف النساء الأربع، بل توجهن إلى الداخل، فالتقاط العملاء من حانة «الفيل» ليس مستحيلاً، ولكن «سيتيوس» يُوَجَرُ الغرف إضافة إلى تقديم الطعام والنبيد. في هذا الطقس من المرجح أن يتوجه ضيوفه إلى الطابق العلوي مع إحدى النساء العاملات في النزل عوضاً عن التوجه

إلى المبغى تحت المطر.

لا يبعد مطعم «السابارو» سوى خطوات قليلة فقط. كانت علامته المرسومة مبللة ومغمورة بالمطر، لكن «أمارا» استطاعت أن تميز الطائر الصغير المحاط بالورود، جالساً على غصنه المملوء بالحيوية: «العصفور راضٍ، فربما تكون أنت أيضاً!».

عندما وصلت «أمارا» أول مرة إلى بومبي، بدا أن كل قطعة من الأرصفة أمام الحانة تقريباً قد عبث بها السكارى، كان معظمهم واقفاً يتحدث، وعلى الحائط لاحظت الرسائل المكتوبة، بعضها رسومات تحكي عن «فيليكس»، و عن المبغى. والكثير عن «فيكتوريا». لا شيء عنها. إنها غير متأكدة مما إذا كانت ستشعر بالامتنان لذلك أم لا.

اندفعن إلى الداخل، وورحن يضغطن بأقدامهن على الأرض للتخلص من المطر. اتكأت «فيكتوريا» على سطح المشرب الرخامي، خلعت عباءتها، وتركت حافة ثوبها الصفراء تنزلق عن كتفها. فخرجت صفارات من طاولة في الزاوية.

- صباح مزدحم، سيداتي؟

بادرهن صاحب المنزل «زوسكاليس»، ملفوفاً بقطعة قماش حول عنقه، ووجهه يلمع بالعرق. كان المكان خلف المنضدة ضيقاً لا يتسع له، والحائط مكدساً بجرار النيبيذ من الأرض إلى السقف، لكنه لم ير «أمارا» تلتفت إلى أي

شيء. ليس لديها أي فكرة عن سبب وصول «زوسكاليس» إلى بومبي من إثيوبيا، وهي مكان بعيد للغاية، يكاد يكون من المستحيل تخيل وجوده. يجب أن يمزح مع العملاء، ويتفاخر بحبه العظيم لزوجته، التي لم ترها «أمارا» قط في الحانة، فهي غالبًا في الشارع، يسبقها أطفالها الثلاثة الصغار. إنها تصنع صفارة إنذار غير محتملة، وتغري زوجها في منتصف الطريق أمام كل الناس.
سألته فكتوريا:

- ليس مزدهمًا بالمقدار الذي نرغب فيه! أي شخص هنا في حاجة إلى الترفيه؟
ردّ زوسكاليس:

- أنا متأكد من وجودهم، ستجدونهم قريبًا. دائمًا ما يكون العمل بين الحانة والمبغى نشطًا. سأجعل «نيكاندروس» يحضر لكنّ النبيذ الساخن والحساء. شقت النساء طريقهن إلى طاولة بالقرب من عملاء محتملين. شعرت «أمارا» ببعض الخوف، وكانت ستعبر الشارع لتتجنب رجال مثل هؤلاء في مسقط رأسها، ولا شك أن والدتها كانت ستجرها على طول الطريق للمشى بشكل أسرع، وتهمس لها أن تنظر إلى أسفل. الرجلان في حالة سكر فعلاً، ويرتديان الملابس الملطخة بأحوال الطقس المختلفة، هم في الغالب تجار مسافرون.
كان الأقرب إليهن قد فقد أسنانه الأمامية الأربعة، ورفيقه ذو لحية كثيفة، ويضع زيتًا رخيصًا لإخفاء الشيب.

جلست «أمارا» على مقعد إلى جوار الحائط، وانضمت «ديدو» إليها. حاولت «فيكتوريا» سحب كرسي لها ولـ«كريسا»، لكن الرجل الذي فقد أسنانه أمسك بمعصمها، وقال:

- لدينا متسع كبير لك للجلوس هنا.

تجمع البصاق الأبيض في منتصف شفثيه وهو يتكلم. وبسط ساقيه وراح يضرب على ركبته. قال رفيقه الذي يشخر بالضحك:

- آمل ألا تزعج السيدات!

- وصل «نيكاندروس» مع الطعام، ومشى بين الطاولات متعمداً، وطلب إلى الرجل بصوت خافت أن يتركها. ابتسمت فيكتوريا بلطف للرجل الذي أمسك بها للتو، وقالت:

- أوه، إنهم ليسوا مشكلة.

جلست وحركت عباؤها حتى يتمكن من رؤية طول فخذها، قبل أن تغطيها بسرعة، و ابتسمت له مرة أخرى، وهو يحدق في الخلف، متورداً. وتعتقد «أمارا» أنه أول سمكة تم صيدها.

وضع «نيكاندروس» يحنة الفاصوليا أمام «ديدو». وقال:

- تبدين وكأنك تتجمدين من البرد!

- أنا مبتلة للغاية.

- أتمنى أن يدفئك هذا.

كان يحوم حولها، ومن الواضح أنه يأمل أن تقول شيئاً

أكثر. لاحظت «أمارا» الطريقة التي ينظر بها «نيكاندروس» إلى «ديدو»، ورأت توتره كلما اقترب منها عميل عدواني جداً.

صاح زوسكاليس:

- نيكاندروس! النبيذ لن يقدم نفسه!

أحنت «ديدو» رأسها لتأكل. هي ميؤوس منها في الصيد. قبل بضعة أشهر كانت فتاة محترمة من إحدى ضواحي قرطاج الصغيرة، لم تغادر المنزل قط ورأسها مكشوف، مخطوبة لرجل اختاره والدها، لتعيش حياة منعزلة، تتمثل في تربية الأطفال والحفاظ على منزل ممتد أمامها. شعرت «أمارا» بألم في صدرها. لقد استعبدت لفترة أطول من «ديدو»، لكنها لم تتذكر معاناة فقدان حريتها لفترة طويلة.

قالت «فيكتوريا» للتاجر:

- أنتما لستما من بومبي.

علقّت كريسا:

- هل سافرتما عن طريق البحر؟ كنت أرغب دائماً

في السفر عن طريق البحر.

كانت تشرب نبيذها، وتحقق في الرجل الملتحي كما لو كان الإله بوسيدون يتألق لزيارة البشر على الشاطئ.

- لقد جئنا من بوتولي. نعمل في تجارة اللحوم.

الماعز، بشكل رئيس.

- أراهن أنكم تحبون القليل من اللحم؟ أضاف

رفيقه، وهو يربت على ساق فيكتوريا، وقد طال خيط اللعاب بين شفثيه وهو يبتسم.

ضحكت «فيكتوريا» وغطت فمها بإحدى يديها بشكل جميل، وكأنه قال شيئاً بارعاً. أما «أمارا» فتحاول ألا تخفق. لكنها تفكر في نفسها: «دائماً الشيء نفسه. لماذا لا يملك الرجال أبداً أي شيء أصلي ليقولوه للبغي؟ هذا الزوج بعد لحظات من التباهي صاراً بحجم الديوك».

ضرب الرجل عديم الأسنان ركبته التي جلست عليها فكتوريا مرة أخرى. وتجرعت «كريسا» آخر جرعة في كأسها من النبيذ، ثم تنهض وانحنت فوق رفيقه. بينما «فيكتوريا» التصقت بـ «توثليس» حتى بات يتنفس بصعوبة، ولاحظت «أمارا» أنها حريصة على عدم ترك يديه تتجولان بعيداً داخل ملابسها. هناك حدود لما سيتحمله «زوسكالييس» في حانته.

قبل الرجل الملتحي «كريسا» التي أخذت رشفة أخرى من النبيذ، هذه المرة من كأسه. فصفعها مداعباً، لكن، بقوة كافية جعلتها تسكب سائلاً أحمر في مقدمة نحرها. وعلق ضاحكاً:

– الفتاة الصغيرة القذرة.

تبادلت «كريسا» نظرة سريعة مع «فيكتوريا»، التي انحنت لتهمس في أذن حبيبها، ثم قام الأربعة جميعاً، وكان الرجال غير مستقرين قليلاً، وغادروا الحانة.

قال نيكاندروس، وهو يجمع الأطباق والأكواب:

- كان ذلك سريعاً . حتى بالنسبة إلى فيكتوريا .
لقد تحول إلى التحدث باليونانية، لغته ولغة «أمارا»
الأم، وهي اللغة ذاتها التي تتحدثها «ديدو» أيضاً، على
الرغم من أن «أمارا» تشك في أن نيكاندروس يعرف أن
البونيقية، وليست اليونانية، هي لغتها الأولى .
- أخبرنا «فيليكس» أن علينا أن نحصل على خمسة
دنانير بحلول الغد . ما سبب ذلك؟
- لم تسر الأمور على ما يرام في الحمامات هذا
الصباح .
- آسف لسماع ذلك، آمل ألا يسبب لك أحد مشكلة .
قالها وهو ينظر إلى ديدو التي لم تتكلم بعد . .
- هزت «ديدو» رأسها، فابتسم «نيكاندروس» لها قبل أن
يعود إلى المطبخ مع كومة من الأطباق المتسخة .
- نظرت «أمارا» حول الغرفة، في محاولة لمعرفة ما
إذا كان هناك أي عملاء محتملين آخرين، فتجاهلها ثلاثة
رجال منغمسين في لعبة النرد، وآخر يشرب بمفرده في
الزاوية تمكنت أخيراً من لفت انتباهه . وقت الغداء ليس
أبداً أسهل ساعة . أحسنت «فيكتوريا» و«كريسا» في العثور
على زوج من الرجال الراغبين . سألت ديدو
- علينا الذهاب أبعد من ذلك، أليس كذلك؟
ردت أمارا:
- كان هناك عدد قليل من البحارة يتسكعون حول
المنتدى في وقت سابق، والمطر يخف . قد لا يستغرق

الأمر منا وقتاً طويلاً.

نظرت إليها ديدو بعينين مظلمتين فيهما من الحزن العميق ما يكفي لتغرق فيه، إذا تركته يرتفع دون رادع. لن تفعل «أمارا» ذلك أبداً. إنها تقف، وتنتظر أن تتضم «ديدو» إليها، وتمد يدها بالتوازن والثقة التي تخص حياتها الأخرى.

-3-

تستمد جميع الحيوانات الأخرى الرضا من التزاوج؛
الرجل لا يحصل على شيء تقريبًا.
بليبي الأكبر، التاريخ الطبيعي

أصوات «فيكتوريا» وهي تمتع الرجل بلا أسنان -
وتقديره لها - كانت عالية في الشارع. أعطى «فيليكس»
الغرفة التي تقع قريباً من الباب الرئيس لـ «فيكتوريا» لهذا
السبب بالتحديد، مع العلم أنها ستكون خطوة مبيعات
جيدة لتمير التجارة. أما «جالوس» فقد كان متراخياً
إلى جوار الحائط، ويبدو عليه الملل، سألته «أمارا» وهي
تسلمه نصف رغيف صغير:

- هل يمكنك أن تعطي هذه لـ «بيرونيس» و«فايبا»؟
سنجرب حظنا في المنتدى.

- بالتأكيد

حشا «جالوس» الخبز في ثنية في عباته، وأملت
«أمارا» ألا يأكلها بنفسه.

انبعثت رائحة الهواء النقي بعد هطول الأمطار، على

الرغم من أنها تركت الطريق الضيق يبدو وكأنه قناة، فمشت «أمارا» و«ديدو» بحذر، ممسكتين بعباءتيهما لمنع الحواف من السقوط في الماء. في الشتاء، يصعب تحديد مهنتيهما على مرأى الجميع ومسمعهم، كانتا مختبئتين تحت الطبقة الخارجية، ترتديان التوجا، وهي زي الرجال والبغايا. اعتادت «أمارا» أن تشعر بأنها عارية دون قطع من القماش تحمي جسدها من الرأس إلى القدم، ولكن فوق رصيف زلق، عندما يكون للرشاقة أهمية، فإنه يكاد يكون من المريح أن تكون ساقاها حرتين.

أصبحت الرحلة أسهل عندما وصلنا إلى الشارع الرئيس الواسع، فيا فينيريا، الذي يؤدي إلى المنتدى. أخذتا تسييران جنبًا إلى جنب، عوضًا عن السير خلف بعضهما. أمسكت «أمارا» يد «ديدو» وضغطت عليها برفق. ثم قالت:

- لا يمكنك النظر إلى الأسفل طوال الوقت. أعلم أنه أمر صعب، لكن من المفترض أن نجذب انتباه الرجال وليس تجنبهم.

- أنا أعلم؛ لكن هذا صعب حقًا.

- ليس صحيحًا... وجهك يقوم بالفعل بنصف العمل نيابة عنك. أنت بسهولة أجمل امرأة في بومبي.

لم ترَ «أمارا» قط أي شخص جميل مثل «ديدو». على الرغم من أنه جمال يتم تصويره بهشاشة، مثل التمثال الزجاجي الرائع للإلهة أثينا، التي تتذكرها منذ طفولتها.

لقد كان ثميناً جداً بالنسبة إلى والديها لذا أبقياه بعيداً عن متناول اليد .

- أنا أكره ذلك . أنا أكره تحديق الرجال . أنا أكره عندما ... أعتقد أنني سأعتاد على ذلك كله ، في النهاية .
- لا ، فقط تحمليه ، لا تعتادي على ذلك .

مرّتا من أمام متجر يبيع المجوهرات ، فتوقفنا لحظة للاستمتاع بالزجاج المصقول والنقوش المرسومة عليه .
قالت «ديدو» ، وهي تشير إلى شيء معروض :

- أمي كانت ترتدي حجراً كهذا .

- الأحمر؟

- نعم ، كانت ترتديه في آخر مرة رأيتها فيها .

«أمارا» تعرف بقية القصة . كيف اجتاح القراصنة مسقط رأس «ديدو» ، وسرقوا الناس لبيعهم كعبيد . تم اختطاف «ديدو» مع ابن عمها الأصغر ، وقتل عمها في محاولة للدفاع عنهم . مات ابن عمها في الرحلة من قرطاج إلى بوتولي . كانت «ديدو» ، مثل «أمارا» ، وحيدة تماماً عندما التقيا لأول مرة ، واصطفا جنباً إلى جنب في سوق العبيد . أرادت «أمارا» أن تخبر «ديدو» أنها قد ترى والدتها مرة أخرى ذات يوم ؛ لكنها تجد أنها لا تستطيع ذلك ، إنها لا تعتقد أن هذا صحيح .

وقفنا طويلاً حتى خرج صاحب المتجر لمحاولة إقناعهما بتجربة سلسلة من الخزرات الرخيصة ، وشعر بالإهانة عندما رفضتا . ها هما تسارعان نحو المنتدى

على قمة التل. إنه أكثر ازدحاماً من ذي قبل، ولم يضع الباعة المتجولون أي وقت في الانتشار مرة أخرى بعد المطر. قادت «أمارا» «ديدو» نحو أحد الأعمدة العريضة المحيطة بالميدان، وتقول:

- فقط ابترسمي للجميع. تظاهري بأنك «دراوكا».
- هل كان هذا ما فعلته؟ هل تتظاهرين بأنك شخص آخر؟

- أنا شخص آخر بالفعل. «أمارا» ليس اسمي الحقيقي. «ديدو» ليس اسمك أيضاً.

سارتا ببطء وهما تمرران أذرعهما على طول الممر الملون بألوان زاهية. على الرغم من تبجحها، فإن قلب «أمارا» ينبض بسرعة، لا أحد يعيرهما الكثير من الاهتمام، على الرغم من أن هناك رجالاً يرتدون ملابس باهظة الثمن، وربما يجتمعون لمناقشة الانتخابات المقبلة، لكنهم يتجاهلون المارة كما لو كانوا غير مرئيين. «ديدو» التي يتجاهلها الباعة المتجولون أيضاً، كانوا مشغولين جداً بالبيع، ليس لديهم الوقت لشراء ما تقدمه النساء، ليس في هذا الوقت من اليوم. فاقترحت «أمارا» دون رادع أن تحاولا في منطقة أخرى.

سارتا مرة أخرى، وتوقفنا كثيراً هذه المرة. كانت «أمارا» تنظر في أعين الجميع، وتحلم نفسها عن غير قصد بثقة الشباب، عوضاً عن المغازلة، بينما أظهرت «ديدو» أحياناً ابتسامة خجولة. لكنهما لم تتمكنا من

الوصول إلى المستوى المطلوب، فهما لا تشبهان البغايا، ولا النساء المحترمات، لكن هذه المرة، ألقى بعضهم نظرة سريعة عليهما بدافع الفضول. وهما تتسكعان في كشك للأحذية الجلدية، على الرغم من الرائحة الحادة للجلد المدبوغ حديثاً. أوضح البائع ليونة زوج من الصنادل، وأخذ يلوي الأربطة في أصابعه. بينما بدأ رجل في المساومة، وآخر - ربما صديق الزيون - وقف منتظراً. نظرت إليه «أمارا» تنظر برفق وكأنها مصادفة. فنظر هو إلى الأعلى ليرى، وتحاول بطريقة ما عدم النظر إلى الأسفل. للحظة، اعتقدت «أمارا» أنه سيرى من خلالهما، ويدرك أنهما امرأتان خائفتان وليس لديهما أدنى فكرة عما تفعلان؛ لكن هذا ليس ما يراه، شجعه أن «ديدو» لم تخرج عن نظرتها الخجولة، مال نحوها قائلاً:

- خشنة للغاية بالنسبة إلى قدميك الصغيرتين الجميلتين، أليس كذلك؟

- ليس لدينا مسافة طويلة لنقطعها. فقط شارع بعيد، وحدقت مباشرة في عينيه حتى لا يخطئ في معناها. لماذا لا تتضم إلينا أنت ورفيقك؟

وقف على مسافة قريبة إلى درجة أنه يستطيع وضع يده داخل عباءة «ديدو» التي تجمدت و أمسكت بذراع «أمارا» حتى أَلَمتها. ضببت «أمارا» انفعالاتها حتى لا تصفعه، و فكرت في «فيليكس»، و فيما قد يفعله إذا لم يكن لديهم ما يعطونه له غداً.

- هذا يكفي.
- نهرته «أمارا»، بقسوة أكثر مما كانت تتوي. أسقط الرجل يده مستغرياً. وأجبرت نفسها على ابتسامة زائفة وغير متوازنة.
- لا أحد يتعامل مع البضائع مجاناً، ليس إذا لم يشتر!
- نظر الرجل إليهما من أعلى للأسفل.
- ربما لاحقاً، سيداتي. واستدار مغادراً.
- ابتعدتا عن كشك الجلود. وأمسكت «أمارا» يد «ديدو»، كانت تشعر أن ساقبيها ستتهاران، وسألتها:
- هل أنت في حاجة إلى الجلوس؟
- فهزت رأسها نافية، وقالت:
- كان لدي شعور سيئ نحوه... إنه كذلك فقط.
- ما كان يجب أن أتركه يلمسك. كان يجب أن أخبره أن يبتعد.
- ضحكت «ديدو» وقالت.
- أقصر البغايا عمراً في هذا المجال. يا له من سطر افتتاحي! يمكننا جميعاً أن نهرب.
- سرت عدوى الضحك إلى أمارا، ولكنهما سرعان ما ارتجفتا، محاولتين عدم الشخير بصوت عال، وغلبت عليهما الهستيريا. شبكتا أيديهما حول عمود، وراحتا تتأرجحان وتميلان إلى الخلف، وتضحكان مثل الأطفال.

لا تهتمان بأنهما تجذبان نظرات الازدراء، فجأة لا يبدو الأمر مهمًا.

في النهاية، هدأت كلتاهما، واستقامت، وقالت أمارا:
- تعالي ... علينا العودة إلى صيد الوحوش.

سارتا بثقة أكبر هذه المرة، لم تكن «ديدو» مضطرة أن تبتسم، على الرغم من أن الرجال لا يعرفون أن ذلك على حسابهم. وقفنا عند مجموعة من قطع التكعيب بالقرب من ممر مقنطر يتجه إلى قاعة الطعام الداخلية. كان الهواء مثقلاً برائحة اللحم والتوابل. فوقفتا على حافة الدائرة تراقبان.

- رمية جيدة.

قالت أمارا، بينما يسجل رجل ست نقاط، ويجمع كومة صغيرة من العملات المعدنية، ويتلقى صفة صديقه على ظهره.

يبدو أن اللاعبين منقسمون إلى فريقين. كلهم يبدوون مثل تجار من خارج المدينة، يتحدثون بثروة من اللهجات واللغات، وهم يتجادلون حول المال. تظاهرت «أمارا» و«ديدو» بالانبهار باللعبة، ومالتا ببطء أكثر نحو الجانب الفائز، في محاولة لتسويق نفسيهما. أحضرتا قارورة من النبيذ، وقدمتا لديدو رشفة منها. قال أحد الرجال وهو يشد ذراع أمارا:

- ارموا لنا ... هيا، ارمي.

يكون الفائزون في حالة معنوية جيدة. بعد المباراة،

سيحتاجون إلى إنفاق هذا المال في مكان ما .

جلست «أمارا» القرفصاء وأخذت النرد :

- من أجل فينوس!

قالت ذلك وهي تلقي نظرة جانبية على الفريق الذي يشجعها، تدحرج النرد، إنها خمسة، أعلى مما حققه منافسوه الذين تمكنوا للتو. هتف الرجال.

قال أحد الخاسرين، ووجهه محتقن من الغضب، وهو يشاهد أصابعه المتحمسة وهي تتخلى عن آخر عملاته المعدنية:

- لا يهم. لا يمكنك استخدام بغي لرمي النرد.

ردّت أمارا:

- يمكنك أن تجعل بغي تفعل ما يحلو لك. هذا هو بيت القصيد.

غرق أصدقاؤها الجدد في الضحك، وأحاط ذراع أحدهم ب«أمارا» وهي واقفة، لكن خصمها غير مستمتع:

- هذه خيانة اليوناني الصغير. قال وهو يبصق.

جمع الخاسر أمواله المتبقية، مشيراً إلى رفاقه الثلاثة ليفعلوا الشيء نفسه. وأسرعوا بالفرار، وتركوا «أمارا» و«ديدو» مع الفائزين. خمسة رجال تحول انتباههم الآن من النرد إلى ألعاب أخرى. تسارعت نبضات قلبها. كانت تفضل ألا يكون عددهم كبيراً بهذا الشكل.

قالت «ديدو» وهي تميل رأسها بطريقة تذكر «أمارا» بأسلوب «فيكتوريا»:

- لقد جلبت لك بومبي ثروة جيدة. من المفيد خدمة فينوس في مدينة الإلهة.
قال أحد الرجال ملاحظاً لهجتها:
- أنت من إفريقيا.
أجابت أمارا:

- فينوس لها سيادة واسعة. والطريق إلى منزلها قصير، إذا كنت مهتماً بالانضمام إلينا.

ما زال الرجل الذي حثها على رمي النرد يحيط ذراعه بإحكام حول خصرها، وأصابعه تعجن لحمها. لا توجد طريقة يمكن لها هي و«ديدو» محاربة هذه العصاة إذا قرر الرجال قطع الصفقة عن طريق أخذها من دون دفع. فقاعة الطعام ما زالت قيد الإصلاح من أضرار الزلزال، وهناك الكثير من الأقواس المهجورة، حيث توقفت أعمال البناء مؤقتاً.

ابتعدت «ديدو» عن المجموعة، وهي تقول:

- ما رأيكم لو تشاركنا المنزل مع ثلاثة آخرين. خمس نساء! هذه فرصة سعيدة. يجب أن نحتفل مع أصدقائنا، تستحق إلهة الحب بعض الشكر بعد كل شيء.
تبادل الرجال النظرات، وربما يفكرون في احتمالية أن يقودهم طعم العسل إلى وكر اللصوص. قالت أمارا:

- لعلكم رأيتم منزلنا؟ نحن نعيش إلى جوار حانة الفيل.

- عرين الذئب! لقد تلقينا دعوة إلى المبنى في المدينة!

قال الرجل الذي يمسك بأمارا، وهو يخفف قبضته ويوجهها نحوه حتى يرى وجهها:

- هل هذا ما أنت عليه؟ ذئب يوناني صغير؟

كان جلده أسمر، خشن الخدين نتيجة التعرض لجميع الظروف الجوية، وهناك علامة في أسفل ذقنه، لا بد أن تكون نتيجة جرح بسكين. إنها تعرف أن هذا الرجل ليس بعيداً عن العنف، لكن في هذه اللحظة لا أحد منهم كذلك. رمت «أمارا» النرد مرة أخرى. ومالت تقبله برفق على شفتيه ثم دفعته، واندفعت بعيداً عن متناول يده، وقالت دون أن تلتفت، وهي تحثه على أن يتبعها:

- ذئب من اليونان وقرطاج ومصر وإيطاليا كل عبدة فينوس بومبيانا.

انضمت إليها «ديدو» بسرعة، وأمسكتا بأيدي بعضهما بعضاً، وسارتا في الرواق نحو شارع فيا فينيريا، مدركتين أن الرجال قريبون من الخلف. همست «ديدو» وعيناها واسعتان من الخوف:

- نحن في حاجة إلى الوصول بسرعة.

- لا تركضي...

قالت «أمارا» التي نظرت إلى الخلف من فوق كتفها، مبتسمة للرجل الذي كان حتى وقت قريب يضعها في قبضة حديدية. يبدو هو ولاعبو النرد الآخرون مغمورين بالإثارة عوضاً عن الغضب، مستمتعين بإثارة المطاردة. انسحبوا عبر المحلات التجارية والمنازل الكبيرة في

طريق فينيريا. رغم أن الطريق لا يزال مغموراً بالمياه. أمسك أحد اللاعبين الخمسة، وهو رجل قصير الجسم مفتول العضلات يرتدي عباءة مرقعة، بـ«يدو»، كما لو أنه يستعد لرميها، ثم أعادها إلى أسفل مع اقتراب عربة بغل، وأمسكت «أمارا» بها، فجرتها على طول الرصيف. لم تكن «أمارا» أكثر سعادة من أي وقت مضى، مما هي عليه الآن لسماع الجوقة الصاخبة من «الفيل» وهم يدورون حول الزاوية إلى المبنى. شعرت أنها مستعدة للانهيال بارتياح عند قدمي «جالوس»، الذي بدوره جمع المال من عملائه الخمسة الجدد. وبينما خطت «أمارا» فوق العتبة، ونظرت إلى يده اليسرى، إلى الإشارة التي حملتها، ثلاثة أصابع... ثلاث نساء فقط. فانقبض قلب «أمارا».

كانت «بيرونيس» تنتظر في الممر، مكللة بالدخان من المصابيح، فصرخ الرجل القصير، وأمسكها بقسوة حول الوركين:

- تلك هي المصرية! أين هما الاثنتان الأخريان؟

أجابت أمارا: وهي تلف ذراعيها حول الرجل ذي الذقن التي فيها الأثر:

- في طريقهم، فاييا ستذهب وتجليهم.

اندفعت المرأة العجوز من أمامها، وغطاء رأسها مشدود إلى وجهها، نحو الشارع.

- بحق الجحيم، لقد وعدت بخمسة! قال الرجلان

اللذان تُركا من دون نساء غاضبين.

نزع زيون «أمارا» معظم ملابسها ودفعها نحو حجرة فارغة. والتفت إلى أحد رفاقه الغاضبين، قائلاً:

- توقف عن التذمر! أنت تعلم أنني أشارك دائماً.

السريير الحجري قاس على ظهر «أمارا»، وهناك رنين رهيب في أذنيها. كاد اندفاع الدم ينفجر في رأسها، ورائحة الرجل الغريب قريبة جداً منها، أصبحت قبضته أكثر إحكاماً مما تتذكره في المنتدى، الرجفة متواصلة، لا تستطيع التوقف، ولا تستطيع السيطرة عليها... إنها تفرق.

حاولت «أمارا» التركيز على الستارة التي تم سحبها عبر المدخل، وعد طياتها حتى ينتهي، أي شيء يهدئ الذعر الذي لا يطاق؛ لكن الرجل الثاني كان يحجب رؤيتها، ووجهه ملتو. يمسك بها، ويمنعها من الصراخ، لم تعد تستطيع التنفس، وبات الرعب يسحق الهواء في رئتيها، انزلقت «كريسا» داخل الغرفة، وهمست وهي تمرر أصابعها في شعر الرجل الثاني.

- لا داعي للانتظار.

لكنه دفعها بعيداً وأشار إلى أمارا قائلاً:

- أريد هذا الشيء.

- لا، أنت لا تفعل.

اقتربت منه، حاول المقاومة، لكن إغراء جسدها العاري أكثر من اللازم. جعله يستسلم، ويسمح لكريسا بقيادته بعيداً.

نظرت «كريسا» إلى الورااء وهما يفادران. كان اللطف في عينيها يتحدث لغة أخرى، وصلت إلى «أمارا» عبر الظلام.

بدأت «أمارا» في البكاء. جثم الرجل المصاب بالندوب فوقها بقوة. لقد انتهى أخيراً. شددت «أمارا» ساقها نحو نفسها، غير قادرة على التوقف عن البكاء. للحظة، حدق فيها الرجل، ولا يمكنها معرفة ما إذا كان مظهر الاشمئزاز هو لها أم لنفسه، وغادر صامتاً.

-4-

خذ إلهاً من شأنك أن تعبده عبر السنين؛
خذ شخصاً يحب بأقصى ولاء.
أوفيد، أموريس I.3

يمرُّ الليل في المبعى وكأنه مشهد من «هيدس»: موكب
لا نهاية له من الرجال المخمورين، والدخان، والسخام،
والصراخ الغاضب، وتحطيم الفخار، وصوت «ديدو» تبكي،
والرائحة النفاذة لجرعة «فيكتوريا» وهي تغسل من
داخلها، خشونة شخير «بيرونيس». عندما يكون الوقت قد
فات، حتى أن أكثر البومبيين تفانياً في المغامرة بحثاً عن
الحب يلتزمون الصمت، رقدت «أمارا» وحيدة في ظلام
حجرتها، غير قادرة على النوم، مختنقة من الغضب.

استيقظت في اليوم التالي على غناء «فيكتوريا»، إنها
مثل الموسيقى من عالم آخر، الصوت الترابي الخفيف
المملوء بالأمل وروح الدعابة، بينما تجلس هي في السرير.
صرخت بيرونيس:

- ألا يمكنك السماح لنا بالنوم لمرة واحدة؟

- انظري إلى ضوء الشمس. إنه مثل مهرجان فلورا!
ابتسمت «أمارا» مرغمة، وهي تَوْرَجح قدميها على الأرض، وتلف البطانية حول كتفيها. بينما «بيرونيس» و«كريسا» تتأثبان وتفركان أعينهما في الممر. ثم توجهن ثلاثهن إلى حجرة «فيكتوريا». نظرت «أمارا» إلى الأعلى وهي تدخل، حيث ظهرت لوحة العاشقين فوق الباب، كانت هدية من «فيليكس» لبغيه الأشد مجهوداً. قالت بيرونيس:

- لقد أيقظتنا!

كانت «فيكتوريا» تصف شعرها، وتتساقط خصلات مجعّدة مثل شلال حول كتفيها. إنها لا تشبه المرأة التي كانت مستيقظة طوال الليل، تنغمس في الرجال وتحيد العنف. تتلأأ عيناها باحتمالية يوم جديد. لم تلتق «أمارا» بأحد مثل «فيكتوريا».
سألت فكتوريا:

- أين ديدو؟ لا يمكن أن تنام أو أن تتكاسل بالصراخ والشكوى.

أربعة منهن توجهن إلى حجرة «ديدو». كانت مستلقية على السرير ووجهها إلى الحائط، و«كريسا» تجلس إلى جوارها، و تتحني وتقبلها على جبهتها. لم تكن «أمارا» و«نيكاندروس» وحدهما مَن يشعان بضرورة حماية أصغر ذئبة لدى «فيليكس». قالت كريسا:
- إنه الصباح يا حبيبتى.

جلست «ديدو»، وجهها مبلل، وعيناها قد احمرتا من

- البكاء. عانقتها «كريسا» وربتت على ظهرها:
- هل كانوا قذرين؟
- كسر أحدهم جميع المصابيح. قالت ديدو مشيرة إلى شظايا الفخار، لقد أخافني حقاً.
- يا له من رجل صغير بغيض شرير.
- ارتعش صوت «كريسا»، واعتقدت «أمارا» للحظة أنها ستكافح للحفاظ على رباطة جأشها، بينما جلست «فيكتوريا» على الجانب الآخر من «ديدو»، وتولت زمام الأمور بسرعة، قالت وهي تبتسم:
- لا يمكنك أن تدعيه يزعجك. في النهاية إنه السيد جارليك فراتيكوس.
- يا له من اسم غبي، لا يمكن أن يكون هذا اسمه حقاً.
- لكنه كذلك! إنه السيد «جارليك فراتيكوس» الذي يدير مطعم الوجبات السريعة بالقرب من الحمامات!
- قالت ديدو التي أصبحت أفضل حالاً:
- كان كرية الرائحة؟
- وتوم، وفارتي، أومأت فيكتوريا برأسها، وتابعت: نعم، بالتأكيد إنه السيد جارليك فراتيكوس
- علقت بيرونييس:
- لم أكن أعلم أنه أطلق عليه هذا الاسم، اعتقدت أنه كان يسمى مانليوس.
- قالت كريسا ساخرة:

- طبعاً، كان مانليوس، أيتها الحمقاء!
ضحكن، حتى «بيرونيس» ابتسمت، بينما تساءلت «أمارا»
للحظة فيما إذا كانت قد لعبت دور الغيبة عن قصد.

قالت فيكتوريا:

- أعتقد أنه يجب أن نكتب له رسالة على الحائط
في حالة عودته يوماً ما، انحنى وأعطت أمارا قطعة من
الفخار، ماذا نقول؟ أنا أعرف! اقتحم ببطء.

سألت أمارا:

- هل أكتبها باليونانية؟

فردت فكتوريا:

- ما هي العبرة في ذلك؟

- نريد أن يقرأها الأبله ذو الرائحة الكريهة ، أليس

كذلك؟

خطت «أمارا» الرسالة على الحائط. وجلسن جميعهن
ينظرن إليها عندما تنتهي، وبيتسمن بارتياح. فتقول
«بيرونيس» بوجه خبيث:

- سأخبرك من الذي يقتحم ببطء!

توقفت، لتتأكد من أن الأربع يعطين اهتمامهن الكامل.

- هيا إذن، من هذا؟ أهو أبولو؟

قالت بيرونيس:

- جالوس أنا أحبه.

- صرخت فكتوريا:

- جالوس؟ إنه وضع رهيب!

- أنتِ لم تتامي معه حتى!
 قالت بيرونيس، مجروحة، تنظر حول الوجوه المحرجة
 لأصدقائها:
- هل فعلتِ؟
- فعلنا جميعاً يا حبيبتي. قالت كريسا.
- حسناً، إنه يحبني. أخبرني أنه سيشتري حريتي
 يوماً ما. هو يحبني! سوف يتزوجني، حينها لن أكون
 مضطرة لفعل هذا بعد الآن. لقد أمضينا ساعة كاملة
 معاً عندما كنتن تصطدن الزبائن. إنه حقاً لطيف ومحب
 ومهتم. حتى أنه سأل عما أريد!
- كافحت «أمارا» لتتصور أن «جالوس أوفيش» هو أي من
 هذه الأشياء. إنها على وشك أن تسأل «بيرونيس» عما إذا
 كان قد أعطها الخبز أمس، لكنها قررت أن الإجابة قد
 تكون مؤلمة للغاية.
- قالت فيكتوريا بصوت منخفض مع تحذير:
- بيرونيس! لم ... مجاناً، أليس كذلك؟
- هنا صمتت «بيرونيس»، تحاول ألا تلتقي بعين أي أحد
 منهن. فهمست فكتوريا:
- أنت غبية! ماذا لو اكتشف فيليكس ذلك؟
 لا يمكنك قضاء أيامك في التجول مع جالوس من أجل لا شيء!
 عليه أن يدفع لفيليكس. الوغد يلعب بك فقط؛ إنه
 يستخدمك!
- ردت بيرونيس بحرقة:
- إنه لا يريد أن يدفع لأنه يدخر ليشتريني! ومن

سيخبر فيليكس؟ أتمنى ألا يكون أي منكم!

- طبعاً، لن تخبر أي منا فيليكس، لكن، هل أنت متأكدة من أن جالوس لا يستفيد؟

- إنه يجنني. أخبرني أنه لم يقابل قط أي شخص لطيف مثلي، ويمكنه التحدث معي حقاً، لأنني أستمع إليه، وأنا مهتمة به.

قالت فيكتوريا، وهي تحاول أن تبعد ناظرها عنها:

- لماذا عليك أن تجعلي كل شيء مظلماً وقبيحاً وملتويًا؟

- على الأقل لدي ذائقة أفضل منك. ردت بيرونيس بثقة.

قيلت الكلمة الأخيرة بكم هائل من الحقد إلى درجة أن «أمارا» فوجئت، ولكن قبل أن تتمكن «فيكتوريا» من الانتقام، قاطعتها «كريسا»، موجهة حديثها إلى «بيرونيس»: - لا أحد يحاول إفساد الأشياء لك. نريدك فقط أن تهتمي بنفسك. هذا كل شيء.

لكن «بيرونيس» تجاهلت كلامها، وابتعدت غير مستعدة لخسارة الجولة.

نظرت «كريسا» نحو «فيكتوريا»، والتفتت إلى «بيرونيس» ترغب في تعويضها. أما «فيكتوريا» فتهدت قائلة:

- طبعاً، نحن سعداء إذا كان جالوس يحبك، لكن، عليك أن تجعليه يدفع. إنه يسرق من فيليكس! هذه مخاطرة كبيرة - أنت تعلمين أنها كذلك. بالنسبة إليه

بالمقدار نفسه بالنسبة إليك.

تبدو «بيرونيس» متدمرة وهي تقول:

- هذا مجرد أنموذج من أفعاله. إنه يعرض نفسه للخطر من أجلي.

كادت «فيكتوريا» أن تنفجر وتتسف هذه الصورة التي ترسمها لـ جالوس البطل لكن؛ «كريسا» غيّرت الموضوع:

- هل يعرف أي شخص مقدار الأموال التي كسبناها الليلة الماضية؟

أجابت فكتوريا:

- تولى ثراسوزام الأمور عند الباب. لقد تحدثت إليه قبل أن أسلم. آخر إحصاء كان يزيد قليلاً عن ستة عشر ديناراً.

قالت أمارا، وهي تفكر في فيلكس:

- هذا يبعث على الارتياح، إنه ليس بعيداً كما اعتقدت.

أشارت «ديدو» إلى المصابيح المكسورة:

- علينا أن ندفع لاستبدال هؤلاء.

نظرت «كريسا» إلى المصابيح الطينية المحطمة:

- هذه على الأقل ثلاثة.

- أربعة... قالت ديدو.

أوضحت فكتوريا:

- علينا أن ندفع ثمنها بأنفسنا. لا يمكننا أن نطلب المال من فيليكس، ليس بعد أمس.

تشعر «أمارا» ببعض الأسى مما عاشته ليلة أمس.

يمنحهم «فيليكس» هذا البديل التافه، الذي لا يكاد يكفي للطعام، خاصة عندما يشتركن مع «فايبا». لن تدخر أي منهن ما يكفي من أجل حرقتها بهذه الطريقة.

قالت فكتوريا التي ربما فهمت أفكار أمارا:

- لا يمكن مساعدتها، سنعود.

حدقت «أمارا» في كتابتها الجديدة على الجدار: «اقتحم ببطء!» لم يعد يبدو مسلياً بعد الآن. وقفت «كريسا» إلى جوارها:

- يجب أن نتوجه إلى الحمامات، ونستحم. ما لم تكوني تريدين الفرع من رائحة الرجل طوال اليوم.

إنها طقوس منتصف الصباح في المبنى، رحلتهم إلى حمامات النساء، التي تجدها «أمارا» رومانسية، إضافة إلى التطهير الجسدي. استبقت «فيكتوريا» الكلام:

- سأبقى في الخلف، من الأفضل لشخص آخر الذهاب لشراء المصابيح.

حل الصمت، فبادرت «أمارا»:

- سأذهب.

إنها متشائمة تماماً مثل الآخرين من الاغتسال، لكنها مدينة لـ«كريسا» بإنقاذها، وكانت «ديدو» قد قضت ليلة مروعة، بينما كانت «بيرونيس» محاصرة في الداخل طوال يوم أمس. على الرغم من علاقتها مع «جالوس»، فقد لا تكون هذه تضحية بعد كل شيء.

قالت «كريسا»:

- خذي مدخراتي. يمكننا تقسيم التكلفة عند عودتك.

كانت «فايبا» تمسح الأرض عندما خرجن إلى الممر. ليست هذه هي المرة الأولى التي تتساءل فيها «أمارا» أين نامت تلك الليلة. لقد وجدتها متكورة على عتبة الباب الخلفي من قبل، ملفوفة في عباءتها. ابتسمت المرأة العجوز لهن وقالت:

- ألا تبدون جميعكن جميلات.

ساعدت «فايبا» الأربع اللواتي خرجن في ترتيب شعورهن. على الرغم من أنهن لا يصطدن الزبائن، إذ يكره «فيليكس» أن تتجول نساؤه في المدينة بحثًا عن الفوضى. قالت «فايبا» لـ«أمارا»:

- لن تحتاجي إلى تلوين شفتيك أبدًا، إنها مشرقة مثل بذور الرمان. أنت محظوظة جدًا.

تساءلت «أمارا» كيف كانت تبدو «فايبا» عندما كانت صغيرة. لم يكن وجهها مبطنًا فقط، بل تعرض للضرب، مثل الأخاديد في الطريق، حيث دهست العربات الحجارة مرارًا وتكرارًا. ولا يمكن أن يساعدها في الحياة أحد مثل «باريس». سألتها:

- هل يمكنني أن أحضر لك أي شيء لتأكليها؟ أحضر لي جالوس بعض الخبز بالأمس، لا تقلقي.

كان «ثراسو» يستلقي نصف نائم على عتبة الباب عند مغادرتهم. تبدو شفته أفضل قليلاً من الأمس، لكن أنفه لا يزال منتفخًا. سأل: إلى أين تذهبن، ودفع نفسه للتحقق مما إذا كانت قصة المصابيح المكسورة صحيحة. وحالما منحهن الإذن عابسًا، انطلقن.

وَدَّعْتُ «أمارا» الآخريات على بعد خطوات قليلة على الطريق عند مدخل حمامات النساء، ثم توجهت إلى متجر الفخار في فيا بومبيانا، ومحفظة «كريسا» الجلدية مقيدة حول خصرها.

كانت الليلة الماضية جافة، وانخفض منسوب المياه على الطريق، لم يعد يشبه القناة. وبدلاً من ذلك، فإن السطح المبلل يضيء كما الفضة في وهج ضوء الصباح المتأخر. بدت البلدة مشغولة فعلاً، تباطأت «أمارا» وهي تمر من مداخل أغنى منازل بومبي، وهي تلقي نظرة إلى الداخل كلما تُرك باب خشبي طويل مفتوحاً. راحت تلتقط بريق النوافير، ولمحات من الحدائق الشتوية، والفسيفساء المتقنة التي تكتسح حتى حافة الشارع. لم يكن منزل والديها في أفيدناي كبيراً جداً، ولكن فيه بعض اللمسات المنزلية - امرأة تجلس في الفناء، وكلبة نائمة - تذكرها بما فقدته.

لم يكن متجر الخزاف بعيداً جداً على طول شارع فيا بومبيانا. من المستحيل أن تفوتك لوحة جدارية ضخمة لـ«فينوس»، محاطة بمصاييح، على الجدار الأمامي. تستقبل اللوحة دفء أسنة الذهب على ملامح الإلهة، وينعكس الضوء في عينيها. وخلفها صدف ووردية يعمل الخزافون الصغار عند قدميها، ويشكلون المصاييح والتماثيل، ويلقمون فرناً صغيراً، وهو تمثيل مصغر للمحل التي توشك «أمارا» على الدخول إليه.

واجهة المحل ضحلة وخالية على ما يبدو. من خلال

مدخل في الخلف يمكنها رؤية العبيد ووهج الأفران الأحمر. ظهر شخص ما. فاستدارت لتتظر. وحرصت على ألا تصطدم بأي شيء. كانت المصاييح جميلة، أجمل بكثير من تلك التي جاءت لشرائها. التقطت «أمارا» مصباحًا زجاجيًا صغيرًا من أقرب رف، وضربت سطحه بإصبعها برفق. كان ختم صورة «بالاس أثين» عليها، ووجه بومة على درعها.

- هذه واحدة من صنعي.

كانت تتظر، والعبد يراقبها، فأسرعت لإعادة المصباح إلى الخلف، وقالت محرجة:

- آسفة.

فقال العبد ضاحكًا:

- لا، أعني أنني صممته. أنا لا أملك أيًا منها.

كان العبد حسن المظهر للغاية. نحيفًا ذا شعر داكن ووجه لطيف. اعتقدت أنه لا يبدو مثل «فيليكس». تساءلت: لماذا قد تهمها الموازنة. مشى العبد وأخذ المصباح عن الرف، قلبه وقال:

- هذه هي علامتي.

قال وهو يلامس رمزًا على ظهر المصباح، الحرف اليوناني. وله كنة يونانية أيضًا. يبدو أنه كان من الممكن أن يأتي من مسقط رأسها، وسألها مبتسماً:

- هل «بالاس أثين» آلهة لك؟ من أثينا؟

فقالت، وهي تحول لكتتها إلى اليونانية:

- لا، أنا من أفيدناي. مدينة الجميلة هيلين طروادة.

- كنت هناك؟

حدثت أمارا في عبد الخزاف، متسائلة عما كان يمكن أن يكون إذا التقيا في حياتهما الماضية. هل ذهب إلى والدها عندما كان مريضاً؟ هل كان دائماً مستعبداً؟

- قضيت بعض الوقت هناك عندما كنت طفلاً، قبل سنوات عديدة. أنا من أثينا. من أتيكا تحديداً.

استحضرت أتيكا الكثير في كلمة واحدة، بين فخر بموطنها، وألم لما خسرت، وطنها فجأة صار يبدو أنه أقرب، فجأة وجدت نفسها تقف إلى جوار هذا الشخص الغريب، فتقول:

- ماذا حدث؟ لماذا أنت هنا؟

بدا مذهولاً، إذ لا يسأل العبيد عادة بعضهم بعضاً عن الماضي من دون دعوة. لا أحد يريد أن يُسحب حزنه بشكل غير متوقع إلى النور.

- نفذ المال من عائلتي، وكنت آخر شيء كان عليهم بيعه.

صوته لم يتغير، ولديه الطريقة السهلة نفسها كما كان من قبل؛ لكنها يمكن أن تشعر بحزنه. أرادت «أمارا» أن تخبره أنها تتفهم، وأن قصة حياتها هي نفسها، لكنها لا تجد الكلمات. بدا محرّجاً من صمتها، فسألها:

- هل هذا هو المصباح الذي تريدان؟

احمرت خجلاً، عباءتها تخفي التوجا المبهرجة التي تكشف حقيقتها، وليس لديه فكرة عما هي عليه، والآن عليها أن تطلب من هذا الغريب الأثيني الجميل حمولة

من مصابيح مختلفة. قالت ببطء:

- سيدي يعيش مقابل «الفيل».

ظهر وميض تفهم على وجهه، فواصلت حديثها الأشبه

بالحرث:

- اسمي في هذا البلد هو أمارا. اعتدت أن أعبد

بالاس أئين، لكن منذ أن جئت إلى هنا، كنت خاضعة لفينوس، ليس لدي خيار، إنها الإلهة التي يخدمها سيدي.

قال الغريب:

- أمارا ووضعه يده على يدها، ليمنعها من

الاستمرار- أفهم. لا أحد منا لديه خيار هنا.

حدقا في بعضهما بعضاً، فقد انتبه للتو أنه يلمسها.

في تلك اللحظة ناداه صوت من الخلف:

- ميناندر! ماذا تفعل هناك؟

- أردت فقط... آه، إني أرى، هناك زيون. اغفر لي،

سامحني.

وقف «رستيكوس» الخزاف في المدخل، متجاهلاً

«أمارا» ومحاولاً أن يقيمها في الوقت نفسه. أما هي فقد

كانت تحديق في ما خلفه، ترى مؤخرته العارية الكبيرة،

تتمايل لأعلى ولأسفل، تلمحه من خلال ستارة نصف

مفتوحة، إنه أحد لاعبي «فيكتوريا» النظاميين.

- حسناً، ضحك واستدار إلى ميناندر: لا عجب أنك

كنت تأخذ وقتك، وماذا يمكننا أن نفعل لك، أيتها الذئبة

الصغيرة؟

شعرت «أمارا» بالنار تندلع من وجهها، وأجابته:

- أربعة مصاييح، غير مزججة، من... من بريابوس، قال رستيكيوس مبتسماً، مستمتعاً بإذلالها.

يعلو وجهها وميض من الغضب والتحدي، فتضيف بصوت عال:

- أربع مصاييح مختلفة...

علا صوت شخير في الخلف، فاستدارت وحدقت في «ميناندر»، متسائلة في نفسها هل يضحك؟ إلا أنه يرى وجهها ويتغير تعبيره على الفور:

- أنا آسف، لم أقصد...

مسحت على المنضدة، كما لو أنه لم ينطق بكلمة، وقالت:

- سيدي لا يجب أن يبقى منتظراً.

- طبعاً.

لم تقل «أمارا» شيئاً، بل وقفت جامدة، مليئة بالغضب، بينما كان «ميناندر» يلف المصاييح بقطع من القماش القديم، ويربطها معاً لتسهيل حملها. حاول جاهداً لفت انتباهها، لكنها رفضت النظر إليه، حتى عندما سلمها الصرة.

جاهد «روستيكيوس» حتى لا يضحك، ثم قال هامساً لبعده:

- لا تهتم، ربما يمكنك إدخار أجر ضئيل والتحدث إلى السيدة الجميلة لفترة أطول في المرة القادمة.

نقدته «أمارا» أموال «كريسا»، وخرجت من المتجر من دون أن تشكر أيًا منهما. مشت مسرعة على طول الشارع،

و هي تمسك المصاييح على صدرها، وتكره نفسها. إنها لا تختلف عن «بيرونيس»، حيث تبتلع سحر «ميناندر»، كما لو أنه كان مهتمًا بالتحدث إلى ذئبة. الحياة في المبغى صعبة بما فيه الكفاية، دون أن تخدع نفسها.

-5-

أمسك جاريته وقتما تشاء: من حقه استخدامها
نقش على جدران بومبي

عندما عادت، كان «باريس» في انتظارها عند الباب. الطريقة التي يقف بها، وصدرة الهزيل المنتفخ والساقان الملتفتان، تجعله معروفاً لديها قبل فترة طويلة من وصولها إلى المبنى. من النادر أن يتم تعيين «باريس» في واجب الباب، إنه ضعيف للغاية بحيث لا يستطيع أن يكون حارساً مقنعاً.

يبدو أنه أصغر من عمره بسنوات، وهو في حاجة ماسة إلى إطلاق لحيته، على أمل أن يخرج «فيليكس» أخيراً من واجباته كبغي. الشخص الوحيد في العالم الذي يحب «باريس» هو والدته «فايا»، وهو في المقابل يعاملها بقسوة تجعل قلب «أمارا» يؤلمها.

- فيليكس يريدك

- هل قال لماذا؟

تجاهل «باريس» كتفها الذي صدمه، وحاول تقليد

اللامبالاة السهلة لـ«ثراسو»، إلا أنه عوضاً عن تحقيق ذلك، بدا وكأنه مراهق قذر.

سارعت «أمارا» إلى المبعى، قالت وهي تسلم فكتوريا المصاييح:

- فيليكس، يطلبني، لم أستحم حتى، وهو يكره ذلك. سيكون غاضباً جداً!

- يمكنك استعارة بعض ماء الورد الخاص بي، فقط ساعدي نفسك. وحاولي ألا تقلقي. يكاد لا يطلب أبداً خدمة كاملة، ليس في هذا الوقت من اليوم.

عشرت «أمارا» على الزجاجاة الصغيرة في غرفة «فيكتوريا»، ووضعت كمية قليلة من عطر الورد على رقبتها.

إن التفكير في صعود الدرج لرؤية «فيليكس» مرة أخرى جعلها تشعر بالغثيان. لقد أربكها عندما جاءت لأول مرة إلى بومبي، لم يرد أي من نساته مدفوعاً بالرغبة، ناهيك عن أي شيء أكثر رقة، وبعد بضعة أسابيع فهمت، كلهم يخافون منه، يخافون من استدعائه ويخافون من التجاهل. مثل كل شيء آخر في «فيليكس» - إنها ممارسة السلطة.

دخلت «فيكتوريا» إلى الحجر، وقرصت خديها لمنحهما المزيد من اللون، ورتبت شعرها:

- ماذا لو كان شيئاً آخر؟ ماذا لو كان غاضباً مني؟ تساءلت أمارا.

فقالت فكتوريا:

- سيكون كل شيء على ما يرام أعدك. فقط لا تجعله ينتظر.

سمح لها «باريس» بالدخول، وأخذ المفاتيح من عباءته بينما يقفان معاً في الشارع. يقول:

- عليك أن تذهبي مباشرة إلى مكتبه.
دفع الباب، ليتركه مفتوحاً ويمشي، كما لو أن التوقف للتحدث معها سيضيف عبئاً رهيباً على يومه المزدحم.

ترك «أمارا» بمفردها في الردهة، متفاجئة من عدم إرسالها إلى غرفة النوم. فتساءلت عما قد يعنيه «فيليكس» بذلك. صعدت الدرج، وزحفت حول الممر حتى النهاية. توقفت، وقرعت الباب برفق، ثم فتحته بحذر.

ما أثار ارتباكها أنها رأت أنه لم يكن وحده بالفعل، وبينما كانت على وشك التراجع، رفع «فيليكس» يده في إيماءة لكي تبقى. استدار موكله ليرى من المعني بالإشارة، وعندما فهم أن بغياً تراقبه، جفل، وقال:

- إذا لم يكن هذا هو الوقت المناسب ...
- أرجوك أكمل. قال فيليكس دون أن يقدم أي تفسير لوجود إحدى نسائه.

- كنت تشرح سبب رغبتك في الحصول على قرض ثانٍ من دون سداد الأول.

- يمكنني أن أقدم لك هذا، قال الرجل، وهو يخرج زوجاً من الأقراط، إنهم ينتمون إلى حماتي. الفضة النقية

- المصنوعة في هيركولانيوم.
- أخذ «فيليكس» الأقراط وفحصها لفترة وجيزة قبل أن يضعها على مكتبه:
- سيفطي هذا الدين السابق. ماذا عن القرض الجديد؟
- إنهم يستحقون أكثر بكثير من مجرد القرض الأول! يجب أن يغطي هذا ما لا يقل عن نصف قيمة القرض التالي أيضاً!
- إنهم يغطون القرض الأول، من دون الفائدة.
- أرجوك يا فيليكس، من فضلك كن معقولاً. يمكنني الحصول على المزيد من المال حالما تصل الشحنة. فقط أعطني القليل من الوقت. أنت تعلم أنني دائماً ما أنفذ وعدي وأسدد ديني.
- تنهد «فيليكس»، مثل أب محبط:
- لقد قمنا بأعمال تجارية لسنوات عديدة يا سيلير. وما زلت تعتبرني كالأحمق، - وأشار إلى الأقراط- افترض أن سالفيا تريدكم مرة أخرى؟ وأتخيل أنها ستكون صدمة رهيبية لوالدي زوجتك إذا كان على رجالي الحضور إلى متجر الأقمشة الخاص بهم دون دعوة، واستعادة ما تدين لي به في ساحات الحرير؟
- فيليكس، من فضلك، لا يمكنك، أنت تعرف أنني...
- يمكنك الحصول على عشرة دنانير اليوم، حتى وصول الشحنة. ثم إذا واصلت سداد الدفعات الأخرى،

يمكننا التفكير في القرض الثاني.

- لكن هذا لن يغطي الأقراط!
- الأقراط! للقرض الأول. عرض عشرة دنانير هو كرم خالص من جانبي. خذه أو لا تأخذ أي شيء.
- راقبت «أمارا» الموقف بينما «سيلير» يوقع اتفاقية أخرى، نقش اسمه في الشمع. بدا «فيليكس» كأنه يشعر بالملل، وعند انتهاء «سيلير» قام «فيليكس» بطي السجل، وإخراج النقود من الدرج. شكره «سيلير» بصوت غير مسموع تقريباً. وعندما اجتاز «أمارا»، لاحظت أن وجهه يغمره الذل.

ترك «فيليكس» و«أمارا» وحدهما. قام بأرشفة اتفاق «سيلير»، متجاهلاً إياها لوضع دقائق، بينما هو مشغول في مكتبه. هي تدرك جيداً أن أفضل ما قد تفعله الآن هو التزام الصمت.

- في أمس، سألت عما حدث في الحمامات - قال وهو ينظر أخيراً إلى الأعلى - لم أطلب النصيحة. ما الذي جعلك تقدمينها؟

لم تتغير نبرته منذ أن تحدثت إلى «سيلير». لم تستطيع قراءة أي شيء على وجهه، فتقول:

- لا بد أنني أسأت فهم ما تريده.
- لا، لم تفعل... ثم أوصيتني بعقد صفقة مع فيبو، الرجل الذي تكرهه كل بغي في بومبي. لماذا؟
- قالت أمارا ذلك، وهي تحاول التوفيق بين وجهه الفارغ

ووجهها:

- فيبو هو الطريقة الوحيدة للدخول إلى الحمامات الخاصة. يمكننا كسب المزيد من المال هناك. الرجال أكثر ثراءً.

- إذا أنتِ تريدين أن يكون العمل أفضل، أليس كذلك؟

- يا لك من بغي متفانية. لا أصدق أنك تحاولين جعلي أكثر ثراء، لا يمكنك أن تتخيلي أنك ستترين تلك الأموال الإضافية؟ أنت لست ذكية كما تبدين إذا تخيلت أنني سأشارك الأرباح، لذا أخبريني، ما الأمر؟

تعالى معي، لن أتجاوز، أنا أسأل لأنني مهتم، إذن أخبرني.

طوت «أمارا» يديها، وهي لا تزال غير متأكدة مما ستقوله. لم يجريا محادثة كهذه من قبل. في كثير من الأحيان عندما ترى «فيليكس»، لا يتحدث على الإطلاق. ما عدا إخبارها بمدى سوء أدائها.

كيف لا يستطيع أن يتخيل لماذا سيدفع أي رجل المال مقابل ذلك. على الرغم من أنها تكرهه، إلا أن ازدرائه ما زال يجرح. الطريقة التي يلمسها بها كما لو أن لا شيء يؤلمها. وهو الآن يحدق في عينيها كما لو كان مهتمًا بما تريد أن تقوله، كما لو كان ما تعتقده مهمًا. كل غرائزها تخبرها أنها خدعة، لكنها في أمس الحاجة إلى أن يكون ذلك صحيحًا، علها تستطيع الوصول إليه.

- لماذا اشتريتي؟ تم بيعي بصفتي محظية. أنا متعلمة، وأعزف على القيثارة. أعلم أن هذا يكلفك أكثر، إذا كنت لا تريد كل هذه المهارات لنفسك، فلماذا اشتريتي؟ ما نوع الاستثمار الذي سأكونه إذا قضيت بقية أيامي في حجرات الطابق السفلي؟ تذكرت أمارا جالوس، وفكرت بالطريقة الواثقة التي يقف بها عندما يجعل العملاء يدفعون عند الباب، وتحاول أن تجعل نفسها أطول قليلاً يمكنني أن أكسبك أموالاً أكثر بكثير من ذلك، إذا سمحت لي بذلك.

لفترة لا تطاق من الزمن، لم يقل «فيليكس» شيئاً. نظرت «أمارا»، محاولة سحق الخوف في الصمت.

- لماذا اشتريتك؟

قال وهو يضع مرفقيه على الطاولة، ويضع ذقنه في يديه، وتابع: لم يكن من أجل نهدك الرائع؛ لكن صادقين، لقد رأينا كلانا أفضل. ولم أذهل بجمالك. لم تكوني أجمل بكثير من كل الفتيات الأخريات الواقفات عاريات على التوالي. أنتِ لست ديدو. لكنني لم أستطع النظر في أي مكان آخر منذ اللحظة التي رأيتك فيها. كنت هناك، يتم بيعك بالمزاد العلني كعاهرة عادية، لكن كان من الممكن أن تكوني الإلهة ديانا، من الطريقة التي تمسكين بها نفسك. كما لو أنك في أي لحظة قد تتادين كلاب الصيد الخاصة بك لتمزيق كل رجل تجرأ على رؤيتك عارية.

عبر «فيليكس» من خلف المكتب، بينما تتابعه «أمارا»

بنظراتها وهو يمشي نحوها، مجبرة نفسها على البقاء ثابتة، على الرغم من أنها تريد التراجع. عندما صار قريباً جداً، وضع يديه برفق على رقبتهما:

- وأنت كذلك، أليس هذا صحيحاً؟ لقد مزقتهم جميعاً هل ترغبين في تمزيقي؟ قال وهو يحكم قبضته على عنقها.

كافحت «أمارا» للتنفس، وغامت رؤيتها. تملكها الذعر، ووضعت يديها على يده، غير قادرة على قمع الغريزة لإبعاده. أفلتها وانهارت على المكتب، وهي تلهث للحصول على الهواء.

- هل تعرفين ماذا يحلُّ بمن يخونني يا أمارا؟ أنت تعرفين، أليس كذلك؟ لم تترددي في تشجيعي على معاقبة سيمو.

أومأت برأسها موافقة على الكلام، وهي تحاول استعادة أنفاسها ببطء، لكنها لا تجرؤ على الوقوف منتصبه. بقيت جاثمة على المكتب، متكئةً بعيداً عنه قدر الإمكان.

- أنت لست الإلهة ديانا، أو أرتميس، كما تسمونها أنتم اليونانيون. لفظ الكلمات الأجنبية مستهزئاً بلهجتها «Porna eis» أنت بغبي . حتى لو كنت تعزفين على القيثارة، ودفعها إلى الأرض حتى تجثو أمامه، وأنا أملكك. لا تعتقدي أنك أذكى مني.

في حمامات النساء مع «فيكتوريا»، لا يستطيع البخار إخفاء دموعها. أرادت «أمارا» أن تغوص تحت الماء، عله

يبتلعها، فلا تضطر إلى الظهور على السطح مرّة أخرى. وقفت إلى جوار حوض مشترك كبير، تتعرق من الحر. فمسحت «فيكتوريا» وجهها بلطف، ووضعت الماء البارد في يديها، وقالت:

- لا يمكنك أن تدعي كل لقاء يزعجك هكذا! إنه مجرد رجل سخيف. وما يأخذه جسدك فقط، ليس أنت، أنت قوية، أعرف أنك كذلك. المكان أكثر صخبًا وازدحامًا مما هو عليه لدى «فييو»، والديكور ليس بالفخامة نفسها، ولكن حتى من دون وجود مسبح دافئ ضخم للسباحة، لا تزال حمامات النساء أكثر مكان للاسترخاء. لا يستطيع الرجال المجيء إلى هنا، ولا حتى «فيليكس».

- ليس كل لقاء. هذا ليس ما يفعله فقط، على الرغم من أن هذا سيئ بما فيه الكفاية. إلا أن ما يقوله أسوأ. كيف يعرف ما الذي سيؤلم أكثر؟ فيليكس مختلف، أنت على حق.

زاحمتها خادمتان، يحيط بهما عبيد يحملون أحواضاً خاصة. استقرت الخادمتان في مكان قريب، وأغمضن أعينهن حتى لا ينظرن إلى النساء في الحوض. لقد رأين كيف فركت «فيكتوريا» و«أمارا» بعضهما بعضاً في وقت سابق أيضاً، كانتا فقيرتين للغاية بحيث لا تستطيع أي منهما الحصول على هذه الخدمة، همست فكتوريا:

- قد تكونين غنية، لكن، انظري إلى قوامك!

- أعرف ما تقصدينه.

- فيليكس يدخل تحت جلدك. يفعل ذلك مع الجميع،
لست وحدك.

- اعتقدت أنه سيقتلني.

قالت فيكتوريا بنبرة ساخطة:

- أوه، لن يفعل ذلك أبداً!

- فكري في المال الذي سيخسره! نظرت إلى رقبة
أمارا ولون كدماتها الخافت، وتابعت: من غير المعتاد
بالنسبة إليه أن يترك أي علامات على الرغم من ذلك. لا
بد أنك جعلته غاضباً حقاً.

أجابت أمارا:

- كل شيء يغضبه! مجرد النظر إليه يجعله في حالة
من الغضب. إنه مستحيل.

- لم تتوقفي بالأمس عن الكلام، وأخبرته بما يجب
أن يفعله. وهو يكره ذلك.

- أعطيته نصيحة جيدة، ما الذي يثير الغضب في
ذلك؟

- عزيزتي... إنه لا يريد نصيحة من بغايا.

- قال لي إنني لا أستطيع حتى... تتعثر أمارا، ويستبد
بها شعور بالعار يمنعها من تكرار ما قاله فيليكس بالضبط.
قال إنني لا أمنحه المتعة الكافية، يجب أن أسألك عن
ذلك، لأنك تعرفين ما تفعلين.

- هو قال ذلك؟

بدت فيكتوريا مسرورة بالمجاملة.

- قال إنك الوحيدة التي تعرف حقًا ما تفعله.
- لم تتفوه «أمارا» بالمزيد مما قاله «فيليكس»، الذي اعترف أنّ «فيكتوريا» نصف جميلة لكنها كانت تمتلك عشرة أضعاف المهارة.
- أعتقد أنه يستمتع معك حقًا. لم يقل ذلك، لكن كان لدي هذا الانطباع من كلامه.
- يجب أن يفعل ذلك، وأضافت بسرعة: أضع كل مهاراتي بين يديه، لا يعني ذلك أنك لا تفعلين.
- فوجئت «أمارا» بمدى سعادة «فيكتوريا» لتلقي الثناء من «فيليكس». وأحزنها التفكير في القوة التي يتمتع بها والسيطرة التي يفرضها عليها.
- دخلت الحوض خادمتان أخريان، وفتاة مراهقة إلى جانبيهما، وراحتا تتحدثان بصوت عالٍ عن الانتخابات. وقفت إحداهن، كانت الفتاة، التي ربما تكون ابنة تشعر بالملل وعدم الارتياح. وأخذت تنظر بخجل إلى الذئبتين الجميلتين، من دون أن تكون مدركة لهويتهما.
- أعتقد أننا سنحتفظ بالنصائح بشأن التقنية حتى نعود إلى المنزل (تقول فيكتوريا) لكن لا ينبغي أن تكوني مستاءة جدًا. ربما كان غاضبًا اليوم، لكن مع مرور الوقت، سوف يحبك بشكل أفضل، لأنك لست جبانة. وهو يحب القليل من الروح، كستها حمرة الخجل، وبدت كأنها تبحث عن لحظة خجولة مثل الفتاة الصغيرة التي إلى جوارها، وتابعت قائلة:
- لقد أخبرني من قبل أن هذا هو السبب في أنني

المفضلة. قالت الكلمات الأخيرة بهدوء، على مقربة من
أذن أمارا، حتى لا تسمع جاراتهما الحديث.
فجأة شعرت «أمارا» برهاب الأماكن المغلقة في الغرفة
الحارة المزدحمة، فابتعدت عن الحوض، وتبعته «فيكتوريا»،
ثم قالت وهي تنظر من فوق كتفها:
- السبب الوحيد الذي جعلني أرغب في أن أكون
المفضلة لديه، هو أنه لن يرى السكين قادمًا عندما
أقتله.

ضحكت «فيكتوريا» معتقدة أنها تمزح.

-6-

إذا أراد أي شخص أن يعرف الحب، فعليه أن يبحث عن
«آتيس»؛ تكلف 16 تقويمًا فقط

كتابات على الجدران بالقرب من بوابة يومي البحرية

سماء الشتاء صافية، والشمس عالية في السماء، وعلى الرغم من الدفء القليل القادم من الضوء الساطع، إلا أنَّ السطوع يبعث على البهجة. أسعد الشعور بالنظافة أمارا، حتى أنها فرحت بـ«فايبا» وهي تقوم بتصفيف شعرها. أصابع المرأة العجوز ذكية ولطيفة. في حياة مختلفة، كان من الممكن أن تكون خادمة ماهرة تخدم سيدة كبيرة. حاولت «أمارا» التخلص من آلام الصباح، فقالت لنفسها إنَّ الكدمات مثل الإذلال، سوف تتلاشى.

تناقشن إلى أين سيذهبن من أجل الصيد، وقررن التوجه إلى الميناء. إنه دائماً ما يكون جيداً لاقتناص الزبائن، وسيكون المشي ممتعاً في ضوء الشمس. قررت «كريسا» البقاء في الخلف، وقالت رافضة امتتان الآخرين لها:
- لديّ فايبا، سترافق يومي هنا. يمكننا الحصول

على بعض المتعة هنا معاً، سيكون الأمر جميلاً.
 بدت «فايبا» مبتهجة بالمجاملة. فالمرأة العجوز تتصور
 جوعاً مثلها. وأدركت «أمارا» أن «كريسا» ستقضي فترة
 ظهيرة كئيبة من الجلوس في الظلام، وتسمع حكايات لا
 نهاية لها عن طفولة «باريس» البائسة.

قالت أمارا وهم يبدؤون المسير في الشارع:

- كريسا لطيفة للغاية، إنها أم بالفطرة.

فردت بيرونيس مرعوبة:

- لا تقولي ذلك أبداً!

- لم لا؟

- كريسا أم بالفعل. أجابت فيكتوريا وهي تبتعد بهم
 عن المبغي، كان لديها ولد صغير. باعه فيليكس العام
 الماضي عندما كان في الثالثة.

أجفلت أمارا وديدو، وأومأت فيكتوريا برأسها، بتعبير
 قاتم.

- لقد دُهشنا جميعاً لأنه سمح لها بالاحتفاظ به لفترة
 طويلة، كان من اللطيف لو أنه فعل ذلك عند ولادته، قبل
 أن تتعلق به.

فصرخت ديدو:

- هذا مريع! كريسا التعيسة.

قالت فكتوريا:

- كان يُدعى كوزموس، حلو بما فيه الكفاية كأبي
 طفل. اعتادت فايبا على اصطحابه عندما كنا نعمل. لقد

أحبته كريسا. لم أكن أعتقد أنها ستتنجو عندما أخذ ثراسو الصبي بعيداً. اضطر فيليكس إلى حبسها في الطابق العلوي، وكانت تصرخ كثيراً. كانت هناك لأيام. وبعد ذلك، بعد أن نزلت، لم تتحدث قط عن كوزموس مرة أخرى.

- لا أعتقد أنها تستطيع تحمل ذلك! قالت بيرونيس. فكرت «أمارا» في الطريقة التي أنقذتها بها «كريسا» من لاعب النرد، ولطفها، وصبرها اللامتناهي مع «فايبا». إنها مدهوشة من أن «كريسا» لديها المقدرة على العطف والمساعدة، حتى بعد أن فقدت طفلها، قالت:

- لكنها دائماً ما تكون واعية للغاية بشأن كل ما يحدث لم أكن أخمن أنها تحمل كل هذا الحزن... لا يوجد لدي أدنى فكرة عن الأمر.

تبادلت «بيرونيس» و«فيكتوريا» النظرات. قالت «فيكتوريا»:

- أعتقد أنها تجد طرقاً لإغراق حزنها. لا بد أنك رأيت كم تشرب.

- لا يمكنك لومها على الرغم من ذلك، أضافت بيرونيس بسرعة، هي لا تشرب كثيراً. هذا ليس صحيحاً.

- لهذا السبب أستخدم دائماً أعشابى في نهاية الليل، علقت فيكتوريا، أقتل كل شيء في الداخل قبل أن يترسخ.

لقد وصلوا إلى فيا فينييريا، وساروا في أزواج على طول الرصيف الأوسع. «فيكتوريا» و«أمارا» في المقدمة،

«بيرونيس» و«ديدو» في الخلف. حاولت «فيكتوريا» تغيير الحديث عن «كريسا»، كما لو كانت حريصة على ترك حزن صديقتها وراءها. وراحت تشير إلى ملابس النساء الثريات اللواتي مررن بهن، تبدي إعجابها بالأساليب التي تحبها، وتضحك من الأنماط التي لا تحبها. الرحلة إلى المرفأً قصيرة، لكن الطرق مزدحمة للغاية وتستغرق بعض الوقت للوصول، وكلما اقتربوا من البحر، أصبح الهواء أعذب. وبات في مقدور أمارا» تذوق الملح تقريباً. توقفوا لشراء وجبة واحدة من كشك إلى جانب الطريق خارج المدينة. فاختارت «فيكتوريا» الخبز والزيتون والأنشوجة والأسماك المجففة مع الماء المالح. وبعد المشي على المنحدر قليلاً، وصلن إلى الماء. المكان أكثر ازدحاماً هنا، حيث يقوم التجار بتفريغ الحمولة، ويعلو صراخ البحارة وأصوات تفريغ البضائع، والأمواج المستمرة تصفح الجدران الحجرية.

بعيداً قليلاً عن الأرصفة المزدحمة، يمتد صف أعمدة في نصف دائرة. على سطحه، تماثيل الآلهة تنظر إلى السفن القادمة، بينما في الماء نفسه، في وسط الميناء، يوجد عمود رخامي عملاق. حيث تقف «فينوس بومبييانا» عارية في الأعلى، تحرس بلدتها وتحقق في الامتداد الشاسع للأزرق.

وجدت الذئاب بقعة مشمسة على الرواق، وأرخين أرجلهن إلى الجانب. وأخذن يتناولن طعامهن بسرعة لتجنب النوارس التي تنقض فوق رؤوسهن. بينما تراقب

«فيكتوريا» مجموعة من العبيد المجذفين وهم يسيرون على الأرصفة لقضاء فترة راحة قصيرة. يقفون منحنيين ويومضون في الضوء:

- يا لها من حياة بأسنة يمكن أن يعيشها هؤلاء!
تمددت إلى الوراء، وراحتها ترتاحان على الحجر الدافئ، ووجهها إلى الشمس، وتابعت قائلة:

من هو أسعد منا في بومبي الآن؟ كل هذا الوقت نستمتع بأنفسنا، ولا نتحمل أي أعباء قسرية. أخذت تؤرجح ساقيها، وأردفت قائلة:

لا ينبغي حتى أن أكون على قيد الحياة. هل تعلمون أنني كنت طفلة في كومة قمامة؟ تركت للموت في القرف، طعاماً للأسماك... لكن ها أنا ذا... نحن هنا جميعاً.

قالت أمارا:

- ها نحن جميعاً أربع جوارى مفلسات، يقتتن مثل الحمقى على الخبز والزيتون. يا لها من حياة!
ضحكت فكتوريا وقالت:

- مريرة جداً! لا يمكنك أن تكوني غاضبة من فيليكس إلى الآن. كان ذلك منذ زمن طويل.
- ليس فيليكس فقط.

أجابت أمارا وهي تنظر إلى إحدى أكبر السفن التجارية التي تشق طريقها إلى الرصيف، وتفكر في رحلتها من اليونان. صمودها في الليالي الباردة على سطح السفينة تحت النجوم مع العبيد الآخرين. رائحة

القيء والبكاء ورعب ما ينتظرهم إذا نجوا من الرحلة.
- لقد بدأت حياتك على كومة من القمامة، لكن كان لدي منزل. كنت ابنة طبيب، كان لدي حياة.

لم تكن قد أخبرت أي شخص في بومبي - باستثناء ديدو - عن ماضيها،

ردت بيرونييس التي فاجأها القول:

- والدك كان طبيباً! ماذا تفعلين في مبغي؟

ابنة الطبيب، كان الدور الذي شغلته في النصف الأول من حياتها، في شرنقة دافئة من حب والديها، تحميها من العالم. تقول «أمارا»:

- مات...إنها تعرف أن الآخرين سيحترمون صمتها إذا تركت الأمر هنا، لكنها الآن فتحت الباب على الماضي، ولا تريد إغلاقه. كافحت والدتي وحدها بضعة أعوام، بمساعدة عائلتها. ثم مات ابن عمها، الحامي الرئيس لنا. لقد بعنا كل ما نملكه. فكرت في منزلها، في كل شيء محبوب جُردت منه. كان تمثال أثينا الزجاجي الثمين أول ما ذهب. في النهاية، لم يتبق لهم سوى طبق واحد، ولا حتى أسرة للنوم، وتابعت القول: كان الوقت قد فات لتزويجي. لم يكن هناك مهر في البداية، وبحلول ذلك الوقت، كنا معدمين. لم تكن أمارا تريد سرد نهاية القصة، ولكن الآن من المستحيل التوقف. إنهنّ ينتظرن إليها، ينتظرن أن تنتهي، لذلك باعنتي.

ظهر الاستياء على «ديدو»، عرفت «أمارا» بالفعل أنها تجد هذا أمراً من المستحيل تخيله، لكن بالنسبة إلى

«بيرونيس» و«فيكتوريا» - اللتين ولدتا في العبودية - فإن الأمر أقل إثارة للصدمة.

- رجل محلي يسمى كريمس. أحد مرضى والدي السابقين. اعتقدت والدتي أنه سيكون أكثر احتراماً لأنه كان يعرف والدي. وعدها كريمس أن أكون جارية منزل محمية، وأن أستعيد حريتي في النهاية.

حتى في ذلك الوقت، كفتاة ليس لديها خبرة بالرجال، كانت «أمارا» تشك في أن هذه كانت كذبة. لقد رأت الطريقة الخبيثة التي نظر بها «كريمس» إليها عندما كانت طفلة، وقد غبط والدها على هذه الابنة الجميلة. جعلتها عيناه غير مرتاحة على الرغم من أنها لم تستطع تحديد السبب.

- طلبت والدتي من كريمس أن يشتريها أيضاً. لكنه رفضها، لم تعد أمارا تتحمل التفكير في والدتها بعد الآن، تابعت: لذا، الأمر ليس فيليكس فقط... إنه ليس الرجل الوحيد الذي أكرهه.

قالت بيروتيس وهي تقف:

- هذه الأسماك مالحة للغاية. أنا ذاهبة إلى نافورة المياه لأحتسي مشروباً.

لم تكذب تلاحظ الآخريات اختفاءها؛ إنهن متورطات في قصة «أمارا».

قالت فيكتوريا التي كانت تفهم العالم ألف مرة أكثر من فهم والدة أمارا:

- من الواضح أن كريمس جعلك محظية. أنا فقط

لا أفهم لماذا باعك. أنت يافعة وجميلة. لا يمكن أن يشعر بالملل بهذه السرعة.

- شعرت زوجته نيوب بالغيرة. أصرت على ذلك. كانت «أمارا» تفضل ألا تتذكر أن «كريمس» لم يودعها قط، أو في اللحظة التي أدرك فيها أن «نيوب» باعها لا كجارية في المنزل، ولكن كبغي.

قالت ديدو:

- لا أحب عدم احترام والدتك، لكني لا أستطيع أن أفهمها. من الأفضل أن نتصور جوعاً معاً. شرف المرأة هو أثنى هدية لديها- وأخذت تنظر إلى البحر، وكأنها تجتازه وتتوقع أن ترى ساحل شمال إفريقيا بدلاً من اللون الأزرق اللامتناهي- كل يوم أريد أن أعود إلى المنزل، أحلم به، أراه، أسمع أصوات والديّ؛ ولكن من المستحيل... عار ما أصبحت عليه الآن. إذا عدت، فسيقتلهم ذلك.

- لم يصدق والداي كل قصص الآلهة. أجابت أمارا وهي تنظر إلى وجه ديدو الجاد وتشعر أنها بعيدة عنها للمرة الأولى. إنها تفكر في عمل والدها، وفي مرضاه - أولئك الذين أنقذهم والذين لم ينقذهم - وفي معاناة موته عندما علم أنه ترك عائلته وراءه. إنها تتفهم الحزن الذي تشعر به ديدو لفقدان براءتها لكنها لا تشاركها في عمق عارها. لدينا الحياة فقط، ولا شيء آخر يهم بعد ذلك. ليس الشرف، ولا أي شيء آخر. باعنتي والدتي لضمان بقائي على قيد الحياة.

قالت فيكتوريا وهي تمد يدها لتلتقط يد أمارا، في قبضتها الشرسة. ثم تبسم، في محاولة لرفع ظلام المحادثة:

- وأنت على قيد الحياة؟ لكن ما زلت أعتقد أنني فزت بهذا. أنت تقولين إنَّ الرجال هم الأسوأ، لكن هذا ليس صحيحًا! أسوأ شخص في هذه تلك القصة هو نيوب. كان كريمس مثل أي أحق آخر، يفكر بشهوته وحسب. الرجال متوقعون جدًا.

نظرت «أمارا» إلى «فيكتوريا»، وذقنها المرفوع. إنها تعتقد أنها غير مهزومة مثل اسمها.

- كيف تعرفين أنك كنت طفلة في كومة من القمامة؟ سألتها ديدو

فأجابت فيكتوريا:

- هذا ما قاله لي العبيد الآخرون في المنزل. كنت الوحيدة التي لم يكن لديها أم قط. تابعت وهي تتجاهل وجه ديدو المرعب: الأمر ليس بهذا السوء. الكثير من العبيد ليس لديهم آباء. على الرغم من أنني سألت لماذا ليس لي عائلة مرة واحدة، وأخبرتني الطاهية أنها اصطحبتني عندما ذهبت إلى مكب النفايات ذات صباح. ظننت أنني ميتة حتى بدأت بالصراخ. ، وكادت أن تصيبنني بالرعب وهي تحكي لي؟ نظرت فيكتوريا إلى أمارا، وتابعت: والدتك كانت مخطئة في الاعتقاد أن كوندك جارية منزل، هي حياة أفضل من كوندك محظية. اسألي بيرونييس عن عشيقها الأول في الإسكندرية، إذا كنت لا تصدقيني.

استداروا إلى حيث كانت تجلس «بيرونيس» ثم أدركوا أنها لم تعد بعد، فعلقت ديدو:

- لقد مر وقت طويل على ذهابها لتناول مشروب!
- اللعنة . قالت فيكتوريا وهي تقف على قدميها وتبعثها الأخيريات.

لم يكن يقمن أبداً برحلات فردية إلى المرفأ، فالمجموعة دائماً أكثر أماناً؛ لأن الكثير من الرجال الذين حُبسوا في البحر يتجولون، ويتم إطلاق سراحهم فجأة على الشاطئ، وهم جائعون لما يمكنهم الحصول عليه. هذه هي وصفة العنف المثالية.

سارت الثلاث بسرعة على طول الرواق نحو نافورة المياه، ينادين اسم «بيرونيس»، إلا أنه ما من أثر يدل عليها. عدنَ على طول الواجهة البحرية والأرصفة، وتجاهلن الصافرات واهتمام الرجال الذين يجب أن يحاولن اصطيادهم.

اقتрحت أمارا أن يتوجهن نحو المدينة:

- ربما ذهبت للحصول على المزيد من الطعام؟
- مشينَ عبر الأزقة الضيقة لأحياء الصيادين. كان المكان شبه فارغ هنا، ومعظم الرجال في الخارج بحارة على وشك العودة إلى الورا عندما سمعوا صراخ امرأة.
- بيرونيس! صرخت فيكتوريا

ركضنَ أبعد من ذلك، وهناك، تحت قوس في شارع جانبي ضيق، كانت «بيرونيس» جاثية على ركبتيها تحاول صد رجلين. بدأت «فيكتوريا» في الصراخ، محدثة مقداراً

مذهلاً من الضوضاء لامرأة صغيرة واحدة. انضمت
«أمارا» و«ديدو» إليها، وبدأن يصرخن بصوت عالٍ قدر
المستطاع:

- القتلة، القتلة!

علا عويل فيكتوريا، وفتحت بعض الأبواب. مما جعل
الرجلين يتراجعان، وصرخ أحدهما في وجه النسوة:

- بحق الجحيم! كانت تبيع لنا!

- فصرخت بيرونيس وهي تهب واقفة على قدميها:

- وأنت لم تدفع!

استدار كلا الرجلين، غير سعداء بالاهتمام المفاجئ.

وبصق أحدهما على «بيرونيس»، وقال:

- اللعنة عليك أيتها البغي المصرية الكاذبة!

بحث في محفظته الجلدية، وألقى بعملة معدنية قبل

أن يهرب.

انحنت «بيرونيس» لالتقاط الأموال، وركضت «فيكتوريا»

إليها، ولكنها بدلاً من احتضانها، صفعت «بيرونيس» بقوة

على وجهها:

- ماذا كنتِ تفعلين بحق الجحيم؟

- كان هناك عميل واحد فقط! ثم حاول صديقه

الدخول مجاناً.

الأشخاص القلائل الذين غامروا بالخروج لرؤية ما كان

يحدث أدركوا أنه مجرد شجار نسائي، وليس إثارة جثة

ميتة. عادوا إلى حياتهم، متذمرين من الإنذار الكاذب.

قالت ديدو:

- كان من الممكن أن تقتلي! لماذا تفعلين ذلك؟
- إنه لجالوس! لا أريده أن يقع في مشكلة بسبب عدم الدفع.

قفز أصدقاء «بيرونيس» الثلاثة إليها. كانت عيناها واسعتين وشعرها جامح، لا بد أن أحد الرجال قد أمسك به. وقد وضعت كلتا يديها على صدرها بإخلاص عاطفي، وقالت:

- إنه يحبني... ألا تفهمون؟ هو يحبني..
- وضعت «فيكتوريا» يديها على وركيها، ووقفت أمام «بيرونيس»، مستعدة للمعركة، لكن مشهد خصمها، وهي تمسك بقلبها مثل ممثلة مأساوية، حوّل غضبها إلى سخرية:

- بيرونيس، أنت تدهشينني. من بين جميع بغايا العالم، أنت الوحيدة الغبية بما يكفي لدفع أموال لعملائها. استدارت وتبعثها بقية النساء عائدات إلى الميناء، حيث لا يزال هناك رجال ينتظرن الإيقاع بهم.

- 7 -

رن المكان كله بضحكهم المسرحي، بينما كنا لا نزال نتساءل لماذا هذا التغيير المفاجئ في المزاج، ننظر إلى بعضنا، والآن إلى النساء.

بترونيولاس، ساتيريكون: «مبغى كوارتيلا».

تمرُّ الأيام، ويزداد الطقس دفئًا، ويصبح حساء الخضار لدى «السابارو» أكثر تنوعًا، وانتشرت شعارات حملة انتخابات آذار في جميع أنحاء المدينة. كانت الحياة مستمرة في المبغى بكل رتابة قاتمة. حاولت «أمارا» أن تتعلم طريقة «فيكتوريا»، في سحر الرجال، وجذب السكان المحليين أنفسهم مرة تلو الأخرى. «روستيكوس» الخزاف، «فيبوس» بائع العطور، «مانليوس» من متجر الوجبات السريعة. كلهم يمدونها بالهدايا والحلوى عوضًا عن المال، وهي سلع لن يأخذها «فيليكس». ظلت تراقب كل حركات «فيكتوريا»، حتى تعرف وجه صديقتها وجسدها أفضل من وجهها وجسدها، وتصل إلى درجة الشكوى بطريقتها أيضًا.

باتت تتقن التظاهر، لكن «أمارا» لا تشعر بالرضا أبداً. وظلت الرغبة في الهروب تترسخ، وتحضر جذورها عميقاً تحت جلدها، وتفككها. هناك أيام لا يسحق فيها الخوف من «فيليكس» الرغبة في الهروب، إنما، ما يمنعها هو اليقين بأنها ستموت على الطريق.

الشخص الوحيد الذي يكره الحياة في المبنى أكثر من «أمارا» هو «باريس». فاستمرار وجوده في الحجرات مرتين في الأسبوع يمثل إجهاداً للجميع.

- لا أعتقد أنني يمكن أن أتحمل الأمر إذا كان على جالوس أن يفعل ذلك. قالت بيرونيس

كلهم يرشقون «باريس و»كريسا» بعبارة: «نحن غير مشغولين»، يتسكعون في الممر المليء بالدخان، في محاولة لتجاهل أصوات ابن «فايبا» وزبونه الذي يتصبب عرقاً في مكان قريب. من المفترض أن يكونا عاريين، لكن ليالي آذار لا تزال باردة، لذلك يجتمعان معاً تحت الأغطية.

- لم أتمكن من النظر إليه بالطريقة نفسها. إنه من العار أن يكون الرجل على الطرف المتلقي!

ردت فكتوريا:

- اخرسي. فكري فيما قد يقوله جالوس، إذا كانت هذه هي الطريقة التي تسير بها الأمور معك.

- إنه ليس الشيء نفسه على الإطلاق! جالوس لن يقول ذلك عني أبداً. على الرغم من أنه يشعر بالغيرة، وهذا واضح عليه جداً.

سألته ديدو:

- ماذا يقول؟

- يقول إنه يود قتل كل الرجال القذرين الذين يضعون إصبعهم علي. لهذا السبب سيشتريني. حتى يتمكن من أن يأخذني كلي لنفسه. ثم لن يسمح لأي شخص آخر أن يلمسني. ولا حتى... انفصلت عن نفسها، غير قادرة على نطق اسم رئيسهن، لكنها نظرت إلى السقف حتى يفهموا من تقصد، ثم ابتسمت: وتابعت: بهذا القدر يحبني.

لا تستتكر «أمارا» حديث «بيرونيس» عندما تقول هذه الأشياء، فهي ترى أنها مخطئة قليلاً رغم أنها بالتأكيد ليست كاذبة.

لكن من الصعب تخيل «جالوس» وهو يخرج بهذه العبارات المنمقة. وهل سيضع يده على صدره أيضاً وهو يتكلم؟ وماذا عن تقبيل حافة رداء «بيرونيس»؟ من الواضح أنه هراء صغير أكثر جرأة مما يبدو عليه. على الإطلاق، لم تفكر أي من الذئاب الأخرى - ولا حتى «ديدو» - في احتمال أن يكون «جالوس» حقيقياً وليس مخادعاً.

سألت فكتوريا:

- هل يخبرك كم كانت والدته ستعشقك؟

أجابتها بيرونيس:

- نعم. يفعل. قال لي إنني أذكره بها، إنَّ لدي العيون اللطيفة نفسها، وإن... وتوقفت حينما شعرت أن الأخريات يحاولن قمع ضحكاتهن.

تدحرج رجل عبر المدخل، ولا شك أنه خرج للتو من إحدى الحانات القريبة. فتقدمت «بيرونيس» نحوه، لإدخاله إلى حجرتها بسرعة، كي تبعده عن صديقاتها، وصرخت قبل أن تسحب الستارة :

- أنتنّ غيورات كلكنّ؟

- لا يجب أن تضايقيها كثيراً. قالت أمارا

- أعلم أعلم. لكن من السهل جداً أن يضايقها أي منا.

- مثل والدته! قالت ديدو التي لا تزال تشكك في حديث حب جالوس.

قالت فكتوريا :

- يا له من مراوغ، ليس لديه أي خجل على الإطلاق.

الصرخة الخانقة، غير السعيدة تماماً، تأتي من اتجاه حجرة «بيرونيس». «بيرونيس» نفسها هادئة بشكل ينذر بالسوء.

- إنها حقاً غاضبة، أليس كذلك؟ هذا الشخص لن يعود إلى هنا في القريب العاجل.

- من هذا الطريق، إنه صوت ثراسو، سوف نتأكد من أنك استمتعت جيداً.

نظرت النساء إلى بعضهن بعضاً، أصبحن يقظات فجأة. لا ييادر «ثراسو» عادة بمقدمة ترويجية للزبائن. تخطى العتبة بخطوة كبيرة، وومض ظهوره في ضوء مصابيح الزيت. عباءة، ذات لون أخضر... إنه «فيبو».

قذفت فيكتوريا بطانيتهما وهي تلهث قائلة:

- أوه! من هذا؟ يجب أن يكون لي!
- قال « فيبو » بصوت غير ودود:
- فيليكس يقول إن عليه أن يكون مع من تسمى «أمارا».
- ولكن بالتأكيد! لا يمكن أن يكون لديك امرأة واحدة فقط.
- قالت فيكتوريا وهي تقوم بالإحاطة به وتقبيله، ومساعدته في خلع ملابسه، وهي تنظر إلى الأخريات:
- يجب أن يكون لديك ثلاثة! انظر! وأصدرت صوتاً من خلال أصابعها. وللحظة، لم تستطع أمارا التفكير فيما يجب أن تفعله. ثم أمسكت بيد ديدو وبدأت تدور حولها. إنها ليست أكثر الحركات الرشيقة، ولكن انتهى الأمر بالضغط على فيبو في تشابك مكشوف الأطراف، والذي تأمل أن يعطيه الفكرة الصحيحة.
- ثلاثة؟ كلهن مرة واحدة؟ ستكون اثنتان كافيتين.
- يجب أن تجرب كل منا! همست فكتوريا، بصوت أجش، كما لو أن الشهوة تعذبها: لا يمكنك أن تكون بخيلاً، مع الاحتفاظ بعميلتين فقط. ليس عندما نريدك جميعاً. عليك أن تدعنا جميعاً نكون معك. وأطلقت أنيناً أشبه بالعواء.
- إنه الأداء الأكثر سخافة الذي شهدته «أمارا» على الإطلاق. لا يمكنها أن تصدق أن الرجل سوف يسقط في الفخ، لكن تعبيرات «فيبو» خفت، وجذب «فيكتوريا» إليه، قابضاً على مؤخرتها

- يا لك من ذئب صغير شقي.

لا تحتاج «فيكتوريا» إلى مزيد من التشجيع. لقد قامت بمناورة «فيبو» في حجرتها، وخلعت ملابسها ووضعته على ظهره، كل ذلك في الوقت الذي كانت فيه «أمارا» وديدو تسحبان الستارة، بينما مدير الحمام معلق مثل الحلزون، لكن «فيكتوريا» تصرخ بنشوة سريعة من المنظر، وهي تقفز برشاقة فوقه، بينما تتعالى آهات «فيبو».

- أوه! لا تكوني جشعة! صرخت أمارا، وهي وتقذف نفسها على فيبو؟ لكني أريد أن أجلس هناك! قالت ديدو، وهي تحاول دفع أمارا جانباً، وتلهث مجهدة لتسلق السرير.

ارتدت «فيكتوريا» بقوة، وهي مصممة على ألا تدوم المحنة لفترة أطول من اللازم، و«فيبو»، الذي يلهث لالتقاط الأنفاس، ليس سعيداً تماماً بفكرة أن يدفن بالكامل تحت كومة من النساء، فقال لديدو:

- لا، لا. أنتما تستمتعان ببعضكما بعضاً. أفضل المشاهدة.

هذه ليست المرة الأولى التي تتلقى فيها «أمارا» و«ديدو» هذا الطلب. تدمرتا بطريقة مسرحية، وحاولتا ألا تلتقي أعينهما، لم تدم الضجة طويلاً. فقد تلقتا إشارة من «فيكتوريا»، ووصل الثلاثة إلى ذروة الصراخ في اللحظة المناسبة، ثم التفنن حول مدير الحمام المطل على الشاطئ، يتنهدين برضا مزيف.

كادت زراع «أمارا» أن تتيبس من الاستلقاء في الوضع

نفسه لفترة طويلة، حينما رفع «فيبو» نفسه. وقال، ووجهه المتعرق يتألاً بكل سرور:

- «أنتن أروع الفتيات. إنكنّ مذهلات.

- أوه، شكراً لك .

تنفست فيكتوريا وقبلت يد فيبو كما لو كان الإمبراطور، وتابعت القول: نحن نعشقتك.

- نحن نفعل، أجل نفعل. عقت ديدو وهي تتدحرج وتحقق فيه بهجة.

لم تتحدث «أمارا» لأنها لا تثق بنفسها، واكتفت بإطلاق تهيدة تأمل مغرية. ساعدت فيكتوريا «بيطء» «فيبو» في ارتداء ملابس. واحشذن جميعهن حول باب الحجر لوداعه بقبلات طويلة، وهن يتظاهرن بالحزن عند مغادرته. ترك «فيبو» المبغي في حالة مزاجية أفضل بكثير مما كان عليه عندما دخل.

جلسن على السرير، وانتظرن إلى أن يتأكدن أن «فيبو» قد ذهب فعلاً. ثم همست «ديدو» بصوت خافت: «نحن نعشقتك!» ليغرقتن ثلاثتهن في الضحك.

كانت «ديدو» على وشك أن تبدأ الضحك بصوت عال، لكن «فيكتوريا» وضعت إصبعها على شفيتها، وقالت:

- ليس بعد، انتظري...

لم يعد «ثراسو» واقفاً عند الباب حينما خرجن في عبااتهن ليرين ما إذا كان «فيبو» قد ترك بقشيشاً.

فجياهنّ «جالوس» بابتسامة:

- أنا لا أعرف ما فعلته السيدات، ولكن كان من المفترض أن الأمر مجاني، لكنه ضاعف أرباح الليلة. أطلقت «فيكتوريا» صيحة انتصار، وقالت وهي تضع رأسها على كتف «جالوس» في لفطة حميمة من شأنها أن تجعل «بيرونيس» تغلي:

- ولهذا السبب، نحن نستحق استراحة صغيرة في «السيارو».

تردد جالوس، وتمتم: «أوووه»

فقالت فيكتوريا وهي تلکم ذراعه:

- أرجوك. اليوم هادئ هنا، لديك ثلاثة فقط. سنقوم بإثارة بعض العملاء وجلبهم إلى هنا.

- اذهبن إذن!

همست ديدو لأمارا وهن يتجهن نحو الطريق:

- إنه ليس سيئاً للغاية، ربما كانت بيرونيس على حق بشأنه.

- لديها عيون لطيفة مثل والدته؟

- أو ربما لا.

مطعم «السيارو» ممتلئ، تتدلى المصابيح من المدخل والعوارض الخشبية، وتتألق الأنوار على الأواني النحاسية التي ثبتها «زوسكاليس» على الحائط. إنه خليط بين الضوء والضوء. كان «نيكاندروس» مشغولاً في تقديم المشروبات، وقد انضمت إليه «سافا»، وهي خادمة منزلية

تعمل في الليل نادلةً. روى «زوسكاليس» قصة طويلة عن زوجته في الحانة، مما جعل العملاء يضحكون.

لم تكن «فيكتوريا» هنا من أجل الصيد، حتى لو كان هذا ما قالت له «جالوس». شقت طريقها إلى مكان خالٍ على طاولة، حيث يقوم ثلاثة رجال بتقطيع مكعبات.

- على كم اللعبة؟

سهل أحد الرجال محاولاً أن يضع يده على فخذهما:

- بكم تبيعين؟

دفعتها «فيكتوريا» بعيداً في حالة من الغضب، وتلاشت كل مغازلتها المعتادة، إنها مقامرة جادة الآن، يساعدها نردها الموزون:

- يمكنني رفع ثلاث تقويمات.

راقبت «أمارا» و«ديدو» طريقة «فيكتوريا» في اللعب، وأفسح الرجال الطريق في النهاية لقوة تصميمها على اللعب. قالت «أمارا»:

- ستفوز..؟ لن يعرفوا ما الذي أصابهم.

رأى «نيكاندروس» «ديدو»، فابتسم، وأوماً لها عبر الغرفة، وأجبر بعض العملاء الآخرين على إفساح المجال لهم للجلوس، وقال وهو يتوجه إلى الحانة:

- النبيذ الساخن؟ مع العسل؟

- شكراً لك. قالت ديدو

تساءل أحد الرجال الذين أفسحوا المجال لهن:

- هنا من أجل قضاء الليل؟

جاء سؤاله ودياً أكثر منه موحياً. لديه وجه لطيف

وشعر أسود خضبه الشيب، وهناك مزمار صغير من القصب على المنضدة أمامه، وأصابعه تركز عليه كما لو أنها تحافظ على سلامته.

قالت أمارا ضاحكة:

- قد نكون كذلك إذا عزفت.

- هل أنتن مغنيات؟

- نعم.

رمقتها «ديدو» بنظرة استغراب، فقد تم تعليم كلتا المرأتين الموسيقى في المنزل، لكن الأغاني المحترمة المألوفة لديهما، والتي من غير المرجح أن تغنى في الحانة. يقول الرجل:

- تشرفت بلقاء اثنتين من زميلاتي الموسيقيات.

أنا سالفوس، وأشار إلى رفيقه: وهذا بريسكوس، فأحنى بريسكوس رأسه محيياً.

- أمارا وديدو. هل تسمح لي؟ قالت وهي تلتقط الفلوت:

كان لدى والدي واحد مثل هذا.

لم تقل إنه بالنسبة إلى والدها، كان أقل الآلات الموسيقية التي يمتلكها، أو إنها هي نفسها تعلمت العزف على القيثارة.

أعادت الفلوت إلى «سالفوس»، الذي وضعه على شفثيه وبدأ بالعزف. إنه أكثر مهارة مما تتوقع. عزف لحنًا شهيرًا من كامبانيا، بضعة أبيات حية عن راع يشناق إلى حبه. بدأ «بريسكوس» في الغناء، وراح يشجع النساء

على الانضمام. استمعت «أمارا» عدة مرات لتلتقط الكلمات ثم تغني معه، فقد كان لديها صوت قوي وواضح، قطع بعض العملاء الكلام وبدأوا في التصفيق في الوقت المناسب.

عندما وصلوا إلى نهاية الأغنية، ترددت الصرخات في الحانة مطالبة بالمزيد. وبدأ «سالفوس» في الظهور مرة أخرى بلحن مشهور عن فلورا والربيع. فقالت «أمارا» لـ«ديدو»:

- غني معي. أنت تعرفين هذه!

صوت «ديدو» ليس قويًا مثل صوت «أمارا» وإن كان أكثر حلاوة. بدأت بتردد، لكن عندما كرروا الأغنية مرة أخرى، أخذها الفرح. وأضاء وجهها بطريقة لم ترها «أمارا» من قبل. كان «نيكاندروس» يحدق فيها، وهو لا يزال ممسكًا بالنبيذ المعسول، ولا يجرؤ على وضعه في مكانه، كيلا يكسر سحر اللحظة. فدفع «بريسكوس» الطاولة إلى الخلف، وحث النساء على الوقوف، وصرخ:

- أغنية أخرى!

عزف «سالفوس» موسيقى المهرجانات، وربما خمن عدم إلمامهم بالإيقاعات الشعبية المحلية. فغنت «أمارا» و«ديدو» معًا، وللمرة الأولى منذ مجيئها إلى بومبي، كادت «أمارا» أن تكون سعيدة، إلا أن بعض العملاء صرخوا محاولين إفساد المتعة، صرخ أحدهم مطالبًا إياها بإخراج نهديها، ولكن بشكل عام، استمتع الجميع بالموسيقى كثيرًا، ولم يكونوا مصدر إزعاج.

في نهاية المطاف، شعر «سالفوس» بالتعب، ووضع
الفلوت على الأرض، ووعد بالبدء من جديد عندما
يشرب. تحول «بريسكوس» بحماس إلى «ديدو»، ومال
عبر «نيكاندروس» قبل أن تتاح له الفرصة لقول أي
شيء، وسؤالها عن الألحان الأخرى التي تعرفها، وبدورها
جلست بأدب لتجيب عن أسئلته.

- لقد كان ذلك جميلاً.

استدارت «أمارا»، فقد سمعت صوتاً مألوفاً لا تستطيع
نسيانه على الفور. إنه «ميناندر»، عبد الخزاف.

اندفع الدم إلى وجهها:

- ما الذي تفعله هنا؟

- قلت إنَّ عملك في مكان قريب. واقترب منها أكثر
حتى تسمع صوته وسط الضجيج: هذه هي المرة الثانية
التي أكون فيها هنا، على أمل اللحاق بك. والآن قد فعلت.
- زيارتان فقط؟ يبدو أنك لم تكن مصممًا جدًّا على
رؤيتي.

- فضحك ميناندر، وقال:

- أنا عبد. إنَّ راستيكوس سيد كريم، ولكنه ليس
بهذا السخاء.

ذكَر اسم الخزاف «أمارا» بإذلالها في المحل. ونظرت
إلى «فيكتوريا»، التي لا تزال مستغرقة في لعبتها، وتساءلت
عما إذا كان السيد يمزح مع العبد في شأن زيارته إلى
المبغى. قالت بيروود:

- أنت محظوظ.
- لم أكن أضحك عليك. لكن كان الأمر مضحكاً للغاية، الطريقة التي كنت تحديقين بها نحوه. لم أرَ امرأة تفعل ذلك من قبل، توقف قليلاً، ثم تابع: كنت رائعة.
- لذا طلبت أربعة مصابيح مختلفة بشكل رائع. قالت أمارا وهي تحاول ألا تضحك؟
- وقفنا بالقرب من بعضهما بعضاً في حالة من الانهيار، أخذت رشفة من النبيذ المعسول، وكانت فعلاً في حالة سكر قليل بعد الغناء ونشوته، وأضافت:
- من الجيد أن أعلم ذلك.
- لقد وقفت على أرض الواقع. كان ذلك رائعاً. أجاب ميناندر، متحولاً إلى اليونانية: أتمنى لو كانوا كذلك.
- قالت ذلك لتحمله على الضحك، لكن «ميناندر» أدرك التيار الخفي المظلم. التقت عيناه بعينيها، وأدركت أنه يشاركها الحزن، وأن خسائرها هي أيضاً خسائره. وضع يده على قلبه في تحية، وأحنى الرأس، كما لو أنهما التقيا للتو، ثم قال:
- اسمي كالياس. أنا ابن كليتوس، أفضل خزاف في أثينا. ذات يوم، سأتولى أعمال والدي، وأبيع عملي في جميع أنحاء أتيكا، بما في ذلك بلدة أفيدناي الجميلة. ما اسمك؟
- لم يجرواً أحد في بومبي على سؤالها هذا. إنه آخر بقايا من الخصوصية للذات، الشيء الوحيد الذي يمتلكه العبد الذي كان في يوم من الأيام حراً، اسمه الحقيقي.

وبصوت عالٍ في حالة من الإعجاب، لدرجة أنها كادت تضطر إلى الصراخ، لكنها مع ذلك لا تتردد في إعطاء هذا الصبي من أثينا ما يطلبه. فتقول:

- اسمي تيماريت... أنا الابنة الوحيد لتيمايوس، الطبيب الأكثر علمًا في أفيدناي، والأكثر حبًا. بالنسبة إليه، أنا ابنة وابن.

قال ميناندر، وهو يبعد خصلة شعر عن وجهها برفق:
- كما ترين.. يا لها من صدفة.

- ولكن أنا أيضًا أمارا. عادت إلى اللاتينية، وأبعدت يده بشكل هزلي، وتابعت: لأنه بخلاف ذلك لم أكن لأطأ قدمًا في حانة، أو حتى غنيت لحشد من الرجال أو تحدثت إليك!

ابتسم «ميناندر» وهو على وشك الرد، عندما أمسكت «ديدو» ذراعها:

- أمارا! هل هذا جالوس؟

انحنت الشخصية المألوفة فوق طاولة الألعاب، لمحت «فيكتوريا» التي تحاول أن تدافع عن مكاسبها، بينما تتجادل معه ومع المقامرین الآخرين. ضرب رأسه بمصباح زيت معلق منخفض وهو يقف، ونظر بشراسة حول الغرفة. اكتشف مكان «أمارا» و«ديدو»، فصرخ:

- ارجعن الآن!

استدار عدد قليل من شاربي الكحول لاكتشاف من يصرخ، ورأوا الذئبتين فضحكوا، وقال أحدهم وهو يقف:
- قد آتي معك، لديك شفاه صغيرة جميلة، ربما

ستغنين لي، قال هذا لديدو، وهو يعتقد أن أمارا مع عميل فعلاً.

أمسك «ميناندر» بيدها، وغطاها بكتا يديه. كانت تخشى للحظة أن يطلب الانضمام إليها في المبنى. لكنه مال إلى الداخل، وخفض صوته قائلاً:
- من فضلك، اعتني بنفسك يا تيماريت.

-8-

هذا حقًا عصر ذهبي. الذهب يتم تقديره وإعلاء شأنه؛ أما
 الحب فيشتري ويباع.
 أوفيد، «فن الحب 2»

- ما يقرب من دينارين! هذا هو مقدار ما فزت
 به. هذا النرد هو أفضل استثمار قمت به على الإطلاق!
 ويجب أن تكن قد رأيتن وجوه اللاعبين الآخرين.
 أشعر أنني وصلت حد الكمال.
 تفاخرت «فيكتوريا» بفوزها على طاولة الألعاب. كانت
 كل النساء، باستثناء «ديدو»، يجلسن على المقعد الحجري
 الذي يعانق جدران الغرفة الدافئة، يستمعن إلى تفاخرها
 من دون حماس كبير. دائمًا ما يكون هذا القسم من
 حمامات النساء عبارة عن غرفة للنميمة، تنتفخ الأصوات
 المنخفضة من الثرثرة حتى السقف المقبب. تنتشر
 الشقوق عبر سطحها ويتم تقطيع الجص. عندما يخلعن
 ملابسهن، يصبح من الصعب معرفة الحرة أو العبد، قد
 يُعتقد أن الذئاب هن مجموعة من الزوجات الشابات.

عادة ما تجد «أمارا» طريقها إلى استراحة لطيفة في الغرفة الدافئة قبل أن تتحدى درجات الحرارة المرتفعة، ولكن عوضاً عن الشعور بالاسترخاء في الحرارة، فإن كل أعصابها تغدو متوترة، هكذا وجدت أن آثار الحانة لا تطاق.

شعرت برهاب الأماكن المغلقة عند العودة إلى المبنى، وإجبارها على تحمل موكب الرجال المخمورين، ومطالبهم التي لا نهاية لها، والتي لا شكر لها، هذا الشعور الذي تفاقم لديها بمزيد من الألم بعد فترة وجيزة مع «كالياس». «ميناندر» - تقول لنفسها - «اسمه في العبودية صار ميناندر. تماماً مثلما اسمك هو أمارا».

قالت فكتوريا:

- ثم في وقت مبكر من هذا الصباح طلبني فيليكس لليوم الثاني على التوالي! ساعة كاملة. هذه هي المدة التي جعلني أعمل فيها. لا أحب التباهي، لكنني جعلته في قمة النشوة. أعتقد أن بعض الحيل فاجأته - لا يمكن أن تبدو أكثر سعادة بنفسها، وكأنها «ساكي» تسرد زيارة من «إيروس» - أعتقد أن هذا يجب أن يكون أطول وقت يريد أن يقضيه مع أي شخص.

- لا أعرف لماذا هذا شيء يستحق التباهي به. الممارسة مع فيليكس عمل روتيني. وهو دائماً لقيط جاحد للجميل بعد ذلك.

قالت بيرونيس، التي بدا وجهها أحمر بسبب ارتفاع

الحرارة، والتصقت خيوط الشعر على وجهها:

- لا يكاد يستحق كل هذا الجهد. ليس مثل «جالوس». هو دائماً...

لمحت «بيرونيس» الأخريات بيتسمن، فتوقفت وراحت تنظر إلى قدميها وتتهجد، ومن الواضح أنها يائسة، وتريد مشاركتهن في كل المشاعر الحبيسة في قلبها، لكنها مترددة في مواجهة السخرية. وشعرت «أمارا» بالأسف لأنها أزعجتها كثيراً.

ابتسمت «فيكتوريا» قليلاً لكنها لم تقل شيئاً. أدركت «أمارا» أن «فيليكس» أثى عليها. وهي تعتقد أنه يفهم تماماً كيفية التلاعب بنا جميعاً.

- لا أعتقد أن فيليكس قد أرسل في طلبي منذ أسابيع! قالت كريسا وهي تتكلمش على الحائط وذراعاها مطويتان فوق صدرها، مخفية علامات التمدد.

- أنت محظوظة، ردت بيرونيس متجاهلة تماماً القلق في صوت كريسا.

ابتعدت «أمارا» عن المقعد وهي تغمض عينيها. حتى خارج المبنى، يلتف عالمها البائس والعنيف حولها مثل الكفن. حاولت ضبط أصوات أصدقائها، والاستماع إلى محادثة أخرى.

- ... لا يمكنك السماح لأختك بتقديم مطالب كهذه! قولي لها إنك لا تمتلكين المال لذلك زوجها مستحيلة. لا أعرف ماذا سيفعلون بها

- أنت لا تعنين...

فتحت نصف عينيها، واستقبلت مشهد المرأتين اللتين تتحدثان إلى جوارها. يبدو أنهما بلا حاضر وكتاهما لديها وجه متعب ومهموم. إحداهما تجلس قرب «أمارا»، وقد تلطخ تجعيد الشعر المصبوغ باللون الأحمر على طول خط شعرها في الحرارة. إنها تتلاعب باستمرار بشيء على يدها اليسرى. خاتم أو حجاب ربما.

تقول حمراء الشعر:

- لقد سمعت الشائعات عن زوجته الأولى، والعبيد خائفون جداً من الكلام. تقول «فولفيا» إنه ضربها ليلة زفافهما. أي نوع من الوحوش يفعل ذلك؟ ودائماً يشتكي من المهر على الرغم من أنه ينفق كل قرش.

- لن يلاحظ «جيليوس» أبداً ما إذا كنت تستولين على المزيد من النقود من دون علمه، على ما أعتقد.

- حتى «جيليوس» سيلاحظ في النهاية. ولا جدوى من طلب المساعدة منه. إنه لا يكاد يحرك مؤخرته السمينة من الحانة. أنا أتعرق طوال اليوم خلف ذلك العداد. فقط حتى يتمكن من الشرب على حساب مكاسبى.

- أنا آسفة لأنني لا أستطيع المساعدة أيضاً - تحدثت المرأة بشيء من الإعجاب بنفسها - كنت سأمنحك القرض بنفسى، لكن زوجي ييقيني عند حدود ضيقة جداً. ويكون العمل دائماً أسوأ في هذا الوقت من العام.

تدلى وجه ذات الشعر الأحمر، وعرفت «أمارا» أنها كانت تأمل أن تدفع صديقتها المال. إنها تدرك أن نظرة الإذلال هذه، والتي تم تصويرها بالاستياء، تذكرها بألم أمها، بعد وفاة والدها، حينما طلبت والدتها المساعدة من كل شخص يعرفونه، وقياس ما يمكنها تحمله للترفيه عن ضيوفها في المقابل، وإلى أي مدى يمكن أن تتماذى من أجل حفنة من التمر؟ هل سيتعرض راعي والدها السابق للإهانة بسبب الصفيحة المتكسرة؟ عندما كان الزائرون يأتون إلى المنزل، كانت تسرد مصاعب الترميل وتبكي، بينما تحاول ألا تبدو يائسة للغاية. كانت «أمارا» تجلس بهدوء، ورأسها منحني بناءً على تعليمات والدتها، وتراقب تدفق التعاطف والمال يجف ببطء. في النهاية، كانت والدتها ستقبل قرضاً من أي شخص، مهما كانت الشروط.

قالت أمارا بصوت خفيض:

- سامحيني، يا سيدتي، ربما أتمكن من مساعدتك، تحولت المرأتان إليها متفاجئتين، فأملت رأسها بأدب من دون أن تكون ذليلة للغاية، وتركتها تتساءلان عما إذا كانت حرة أم جارية؟

- أنا أعمل وكيلاً لسيدي، فهو يتفهم الصعوبات الصغيرة التي يمكن أن نواجهها جميعاً. يسعدني أن أسأل عما إذا كان على استعداد لترتيب قرض. بتكتم طبعاً.

- ولماذا سيوظف سيدك امرأة وكيلاً له؟ قالت رفيقة ذات الشعر الأحمر البخيلة بريية.

- سيضع مضيبي العقد . قالت أمارا، وهي مطرقة الرأس تنظر إلى قدميها، وتفكر في أنها سوف تحتاج إلى أن تطلب من فيليكس طلب جالوس، وليس ثراسو. لا جدوى من إخافة هذا الزوج بعيداً في اللحظة الأخيرة من خلال الظهور مع سفاح، وابتسمت لذات الشعر الأحمر التي تبدو أقل عداء من صديقتها، وتابعت: من الأسهل على النساء القيام بأعمال تجارية مع بعضهن. لدينا الكثير من المخاوف التي لا يستطيع الرجال فهمها. قالت ذات الشعر الأحمر وهي تلف خاتمها مراراً وتكراراً:

- تقولين إنه سيتكتم على الأمر؟

قالت أمارا وهي تومئ برأسها:

- تماماً كما سأفعل أيضاً.

فردت ذات الشعر الأحمر:

- أنا أدير متجراً للوجبات السريعة، ألا يمكن أن يحضر ويسأل عني؟ زوجي لن يعجبه الأمر.

قالت أمارا ذلك وهي تلقي نظرة على وجه الرفيقة الممتعض، و تهز برأسها:

- ما عليك سوى التعامل معي، هذه ميزة وجود وكيل أنثى.

- أنا لا أحب ذلك مارسيللا. وتساءلت ذات الوجه الممتعض: من هذه الفتاة؟ ما هو عمل سيدها؟ أجابتها أمارا:

- سامحيني، لكن السرية هي حجر الزاوية في عمل سيدي. القروض ليست همه الرئيس، إذ إنه يهتم كثيرًا بعدم فضح عملائه، التفتت إلى مارسيليا وتابعت: إذا كنتِ ترغبين في الحصول على قرض، أخبريني بالمبلغ، وسألتقي بك ومعى الاتفاقية المقترحة، ومضيفي، في معبد أبولو صباح الغد.

همست ذات الوجه الممتعض،

- لا تفعلي ذلك. سيتعين على فولفيا أن تُعنى بنفسها فقط! لقد فعلت ما يكفي لها. إنها امرأة متزوجة الآن. إنها ليست مسؤوليتك.

- إنها أختي. لا يمكنني التخلي عنها هكذا. لقد وعدت والدتها.

فردت ذات الوجه الممتعض وهي تقف:

- لا أريد أن أكون طرفًا في هذا سألتقي بك في غرفة البخار.

سارت من دون أن تنظر إلى الورا، بينما «مارسيليا» تراقبها وهي تتحرك، أكتافها محنية من القلق.

قالت أمارا وهي تلمس ذراعها برفق لإعادتها إلى الحاضر:

- أتفهم ترددك، لكن في بعض الأحيان يتعين

علينا اغتنام الفرص التي تمنحها لنا فورتونا^(١).

عضت «مارسيليا» على شفرتها، وحدقت في الأرض كما

لو كانت الإجابة ستكتب عبر بلاطات الألماس الصغيرة.

أخيرًا، قالت:

(١) آلهة الحظ لدى الإغريق.

- عشرون ديناراً... هذا هو ما أحتاج إليه، ويمكنني إحضار قلادة كضمان.

كانت «أمارا» تعرف بدقة أين يكون «فيليكس» في هذا الوقت من اليوم. هناك قاعدة تعرفها النساء وتوجب عليهن الابتعاد عن «باليسترا» وتجنبها، أملت ألا يكون غاضباً جداً من وجودها إلى درجة أنه لن يستمع إلى اقتراحها، وراحت تستعرض تفاصيل الصفقة في رأسها، وهي تمشي بسرعة على طول شارع فيا فينييريا. بالتأكيد، سيرى الفرصة التي تتيحها.

كان من الصعب إخفاء أسباب احتياجها إلى إجازة من صديقاتها، لكنهن وافقن من دون الكثير من الأسئلة حينما قدمت إليهن عرضاً للبقاء ليوم كامل في البيت. انطلقن أزواجاً من أجل خداع «ثراسو»، ثم التقين مرة أخرى حتى لا تكون «ديدو» بمفردها. لم تطلب من «أمارا» أي شيء، فقط ضغطت على يدها وتوسلت إليها أن تكون حذرة. أحست «أمارا» أن «ديدو» تتخيل أنها ستري «ميناندر»، كما لو كان الحب هو السبب الوحيد المحتمل للسرية، سذاجة صديقتها تبدو وكأنها عتاب.

أدركت «أمارا» أن «ديدو» لن تحاول أبداً جني أموال إضافية من دون إخبار الآخرين، فحتى «فيكتوريا» صريحة بشأن لعبها.

سارت «أمارا» بسرعة، والشعور بالذنب يخز في قلبها،

إنه ليس شعوراً يمكنها تحمله، ليس إذا أرادت الهروب من المبعى.

كانت باليسترا تقع في الطرف المقابل من بومبي، وهي حديقة عامة محاطة بسور محظور. أقنعت «أمارا» نفسها أن ضيق التنفس ناتج عن المشي الطويل، وليس بسبب التوتر. قطع رجلان متراخيان عند المدخل حديثهما وحدقا فيها وهي تمر عبر البوابة. في الداخل، استقبلت بأصوات عالية ومتذبذبة. كانت مجموعة من الأولاد الصغار يجلسون و يتعلمون الكتابة عند زاوية الرواق. وحينما دخلت بينهم، رمقها مدير المدرسة بنظرة غضب، كان من الواضح أنه يعرف ما هي.

لم يكن يسمح إلا للرجال فقط بالبقاء داخل مناطق التمرين. كانت تأمل أن يكون «فيليكس» على المسار الذي تسلكه، وليس عند البركة، حيث سيكون من المستحيل شق طريقها عبر الأشجار الكثيفة الطويلة التي تحيط بالمسيح.

انتظرت على حافة المسار. كان الجو دافئاً هنا، والشمس عالية في السماء. باليسترا مكان مفتوح للجمهور لوضع ساعات محددة، وهو دائماً مزدحم. يجتمع الشباب مع بعضهم بعضاً في دوائر يمارسون فيها أنشطتهم المختلفة. رأت «فيليكس» وهو يتقدم بسرعة، وجذعه العاري يتألق من العرق، لكنه لم يرها. حركاته سلسلة ورشيقة للغاية، فهو يشبه الأيل ضمن قطيع من الماشية. من المؤلم الآن أن تتذكر كيف شعرت عندما

اشتراها. كان شعورها أقرب إلى الارتياح لأنه على الأقل كان جذاباً. يا له من خيال محدود، كانت تملكه حينها عندما يتعلق الأمر بالطبيعة البشرية.

في المرة الثانية التي مر فيها فيليكس،، اكتشفها أحد أصدقائه وهي تحرق وراءه، فضرب ذراعه وهو يضحك، أبطأ الرجال وتوقفوا بعيداً عن حافة المسار، ينظرون إليها مرة أخرى. وأحاط بـ«فيليكس» ثلاثة آخرون. كان هناك الكثير الذي لا تعرفه عن عمله أو حياته. هل يمكن أن يكون هؤلاء عملاء؟ أصدقاء؟ أو حتى منافسين؟ لحسن الحظ، وبغض النظر عن الرجال الآخرين، بدا أنهم يعتقدون أنها بغية غيورة ومحبوبة ومرحة تلاحق «فيليكس».

قال أحدهم وهو يصفعه على ظهره:

- لم تكن جيداً بما يكفي معها؟

وعلق آخر:

- إنها تريدك.

وأضاف ثالث:

- ربما ستدفع لك.

تجاهلهم «فيليكس»، وبدا أن الاهتمام لم يزعجه، ركض نحوها، بينما أخذ أصدقاءه يصفرون و يصرخون، ويلقون بنصائحهم قبل أن يبدؤوا دوائرهم مرة أخرى. توقف «فيليكس»، واضعاً يديه على فخذه لاستعادة أنفاسه.

- ماذا تفعلين هنا؟

قال ذلك وهو ينظر إلى الأعلى، بدا مستمتعاً وفضولياً،

وغابت قسوته المعتادة. ربما جعلته فيكتوريا في مزاج جيد حقاً.

- لدي عرض لك.

قالت أمارا وهي تحاول أن تبدو مسترخية كما يفعل، لكنها فشلت، وتابعت حديثها:

هناك امرأة تدعى مارسيليا. تدير متجرًا للوجبات السريعة بالقرب من المسرح، والعديد من الأعمال، ولها دخل منتظم؛ لكن زوجها يشرب كثيرًا، وليس هناك ما تدخره لقرض أختها. إنها في حاجة إلى عشرين دينارًا.

- وتريدين مني أن أقدم خدمة لصديقتك هذه؟

بدا فيليكس مشككًا وليس غاضبًا، ولكنها تعلم أن غضبه يمكن أن يثور في أي لحظة، فقالت:

- لا، لا، التقيت بها هذا الصباح فقط في الحمامات. إنها صفقة تجارية.

- أتيت كل هذا الطريق، وقاطعت يومي، لأتفق على صفقة عشرين دينارًا؟

- لكنها ليست هذه الصفقة فقط، أليس كذلك؟ لن تأتي النساء إليك أبدًا، لا يسمح لهن بذلك. لكن النساء ما زلن في حاجة إلى المال. إذن ماذا نفعل؟ نحن نتكلم مع بعضنا، نحن نقرض بعضنا بعضاً. ولكن إذا كانت مارسيليا، أو أي شخص آخر، يتعامل معي، فكأنها تتعامل معك.

ركض أصدقاء «فيليكس» على المضمار وهم يصيحون، فأقسم عليهم غاضبًا، ما جعلهم يضحكون. استمروا في

السير، وعاد إليها:

- وماذا تتوقعين أن تحصلي عليه من هذا؟

- العمولة نفسها التي نحصل عليها جميعاً مقابل ما نقدمه في المبنى. أعرف أن فيكتوريا تحصل على المزيد؛ لأنها تجلب المزيد من الأعمال، وهذا عادل. ولكن إذا حصلت على المزيد من المال من خلال القروض، بدلاً من الرجال، فما الفرق؟

- كيف تركت الأمر مع هذه المرأة، مع مارسيليا هذه؟ بدا فيليكس رافضاً، لكنها تعلم أنه مهتم. لديه النظرة نفسها على وجهه كما فعل عندما استولى عليها وديدو في سوق العبيد. التوقع اللطيف لكسب المال.

- أخبرتها أنني سأكون في معبد أبولو صباح الغد مع مضيفك جالوس، والعقد. هي لا تعرف شيئاً عن المبنى. اعتقدت أنه من الأفضل أن ترى النقود قبل أن أخبرها من أنت. وحالما يصبح المال في يديها، لن تكون قادرة على الرفض.

ابتسم لها «فيليكس»، وعلى محياه نظرة دافئة حقيقية تجعلها تدرك للحظة لماذا تدمن «فيكتوريا» على إرضائه:

- أمارا، هل لديك أي فكرة عما يحدث للأشخاص الذين لا يستطيعون الدفع لي؟

فكرت في «سيلير» وهو يستجدي «فيليكس» من أجل المال، والتهديدات التي وجهها سيدها لأعمال عائلة «سيلير». ستتمكن «مارسيليا» من الدفع، كما تقول لنفسها: «لن يحدث لها شيء سيئ. لن أترك أي شيء

سيئٌ يحدث لها»، ثم قالت:

- أستطيع أن أخمن.

- كفى دردشة مع العاشقة اللعينة!

توقف رفاق «فيليكس» عن الجري وتمددوا على جانب المضممار على بعد أمتار قليلة. من الواضح أن قيمة التسلية لتجربة صديقهم بدأت تنفذ. قال أحدهم وهو يتجول:

- يمكن لصديقتك أن تكون معك مرة أخرى، والتفت إلى أمارا، وقال: لن تشعرين بالرغبة فيه مرة أخرى ضحك «فيليكس»، لكن «أمارا» شعرت بالاستياء، فسحبها إليه وقبلها، وعلا الصفير حوله، ثم دفعها عنه، وقال: - هيا اذهبي، انتبهي إلى طريقك لا يمكنني أن أتحمل حدوث شيء لبغي المفضلة.

-9-

تقول: غداً سأبدأ العيش يا بوستوموس، دائماً تقول غداً.
 قل لي «غداً» هذا يا بوستوموس، متى سيأتي؟
 كم يبعد هذا «الغد»؟
 مارتيال، الحكمة 5.58

الحجرة باردة ومظلمة ليلاً على الرغم من أن الشمس لا تزال ساطعة في الخارج. كانت الجدران الحجرية تحجب ضوء الشارع، مما يجعلها تبدو بعيدة. تلتقط «أمارا» بعض الكلمة الغربية، وهي مستلقية على سريرها الصلب، وحينما ترتفع الأصوات وتمر عبر نافذتها صاحبة ومثيرة، فيبدو باليسترا وكأنه عالم آخر.

اللون الوحيد على الجدران هو الضوء المنعكس من خلال زجاجات العطور الثمينة في حجرة «فيكتوريا»، والمصفوفة بعناية على حافة النافذة. جميعهن يستعملن حجرة «فيكتوريا» عندما يعملن؛ إنها الأكبر والأقرب إلى الشارع.

خارج الباب، كانت «فايبا» تجتاح الممر. يجب أن تكون

المرأة العجوز قد نظفت مدخل الحجرة مرات عدة في محاولة يائسة لدعوتها للرفقة والطعام. فكرت «أمارا» في «كريسا» ورفعت نفسها منتصبة، تاركة ساقها تتأرجحان عن السرير.

- هل ترغبين في مشاركة بعض الغداء يا فاييا؟

سمعت قعقة المكسنة التي سقطت فجأة، واندفعت المرأة العجوز إلى الداخل.

- فقط إذا كان لديك القليل لتشاركينه.

جلست «فاييا» إلى جوارها، تراقبها وهي تحضر الخبز والزيتون والجبن. لم تقل شيئاً، لكن عينيها تتبعان كل لقمة، مثل كلب جائع ينتظر ضيفاً مهملاً لإلقاء فتات الخبز من على الطاولة. انتفخت عظام يدي «فاييا» النحيفتين عبر جلدها وهي تشبكهما معاً.

الغداء مع «فاييا» ليس ممتعاً أبداً. إما أن تأكل بالسرعة نفسها، مما يعني أن الأمر انتهى بسرعة كبيرة، وإما أن تتحمل تحديقها المؤلم بينما تشاهدك تنتهي، ولذا تختار «أمارا» أن تأكل بسرعة.

مزقت «فاييا» الخبز أولاً، وابتلعت في بضع لقمات. كان من الصعب معرفة إذا كانت قد تمكنت من المضغ بسرعة كبيرة من دون أن تختنق. «أمارا» لن تكون قادرة على مواكبة ذلك. تقول «فاييا»:

- لطالما أحببت هذه الحجرة أكثر من غيرها، قالت وهي تخرج نواة الزيتون من فمها مجرّدة من كل اللحم الأخضر بأسنانها. كانت

في الماضي لـ «مولا». لقد ماتت منذ زمن بعيد. هناك، في الزاوية، كنت أرسم لـ «باريس».

تتبع «أمارا» خط إصبعها الذي يشير إلى أسفل الجدار. إنها تحدد وعلامات الخدش تأخذ شكل كلب.

- لا بد أن تربية طفل هنا كانت صعبة.

- طفلي الصغير! لم يكن يكرهني دائماً. ضج الجميع به عندما كان صغيراً. كل الفتيات الأخريات، كن مغرمات به، لكن القواد العجوز، السيد الذي كان هنا قبل «فيليكس»، استأجره للعمل في المطابخ على الطريق عندما كان في الرابعة من عمره، توقفت فاييا، وراحت تتأمل ما تبقى من الخبز والجبن على ركبته، وقالت: كنت أتمنى لو أنه باعه؛ لكنه لم يفعل... كان ابني جميلاً جداً.

استسلمت للجوع، وراحت تلتهم آخر بقايا الطعام، وتمص أصابعها وتمسحها على ركبته. هذا ما أخبره لكريسا. من الأفضل أن يتم بيع الطفل. هكذا سنتخيل أن الأمور سارت بشكل جيد بالنسبة إليه. أن تشعر بالحسرة وينكسر قلبها الآن، هو أفضل من أن يكون ذلك في وقت لاحق.

قالت «أمارا» كلمة واحدة، فقد تبقى لديها كومة صغيرة من الطعام، تحاول أن تأكله بأسرع ما يمكن، وهي تتصت إلى حديث «فاييا» و تراقب.

- هل هذا هو المبغى الوحيد الذي عملت فيه؟
- أفترض، لقد بدأت كجارية في المنزل.

كان لدي طفلتان من السيد، لم يكن يهتم لأمرهما، ذاك المقرف الجاحد. كانتا فتاتين صغيرتين لم أرهما قط تكبران. بعد الطفلة الثانية، اعتقدت أنه سيسمح لي بالزواج من عبد آخر في المنزل، الرجل الذي يعمل بشكل فردي... لقد أحببته تمامًا، كان لطيفًا، على أي حال مات بعد ذلك، وأجرني السيد. كانت خدمتي مقتصرة على الضيوف فقط، أفراد العائلة، هذا النوع من الأشياء. ولكن حالما يفعلون ذلك، تعلمين أنهم سيبيعونك.

تذكرت «أمارا» في الوقت الذي كانت فيه جارية في منزل «كريمس». لم يكن من دواعي سرورها أن ترى أوجه تشابه بين ماضيها وماضي المرأة العجوز التي سألتها:

- لم تبدأي الحياة كجارية، أليس كذلك؟

- وكيف تستطيعين ذلك؟

- مازلت تتصرفين وكأنك شخص مهم.

عرفت «أمارا» أن «فابيا» لم تكن تقصد أن تجرحها، ولكن على الرغم من ذلك، سقطت آخر لقمة طعام في فمها سقطت مثل الحجارة وهي تحاول ابتلاعها.

- ذلك الخبز كان جافًا، أليس كذلك؟ قالت وهي تحاول

أن تغير الموضوع، وتمد يدها إلى الإبريق بالقرب من قدميها.

- هل يمكنك أن تحضري لنا المزيد من الماء من فضلك؟ أعتقد أيضًا أن الحجرات الأخرى تحتاج إلى المزيد لهذا المساء.

أخذت «فابيا» الإبريق، ونظرت إلى «أمارا» والجوع لم يزل ظاهرًا على عينيها.

- كيف هو الشعور بذلك؟
 - الشعور بماذا؟
 - أن تكوني حرة، كيف يكون هذا الشعور؟
- كيف شعرت حينما كانت «تيماريت»؟ حياة «أمارا» الماضية تلتهب في عقلها، بكل حبها وبراءتها وأملها. تقول:
- عندما ترين طائرًا يطير، في تلك اللحظة التي يختار فيها الانقضاض إلى الأسفل أو التحليق إلى الأعلى، عندما لا يكون هناك شيء سوى الهواء الذي يوقفه، هذا هو الشعور بالحرية. توقفت، مدركة أن هذه ليست الحقيقة الكاملة. الذكرى التي تحاول أن تدفنها، تطفو على السطح، معاناة يومها الأخير كامرأة حرة. لكن الجائع يشعر بالشعور نفسه، يا فابيا. سواء كان عبدًا أم حرًا، فإن الجوع هو نفسه.
- أومأت «فابيا» برأسها، راضية. الجوع شيء تفهمه. غادرت الحجرة، وظلت «أمارا» جالسة على السرير، مدركة للعالم الذي يمر عبر الجدران في الخارج، على الرغم من أنها لا تستطيع رؤيته. هناك، على مسافة لا يمكن تصورها، ما يزال مسقط رأسها موجودًا. الأشخاص الذين عرفتهم، جيرانها، مرضى والدها، الخباز الذي دائماً ما يوفر خبزها، «كريمس»، و«نيوب»، ستظل جميع شخصيات ماضيها تعيش حياتها في أفيدناي، لكن ليس والدتها، تعرف «أمارا» أن والدتها ماتت.
- عرفت ذلك في يومها الأول كجارية. بعد صدمة قولها

«وداعاً»، أخذها «كريمس» إلى غرفة نومه، لكن بدلاً من تجريدتها من ملابسها كما كانت تخشى، استولى على مجموعة صغيرة من الأمتعة التي أحضرتها معها. راقبت «أمارا» ما يحدث، في حيرة وخوف، بينما كان «كريمس» يتجول في حقيبة والدها الجلدية القديمة، حتى وجد ما كان يبحث عنه في الداخل، كانت والدتها قد أخفت المال الذي حصلت عليه مقابل بيع طفلتها الوحيدة. قال «كريمس» إن هذه خدعة معروفة - وهو يعدّ العملات المعدنية - للأباء الساذجين الذين يبيعون أطفالهم. طريقة لمنحهم السبق نحو إعادة شراء حريتهم.

«أمارا» تقف... لا تريد أن تتذكر بقية ذلك اليوم.

كل شيء كان يأمله والدها، كل هدية قدمها إليها، بما في ذلك آخر عمل حب يأس لوالدتها، سلب منها. لم تعد «تيماريت» موجودة، باستثناء انعكاس قصير في عيون صبية من أثينا. سيكون عليها البقاء على قيد الحياة كـ«أمارا».

شيء واحد من بقايا الماضي هنا معها، حقيبة والدها المتعفنة المكسورة، تتدلى من خطاف على الحائط. عندما كان الجلد لامعاً ومرناً، كان يأخذها لزيارة المرضى، وكل أعشابه وأدواته مُقسمة في الداخل. رفعتها عن الحائط، وجلست على السرير تحصي المدخرات التي تمكنت من جمعها في المبلغ. على الأكثر تكفي لتناول طعام لبضعة أيام. لا شيء يضاهاى المبلغ الهائل الذي ستحتاج إليه لشراء نفسها من «فيليكس».

حاولت «أمارا» حساب عدد المارسييلو^(١) الذي ستضطر إلى جنيهه لتقترب من أي مكان... هذا مستحيل، ليس ما لم تتخفف قيمتها على مر السنين مثل «فابيا». عندها قد تكون تستحق سعر خبز أسبوع فقط.

«أمارا» لا تتابع هذا الفكر. ربما ستكسب المزيد في الحمامات، إذا استعادها «فييو»؟ للحظة، سمحت لنفسها بأحلام اليقظة حول مقابلة راع ثري بشكل خيالي. رجل سيكون مفتوناً بمحادثتها. شخص يريد أن تسحره وليس مجرد الحصول على جسدها.

- بيرونييس؟

إنه «جالوس»، ينادي بهدوء من الممر، فسارت «أمارا» إلى المدخل وأخرجت رأسها:
- أوه... إنه أنت ...

- اعتقدنا أن ثراسو هو المسؤول عن الباب اليوم، لذلك وافقت على البقاء هنا.

- استبدل به فيليكس الساعة الليلية. هل ستعود بيرونييس لاحقاً؟

- فقط إذا كان لديها زبون.

- صحيح...

شعرت «أمارا» بالضيق بسبب حرجه. لقد امتلكها مرتين من قبل، ومن المؤكد أن محادثة قصيرة ليست مرهقة للغاية.

(١) العملة المتداولة في حينه.

- هل تتحدث بيرونييس عني كثيراً؟
 دققت في وجهه لتعرف إذا كان سؤالاً خادعاً. ربما
 يريد أن يكتشف ما إذا كانت «بيرونييس» قد كشفت خيانة
 الأمانة المالية لـ«فيليكس»، لكنها لا ترى في وجهه سوى
 الأمل.. فندمت على شكوكها به، وقالت:

- هي تحبك.

- حسناً... لقد عرفت ذلك.

عاد إلى الباب، بينما تراجعجت «أمارا» إلى حجرتها
 مستمتعة على الرغم منها. ستستمتع «فيكتوريا» و«ديدو»
 بهذه القصة لاحقاً.

كانت الجدران المحيطة بها مغطاة بالمظهر المتوقع
 نفسه. مررت أصابعها على الخدوش، لقد استغلت فتيات
 كثيرات هنا! تتذكر الرجل الذي كتب تلك الرسالة. كان
 حريصاً على إخبارها بمقارنتها بأصدقائها. يعمل في
 المغسلة. ما هو اسمه مرة أخرى؟ يجب أن تتذكره.
 يزورها بانتظام. تدرك «أمارا» أنها تعرف بالضبط ما
 الذي يحبه الرجل، ولكن ليس اسمه.

تقوم بمسح الجدران، وتقرأ كل العبارات المألوفة. «يا
 فاييا!» هذا الشخص يجعلها تجفل، التفكير في مدى
 ضالة تغير الحياة. في 15 حزيران، مارس «هيرميروس»
 و«فيليتيروس» و«كافيسوس» الرذيلة هنا. إنها سعيدة لأن
 تلك الليلة بالذات فاتتها - التعامل مع مجموعة من الرجال
 عادة ما يكون بشعاً. تمر إلى رسائل أكثر سعادة: «السلام
 عليك يا فيكتوريا الفاتحة!»، «فيكتوريا، لم تقهر!»؛ الشاء

يجعلها تبتسم. لن تتفاجأ إذا كانت «فيكتوريا» تملئها بنفسها. «أمارا» تجلس على الأرض وتبحث عن كتابتها المفضلة. عمل تمرد مجهول نصف مخفي في قاعدة السرير: «أخذها فيليكس الأحق لتسلية خمسة رجال.» تتساءل ما حدث للمرأة التي كتبها.

لفتت انتباهها رسالة أخرى، حروفها كبيرة وخشنة، تلاعبت بها، وهي تحديق فيها. تبدو الكلمات وكأنها فعل عدواني جسدي، تذكرها بعجزها. فتحت حقيبة والدها، وبحثت عن القلم المكسور الذي التقطته ذات مرة في الشارع، لقد أصبح مفيداً الآن. استخدمته لرسم طائر في حجرتها الخاصة، وهو عمل صغير من التحدي ضد عملها الكريه الذي لا نهاية له، تقدمت نحو الرسالة، وقد بدأت في الضغط على الحجر، ويدها ترتجف من الغضب. شكلت صورة الرجل، وأصبحت حروف التباهي جبهته، وتحولت كلماته الخاصة إلى وصمة كالتي توضع على جباه العبيد.

تراجعت لتلقي نظرة على لوحاتها، كان غضبها قد أفرغ في النحت، والآن انتهى الأمر، وجدت أن التحديق في وجه ذي علامة لا يجعلها تشعر بتحسن.

اتكأت «أمارا» على السرير الحجري. في المنزل، كان لديها كتب فعلية لقراءتها، نصوص والدها الطيبة، والتاريخ الطبيعي، والشعر - آيات الحب المثالي، بدلاً من التنوع الخام المتناثر الآن على جدرانها. بدأت في قراءة لقاء «أوديسيوس» مع «ناوسييسا» من الذاكرة، لكن صدى

صوتها جعلها تشعر بالوحدة أكثر.

تذكرت غناء نسخة من تلك القصة لوالديها، أغلقت عينيها، وأخذت ترفع ذراعيها، وتتخيل شكل قيثارها القديمة، وتحرك أصابعها على الأوتار غير الموجودة.

وصلها صوت جالوس يوجه أحد العملاء بالقول:

- الباب الأول على اليسار!

وقفت على قدميها. وظهر شخص غريب في المدخل، زاد من قتامة الحجرة. ابتسمت له «أمارا»، وأمالت رأسها كما تفعل «فيكتوريا»، تاركة عباءتها تنزلق من على كتفها.

- من الأفضل أن تستحقي المال.

سارعت «أمارا» إلى إغلاق الستارة خلفهما، قائلة:

- بالطبع سأكون لك كذلك.

قالت ذلك بصوت أجش لن يتعرف إليه أحد في أفيدناي. تركت العباءة تسقط على الأرض، وانتظرت أن ترى تأثير جسدها عليه، ثم دعت الرجل الغريب إلى الفراش، غير متأكدة مما إذا كان شعورها بالدوار ناتجًا عن الخوف أو الراحة من الملل.

-10-

«سيكتوس»، تقول إن شغفهم بك يشعل النار في الفتيات

الجميلات -

أنت الذي لديه وجه رجل يسبح تحت الماء.

مارتيال، الحكم الساخرة 2.87

يزداد المنبعث من حجرة الماخور، كلما توغلوا في الحشد. إنه ليس يوماً رسمياً للسوق في المنتدى، ولكن - كما هو الحال دائماً - وصل العديد من التجار إلى هنا مبكراً مع بضاعتهم مجمعة في بطانيات لنشرها على الرصيف. شقّ «جالوس» و«أمارا» طريقيهما بين الأكشاك المؤقتة، متوجهين إلى الجزء الأكبر من معبد أبولو. عند درجات الحرم، حيث يقف بائع يضرب على إناء نحاسي، ويساوم على سعره. بينما العديد من الأواني والجرار المعدنية، بأحجام مختلفة، مكدسة في أكوام عند قدميه. استغرق الأمر بعض الوقت من «أمارا» للتعرف إلى المرأة التي توجد هنا لمقابلتها. بدت «مارسيلا» أكثر روعة في ملابسها. شعرها الأحمر لم يعد يلمح بشرتها.

بدلاً من ذلك، فقد تراكمت الضفائر بدقة على رأسها، و أخذت تنظر إلى «أمارا» بعيون أكثر حدة مما كانت تنظر إليها في الحمامات، ولاحظت «أمارا» أنها تبدو أكثر رقة في وهج السوق الكامل، لكنها تخشى أن تبدو كما هي: بغبي تعمل لدى مرابٍ متوحش. سألت مارسيليا:

- هل هذا هو المضيف؟

يبدو أنه سيئ المظهر أكثر من المعتاد، بعد أن وضع كمية سخيفة من الزيت في شعره. إنه أسلوب نسخ حديثاً من «فيليكس»، ولكن الطريقة التي تجعل الرئيس يحقق جواً من التهديد المنبسط، يبدو «جالوس» فيها وكأنه منقوع بالوحل، أو أنّ عبداً قد رماه من غرفة في الطابق العلوي إلى الشارع.

- نعم.

قلقت «أمارا» من أن يبدأ الخلاف بهذه السرعة، لذا تداركت الأمر، ولفت انتباهها أن تفكر في الأمر بشكل أفضل. أوضح «فيليكس» أن «أمارا» كانت مسؤولة عن الجانب التجاري من هذه الصفقة، وهو عكس الدور الذي لا يعرف كل من «أمارا» ولا «جالوس» تماماً كيف يتحركان فيه.

- أحضرنا معنا بعض الضمانات للقرض.

وقفت امرأة أخرى خلف «مارسيليا» مباشرة، ثم تقدمت إلى الأمام، لا بد أنها «فولفيا»، الأخت الصغرى. شقراء، نحيفة وهشة المظهر، وعندما بدأ بائع النحاس في قرع إنائه مرة أخرى، جفلت.

- دعونا نرَ.

مدّت «أمارا» يدها قبل أن تتدخل «مارسيلا». من الواضح أن «فولفيا» هي الأضعف التي تفوح منها رائحة الحاجة واليأس. حاولت «أمارا» ألا تتخيل سبب رغبتها في الحصول على المال، ثم نزعت «فولفيا» حبلاً طويلاً من خرز الكهرمان عن عنقها، ووضعتة بعناية في كف «أمارا». كانت الأحجار مستديرة تماماً، صفان جُمعا من خلال خيوط ملتوية متلائة. لقد مرت سنوات منذ أن لمست أي شيء بهذه القيمة. وقالت مارسيليا:

- القلادة تغطي أكثر من مبلغ القرض. إنها محقة، لكن «أمارا» لن تتنازل عن هذه النقطة.

- لكن ليس الفائدة على الرغم من ذلك!

وأشارت إلى جالوس لتسليم اللقافة الممهورة بختم فيليكس الشمعي، هذا هو اقتراح سيدي، وأعطت الأوراق لمارسيلا، وهذا هو المال.

تحسس جالوس حزامه بحثاً عن حقيبتته، التي كاد أن يسقطها، فخطفتها أمارا» قبل أن تسقط، وسلمتها إلى «فولفيا»، بينما تقوم أختها بالتدقيق في الاتفاقية. كما توقعت «أمارا»، فإن الشعور بالمال في يديها له تأثير ملموس على «فولفيا»، التي بدت قريبة من البكاء.

قالت مارسيليا بلهجة بائسة:

- هذا المعدل شديد الارتفاع ، سأدفع ما يقرب من ضعف قيمة القرض!

- يمكننا أن نتحلى بالمرونة بشأن الفترة الزمنية.
قالت «أمارا» ذلك على الرغم من أنها غير متأكدة مما إذا كان «فيليكس» سيوافق، ولكنه حريص على إبرام الصفقة، ويمكنها إقناعه بتمديد السداد لاحقاً، كما تقول لنفسها، حالما توقع «مارسيلا».
- مارسيلا، من فضلك، من فضلك فكري فيما سيفعله إذا لم يكن لدي المال؟
همست مارسيلا:
- ولكن هذا الرقم كبير جداً! أنت تخاطرين بقلادة والدتها، وكل ذلك من أجل قرض سيحدث ثقباً كبيراً في حساباتي.
- ضمت «فولفيا» المحفظة إلى صدرها.
- من فضلك، أنا أتوسل إليك، أرجوك.
- دعيني أنظر إليها مرة أخرى.
- انحنت المرأتان بقلق فوق أوراق الاتفاقية. بينما سببت محنة «فولفيا» الضيق لـ «أمارا»؛ إنها تتفهم الضغط الرهيب والمتواصل المتمثل في عدم قدرتها على جني الكثير من المال الذي تحتاج إليه، ومعرفة أنّ الأشياء التي تبيعها تنفد. بعد كل شيء، هذا هو سبب وجودها هنا بنفسها.
- إذا كنت ترين أنّ هذا كثير... وجهت كلامها مشيرة إلى فولفيا لإعادة العملات المعدنية.
- مدّت «مارسيلا» يدها أمام أختها، ومنعت «أمارا» من الاقتراب منها، ثم قالت:

- حسنًا، سأوقعها. سأوقع، لكن أخبرني سيدك أنه يحتاج إلى إعطائي بضعة أشهر أخرى.
- تابع كل من «أمارا» و«جالوس»، بينما وقعت «مارسيلا» الاتفاقية، وسألت:
- أين عمل سيدك؟
- مقابل فندق «الفيل». أجااب جالوس وهو يأخذ الاتفاقية ويلتقط القلم معًا، بينما فولفيا ومارسيلا يتبادلان النظرات.
- أليس...؟
- سوف أزورك لأخذ الدفعة الأولى في غضون أسبوعين.
- عادت هي و«جالوس» بسرعة عبر المنتدى، تاركين الأختين غير السعيدتين تتبادلان الاتهامات بينهما. قال «جالوس»، مشيرًا إلى عقد العنبر:
- سأخذ ذلك .
- لا تخدش الخرز.
- أقل همومنا. ماذا كنت تفعلين حين أخبرت تلك المسكينة أن فيليكس سيمنحها مزيدًا من الوقت؟
- ما الفارق الذي سيحدثه شهر آخر إذا حصل على المال؟
- هذا هو فيليكس الذي نتحدث عنه.
- تتامي الشعور بالذنب لدى «أمارا» على الرغم من كل محاولاتنا لتجاهله، مما جعلها تشعر بالإعياء.

- سأفكر في شيء ما
- ماذا ستقولين لبيرونيس؟
- لن أخبرها بأي شيء! أنا لست امرأة معتوهة... لم أتحدث قط عن أعمال فيليكس. ولا ينبغي لك كذلك، ليس إذا كنت تريد أن تعيش في هذا العالم.

بينما كانا يتجادلان على الطريق كادا يدخلان الملف إلى فيا فينيريا، انتظرت «أمارا» قليلاً كي يتسنى لـ«جالوس» الذهاب أولاً، ثم سارا على الرصيف الضيق، دهشت أمارا حينما اقتربا من الزاوية، ورأت «فيليكس» واقفاً في الشارع خارج المبنى.

- تحركا.

ناداهما، ما جعلهما يحثان الخطى لمقابلته.

- فابيا ذهبت لجمع الآخرين.
- لديكم جميعاً فرصة أخرى مع «فيو» افعلي شيئاً بشعرك، أدار ظهره لها، وأخذ الاتفاق من جالوس، وقال: هل وضعت التوقيع؟ أوماً جالوس إيجاباً، بينما انتظرت أمارا أن يقر فيليكس بدورها في الصفقة، أو يسأل عما حدث، لكن، عندما رأى أنها لا تزال واقفة في الشارع فقد أعصابه، وصرخ: ما الذي تحديقين فيه؟ أمسكها من شعرها وجذبها نحوه قبل أن يدفع ظهرها نحو المبنى، لقد أمرتك بالتحرك اللعين!

أعاد رش الماء الدافئ، وهي تنزلق إلى المسبح،

ذكريات زيارتهم الأخيرة المشؤومة. كان الضوء يتموج على السقف المقبب فوقها، وهناك لوحة فسيفساء متقنة تمثل «يوروبا» بجسدها العاري المغطى بالزهور، يحمله الإله «جوبيتر» عبر البحر في شكله كثور. لقد نسيت «أمارا» مدى فخامة هذا المكان. سقطت «بيرونيس» بقوة إلى جانبها. رقص الضوء على السقف، وعكس الأمواج التي أحدثتها. كل نساء «فيليكس» مرتبات أكثر من المعتاد. لن تسمح لهن «فيكتوريا» بالمغادرة حتى يتم تصفيف شعر الجميع، تزامن جميعهن من أجل تصفيف شعورهن في الوقت المناسب، مما جعلهن يتعرقن، نادت «دراوكا» قائلة:

- كان صباحًا مزدحمًا بالفعل، أيتها السيدات.

كانت ملتفة بهدوء على جانبها، وكلتا ذراعيها مستقرتان على حافة النافذة الكبيرة المفتوحة وراء ظهرها، امرأتا «سيمو» الأخريان ، «ماريا» و«أتيس»، تطفوان على جانبيهما كزوج من الحراس الشخصيين. امرأة ثالثة، لا تعرف «أمارا» اسمها، تتربص بكآبة في الزاوية.

ترد «فيكتوريا» قائلة:

- نحن دائمًا في طلب.

- أنا متأكدة من أنك قد اكتشفت بعض الحيل في «عرين الذئاب». ولكن هل كان لأحدكم رجل في الماء؟ صمتت نساء فيليكس، وتابعت: فقط حاولن ألا تعرقن. هذه نصيحتي.

- هل هي جادة؟ همست بيرونيس، بينما أخذت

دراوكا وأتيس تضحكان، لا أريد لأحمق ما أن يفرق رأسي تحت الماء.

- إنها مجرد بغي.

قالت «أمارا» ذلك على الرغم من أن التهديد بالفرق لم يفعل شيئاً لتهدئة أعصابها. إنه سر قبيح تحمله، الذعر الذي غالباً ما يهددها، إحساس رهيب بعدم القدرة على التنفس وعدم القدرة على الحركة. بدأ الرعب في تلك المرة الأولى مع «كريمس» ولم يتركها قط. إنه أمر سيئ بما يكفي عندما يحدث مع عميل في حجرتها، إلا أنها تماسكت لأنها لم تستطع تحمل إذلال البكاء هنا أمام «دراوكا».

نظرت إلى الأخريات، لم تتضم إليهما «ديدو» و«كريسا» في الماء ولكنهما تجلسان على مقعد رخامي ليس بعيداً عن جانب المسبح. أرسل «فيليكس» إلى «ديدو» هذا الصباح بينما كانت «أمارا» في المنتدى. الفكر يجعلها تشعر بالذنب بطرق لا تستطيع تفسيرها. لم تقل «ديدو» ما حدث، لكن «أمارا» تعرف أنها مستاءة، تبدو مثل طائر جريح، ولا يعني ذلك أن العملاء سوف يهتمون، إذ يبدو أن ضعف «ديدو» دائماً ما يجذب الرجال الأكثر جشعاً، مثل الدبابير إلى العسل.

قالت «فيكتوريا» لـ«دراوكا»:

- أعتقد أن المجيء إلى هنا يُحدث تغييراً رائعاً بالنسبة إليك! استراحة من كل ذلك الانزلاق وتغيير الأساليب عندما يكون العملاء غاضبين. تخيلي أنكِ تعملين كل الساعات في

حانة، وتضطرين في الوقت نفسه إلى الترفيه عن الزبائن!
أمر مرهق!

قالت أتييس:

- اللعنة عليك، على الأقل سيدنا ليس قذراً تماماً.
متى كانت آخر مرة سمح لك فيها فيليكس بالاحتفاظ
بأي بقشيش؟

- أنت محقة في أنه بشع المنظر، من العار علينا أن
نخدم سيّداً يشبه أبولو. أنا أفضل أن أموت في أحضان
سيمو العجوز السمين الأصلع برائحته الكريهة.
قالت ماريا:

- نعم، يجب أن يكون رائئاً بالنسبة إليكم جميعاً،

- تلك تبدو وكأنها تحب الحياة.

أدارت «ديدو» وجهها بعيداً، لم تكن في حالة مزاجية
تسمح لها بالرد، لكن «كريسا» ردت غاضبة:
- لماذا لا تبقيين فمك الكبير مغلقاً؟ أشارت بيدها
إلى ماريا، كما لو أنك لم تبك قط على رجل.

- قد يكون سيمو غيباً، تنهدت دراوكا، وهي تدير
وجهها الجميل لتتظر إلى البحر كما لو أنها كانت تشعر
بالملل، لكنه على الأقل يقدم المال والبقشيش. هذا هو
بيت القصيد.

- أفترض أنه أعطاك المزيد من أجل طردنا في
المرّة الأخيرة، قالت أمارا، التي ما زالت منزعجة من
فكرة التعرض للغش. مع الأسف لم ينجح الأمر معك.

تدخلت فيكتوريا بالقول:

- أوه، لا أعتقد أنه كان المال. وقفت على الدرج حيث كانت جالسة في الماء، تقفز برشاقة على الأرضية المدفأة. وثبتت جسدها، ليس بالطريقة الخجولة التي تقوم بها دراوكا، ولكن مثل رياضية، تستعرض قوتها وكذلك جمالها. هل أنت خائفة من المنافسة؟ خائفة من أن ذلك النهدي الأسطوري لن يبدو جيداً مقارنةً بنهدي؟

- أعتقد أنك ستجدين الرجال يبحثون عن فينوس، وليس عن هرقل!

قالت دراوكا ذلك ساخرة، وضحكت نساء سيمو الأخريات، لكن أمارا لاحظت أن دراوكا منزعجة. وتحقق في فيكتوريا التي تقوم الآن بقلب ظهرها.

همست بيرونيس:

- اسكتن! استمعن!

صمتت النساء، ووصل صدى أصوات الذكور إلى البركة:

- هاهم قد جاءوا.

غطست «فيكتوريا» تتناثر مرة أخرى في الماء. إنها مليئة بالإثارة. «أمارا» تدرك أن الأمر لا يتعلق بالعمل بالنظر إليها. لقد ارتسمت في عينيها النظرة نفسها على طاولة الألعاب. إنها الإرادة الشرسة للفوز.

سنة رجال يسرون عبر ممر مغطى بأحجار ملونة، حفاة الأقدام يصفعون الحجر. وجوههم حمراء، وأجسادهم تتألق بالعرق. يجب أن يكونوا قد أتوا من غرفة البخار.

راقبتهم «أمارا» وهم ينجرفون نحو المسيح، يتحدثون ببطء، غير مباينين بوجود النساء.

ربما تكون «دراوكا» قد اختارت أكثر الأماكن جمالاً، لكن «فيكتوريا»، الممتدة على الدرجات، تفوقت عليها بقربها.

- أنتِ جديدة! قال لها الشاب وهو يمشي في الماء إلى جوارها، فاقتربت فكتوريا، وأخذت تتنفس في أذنه، وتلتف حول جسده مثل الكرمة. وتبدأ في تقبيله لمنع أي معادثة أخرى.

ضحك رجل آخر، وقال:

- حصل «لوسيو» على شخصية مفعمة بالحوية، ثم توجه نحو دراوكا، وقال: وكيف حال فتاتي المحبوبة؟ أدركت «أمارا» أنها تراجع دون وعي إلى الجانب الآخر، بعيداً عن المكان الذي يدخل إليه العملاء. إنها تفكر في «فيليكس»، و«فيو»، من بين كل ما مرت به للحصول على هذه الفرصة الثانية. ليس هناك فائدة من تضييع وقتها بالسماح لأي شخص مثل «ماريا» و«أتيس» بالتغلب عليها. ابتلعت شعور الرهبة، وراحت تسبح نحو رجلين أكبر سنّاً يجلسان ويتحدثان على جانب البركة، وأرجلها الرفيعة تتدلى في الماء.

- لذلك أخبرته أننا بهذا السعر سنبحث عن مورد آخر. الناس في حاجة إلى الخبز، لكن المدينة لن تدفع ثمن الحبوب بأي ثمن ...

لاحظ أن «أمارا» تتكئ على الجانب المجاور له،

فدفعها بعيداً، وقال:

- ليس الآن ... ربما في وقت لاحق.
- ربما هذه الفتاة لا تتكلم اللاتينية. استدار إليها، وتكلم ببطء: وكأنها غبية... أنت، اليونانية، بغبي، أليس كذلك؟

كان شعر الرجل الأبيض عالقاً في رأسه بخصلات متعركة مثل البطة المولودة حديثاً. عيناه الشاحبتان تحدقان بها مع نقص في التركيز، كما لو أنه لا يتوقع رؤية أي شخص ينظر إلى الوراء.

فكرت «أمارا» في والدها، والطريقة الملتوية التي بيتسم بها عندما يتحدث عن قوة الدولة الرومانية: «كل ما لديهم هو مستعار منا يا تيماريت»، دائماً تذكري هذا. أجابت وهي تتحدث اللاتينية بطلاقة:

- أنا من أفيدناي. مدينة أتيكا الثانية عشرة، التي كانت ذات يوم منزل هيلين طروادة. أمالت رأسها بلطف، ووضعت إحدى يديها على قلبها في التحية، وابتسامة والدها على وجهها، في هذا البلد اسمي أمارا. ولا أتمنى أي شيء سوى أن أكون في خدمتكما.

- أفيدناي لم تحتفظ بهيلين لفترة طويلة، إذا كانت أساطيرك صحيحة.

قال رفيقه، وهو يضحك و ينظر إلى أمارا باهتمام أكبر:

- لا تكن سيئ المزاج يا غايوس.
- نظرت هي إلى الوراء، من بين رموشها المنخفضة،

إنه كبير في السن، هذا صحيح، لكنه ليس غير جذاب تمامًا. إن فكه المربع وشعره الرمادي الحديدي يجعلانه على الأقل أكثر استحواذًا من رفيقه الوقح. نظرت إلى الأسفل، إلى أصابعه وحلقاتها الذهبية، وقد انتفخ اللحم حولها من الحرارة، قلبها يرفرف؛ هل يمكن أن يكون هذا هو الراعي الذي كانت تأمل فيه؟ هل يستطيع أن يرى كم عليها أن تقدم؟ في خيالها، قفزت إلى الأمام في الوقت المناسب، تراه يلفها بإخلاص في الجواهر، مفتونًا بكل كلمة...

- لديك فم جميل، أمارا من أفيدناي. لا تضيعي الوقت في الحديث معه.

حرك ساقيه في إشارة غير دقيقة لما يريد. بالطبع لا يهمله ذلك، إنه ليس أكثر من مظهر الشهوة في حالة سكر رأته مرات عديدة من قبل. «أمارا» مترددة، فخبية أمل الواقع تأخذ بضع ثوان لتبديد خيالها، ثم تحني رأسها للإلزام.

بدا صاحب رأس البطة منزعجًا:

- لم يعد الأمر ممتعًا جدًا بالنسبة إليّ، والآن ذهبت وأخذت آخر واحدة جميلة.

- لا تثر ضجة، تلك المرأة السمينة هناك لا تفعل أي شيء. ليس الأمر كما لو كان عليك أن تنظر إلى وجوههم على أي حال!

نادي الرجال على «ماريا» لتتضم إليهم. وجدت «أمارا» أنه من المزعج أن تضطر إلى العمل إلى جوارها. لم

يكن صاحب رأس البطة راضياً عن أي شيء، كان دائم الشكوى، ويهدد بدفع رأس «ماريا» تحت الماء إذا لم تبذل المزيد من الجهد. يبدو أن تحذير «دراوكا» لم يكن مزحة. الغضب الذي تشعر به «أمارا» يعمي بصيرتها. للحظة، فكرت في «فيليكس» تخيلت كيف يجب أن يكون لديها القدرة على التصرف بالغضب بدلاً من دفنه.

زبون «أمارا» - الذي ما زالت لا تعرف اسمه - ينتهي بنشيج. يسحب ساقيه من الماء وينهض بغير ثبات. ينتظر ذي رأس البطة ثم يساعده في الوقوف على قدميه. يغادرون دون تقديم أي شكر. سألت أمارا ماريا:

- هل هو دائماً هكذا؟ مثل ماذا؟

مسحت ماريا وجهها. توجد علامات حمراء على خدها، لا بد أن يكون عميلها قد حفز أظفاره في جلدها. أقلت «أمارا» نظرة على الغرفة الفاخرة التي يتردد صداها الآن مع شهقات وأنين مزيف للنساء. كانت «فيكتوريا» هي الأعلى صوتاً، لكنها تبدو أكثر اهتماماً بما ستفعله «دراوكا»، أكثر من الاهتمام حتى بالرجل الموجود معها. تتباهى المرأتان وتتفوقان على بعضهما بعضاً، فعملأوهما هم المتلقون غير المدركين للتنافس بينهما.

نظرت «أمارا» إلى النافذة ثم نظرت بعيداً - إنها غير متأكدة من أنها تريد أن تعرف ما يفعله الرجلان مع «بيرونيس» هناك.

«ديدو» و«كريسا» لديهما أسهل صفقة، حيث يقدمان تديكًا مزدوجًا لرجل متمد على المقعد الذي كانا يجلسان عليه.

- اعتقدت أنه ربما...

سارت «أمارا»، صامتة، وماريا تحدد فيها غاضبة، إنها غير متأكدة مما ستقوله على أي حال، كانت تأمل في حفلة مائية، هل كان الأمر يتعلق بإثارة إعجاب الرجال الأثرياء بمحادثتها مثل المحظيات في المجتمع اليوناني الراقى؟ إذلالها يجعلها تشعر بالسوء لكونها مذعورة. من الأفضل ألا تتوقع أي شيء أكثر، كي لا تبدو حمقاء.

دخل ثلاثة عملاء آخرون إلى الحمامات من غرفة البخار. هذه المرة، لا تنتظر «أمارة». تترك «ماريا» تخوض في اتجاه الرجال. إنها ليست «فيكتوريا»، لكنها تقلدها وهي تتسلق الدرج، والماء يقطر منها. تتذكر الطريقة التي تحرك بها «فيليكس» في باليسترا، وخطوط جسده الحادة بينما كان يتخطى منافسيه، والعنف والغضب.

تلاحق الرجال وتقاطع محادثتهم دون اعتذار:

- أنا أمارا من أفيدناي. مدينة أتيكا الثانية عشرة، موطن هيلين طروادة. من منكم يتخيل أنه قد يلفت انتباهي؟

ينظر الرجال الثلاثة إلى بعضهم بعضاً مستمتعين، ولكنهم غير متأكدين تمامًا من كيفية الرد. صورة القوة الوهمية التي أوجدتها هشة. إنها تعرف أن أي واحد منهم يمكن أن يجبرها إذا اختار ذلك، لكن بدلاً من إخافتها،

جعلتها المعرفة أكثر عدوانية. مدت يدها إلى الرجل الأكثر ثقة، الرجل الذي تأمل أن يكون لديه ما يكفي من الثقة بالنفس كي لا يحتاج إلى إذلالها.

- من يستطيع أن يرفض مثل هذا الأمازوني؟ قالت ذلك، فابتسم، وقادته إلى مقعد فارغ.

لقد تعلمت «أمارا» أكثر من اللازم عن آليات عملها لفهم ما سوف يمنح المتعة. كل ما يهم الآن هو فصل نفسها تمامًا عن جسدها. إنها تمر عبر ذاكرتها الموسيقية، ويمتد الخط الفاصل بين الخوف والغضب في قلبها. المرة الوحيدة التي يهدد فيها الذعر بسحبها إلى الحاضر هي في النهاية عندما يحاول انتزاعها من ظهرها. تتنازل عن السيطرة، وتقول لنفسها إن الأمر سيكون أسرع بهذه الطريقة.

بعد ذلك، لم تنتظر لتري ما إذا كان رد فعله سيكون الامتتان أو اللامبالاة. أدارت ظهرها ومشت إلى المسبح. أسفل الدرجات، حيث ارتفع الماء متجاوزًا خصرها، وظلت تغطس على طول الطريق، وتسبح إلى النافذة.

أطلت «أمارا» على البحر. إذا لم تكن تعرف المشهد من خلفها، لم تستطع سماعه، يمكنها أن تتخيل أن الأفق الممتد أمامها يخصها. بدلاً من ذلك، تعرف أنها محصورة هنا، في الهواء والضوء، كما هي في الظلام الضيق في حجرتها في المبنى.

-11-

هل تعتبرين نفسك عفيفة لأنك بغي رغباً عنك وحسب؟

سينيكا، الخطابات 1.2

عانقت «أمارا» «ديدو» باكية. وجلستا معاً على سرير «ديدو» الضيق. نظرت من فوق كتف صديقتها المرتفع، لتقرأ الطعنات التي نحتت على الحائط، وفي الحقيقة لا يمكنها أن تتخيل الآن لماذا بدا الأمر مضحكاً. إلى جوارها كان الستار نصف مسحوب لمنحهم القليل من الخصوصية، إنها لا تجرؤ على سحبها بالكامل. ارتفع صوت «فيكتوريا» في الممر يمدح رجلاً ما لجعله في حالة مزاجية جيدة. في أي لحظة، ستُقاطعان من قبل أحد العملاء. ليس للنساء وقت لأنفسهن في الليل، ولا حتى للحزن.

قالت ديدو وهي تلهث باكية:

- لا أستطيع العيش على هذا النحو، لا يمكنني الاستمرار، لا أستطيع أن أتحمل حياتي. لا أستطيع تحمل ذلك.

- لكنك أبليت بلائاً حسناً في الحمامات في وقت سابق كنت ثاني أفضل واحدة بعد فيكتوريا. مع كل النصائح التي طبقتها.

شعرت أمارا في تلك اللحظة بطعنة من الغيرة، لكنها تتمنى الآن أن تكون «ديدو» قد فاقتها بمقدار الضعف.

- ما عليك سوى الاستمرار في التفكير في جني ما يكفي للهروب لا شيء آخر يهم.

- لن نهرب أبداً! هذه هي حياتنا! ستكون كل حياتنا هكذا على الدوام. ارتفع صوتها، صار هستيريا: لو كانت لدي أي فضيلة حقيقية، لكنت قتلت نفسي قبل أن أسمح لأي رجل أن يلمسني!

- أرجوك لا تفعلي هذا بنفسك. من فضلك لا تقولي أشياء من هذا القبيل.

- كل شيء جيد عني مات في هذه الحجرة. تأكد فيليكس من حدوث ذلك، وضعت يديها على وجهها، إما لوقف الدموع، وإما لطمس الذاكرة. ثمانية دنانير. هذا ما دفعه مقابل عذريتي! هذا ما كان يستحقه شرفي!

- لم يكن لديك أي خيار، إنها ليست غلطتك.

تابعت ديدو:

- هل تعرفين ما قاله لي هذا الصباح؟ سألني إذا كنت أعتقد أن والدتي ماتت. قلت أعتقد أنها يجب أن تكون كذلك. ثم قال إنه لا يجب عليّ أن أقلق. لو كانت جميلة مثلي لما قتلها القراصنة. ربما كان معها

رجل في مكان ما، في الوقت نفسه الذي كان فيه معي، وبدأت ديدو في البكاء مرة أخرى، لا يترك لك أي شيء. عليه أن يدمر كل شيء.

حدقت «أمارا» في الدخان المتصاعد من أحد المصابيح الفخارية في زاوية الحجرة. «بريابوس» الصغير المتوحش المبتسم، واحد من المصابيح التي اشتريتها من «روستيكوس»، لقد احترق تقريباً، قالت بصوت عالٍ:

- أتمنى أن أقتله من أجلك. لقد تخيلت ذلك مرات كافية؛ لكنني أعرف ما يحدث للعبيد الذين يقتلون أسيادهم، عليك إنهاء كل ذلك. عليك أن تدركي أنك لست شخصاً سيئاً، أليس كذلك؟ أعلم أنك لم تفكري قط في إيذاء أي شخص. ولا حتى فيليكس.

- ربما كان ينبغي علي فعل ذلك.

- لا! أمسكت أمارا بيد ديدو تابعت: أنت من أروع الناس الذين عرفتهم على الإطلاق. لهذا السبب أحبك كثيراً.

- أكثر من عبد الخزاف؟ أعلم أن هذا هو من ذهب لرؤيته في ذلك اليوم.

وصلهما صراخ زبون «بيرونيس»، وظننا أن ذلك تعبير عن سروره. أصبحت ساعات الليل أكثر ازدحاماً. و«أمارا» تنظر إلى الستارة كل ثانية، إنه الوقت القليل بمفردهما الذي تمكنتا من سرقته.

- لم أذهب لرؤية «ميناندر» على الرغم من أنني أردت ذلك

- أين ذهبت إذًا؟
- ذهبت لرؤية «فيليكس» في باليستيلا.
- بدت «ديدو» مصدومة أكثر من صدمتها حينما اعترفت لها «أمارا» بشوقها إلى قتله.
- لكن، لماذا؟
- من أجل المال. لأنني أحاول أن أتصرف كوكيل له، في ترتيب القروض للنساء اليائسات. إنهن لسن يائسات مثلي تمامًا، لكن على الرغم من ذلك... أنا لست فخورة بذلك، إما أن نختار البقاء على قيد الحياة، وإما أن نستسلم. فإن اخترنا الحياة، علينا أن نفعل كل ما يتطلبه الأمر.
- أنا لست قوية مثلك.
- أنت أقوى. أنت فقدت كل شيء في يوم واحد. أما أنا فقد كان لدي سنوات لأعتاد على خسائري. لا أستطيع أن أتخيل كيف كان الأمر بالنسبة إليك - لحظة واحدة بأمان مع عائلتك، في اللحظة التالية جُررت إلى تلك السفينة! كل الأشياء التي رأيتها، لكنك نجوت.
- التقطت «ديدو» القماش عن السرير دون أن تنظر إلى الأعلى.

- في بعض الأحيان أعتقد أنني جلبت ذلك على نفسي، لم أرغب في الزواج من الزوج الذي اختاره والدي لي. كنت أشكو منه لابن عمي قبل أن يهاجمه القراصنة. حتى ذلك الحين، كان الارتباط برجل قبيح يبيع الجبن

أسوأ شيء يمكن أن أتخيله.

كادت «أمارا» أن تضحك، لكن وجه «ديدو» المنكوب منعها قبل أن تفكر في ما ستقوله، في تلك اللحظة ألصق «ثراسو» رأسه إلى الباب، وقال:

- بعض السكارى الملعونين قد تقيأوا للتو في الممر. نحن في حاجة إلى المزيد من الماء.
ردت أمارا:

- ماذا عن فاييا؟

- إنها تحاول التنظيف فعلاً، ولا يمكنها فعل كل شيء. على أي حال، لماذا تشتكين؟ أنت لاتكادين قومين بعمل واحد طوال الليل، أيتها الكسولة.

وتقدم خطوة إلى الأمام، لكن «أمارا» قفزت عن السرير قبل أن يتمكن من رفع يده وصفعها.

أسرعت، والتقطت الدلو من المدخل، وقالت:

- أنا آسفة، أنا آسفة؛ أنا ذاهبة.

والتقطت «ديدو» أحد مصابيح الزيت وسارعت وراءها تلاحقهما الرائحة الكريهة، وأن مغادرتهما الحجرة، اصطدمتا ب«فاييا» وهي تستقيم.

قائلة، وهي تلقي نظرة غاضبة على الجاني:

- سأحتاج إلى هذا الدلو ممتلئاً بمقدار ما تستطيعان.

كان المخمور الملطخ يلاحق «كريسا»، محاولاً إقناعها

بأخذه إلى حجرتها، على الرغم من أنه لا يكاد يستطيع الوقوف في وضع مستقيم:

- جميلة جداً... تتمم، غير ملتفت لمظهرها والاشمئزاز الواضح عليها.

أخذت «أمارا» و«ديدو» الطريق الخفي إلى الشارع، ومرتا من أمام باب شقة «فيليكس». مضت «ديدو» إلى الأمام حاملة المصباح الطيني لتتبينا طريقهما.

في البداية، تبعهما الضوء والضوء من فندق «الفيل»، لكن سرعان ما لفهما ظلام دامس تقريباً، بينما كان ضوء القمر يظهر الشكل العاري للمنازل، تاركاً بركاً غير معروفة من اللون الأسود. كان قلب «أمارا» ينبض بصوت عال في أذنيها... لطالما كرهت الخروج في الظلام.

مشتا ببطء وثبات قدر الإمكان، مع الحرص على عدم التعثر. كانت مصاريع المحلات التجارية والمنازل التي تمران بها تغلق. إن لم يكن المرء راغباً في زيارة حانة أو مبيع، فإن القليل من الناس يخرجون في هذه الساعة، ما لم يكونوا لصوصاً.

«أمارا» تعرف أن فقرهم لا يحميهم، فالكثير من الرجال قد يسرقون ما يبيعه «فيليكس». نظرت إلى إحدى النوافذ المغلقة، هناك فرصة ضئيلة لأي شخص أن يهرع إلى الخارج لمساعدة امرأة تصرخ في هذا الوقت من الليل.

- البئر في نهاية الشارع، همست لديدو، وهي تومئ برأسها نحو المصباح.

- ارفعيه من أجلي.

مالت «أمارا» إلى الجانب، ووضعت الدلو في الأخدود الموجود في الحجر، وهي غارقة تحت ضغط ذراع حبل البئر. وميض اللهب يظهر الوجه المنحوت، وهي تحرك ذراع البئر، ليصب الماء من فم الحجر... لم يبد قط أنها استغرقت وقتاً طويلاً لملء الدلو. همست ديدو:

- أحدهم قادم .

استقامت «أمارا»، لا تريد أن تترك ظهرها مكشوفاً لمن يقترب منها. سارعت هي «وديدو» معاً، إلا أن وقع الخطوات المقترية كان أسرع، وأكثر قوة على الأرض من ديبب خطواتهما التي تشبه خطوات الفئران في الشارع، وسرعان ماظهر لهب يتأرجح، إنه رجل مع دلو، إنه «نيكاندروس».

بيدو مذهولاً:

- ماذا تفعلان هنا؟

اهتز الضوء المنبعث من مصباح ديدو بشدة، وراحت يدها ترتجف من الخوف، وضع نيكاندروس دلوه الذي أصدر قعقة عالية، واندفع نحوها:
- لا بأس، لا بأس. نظر إليهما وكلاهما ترتجفان في التوجا:
لماذا لم ترتديا عباءتيكما:

- لم يكن لدينا وقت، نحن...

انطلقت أمارا لتوضح ولكن ماذا هناك ليقال؟ إنهما هربتا بنصف لباس خائفتين من ثراسو؟
 كان لطفه المفاجئ كثيراً جداً على «ديدو». لاسيما وأن كل عواطفها بالفعل قريبة جداً من السطح، ومن السهل أن تتسرب، بدأت في البكاء مرة أخرى. فأخذ «نيكاندروس» المصباح منها برفق، وسلم كلا الضوعين إلى «أمارا» وقال وهو يقترب من ديدو:

- لا بأس، أنت بخير؟

اعتقدت «أمارا» أن الأمر ليس على ما يرام، وشعرت بالغباء وهي تضيء الزوجين، المتلاصقين مثل العشاق في الظلام... لا شيء في حياتنا على ما يرام.
 دفنت «ديدو» وجهها في كتفه في حرج، وقالت:
 - أنا آسفة.

- ليس لديك شيء لتأسفي عليه، لا شيء على الإطلاق. لماذا لا تأخذين عباةتي؟
 بدأ يخلع عباةته، ثم التفت نحو أمارا، وقال:
 - أعني، يمكنكما مشاركتها، أليس كذلك؟
 أجابته أمارا:

- أعتقد أنه من الأفضل أن أحمل المصاييح.
 أحاط «نيكاندروس» «ديدو» بعباءته بهدوء، غطى كتفيها، وظل إلى جوارها:
 - يمكنني الحصول لكما على الماء.

توجه نحو البئر، وأخذ يملأ دلوهم. استغرق الأمر نصف الوقت الذي استغرق «أمارا» لتشغيل المضخة. سحب دلوهم، ورفعهم عن الحوض الصغير.

- الوضع ليس آمنًا لكما هنا، لن يرسل زوسكاليس جاريته سافًا أبدًا في هذا الوقت من الليل.

رت أمارا:

- زوسكاليس، ليس ثراسو، أو فيليكس.

- أعرف ذلك، أنا آسف.

نظر إليهما معاً، كانت «ديدو» مغطاة بعباءته، وأمارا واقفة جامدة مع مصباحيها مثل حامل المصباح، وتمتم: - أتمنى أن أستطيع... أتمنى... حدقا فيه مرة أخرى، في انتظار أن ينتهي فقال لديدو: أنت لا تستحقين أيًا من هذا! كأن أمارا لم تكن هناك، التقط الدلوين، وأردف: أعتقد أننا يجب أن نبدأ بالمشير. دائمًا ما يشتكي زوسكاليس إذا استغرقت وقتًا طويلاً.

سَلَّمَت «أمارا» «ديدو» أحد مصابيح الزيت ودفعتها إلى الأمام. يتبعها «نيكاندروس»، وظلت هي تمشي في المؤخرة مع المصباح الثاني. بدا الطريق أكثر إشراقًا مع وجود مصباحين، وعلى الرغم من أن الرجل النحيف سيكون حماية صغيرة ضد اللصوص، إلا أنها لا تزال تشعر بأمان أكثر مع «نيكاندروس» مما كان عليه الأمر من دونه.

عند الباب الخلفي لعرين الذئب، تسللت «أمارا» إلى

الداخل لتعطي صديقتها لحظة بمفردها، لكن «ديدو» وقفت على العتبة، وأعاقت طريقها. أعادت إليها المصباح، لم تعد يدها ترتعش، خلعت العباءة، وأعادتها إلى «نيكاندروس»، ثم انحنت تلتقط الدلو منه، ممسكة به مثل درع على جبهتها، وسكبت بعض الماء على حذائها، وقالت مخاطبة «نيكاندروس» من دون أن تنظر في عينيه:
- شكرًا.

وقف الثلاثة في المدخل. من الواضح بشكل مؤلم أن «نيكاندروس» أراد أن يحتضن «ديدو»، لتقبيلها أو فعل أي شيء لاستعادة العلاقة الحميمة التي جمعتهمما بالقرب من البئر، لكن من الواضح أيضًا أن اللحظة قد مرت. قال وهو يحني رأسه:

- في أي وقت... واستدار عائداً إلى الحانة.

شعرت «أمارا» بالحزن، وراحت تراقبه وهو يرحل:

- أعتقد أنه كان يأمل...

- أعرف ما كان يأمل به.

- ألا تحبينه؟ أعتقد أنه يهتم بك حقًا.

- أنا أحبه.

- إذا لم لا؟

استدارت «ديدو»، فبدت ملامح وجهه واضحة:

- لا يمكنني تحمل أي رجل يلمسني. كلهم يبدون وكأنهم فيليكس حتى عندما كان يحيط بي بذراعيه، عندما أردت أن أعانقه مرة أخرى، ظللت أفكر أنه سيؤذيني.

كانت «أمارا» على وشك الرد، لتقول إن «نيكاندروس» لن يؤذيها أبداً، لكنها بعد ذلك أدركت أنها لا تعرف ذلك بالتأكيد، ربما هو مثل الرجال الآخرين، وبعد كل شيء تقول:

- أنا أفهم.

دخلتا عرين الذئب، فصاحت فاييا، وهي تأخذ الدلو من يد أمارا:

- أخيراً...

سفحته على الأرض، وبدأت تجرف القبيء نحو الباب الأمامي، كان هناك رجل يحوم عند المدخل، فحاول أن يتجنب تناثر السوائل، وقال غاضباً:

- اللعنة عليك، ألا ترين ما تفعلين أيتها العجوز الخرفة! ثم نظر إلى ديدو وأمارا، وقال: أي واحدة منكما لي؟

شعرت «أمارا» وكأنها التقت بهذا الرجل ألف مرة من قبل، رغم أن وجهه غير مألوف. أشعث، سكران، بلا شك خشن اليدين. فكرت في «كريسا»، بالطريقة التي وصلت بها لطفها عبر الظلام، وما كان يعنيه ذلك عندما كانت خائفة.

قالت، مشيرة إلى الباب المفتوح:

- حجرتي هنا.

أخذ الرجل يتأرجح في طريقه على الأرض المبتلة، متجنباً فرشاة «فاييا» المزدهمة والمندفعة. مالت «ديدو»

نحوها، وهمست بهدوء حتى لا يسمعها أحد:

- شكراً لك.

اندفع الزبون بينهما، فابتعدت «ديدو»، تبعته «أمارا» إلى حجرتها وأغلقت الستار. جلس بثقل على السرير، وقال:

- أنا بوبليوس.

- جميل أن ألتقي بك يا بوبليوس. أنا أمارا.

بدأت تخلع ملابسها ببطء، لا لتغريه بل لإعطاء نفسها تأخيراً بسيطاً. هذا هو الوقت الذي ستقضيه «فيكتوريا»، لجعل الزبون في حالة مزاجية؛ لكن ليست هناك حاجة. نظر «بوبليوس» إلى جسدها العاري بدهشة ويقول:

- أنتِ محبوبية.

كادت «أمارا» أن تشعر بالأسف تجاهه، هذا الرجل الذي لا يرى مرارتها، وعلى الرغم من ذلك تضحك:

- شكراً لك. سارت إلى السرير وجثت على الأرض تفك حذاءه، وتريح قدميه، ثم قالت من دون تفكير: أنت متعب.

- لقد كان يوماً طويلاً في المخبز.

استمرت في تجريده من ملابسه. على الأقل ليس وحشاً مثل كبار السن من الأثرياء في الحمامات. الذكرى تضفي احمراراً على خديها. كل هذا الجهد ولم تكده تحصل على دينار بقشيش. إذا كان هناك أي شيء، فقد أظهر لها هذا اليوم أن رجالها الأغنياء أكثر خبثاً

من الفقراء. لا يمكنها أن تصدق أنها كانت غبية بما يكفي لتعتقد أن مكاناً يديره رجل مثل «فيبو» سيوفر لها مخرجاً.

تسلقت «أمارا» السرير إلى جانب «بوبليوس»، تفكر في التفاوض الذي مارسته على القرض في المنتدى، والشعور الذي شعرت به عندما وقعت «مارسيلا» على الاتفاق. ليس فقط الشعور بالذنب ولكن الابتهاج. لقد سمحت لـ«بوبليوس» بتقبيلها، مستلقية كحجر. من المفترض أن تكون هي التي تبذل الجهد هنا، وليس هو، لكن يبدو أنه لا يهتم. الغضب الذي يكون دائماً تحت سطح جلدها يتأرجح في الحياة. لماذا يجب أن يهتم؟ إنه محظوظ لأنه قادر على لمسها.

دوى صوت «فيليكس» في رأسها: «وستفعلين، أليس كذلك؟ ستمزقينهم جميعاً».

يبدو أنه لطيف بما فيه الكفاية، هذا المدعو «بوبليوس»، رجل الخباز. ربما لديه زوجة في المنزل، وعائلة. هل ستمزقه؟ «أمارا» ليس عليها حتى أن تسأل نفسها هذا السؤال. تنهض، وتنظر إلى حبيبها الذي لا يتنفس، وعيناه تتألقان باللون البرتقالي في ضوء المصباح. إذا كان السبيل الوحيد للخروج يتطلب العمل مع «فيليكس»، فليكن. مهما أخذ، ومهما كلف الأمر.

نيسان / أبريل

-12-

احتفلن بقوة «فينوس» يا فتيات الشارع؛ «فينوس» مناسبة
 لمكاسب النساء اللواتي يعدن بالكثير.
 مع عرض البخور اطليبي الجمال والشعبية، اطليبي الإغواء
 والكلمات التي تناسب المرح.
 أعط سيدتك النعناع اللذيذ مع الآس الخاص بها، وأطواق
 القصب المغطاة بالورود المرتبة جيداً.
 أوفيد، الأمجاد 4.

كانت «أمارا» عالقة في نهر من النساء، غير قادرة
 على الخروج من التدفق، حتى لو أرادت ذلك. هناك
 الكثير منهن، لقد اقتحمن ضفاف الأرصفة وانطلقن في
 الطريق. يتناثر الطين على ساقها، لكنها لا تهتم. حشد
 صاحب يغني ويضحك، والمعاصم والكواحل تصنع الإيقاع
 بالأجراس. تختلط رائحة النعناع الحلوة برائحة العرق،
 لم تكن تتوقع أن يكون في بومبي هذا العدد الكبير من
 البغايا.

بعيداً عن الأنظار في مقدمة الموكب، ينفخ الموسيقيون

أنابيههم الصاخبة، وتبض دماؤهم على إيقاعها. ضغطت على أصابع «ديدو»، كان الكحل الذي رسمته حول عيني صديقتها البنية الداكنة ملطخاً قليلاً، ولكن هذا جعلهما يبدوان أوسع. لم تشاهد أي منهما مهرجان فيناليا من قبل، ولم تزل كلتاهما أقل مشاركة من الحشد حولهما. في الحقيقة لا يعد مهرجان «ابريل للبغايا والنيبيذ» حدثاً تحضره فتاة محترمة، أو حتى تحاول إلقاء نظرة عليه من النافذة.

الكثير من الآخرين يراقبون على الرغم من ذلك. يقف الناس متجمعين خارج واجهات المتاجر، أو يتسكعون في الشرفات، لرؤية النساء يعبرن، و يتسكع الرجال عند أطراف الموكب، يشربون ويصرخون، ويتنافسون للحصول على فرصة للاستيلاء على قبلة أو ربما أكثر. تعرف «أمارا» أن «فيليكس» و«ثراسو» و«جالوس» سوف يشقون طريقهم وسط الحشود، ويراقبونهن، حتى عندما لا يستطيعون رؤيتهن. بعد كل شيء، النساء لسن هنا للاحتفال فقط ولكن للبيع. كل شيء في بومبي يتحول إلى سلعة تردُّ الأرباح.

- ابقى كما أنت!

صرخت فيكتوريا، ناظرة للوراء من فوق كتفها.

لقد كانت «فيكتوريا» شبه عارية وقد غطت شعرها بزهور فينوس التي تستخدم مع أكاليل الآس. كانت «أمارا» تعرف ما يعنيه هذا اليوم بالنسبة إلى «فيكتوريا». أن يمضي المرء حياته مصنفاً على أنه عار، يجعله غير

قادر - حتى لو كسب حريته - على التخلص من التلوث، في الواقع إنه عار يمكن أن يأكل عظامك إذا سمحت بذلك؛ لكن مهرجان فانيليا يقلب الترتيب المعتاد. اليوم، هم يمتلكون الشوارع. ولا أحد يستطيع أن ينكر أهمية البغايا لعراة بومبي الأقوى.

قالت بيرونيس، وهي تشير نحو المنتدى:

- انظري إلى الإلهة! مع ارتفاع الطريق إلى المنتدى، يمكنهم رؤية التمثال المصنوع من الجص للإلهة «فينوس» بشكل أكثر وضوحًا. محمولة على منصة، تقف فوق الحشد كما ينبغي أن تكون خالدة، تتمايل على أكتاف عبيد معبدها، مغطاة بالأكاليل.

- سأطلب منها مساعدتي في الزواج من جالوس. قالت بيرونيس، وهي تنظر نظرة خاطفة، تحاول التجسس على حبيبها وسط الحشد، لقد اشترى لي الورود لأقدمها قربانًا لها.

- جالوس اشتراها؟

- حسنًا، سيشتريهم عندما نصل إلى المنتدى.

- سيكون محظوظًا إذا بقي لدى البائعين أي شيء.

لم ترد «بيرونيس»، لقد رأت حبيبها واندفعت إلى الحافة لتكون أقرب إليه.

سألتها ديدو، وهي تنظر إليها بعبوس قلق:

- ألن يلاحظ فيليكس؟ إنه ليس دقيقًا للغاية.

- ربما يكون مفيدًا له! قالت كريسا، كل هذا

الحماقَة تجعل كليهما مطيعين.

في المنتدى، يضرب نهرهم ضفة البشرية. يركب الباعة المتجولون المجاري المائية عبر الحشد، ويوازنون الصواني على أكتافهم، ويبيعون كل شيء من أكاليل الزهور إلى الفطائر الساخنة. وطبعاً النبيذ. «فينوس» ليست الإلهة الوحيدة التي تُعبد في فيناليا، إنه أيضاً يوم يشكر فيه الإله «جوبيتر» على مزارع الكروم المثمرة في كامبانيا. على الرغم من أنها لا تستطيع رؤيته، إلا أن «أمارا» تعرف أن المؤمنين سوف يسكبون النبيذ على مذبحه، وهي تضحية لإرضاء أكثر الآلهة فتنة.

على الرغم من النظر إلى حالة المصلين، فإنها تشبهه في أن المزيد قد سُكب في حناجرهم. أولئك الذين لم يكونوا في حالة سكر فعلاً، ابتهجوا بوصول النساء، وضغطوا عليهم.

أدى الارتفاع المفاجئ إلى توقف موكبهم. وفي هذه الأثناء نفخ الموسيقيون أبواقهم بإصرار أكثر، مما دفع الرجال إلى التراجع عن الإلهة. شعرت «أمارا» بقبضة على ذراعها، وضربة سوط.

إنه «فيليكس».

- ابقى قريبة.

- ماذا عن الأخريات؟

سألته مدركة أنها لم تعد تستطيع رؤية بيرونيس أو فيكتوريا، بينما كريسا عالقة مع ثراسو.

- جالوس معهم. ركزا فقط في الوصول إلى المعبد. تقدموا إلى الأمام، ببطء شديد، بدا الأمر مؤلماً للغاية. لكن وجود «فيليكس» منعهم من التعرض للدهس؛ ولكنه يسحق حماسها أيضاً، فيده على ذراعها، يقودها، ويرسخ شعورها أنه يمتلكها، ما جعل هذا اليوم مثل أي يوم آخر، وليس لحظة الحرية القصيرة التي تخيلتها. في أصابعها المتعركة، بدأت أغصان النعناع والآس تذبل بالفعل. خرجت «فاييا» مبكراً لشراء نذورها لكنها لم تحضر أي ورود.

أخيراً، وصلت الإلهة إلى الطريق الضيق المؤدي إلى المعبد. كان تمثال «فينوس» يهتز بينما يحملها العبيد فوق الحجارة غير المستوية. تتبعه النساء اللواتي يضغطن في الممر. الطين أعمق هنا، ولا تحب «أمارا» أن تتخيل ما قد يكون في الحمأة الرطبة التي تسحقها حيث الجميع مرتبطون ببعضهم بعضاً إلى درجة أنها لا تستطيع رؤية قدميها.

كان الدخول عبر القوس إلى أرض المعبد أصعب من العبور من خلال غربال، وعلى الجانب الآخر، هناك مساحة أكبر قليلاً للتنفس.

لم تكن «أمارا» هنا من قبل. المنطقة ضخمة، ربما تبلغ نصف حجم المنتدى، وعلى الرغم من أن المعبد نفسه مبني جزئياً فقط، فإن الرواق الواسع الذي يحيط به من ثلاث جهات يعطي الوهم بالانفتاح على السماء.

على الرغم من الحشود، من هذا الموقع، عالياً على حافة قمة التل، يمكنها رؤية اكتساح الخليج المتلألئ، والضباب الأزرق للجبال.

وقفت مدهوشة، كانت المرة الأولى التي رأت فيها «أمارا» البحر في المرفأ في بيرايوس، في انتظار تحميلها على متن قارب الشحن، مع جميع البضائع الأخرى. لقد بدت المياه مظلمة ومخيفة حينها، مملكة الوحوش الضارية التي أبعدت «أوديسيوس» عن منزله، تماماً كما تم أخذها من منزلها؛ لكن هنا في بومبي يبدو البحر مختلفاً من هذا الارتفاع حيث يمنح الناظر وهم الهدوء، ويبدو كمرآة فضية مصقولة تعكس السماء.

جذبت أصوات الأبواق والمزامير انتباهها مرة أخرى إلى الحفل. حمل العبيد «فينوس» المرسومة على المنصة، ووضعوها أمام المذبح. في مواجهة الحشد، واصطفت عيون إلهة الحب بشكل كثيف باللون الأسود، مما يعطيها نظرة تحديق ويقظة. إنها عارية بصرف النظر عن المصوغات الذهبية التي تحيط بذراعيها، والأكاليل الملفوفة حول رقبتها. خلفها، المعبد عبارة عن قشرة نصف مكتملة. لا يُسمح عادة للمصلين بالدخول إلى هنا، ولكن يبدو أن الكهنة يأملون في أن تشجع قرابين اليوم الإلهة على مباركة أعمال البناء.

رأت «أمارا» «فيكتوريا» و«بيرونيس» محشورتين إلى جانب «جالوس». كانت «بيرونيس» تتكى على حبيبها، وتدرك «أمارا» بدهشة أنها تمسك بوردة وردية واحدة على خدها.

المزيد من أصوات الأبواق وبدأت المراسم. توجهت موجة من الدخان نحو «أمارا»، فراحت تستنشق رائحتها الحلوة مع رائحة القرفة. كان الكهنة يحرقون البخور ويقدمون قرابين من الحبوب والنبيد. كانت قوة النيران كبيرة، بحيث يصعب على المرء تحديدها، ويجب على المرافق أن يظل حذراً، ومستعداً لحماية الإلهة من الشرر المتطاير. والناس في الحشد يهتمون ويتبادلون النظرات المضطربة.

- بالتأكيد هذه ليست علامة جيدة؟

نظرت «أمارا» إلى «فيليكس»، لكن وجهه غير عاطفي، وخمنت أنه لا يمكن أن يكون تقياً بشكل خاص، أو أنه كان سيشتري لهم أكاليل أفضل.

دعيت النساء للاقترب خطوات على بعد من تمثال الإلهة. للحظة، تساءلت «أمارا» عما إذا كان «فيليكس» سيأتي أيضاً، لكنه أطلق ذراعها وأوماً إليها وإلى «ديدو» للمضي قدماً. انضمت إليهما «كريسا»، وتمتمت شفاههن الصلاة، مشين إلى الأمام يدفعن من يسبقهن. تساءلت «أمارا» عما تطلبه «كريسا»، وهي تنظر إلى عرضها المعبد. كانت كل صلوات طفولتها إلى «أثينا». لا تعرف ما الذي يجب أن تسأله لآلهتها الجديدة، ولا تعرف مدى إيمانها بالآلهة على الإطلاق.

حرس عبيد الهيكل قاعدة الدرجات لمنع اللواتي يصلين من الاقتراب من المذبح. بعض النساء يبكين، ويرفعن أذرعهن إلى التمثال، وبعضهن يسقطن غصناً

ويغادرن. «فيكتوريا» و«بيرونيس» موجودتان فعلاً في المقدمة. «بيرونيس» ترفع صوتها بقوة نحو «فينوس»، فوبختها إحداهن. كانت «فيكتوريا» تتمتع بهدوء غير معهود، حيث تغزل كل الآس تقريباً من شعرها. إنها تقبله وتتركه يسقط. «كريسا» بدورها تترك ذراع «أمارا» وتتدفع إلى الأمام. أما «أمارا» و«ديدو» فتتراجعان، في تردد باد عليهما. همست ديدو:

- ماذا نطلب؟

نظرت «أمارا» إلى «فينوس». إنها أقرب ما يمكن إلى التمثال. تلك العيون الملونة، سوداء للغاية ومتباعدة، لا تبدو متيقظة فحسب، بل غاضبة. تعتقد «أمارا» أنها ليست إلهة الحب فقط، بل هي إله تدفع الرجال إلى الجنون، وتدمر المحاربين، وهي التي أمرت بـ «سقوط طروادة».

- نطلب منها السلطة على الرجال.

سحبت «أمارا» «ديدو» إلى قرب الدرجات. وأخذت غصنها في كلتا يديها، سحقته ليطلق الرائحة، وقالت:

- أتمنى أن يسقط الرجال تحت قدمي، لأن هذا التقدمة تقع بين يديك، يا أعظم أفروديت. هل لي أن أعرف قوة الحب، إن لم تكن حلاوته.

رمت «أمارا» إكليها المشوه على كومة متزايدة من القرابين المتكدسة من بغايا بومبي اليائسات.

-13-

تعلم الغناء، الأغاني منصفة. الأغاني جزء من النعمة.
الصوت غالبًا ما يكون أفضل من الوجه.

أوفيد، فن الحب III

تتسكع نساء «فيليكس» عند مدخل المنتدى، في محاولة لتحديد الطريق الذي يجب أن تسلكه. حشد فيناليا ينتشر مثل الحمى. تجمعات من شاربي الخمر تقف حولهن، بينما يؤجج موسيقيو الشوارع وفنانو الأداء الإثارة، ويحثون الناس على الرقص. على حافة الساحة، ينشغل بائعو النبيذ خلف أكشاكهم، للتأكد من البيع للجميع وجني الأرباح. لقد منح السيد الذئب الإذن بالبقاء في الخارج حتى المساء - وهو مقدار لم يسمعن به من الحرية من قبل. كما لو كان لإثبات وجهة نظره، فقد تخلى عنهن «فيليكس» فعلاً، وتجول للانضمام إلى مجموعة من الرجال. لم تكن «أمارا» متأكدة مما يجب أن تفعله بنفسها.

- لا تقضي هناك وحسب! قالت كريسا، وهي

تهاجمها هي وديدو وتجرهما نحو أقرب بائع نبيذ:
خذي قدر استطاعتك منه!

اشترت كريسا لنفسها قارورتين من النبيذ المعسل،
وخبأت إحداهما في جيبها للاحتياط، بينما راحت تشرب
الأخرى. قالت أمارا:

- هل نتشارك في واحدة؟

النبيذ غالي الثمن، ومن الواضح أن البائعين يزيدون
السعر مع زيادة الطلب، فجمهور المهرجان أسير لديهم.
وفي الحقيقة تتردد «أمارا» في إنفاق فلس واحد قد
تدخره من أجل مستقبلها. ستمتلك الوقت الكافي للشرب
عندما تكون امرأة حرة.

- يمكنني الحصول على القارورة التالية، وافقت ديدو
بينما أخذت أمارا قارورة من صينية البائع الممدودة.

ضحكت فكتوريا التي حرصت على شراء مشروب
لنفسها:

- بحق الجحيم! عيشي قليلاً! أنت لست امرأة
عجوز بعد.

- هذه هي الروح، إلهة!

قال البائع، وهو ينظر إلى فيكتوريا من أعلى إلى أسفل،
كانت تربط قطعة قماش صغيرة حول نهدتها، وقطعة
أخرى حول وركيها، بينما ساقاها وخصرها عاريان تماماً.
لا يمكنني في كثير من الأحيان أن أبيع إلى فينوس
بشخصها، تابع وهو يعرض على شفثيه: مقابل قبلة،

يمكنك الحصول على الزجاجة التالية مجاناً.

- تم... .

قالت فيكتوريا ذلك وهي تنزل القارورة وتضربها مرة أخرى على صينيته، مما جعل السائل الداكن في الزجاجات الأخرى يتمايل.

- لا تفوتك الخدعة.

- هل تريد تلك القبلة أم لا؟ مال إلى الأمام بلهفة، لكن فيكتوريا تراجعته، وقالت: أشربُ أولاً، وأشارت إلى أمارا: صديقتي ستحملها لي.

أمسك البائع «فيكتوريا» بإحدى يديه، و ظل ممسكاً بصينيته بالأخرى. وقبل أن تتمكن «أمارا» من تحذيرها، وصلت يد بائع النبيذ إلى عقدة ظهر «فيكتوريا». أراد أن يسحب القماش لأسفل في محاولة لكشف نهدتها، إلا أنها دفعته بعيداً، وتركته متلهفاً لإنقاذ الصينية.

- سيكلفك هذا أكثر من قارورة من النبيذ. ضحكت فيكتوريا وهي تقوم برفع القماش احتياطياً مرة أخرى.

- إذا كنت في حالة مزاجية تجعلك راغباً لاحقاً، يمكنك أن تجدني في عرين الذئاب. هذا إذا كنت تستطيع تحمله. وأخذت النبيذ من أمارا، وتوغلت الثلاث أكثر في الحشد، إن أفضل وقت لتناول المشروب هو في فيناليا. لست في حاجة إلى أن تدفعي لأكثر من واحد.

قالت ديدو:

- لا يبدو أن بيرونيس تدفع مقابل أي شيء، لقد

رأيت للتو جالوس يحضر لها قارورة.

فردت فكتوريا:

- يجب أن يفعل! لقد عبث بها بما يكفي مجاناً.

توقفن للانضمام إلى دائرة صغيرة تكونت حول عازف الفلوت. حيث كانت امرأة ترقص على أنغام الموسيقى، ويصفق الرجال ويهتفون وهي تنزل على الأرض، وتهز مؤخرتها وفخذيها.

صرخت فكتوريا:

- دراوكا!

وقف الكل ينتظرون للحظة، لكن «فيكتوريا» قلقة.

- أمسكي، يمكنك الاحتفاظ بهذه.

قالت ذلك وهي تناول مشروبها لأمارا، وتشق طريقها إلى وسط الدائرة، متجاهلة صيحات الاستغراب، وقذفت نفسها أمام منافستها: سأريك كيف يكون الرقص، أيتها البغي!

ألقت «فيكتوريا» بنفسها في حلبة الرقص، وهي تضرب وتهز نفسها أمام جمهورها الصاخب، بينما تتردد «دراوكا» لثانية واحدة فقط قبل الانضمام. رفع عازف الفلوت من وتيرته، حتى يصبح سريعاً للغاية بحيث يبدو من المستحيل أن الراقصتين ستكونان قادرتين على الحفاظ على الوقت، لكنهما فعلتا ذلك.

ألقي أحد الرجال شرابه عليهما، وتبعه آخرون، صارخين تشجيعاً. تلاً السائل الأحمر على جديهما،

رقصتا أكثر بشراسة الذئاب، وبدت فيكتوريا « و« دراوكا »
أشبه بمراققي « ديونيسوس»^(١)، على وشك أن يمزق
أحدهما طرف الآخر.

- ها أنتن ذا!

توجهت بيرونييس نحوهم، هي ملتصقة بجالوس
مثل ظله، خذاها يلمعان، ويتبعهما نيكاندروس، حاملاً
مجموعة صغيرة من الورود:

- كنا نبحت عنكن في كل مكان!

وقفت على رؤوس أصابعها لترى مصدر الصراخ
القريب، وتتعرف إلى فيكتوريا كل هذا التباهي! وقد
خلعت كل ملابسها!

- هل أحببت ذلك؟ استدارت بقلق إلى جالوس،
وسألته:

- يمكنني أن أرقص هكذا من أجلك، إذا أردت؟ هل
تريد مني أن أفعل؟ هل سيثيرك ذلك؟

أجاب «جالوس» بإمساكها وإصاق لسانه في حلقها.

لا يبدو أن أيًا منهما سيتوقف للتنفس في أي وقت
قريب، لذلك يندفع «نيكاندروس» نحو المقدمة ويقول
«ديدو»:

- هذه لك.

- شكراً لك. أخذت الورود ووضعتها على قلبها، وقالت:
أنت دائماً لطيف جداً.

(١) إله النبيذ والشهوة لدى الإغريق

قالت أمارا:

- سأعود بعد لحظة.

كانت «أمارا» في تلك اللحظة شاكة قليلاً بشأن احتجاج «ديدو» على مفارقتها، لكن ربما كان النبيذ المعسول أو الجو قد أزال حياءها وأسعدها أن ترى «ديدو» تبتسم بينما ينحني «نيكاندروس» ليقول لها شيئاً.

لم يكن لدى «أمارا» أي فكرة عن وجهتها. قارورة النبيذ التي أعطتها لها «فيكتوريا» دافئة في يدها، وهي ترتشفها، وتتجول ببطء في الساحة، وتتوقف بين الحين والآخر للاستماع إلى عازفين مختلفين. تتساءل عما إذا كان «سالفوس» قد يكون هنا مع غليونه.

اندفاع الحشد لم يكن شديداً كما هو الحال في الموكب، وضجيج العديد من الموسيقيين المتنافسين، والضحك، والهتافات، يتردد صداها كلها على الحجر، وترتفع في الهواء الدافئ كقربان للآلهة. إنها المرة الأولى التي تكون فيها «أمارا» بمفردها تماماً هكذا وسط حشد من الناس. إنها تنظر بإيجاز إلى الأشخاص الذين تمر بهم، ليس لجذب الانتباه غير المرغوب فيه، ولكن للتعرف على من حولها. هل كانت مع أي من هؤلاء الرجال؟ من الصعب معرفة ذلك. في المبغى، تحاول ألا تركز على وجوههم.

سارت «أمارا» أسرع قليلاً، عائدة إلى المنطقة التي غادرت فيها «ديدو»، مدركة أنها لا تريد الابتعاد كثيراً

عن صديقاتها. إنها عازمة جداً على هدفها لدرجة أنها تفتقده تقريباً. «ميناندر»، ها هو يسير نحوها، يحدق في كل النساء اللواتي يمر بهن، وجبينه مجعد من القلق، ثم يراها:

- ها أنتِ ذا! كنت أعرف أنني سأجذك.
 - أراهن أنك تقول ذلك لجميع النساء في فيناليا .
 - أنت تعلمين أن هذا ليس صحيحاً، يا تيماريت.
- تأثرت جداً في الحديث باليونانية، كما هو الحال دائماً، وأربكها ذلك.
- روستيكوس سيد كريم، لقد سمح لك بالتجوال في مهرجان النبيذ كما تشاء.
 - هو سخي نعم؛ ولكن فقط إلى حد ما. لدي ساعة، هذا كل شيء.
- لا تستطيع «أمارا» أن تشيح النظر بعيداً عن وجهه. فكرت في صلاتها إلى «فينوس أفروديت»، وكيف طلبت أن تعرف قوة الحب، إن لم تكن حلاوته. ربما كانت الإلهة تعاقبها على غطرستها. تقول وهي تتواصل معه:
- دعنا لا نضيع الوقت أكثر من ذلك.
- سارا جنباً إلى جنب عبر الحشد، من دون أن يقولا أي شيء في البداية، ولا يعرفان حتى إلى أين يتجهان، ويحملان معهما تياراً من السعادة المشتركة. فيبادر ويقول:
- لقد زرت «السيارو» ثلاث مرات منذ آخر مرة

رأيتك فيها. كان ذلك كل مساء حصلت فيه على إجازة. أخبرني النادل أنك عادة تزورين المكان خلال النهار فقط.

- لكنك واصلت المجيء؟

- بالطبع! فرصة صغيرة لرؤيتك أفضل من لا شيء.

إن فكرة انتظار «ميناندر» لها على الطريق، بينما هي عاجزة عن الانضمام إليه، تكاد تكون مؤلمة للغاية، فتقول:

- أنا آسفة لأنني لم أكن هناك. هل يمنحك سيدك أي إجازة لحضور الألعاب؟

- أعتقد أنه يجب أن يفعل، فاللعبة الأولى في تموز (يوليو) مخصصة للعبيد أيضاً.

- تموز؟ سألته أمارا مرعوبة من فكرة تحديد موعد الآن من أجل المستقبل.

- ألا يمكنك انتظار كل هذا الوقت من أجلي؟

إنها تعرف أنه يضايقها، لديه أسلوب الثقة نفسه، الذي تتذكره في اجتماعهم الأول عندما ادعى أن المصباح في يديها هو الذي صممه. ابتسمت، فهي لا تريد أن تعطيه كل شيء دفعة واحدة:

وصلوا إلى نهاية المنتدى. كان هناك موسيقي يعزف لحناً بطيئاً حزيناً على قيثارة. فأخذت «أمارا» تراقب، وتتخيل اهتزاز الأوتار تحت أصابعها، وهي تقول:

- كنت في الماضي أعزف. أحب والدي أن أغني

في المساء، على الرغم من أن ذلك كان في العائلة فقط. كانت تأمل أن يفهم أنها في اليونان، على عكس بومبي، جاءت من منزل محترم.

- لماذا لا تطلبين منه أن يدعك تقترضينها؟

ضحكت أمارا، وقد ظنت أنه يمزح، لكنه أردف:

- لم لا؟ إنه مهرجان فيناليا. يجب أن تكوني

حرة في طلب ما تريدين.

نجت «أمارا» من الرد إذ لاحظت «ديدو»، تقف الآن

بمفردها. ولا يمكنها رؤية «بيرونيس» و«جالوس» في أي مكان.

- هناك صديقتي، يجب أن ننضم إليها.

- أنا أتذكرها. لديها صوت جميل.

قدمت «أمارا» كليهما مرة أخرى. إنها مسرورة من

رؤية «ديدو» تتظاهر بأنها لا تتذكر «ميناندر»، وهو لم

يكن ليخمن قط أنهما أمضيا ساعات في التأمل في

اسمه وشخصيته أكثر من الكهنة الذين يقضون الوقت

في تنظيف أحشاء القرابين على مذبح.

- أين نيكاندروس؟

- لم يكن لديه سوى بضع دقائق للبقاء هنا، لقد

جاء فقط ليعطيني هذه.

بدأ العازف على القيثارة أغنية مرحة. ابتهج زوجان

إلى جوارهما وبدأ الرقص. وتأرجحت «ديدو» على

الموسيقى ممسكة بالورود.

- يجب أن أغادر قريباً أيضاً، هل تسمحين برقصة واحدة معي؟
- لست متأكدة من أنني أعرف كيف. لقد رقصت فقط مع النساء.
- أخذ كلتا يديها وسحبها بالقرب من القيثارة، وقال:
- الجميع في حالة سكر. يمكننا اختلاق الرقصة.
- تأبطت «أمارا» ذراع «ميناندر»، التفا، وتوقفا يصفقان، أسرع وأسرع، مراراً وتكراراً، حتى انهارت أمامه في الضحك. أنهى الموسيقى لحنه بافتخار، ممدداً القيثارة، ومنحنياً للجمهور.
- اسأليه الآن، أريد أن أراك تعزفين قبل أن أغادر.
- نظرت إلى القيثارة بشوق لكنها تهز رأسها:
- لا أستطيع.
- تركها «ميناندر» وتوجه إلى الموسيقى. رآته يحيي الرجل، وهو يلتفت إليها، يتبادلان النظرات سريعاً، أوماً الموسيقى برأسه لها وأومات.
- كيف لي أن أرفض مثل هذا الطلب!
- نظرت «أمارا» إلى «ميناندر» متسائلة عما يمكن أن تقوله، إلا أنه قاطع النظرات بينهما بالقول:
- طبعاً، يجب أن تعزفي، وسلمها الآلة.
- للحظة، شعرت «أمارا» بالذعر، عقلها فارغ، لا تتذكر نغمة، لا تتذكر كيف تعزف نغمة. نظرت إلى الأعلى ورأت

الناس يحدقون فيها، يا لهم من فضوليين، ينتظرون سماع ما ستؤديه، حتى «ديدو» تراقب أيضاً.

- غني معي!

- ماذا تفعلين؟ لا يمكننا الغناء هنا!

- ماذا عن أغنية الحب تلك التي علمتها إياها سالفيوس؟ خدا أمارا تحترقان على أمل أن تعزف على القيثارة قبل أن تعيدها إلى صاحبها.

- لا أعتقد أنه يمكنني تذكر ذلك! قالت ديدو، لكن أمارا بدأت فعلاً في العزف على الأوتار بالريشة.

الملاحظات الأولى صدمتها، فالآلة التي بين يديها الآن ليست كالآلة التي تعرفها، إنها آلة غير مألوفة، فيها سبعة أوتار، وليس عشرة، ويستغرق الأمر بعض الوقت لتحديد الأوتار التي ستعيد إنشاء الأغنية الشعبية عليها. ركزت بشدة للحصول على الموسيقى بشكل صحيح، إلى درجة أنها نسيت الجمهور، حتى أنها نسيت وجود «ميناندر». مع كل لمسة للأوتار، تزداد ثقتها بنفسها قليلاً، وتبدو الموسيقى أحلى قليلاً. انطلقت في البيت الأول، فمنحها هذا شعوراً بالارتياح، ثم انضمت «ديدو» إليها.

صفق الحشد، و أخذ بعضهم يفني ، مما ساعدهما على تذكر الكلمات. إنها تدرك أن «ميناندر» يتسم، ويومئ برأسه لتشجيعها، ولكن من الصعب أن تراه بينما يحوم الراقصون ويقفزون أمامها. بدلاً من ذلك، نظرت إلى «ديدو» التي منحها الأداء ثقة شخص غريب. إنها

تتجراً على المشي في الشوارع الآن.

رمقتها «أمارا» بنظرة، وشرعتها في الغناء لبعضهم بعضاً. أصبحت الأغنية محادثة، بمرور النظرات، واللفتات، والشعور، حتى وهما تغنيان الكلمات نفسها. تكرران الأغنية، لكن هذه المرة تظل «أمارا» صامتة عندما تغني «ديدو» دور الراعي، وتفهمها، بينما تترك «ديدو» دور المرأة لـ «أمارا». يروون القصة كثنائي، يلعبون مسرحية كوميدية، «ديدو» تتوسل أكثر من أي وقت مضى، و«أمارا» سخيفة بشكل متزايد في رفضها الفخور. في النهاية، تتظاهر «ديدو» بانهارها وكسرة القلب، ما أرسل موجة من الضحك عبر الحشد الصغير.

ضحكت «أمارا» أيضاً وهي تبحث عن «ميناندر» على أمل الحصول على موافقته. لم تستطع رؤيته، صدمها غيابه، لكنها عالقة في هذه اللحظة إلى درجة أن الحزن لا يبتلعها. شابان في المقدمة يصفقان ويهتفان مطالبين بأغنية أخرى، وينضم إليهم آخرون. نظرت «أمارا» إلى الحشد، وإلى الوجوه التي تراقبها، إنها قوة لم تشعر بها من قبل، هذا الشعور بأنها قد تشكل توقعات الآخرين، أو تكبح رغباتهم، أو تطلقها. انحنت مرة أخرى على القيثارة، وقالت بصوت عالٍ:

- نحتفل بإلهة الحب. ربما تسمح لنا بغناء ترنيمة لعشيقتنا أفروديت؟

إنها لا تبذل أي جهد لإخفاء لهجتها الأجنبية، وتتعمد

تسمية فينوس بلقبها اليوناني. صاح الرجلان في المقدمة
بالموافقة. التفت «أمارا» إلى «ديدو» وتحدثت بهدوء:

- إذا غنيت لك بيت شعر باليونانية، سطرًا بسطر،
فهل ستتمكنين من إعادته إليّ؟
- أعتقد ذلك.

ضربت «أمارا» على القيثارة بالريشة، وارتفعت الأوتار
بسرعة وإصرار. تعيدها الذكريات على الفور تقريبًا إلى
منزل «كريمس»، والطريقة التي كان يشاهدها بها في
ضوء المصباح بجشع ثعلب ينتظر فريسته. لم تكن قد
تعلمت هذه الأغنية عندما كانت طفلة... الذاكرة تجتاحها
بممارتها. تتخيل «أمارا» نفسها مرة أخرى عند قدمي
«فينوس» الملونة، تتنفس، وتتذكر شعور الأس المسحوق
تحت أصابعها، ورائحته الحلوة.

أفروديت، رقيقة الروح الخالدة،

ابنة الرب، حائك الحيل، أدعوك..

لا بحذر يا سيدة الرهبة، ولا بمعاناة،

أفديك بروحي!

استمعت «ديدو» باهتمام، وعيناها لا تغادران وجه
«أمارا». تكرر كل سطر مرة أخرى بنبرة منخفضة، ويلتقط
صوتها جودة الأغنية. إنها ليست من الأغاني التي يمكن
غناؤها في حانة، مثل النغمة الشعبية، لكن جمهورها
حريص على الاستمتاع، والتأرجح مع الموسيقى، حتى أن
بعضاً يصفق عندما يلتقط الإيقاع.

في الجزء الثاني، أطلق أحد الشبان صيحة اعتراف ،
 وصفع رفيقه على ظهره. نظرت «أمارا» إليهما عن كثب،
 كان الرجل يتزين «ببروش» باهظ الثمن يربط به عباءته.
 إنه من البرونز، المطعم بالحجارة الحمراء. ابتسمت،
 وتوجها نحوها. كان الزوجان في حالة سكر، لكنهما
 مدركان ما يجري، وحريصان على مغازلتها. اقتربا قليلاً،
 وصرخا، ومن خلفهما لمحت شخصية مألوفة أكثر،
 ليس «ميناندر» هذه المرة، ولكن «فيليكس»، يحيط به
 «ثراسو»، يراقبها هي و«ديدو» بتعبير كانت ستعتقد أنه
 سحر، إذا كان من أي رجل آخر، لعله يفهم، أخيراً، ما قد
 تستحقانه.

وصلتا إلى الجزء الأخير وكما كانت تأمل، دفع الشابان
 نفسيهما إلى الأمام.

قال أحدهما وهو يضع يده على ذراعها:

- سافو⁽¹⁾؟ إنه أثن من أن يكون في مهرجان فيناليا،
 أليس كذلك؟ من أنت من النساء؟
 انزلق «فيليكس» بينهما، سريعاً كالدخان.

- الفتيات لي ...

لم تره «أمارا» يتحدث مع رجال من هذا النوع من
 قبل. إنه أخف من السكارى، لكنها تعرف من سيفوز في
 قتال بالأيدي.

- إنها مثالية لـ «زويلوس»، ألا تعتقد ذلك؟

(1) اسم شاعر إغريقي

قال الرجل لرفيقه، وهو لا يكاد يعترف بحضور سيدها،
بينما الآخر يضحك بشكل هستيري، ويصفع فخذيته:

- عليك أن تفعل يا كوينتوس! عليك ذلك!

ابتسم «كوينتوس» لـ «فيليكس»، بتلك الابتسامة التي
يظهرها الرجل الغني للخدم:

- بكم تَوجر الاثنتين في المساء؟

- طوال الليل؟

فهمت «أمارا» أنه يلعب للحصول على الوقت،
ويحاول تقويم المدى الذي يمكنه دفع الرجل إليه. إنها
تشعر بدفء ضغط جسد «ديدو» بالقرب من جسدها.
دورهما الصحيح في هذا التبادل هو الصمت، لكن
هناك طرقاً أخرى للتواصل، ومنها مسحة قصيرة من
أطراف الأصابع.

- بالطبع طوال الليل، يا رجل! نريدهما أن تزينا
حفلة مضيفنا الموقر! لا بد أنك سمعت عن زويلوس؟
أول حرفي بومبي.

«فيليكس» نفسه حر، ما جعل «أمارا» تشك في أنه لا
«كينتوس» ولا صديقه لهما أي عبيد في أسلافهم، إلا أن
سيدها يميل رأسه بلطف، ويقول:

- لمثل هذا المضيف... خمسون دينار.

الرجل الذي يدعى «كوينتوس» لا يتوانى:

- اتفقنا.

- طبعاً، إذا كنت تريد القيثارة أيضاً، سيكون لذلك عشرون أخرى.

حتى «كوينتوس» ليس غيباً إلى درجة أنه لا يفوت حقيقة أنه تعرض للخداع، لكنه من الواضح أنه لا يرغب في المساومة مثل البقال، لذا أجاب:

- جيد جداً. يمكنك الآن الحصول على عشرين كضمان للباقي.

حان دور «فيليكس» للتردد، بينما أملت «أمارا» ألا يقوم بإخراج أوراق الرهن، وأصر على أن يوقع الرجال على وعد بالمال الإضافي بدمائهم. عشرون ديناراً هو بالفعل أكثر مما كانت تكسبه هي و«ديدو» بين عشية وضحاها في المبنى. وبالتأكيد، لا بد أنه يفهم أن رجالاً كهؤلاء يتاجرون بأسمائهم طوال الوقت؟

انحنى «فيليكس» مرة أخرى، وقال:

- لمثل هؤلاء العملاء الكرام، من دواعي سروري.

قام «كوينتوس» بفرقة أصابعه، ومن اللامكان هرع العديد من الرجال خارج الحشد. من المؤكد أن هذا الزوج لن يذهب إلى أي مكان من دون حاشية من العبيد للحماية. قال:

- عشرون للرجل المحترم. أوماً برأسه إلى فيليكس.

أخرج العبد الأكبر سناً حقيبة مخبأة جيداً تحت عباءته، بينما تقدم «ثراسو» إلى جوار الرجال، بما يضمن حجب التجارة عن الأنظار من خلفهم، وأمكنها أن ترى

الموسيقار يندفع لإلقاء نظرة. لم يعد بيتسم لها، لكن جالوس» يتبعه في خطوته. يجب أن يكونوا قد عقدوا بالفعل صفقة على قيثارته. إنها تأمل أن يكون ذلك مبنياً على وعود وليس على تهديدات.

- كوينتوس فابيوس بروكليوس.

قال سيدهم المؤقت، وأظهر فيليكس الخاتم.

- إلى أين أرسل الدفعة؟

- إلى جايوس تيرينتيوس فيليكس ليبرتوس، في المؤسسة المقابلة لفندق «الفيل».

- عرين الذئاب؟

غرق كوينتوس في الضحك بشدة، وقالت:

- ماركوس! لقد عقدنا صفقة مع مبغى المدينة!

انتظر حتى أخبر الآخرين أننا أحضرنا لزويلس زوجاً من الذئاب!

لم يدافع «فيليكس» عن عمله، فالوعد بثروة صغيرة بلا شك يوفر بلسماً كافياً لتهدئة كبريائه. أدركت «أمارا» أنه لا ينبغي لها قول أي شيء، ولكنها تريد إعادة تأكيد وجودها، وقالت:

- آمل أن نكون سبباً في سعادتكم، نحن نرغب فقط في الخدمة.

- عزيزتي! وضع ماركوس ذراعاً حولها وديدو، ونفتش النبيذ في وجوههم، وقال: أنتِ مثالية.

-14-

لقد كان الأمر مثل مسرحية كوميدية أكثر من كونه عشاء محترمًا.

بيترونيوس، ملحمة الساتيريكون: «عيد تريمالثيو»

ألقى الغسق ضبابه على الشوارع أثناء سيرهم إلى منزل «زويلوس»، حيث أظلمت المباني الحجرية، و فوجئت «أمارا» بعدد الرجال في الحشد الذين ينتمون إلى «ماركوس» و«كوينتوس». ستة من العبيد يتبعونهم الآن، فرقة صامتة وقائية، بينما يتقدم اثنان آخران بمصابيح الزيت. تأبط «كوينتوس» ذراعها، واستحوذ «ماركوس» على ذراع «ديدو».

- ماذا تفعلان لدى القواد ناعم الملمس الصغير؟
سأل كوينتوس، مساعدًا إياها على نقطة انطلاق، كلاكما جميلة جدًا. هذا فضلاً عن صوتيكما الجميلين!

- شكرًا. أجابت أمارا

إن تشويبه لـ«فيليكس» يعطيها شعورًا غريبًا، فعلى الرغم من كل كراهيتها له، تدرك أنها يجب أن تشاركه

بعض الإحساس بالتماهي معه. بالنهاية هو يملكها،
فتقول:

- اعتدت أن أكون حرة. في أتিকা. كان والدي طبيباً
في أفيدناي.

- لا أعتقد أن والدك القديم علمك أغاني سافو!
قال مدهوشاً؟

- لا

لقد تعلمت ذلك بصفتي محظية.

- نعم، أنا متأكد من أنك تعرفين الكثير من الحيل.

توقف لينظر إليها عن كثب، كما أن العبيد في المقدمة
توقفوا أيضاً، وفقاً لحركات أسيادهم، ثم قال:

- هل أخبرك أحد من قبل أي شفاه جميلة لديك؟
حمراء، مثل قلب الرمان.

أدركت «أمارا» الدور الذي يريد لها أن تلعبه، ابتسمت،
وعيناها الداكنتان تعدان بكل ما قد يرغب في رؤيته.

- يا ... اشتكى ماركوس، وضرب صديقه على ظهره
لمقاطعة قبله: لقد تأخرنا بالفعل على «زويلوس».

- اللعنة. أنت محظوظ لأنك حصلت على حفنة من
أجمل البغايا اللعينات اللواتي رأيتهن في حياتي.

رد كوينتوس:

- أنا محظوظ لأنني أخذت هذه ولكز بكتفه أمارا
في إشارة اعتذار لا إساءة. إنها أجمل. لديها فم يثير كل

الغرائز الجنسية. أحب ذلك.

- وأنت جريء. أنا أحب ذلك أيضاً. قالت أمارا.

أدهشتها دائماً الطريقة التي يتقبل فيها الرجال الإطراء من بغي على الرغم من أنها في هذه الحالة ليست كذبة كاملة. يمكنها أن ترى أن «ماركوس» و«كوينتوس» يختلفان عن الرجال الأثرياء في الحمامات. بلا شك، في نهاية الليل، سوف يتوقعون الخدمة نفسها، لكن أمسية كاملة من الترفيه والمحادثة والغناء هي المقدمة. ينبض قلبها بشكل أسرع، وهي تنظر بقلق إلى العبيد الذين يحملون القيثارة. لقد مر وقت طويل منذ أن شعرت أنها على قيد الحياة هكذا.

ساروا على طول طريق فيا فينيريا إلى نهاية المدينة الأقل أناقة، وليس بعيداً عن باليستر. توقف العبدان اللذان يحملان المصابيح خارج مدخل مرتفع، وأبوابه الخشبية الضخمة مضاءة. كان الضوء ينعكس من الداخل، ويضيء بشكل على عتبة الباب الرخامية. سأل كوينتوس ماركوس:

- كيف سنقوم بذلك؟ الملابس هي جزء من النكته، ولكن سيكون الأمر أكثر تسلية إذا لم يلاحظ حقيقتها.

- ألن تنزعج زوجة الرجل العجوز قليلاً من المنظر المقرز إذا دخلنا مع فتاتين عاريتين؟ إنها فيناليا!

- من المفترض أن تكون الفتيات عاريات!

كلا الرجلين ينظر إليها بانتظار إجابة. باختصار، تنظر

في حالة ملابسها وملابس ديدو. الألوان زاهية، لكنها تعرف أن القماش يميزها على الفور أنها رخيصة. هناك عدد قليل من الجرائم في بومبي أكبر من الفقر. سوف يشي الدخول العاري بوضعهن ، ولكن ربما ليس كأشياء للازدراء التام. أمالت رأسها نحو «ديدو»، سؤال صامت بينهما، وتمهلت قليلاً في الإجابة، ثم ابتسمت ابتسامة واسعة في وجه «كوينتوس»، وقالت:

- أقول عراة.

صاح بفرح، وساعدها على الخروج من عباءتها، وسلمها إلى أحد العبيد الذين طالت معاناتهم في حاشيته، ثم عمل بحماس على خلع التوجا التي ترتديها، في خطوات قليلة. تلاحظ «أمارا» أن حامل الملابس هو الرجل العجوز الذي يحمل المحفظة، الذي يحول عينيه بدلاً من النظر إليها.

- هل أنت واثقة؟ أنت لا تمانعين أليس كذلك؟

قالت «ديدو» وهي تتوجه نحو الأسفل مبتعدة عن التوجا التي كانت تغطيها:

- لطف كبير منك أن تسأل.

- أنتما الآن في أفضل الأحوال.

حوّل كوينتوس نظره من امرأة إلى أخرى، وكلتاها تقف عارية ترتعش على عتبة منزل زويلوس.

ساروا فوق فسيفساء جميلة بالأبيض والأسود لكلب مزمجر، على طول الرواق الضيق، ثم خرجوا إلى أكبر

ردهة رأتها «أمارا» على الإطلاق، إنها أكبر بخمس مرات على الأقل من منزل «كريمس»، وهو نقطة المقارنة الحقيقية الوحيدة لديها. تموج الفسيفساء من المدخل إلى الخارج بأنماط أكثر تعقيداً، تتدفق إلى غرف مظلمة أخرى تحيط بالقاعة. وضعوا صينية من الفضة الصلبة إلى جانب بركة كبيرة لتجميع مياه الأمطار. كان ضوء القمر يتسلل من الفتحة في مركز السقف ليضيء على سطحه المصقول، وانعكاسه الباهت يتردد في الماء. أشياء ثمينة أخرى - كؤوس وألواح ومصابيح - مكدسة في كومة في الأعلى، يبدو أن هنالك الكثير مغطى بالذهب، إذا جمعت معاً، فإنها تعلم أن الأمر سيكلف أضعاف الثمن الذي دفعه لها «فيليكس».

خلفها، يتفاوض عبيد أسياها الجدد مع بواب «زويلوس»، ويؤكدون أنهم أتوا إلى الحفلة كضيوف مدعويين، إلا أن البواب لا يبدو سعيداً بشيء ما، ولا شك في وجود امرأتين عاريتين، بينما تتسلل إلى سمعها كلمة «ممثلات» تتكرر في النقاش الغامض.

- من هنا، قال كوينتوس، وهو يلوح بيده كما لو كان يقودهم إلى منزله: السيد سيكون في غرفة الطعام مع ضيوفه.

قاومت «أمارا» الرغبة في الالتفاف على حافة الطريق، وتبعته «كوينتوس» بثقة لا تشعر بها كثيراً. كانت تصك أسنانها معاً لمنع نفسها من الثرثرة. حينما وصلتا إلى البركة الرخامية والمائدة الفضية، رن صوت نباح شرس.

تشبثت هي و«ديدو» ببعضهما بعضاً، وكادت أن تتعثرا في الماء من الخوف. نظرت إلى الورا، فرأت كلباً يجاهد سلسلته على الجدار البعيد، وتيقنت أنهما بعيدتان عن متناوله. صرخ البواب في وجهه ليصمت.

ضحك كل من «ماركوس» و«كوينتوس»، ثم قال الأخير:

- مثالية! وهو يضربها بلطف، في لفتة تذكرها بفيليكس أنتما الاثنان مثاليتان تماماً

مروا عبر حديقة ضخمة، وتجولوا حول الرواق الملون حيث مشاهد من أساطير «هرقل» تومض في الأفق وخارجه، وفي وسط العشب، تنير نافورة بمصابيح معلقة، يتساقط رذاذها في الظلام كالنجوم. همست ديدو:

- يا لهذا المكان! أين نحن؟

- هل أحببتما المنزل إذن، يا سيداتي؟

- إنه جميل. ردت عليه أمارا.

- زويلوس نال حريته.

يقول كوينتوس والازدراء واضح في الطريقة الدقيقة التي يشدد بها على الكلمة: من يعرف! إذا حصلت على حریتك يوماً ما، فربما يكون لديك منزل مثل هذا.

منزل فيه مال، ولكنه من دون طبقة. نوع المكان الذي تجده البغي مثيراً للإعجاب. لا يمكن أن يكون المعنى من وراء زيارتهم، والذي قاومت «أمارا» الاعتراف به أكثر وضوحاً. يهدف وجودها هي و«ديدو» إلى إهانة المضيف، هدية لتمثيل قيمته المنخفضة. يمكنها أن تشعر أن خديها

يحترقان في الظل. مهما كان «زويلوس»، فإنها ستحاول ألا تلحق به العار، أو بنفسها.

عبروا حديقة مسورة كبيرة، أشجارها العالية كثيفة، وحتى من دون دليلهم «كوييتس» سوف يجذبهم صوت الضحك المرتفع والمحادثة. كانت منطقة تناول الطعام في الخلف، نصفها في الحديقة، ونصفها الآخر في غرفة مطلية لتبدو وكأنها مغارة. يقطع مجريا ماء اصطناعيان المنطقة، حيث يجلس رواد المطعم، ويتكئون على أرائك موضوعة على حافة المياه.

- زويلوس، شريكي العزيز...

قال كوييتوس، بطريقة تبدو وكأنها محاكاة ساخرة لرجل من طبقته بينما يتقدم نحو أريكة المضيف - أنا آسف جداً لأننا تأخرنا. أبي - للأسف - لم يستطع القدوم، لكنه أصر على إحضار اثنتين من ممتلكاته الثمينة للترفيه عنك. زوج من الممثلات الصغيرات اللطيفات. ما الذي يمكن أن يكون أكثر ملاءمة للاحتفال بفيناليا؟

سمعت «أمارا» أصوات الهمهمة والغمغمة من الزبائن الآخرين، إلا أنها وقفت شامخة، تنظر إلى الأمام مباشرة، متجاهلة الضربات العنيفة لقلبها.

لم ترسم «أمارا» صورة واضحة عن «زويلوس» في ذهنها، لكن الرجل الذي يرقد أمامها لا يشبه ما كانت تتخيله، وهو محاط بقطع القماش باهظة الثمن، نعم، ولكن على الرغم منها تفضحه العيون العصبية المتساقطة،

والفم الرقيق الذي يرتعش مثل الماعز عندما يمضغ. الآن يبدأ هو بدوره التحديق فيها، و«ديدو»، وجهه مجمد من الارتباك، فتمعق شعورها بالخزي.

قال متلعثمًا في النهاية:

- آه كيف ذلك؟ ما ألطف الشباب أليس كذلك، يا حبيبتي؟ أليس فعله هذا عصريُّ جدًّا، ألا تعتقدين ذلك يا «فورتوناتا»؟ جلب الممثلات؟

«فورتوناتا»، التي تتكئ بجانب «زويلوس»، لم تقوت الإهانة، لديها وجه حاد وذكي، يشوبه مكياج كثيف، يتراكم أكثر على جبهتها على شكل كتل لإخفاء» علامات العبيد و إذلالها السابق.

- نعم يا زوجي، عصري جدًّا.

ضحك بعض الحاضرين، وابتسمت «فورتوناتا» ببرود لضيفها الجديدين، متجاهلة الفتيات العاريات تمامًا. ابتسم «كوينتوس»، لكن «ماركوس» كان لديه من الحشمة ما يكفي ليبدو غير مرتاح، هاجم «زويلوس» زوجته منزعجًا:

- عليك أن تسامح فورتوناتا، إنها قديمة الطراز نوعًا ما. من فضلك قل لوالدك إنه شرف لي. أمل أن أزوركم قريبًا لأقدم شكري شخصيًا.

- يجب أن تدعهما تغنيان لك، هذا سيسعده أكثر. ليعلم أنهما قد أسعداك.

قال «زويلوس»، وهو ينظر إلى «أمارا» و«ديدو» من دون حماس كبير:

- جيد جداً، جيد جداً. لكن أولاً، يجب أن تستمتعوا بتخصص طباطباخي الجديد. نحن على وشك تقديم الطعام. قادهم عبد يرتدي الحرير الأخضر اللامع إلى أريكة كبيرة فارغة. رأت «أمارا» بحسرة أنهم يوضعون في واحدة من أرقى المواقع. يجب أن يكون «زويلوس» قد أراد حقاً إثارة إعجاب والد «كوينتوس».

اتكأ الرجلان، وانضمت إليهما هي و«ديدو»، إنها تدرك أن الضيوف القريبين يحدقون، وتقول لنفسها: «إنني لست خجلة»، بينما كان «كوينتوس» يمرر يده على صدرها وأسفل ظهرها. ظهر عبد آخر، يرتدي اللون الأخضر الفاتح نفسه، ومع طبق من الفضة، يسلمهم جميعاً كؤوس النبيذ.

- هل رأيت وجه فورتوناتا؟ انتقد كوينتوس ماركوس، وهو يأخذ رشفة، كادت أن تقفز من مكانها تلك البغي الصغيرة. اشربي يا عزيزتي، هذا هو أغلى نبيذ في فاليرنيان يمكن تذوقه على الإطلاق.

- ألفا سسترس هو سعر الجرة، علق صوت عالٍ من الأريكة المجاورة لهما:

- فقط أفضل النبيذ لدى زويلوس. وأفضل منزل في المدينة. أراهن أنك مسرور بدعوته لك. من المؤسف أن والدك العجوز لم يتمكن من المجيء. إذن الممثلات هن الشيء العصري الآن؟

كان الرجل الأكبر سناً في حالة سكر إلى درجة أنه لم

يلاحظ ازدراءهم: يجب أن أقول إنني مع «فورتوناتا». كل هذا عصري بعض الشيء بالنسبة إليّ، حتى بالنسبة إلى يوم مهرجان فيناليا.

سأله ماركوس:

- ألم تكن فورتوناتا ممثلة في الماضي؟
 - لا أعرف من قال لك ذلك! إنها امرأة حرة محترمة. العلامات... أوافق، هم... حسناً، إنه أمر مؤسف؛ لكن هذا كان من الطفولة. قبل أن تكون في منزل سيدها القديم، ما قبل السيد زويلوس، أعني.

أقلت «أمارا» نظرة على الأريكة حيث يتكئ المضيفون، ويسقط شلال في الممر المائي تحتها مزين بالدلافين المنحوتة. تعرف الآن أنه تم استبعاد «فورتوناتا» وهي طفلة، وتتساءل كيف كانت حياتها الصغيرة. إنها تأمل أن يكون العبد السابق يتمتع بثروتها الآن.

يقول كوينتوس:

- حقاً؟ يا له من أمر رائع!
 - لم يكن عليه أن يتزوجها. زويلوس أعني. لكن هل تعرف ما قاله لي، مال الضيف إليهم، حتى كاد يسقط الأريكة في حالته الكئيبة، قال:

- لم أستطع الوقوف ومنع الرجال من مسح أيديهم القذرة بفورتوناتا عند العشاء، وكأنها منديل سخيف. حررتها طبعاً، و تزوجتها، هذا هو الحب.

- جميل ...

همهم ماركوس، بينما شعرت أمارا أن كوينتوس يهتز من الضحك إلى جوارها، قالت:

- أعرف الكثير من الأغاني عن الحب. قليلون يكشفون عن مقدار من الإخلاص الحقيقي كما أظهر زويلوس لفورتوناتا.

أوماً «نيقيا» برأسه بقوة.

- أنت محقة، هذا صحيح. هذا صحيح.

يجب على «ماركوس» أن يخفي ضحكته على أنها نوبة سعال. يميل «كوينتوس» عن قرب، ويتنفس في أذنها:

- فتاة مثالية.

التفتت «أمارا» وابتسمت له. لقد فهمت أخيراً كيف يمكنها ترفيه جميع الجماهير في هذه الحفلة. «كوينتوس» جاهل للغاية، إلى درجة أنها لا تفهم أنه كان صادقاً. الآن هي آمنة لتقديم احترامها لمضيفها، الرجال الذين أتوا بها سوف يتخيلون فقط أنها وسيلتهم للاستهزاء به.

صارت الآن مرتاحة أكثر مع نفسها، نظرت «أمارا» على ذراع «ديدو»:

- هل تصدقين ما يحدث هنا؟

همست «أمارا» وهي تنظر إلى الضيوف الآخرين، وهي مستلقية على الأريكة إلى جانب الشلالات، بينما تتوهج العشرات من مصابيح الزيت بالضوء وتطلق حرارة تجعل عريها أسهل تحملاً. لا أحد هنا يعاني من نقص الملابس. بعضهم يتعرق تحت وطأة ثرواتهم المادية.

وهناك امرأة ترتدي عصابة رأس ثقيلة بالمجوهرات، وهي تكافح من أجل الاتكاء على مرفقها. همست ديدو:

- لا يمكننا غناء تلك الأغنية الشعبية القديمة في حفلة كهذه. لا نستطيع.

قال كوينتوس:

- أعتقد أنك ستجدين ما تستطيعين غناؤه، لكن أولاً، كلي من هذا الطبق الجديد للرجل العجوز.

دخلت مجموعة من الرجال الذين يرتدون ملابس قرمزية، ويحملون طبقاً ضخماً على أكتافهم، بالطريقة التي ترى فيها العبيد يحملون قمامة في الشوارع. توجد فطيرة ضخمة في الأعلى، مع غطاء معجنات مصنوع ليبدو وكأنه بجعة.

سحب نيقيا نفساً عميقاً محاولاً تتبع الرائحة، وقال:

- يا للعار، لقد فات الأوان على المأكولات البحرية قنafd البحر تلك كانت حقاً شيئاً ما.

- كيف تعرف «زوليوس»؟ سألته ديدو، وهي غير قادرة على رفع عينيها عن الفطيرة الوحشية.

- إنه أعز أصدقائي. يا لتلك الأوقات التي عشناها معاً!

قال «نيقيا» بصوت مملوء بالعاطفة الجياشة:

- أحب أسيادنا القدامى بعضهم منذ الصغر. وقد فعل الزوجان خير الصنيع مع زوليوس ومعني في النهاية. لقد ترك لي سيدي حريتي في وصيته، وإن لم تكن الثروة

معها أيضاً. ملاً كأسه، وطلب المزيد من النبيذ، فانطلق صبي يرتدي اللون الأخضر حاملاً إبريق نبيذ فضياً كبيراً. لم يكن هذا الموسع القديم يملك كل هذا في أي وقت مضى، لكن يمكن لـ «زويلوس» تحويل أي شيء إلى ذهب، لقد فعل ذلك دائماً.

لا يمكن لـ «أمارا» أن تتخيل أن «فيليكس» يتركها حرة بإرادته، وكأنها رداء يتخلص منه، ناهيك عن حرقتها. يكاد يكون التفكير في جعلها وريثته كوميدياً.

- سترون الآن. قال لهم نيقيا وهو يشير إلى الفطيرة العملاقة: ستحبون هذا.

- وقف العبيد الذين يحرسون الفطيرة جانباً، بينما تقدم رجل آخر يرتدي الأحمر نحوها، ولوح بسكين ضخم. انحنى لسيدة وأزاح المعجنات المزخرفة، رفع الغطاء ووقف في الخلف. كان من المفترض أن يظهر شيء ما، لذلك انحنى الطباخ، ونقّب بسكينه، فانطلقت حفنة من العصافير في حالة ذهول مغردة، انهار اثنان منهم قبل أن يبتعدا عن الطبق، و خيم صمت رهيب؟

صرخ كوينتوس ، وهو يصفق من على أريكته:

- برافو، أحسنت!

انضم الضيوف الآخرون، بتردد في البداية، ولكن بعد ذلك تصاعد التصفيق.

ألقت «أمارا» نظرة على «زويلوس»، ورأت الامتنان على وجهه، بينما بدت «فورتوناتا» غاضبة.

تمتم نيقا: «يا له من عار! كان من المفترض أن يكون سرّياً من العصافير يطير باتجاه فينوس. يجب أن يكون معظمها قد اختنق في الحرارة. كان ينبغي لهذا الطباخ أن يصنع ثقباً أكبر لتتنفس.»

أرجح «كوينتوس» ساقيه عن الأريكة ووقف، قائلاً:

- مضيبي الموقر، أثناء تقديم الطبق، أصر على أن تستمتع بالمسرات الحلوة لأداء موسيقي. وأشار إلى أحد عبيده الذي قدّم القيثارة بانحناء.

تمنت «أمارا» ألا يكون الضوء قوياً بما يكفي للكشف عن الأداة الرخيصة. في هذا المنزل المصنوع من الفضة المشغولة والذهب المطروق، ستبدو وكأنها لعبة الفلاحين.

قال زويلوس، وهز برأسه بقوة:

- نعم، شكراً لك إنه من دواعي سروري. أخذت «أمارا» القيثارة وساعدت «ديدو» على النهوض عن الأريكة. توقفتا لحظة، لتمنحا القوة لبعضهما:

- سنغني ترنيمة سافو أولاً ، سوف تبتسم لنا أفروديت، لا أحد من المصلين لها جميل مثلك. سارت «أمارا» باستقامة نحو التيار، وخطت فوقه متجنباً مصابيح الزيت العائمة، وتبعها «ديدو» في فعل ذلك، ثم وقفتا جنباً إلى جنب بين الممرات المائية في وسط التجمع، لمع وهج الضوء المنبعث من السنة الذهب على جلديهما. إنها تشعر بالامتنان الآن لأنهما تركتا

ملابسهما عند الباب، فهي لا تخجل من جسدها كما تشعر بالخجل من ملابسها. همست لـ «ديدو»، ثم توجّهتا معاً نحو المضيف وانحنيتا له.

استلقى «زويلوس» و«فورتوناتا» على أريكتهما يراقبان. إنها تعرف أنها لا تستطيع التحدث إليهما بوقاحة بغي، ولا حياء ابنة الطبيب، لا توجد لغة من ماضيها أو حاضرها تصلح للحديث هنا، لذا سيكون عليها تصميم واحدة جديدة.

- اسمينا هما أمارا وديدو، نحن ضيوفك الأكثر امتناناً. نحن هنا للاحتفال بفينوس بومبيانا. وفي حديقة بهذا الجمال، كانت إلهة الحب تتخيل نفسها في بساتين أوليمبوس، لذا اختارت أن تكرمنا هنا الآن بحضورها، أومأت برأسها نحو فورتوناتا، التي تنظر بعيداً، نحن - كما ترون - أضعف خدامها. لكن الليلة - في فيناليا - حتى المصلون مثلنا لهم مكان.

أخذت أمارا القيثارة، ووضعتها بين ذراعيها، وحاولت تجاهل الريشة التي تترجف في أصابعها، وتضرب على وتر حساس. ومن يمدح أفروديت أفضل من ابن الإله زيوس العاشر، الملقب بـ المتأمل، شاعر ليسبوس؟ واستدارت لتبتسم في وجه كوينتوس.

بدأت «أمارا» و«ديدو» أغنية «سافو» بعصبية في البداية، ولكن مع كل سطر، بينما تغنيان الأبيات ذهاباً وإياباً، تجدان فرحتهما في الموسيقى. تتأرجحان على الإيقاع، وتقلدان حركات بعضهما، تماماً كما تكرر

عبارات بعضهما. أرشدت «ديدو» صديقتها إلى الاستدارة أثناء الغناء، والتركيز على الضيوف المختلفين، وجذبهم. لم تستطيعا جذب الجمهور كله - لقد عدت «أمارا»، مضيفتها «فورتوناتا» قضية خاسرة - ولكن من الواضح أن العديد من الرجال يستمتعون بالأداء.

في نهاية الأغنية، انحنتا، وصرخ «زويلوس»، والارتياح باد على وجهه، ربما كان يتوقع شيئاً آخر، لكنه يقول:
 - ساحر، ساحر. عميق الامتتان لوالدك يا «كوينتوس».

- يجب أن تدعهم ينتهون بمنعطف كوميدي، قال كوينتوس، الممثلات الأفضل يفعلن ذلك.

نظرت «أمارا» إلى «ديدو» التي رفعت حاجبيها. أي خيار لديهما؟ لا شيء له سوى استبعاد شعب «سالفياس» الكبير. هناك احتجاج آخر منمق إلى «فينوس» تشعر بأنه مفرط، لذلك تبدأ «أمارا» في العزف على أوتار قيثارتها من دون تفسير. وتطلق «ديدو» مباشرة إلى دور الراعي، وشبكت يديها على صدرها بنحيب من اليأس الوهمي. نظر الضيوف إلى بعضهم بعضاً، وهم غير متأكدين قليلاً من كيفية إجراء التغيير في النغمة، لكن «أمارا» كانت تدور حولهم قبل تكثيف الميلودراما بصفاتها العشيقة المحترقة.

هتف «كوينتوس» و«ماركوس» بصوت عال في كل جوقة، ويبدو أنهما يستمتعان بالأداء أكثر مما فعلاه في

المنتدى. رواد الحفل الآخرون بدوا أقل استمتاعًا؛ لكن انهيار «ديدو» في النهاية نجح في إثارة بعض الضحك، والأفضل من ذلك كله، أن وصول الأطباق الحلوة أنهى أداءهما من دون الحاجة إلى وداع مجهد.

شعرت «أمارا» بالدوار من شد الأعصاب والإثارة ونقص الطعام، وهما تشقان طريقيهما عائدتين إلى الأريكة.

جلس رجل ثالث منتصبًا بين مرافقيه، مرتديًا عباءة من الأزرق الكحلي، وكأنها قدّت من سماء منتصف الليل. قال ماركوس، وهو يحاول صفع صديقه على ظهره، كان من الواضح أن نبيذ زويلوس قد وصل إلى رأسه:

- هذا «كورنيليوس» كورنيليوس! أسد قطيع المحررين! إنه يشارك في نكتنا الصغيرة.

«كورنيليوس» أكبر من «ماركوس» و«كوينتوس»، وتحديقه عندما استقبلهما، كان أصعب وأكثر معرفة، شددت «ديدو» على ركبتهما، مشيرة إلى «أمارا» للجلوس إلى جوارها، بينما يقول:

- أستمنا جميلتين. لا أستطيع أن أقول من الأغنية الأولى. لكن هذا العرض الأخير كان سينجح في إظهار سذاجة أي شخص غير «زويلوس». ضحك ووضع يده الحرة على فخذ «أمارا»، أعلى ساقها أكثر مما تريد. مع مزيد من الحركة، وعدد قليل من الأغاني المناسبة، يمكنك أن تكوني مبهجة للغاية.

نظر إلى «ديدو» وهو يقول ذلك، ويضرب ذراعها، لقد أخذ وجهها مسحة الفراغ الذي تتعرف عليه «أمارا» كلما قام رجل بضربها، تريد أن تمسك معصمه وتوقفه، لكن «كورنيليوس» استدار نحو «أمارا»، وهو يبتسم، وكأنه يرى من خلال غضبها ويستمتع.

- ما هو شعورك حيال الأداء في حفل عشاء حقيقي؟

-15-

من يضطجع مع الكلاب يستيقظ من قرص البراغيث.
مثل تقليدي، منسوب إلى سينيكا.

خفق رأس «أمارا» من التعب، وآلمها خذاها من الضحك. إنها سعادة لا مثيل لها، أن تجلس مع زميلاتها الذئاب في حانة «السابارو»، وتسرد ملذات الليلة السابقة. لقد عالجن أنفسهم بوجبة أكبر من المعتاد، أطباق من الحمص وحساء الفاصولياء والزيتون تنتشر على المائدة.

صرخت بيرونيس ضاحكة:

- وهل غليت الطيور التي كانت في الفطيرة بعد ذلك؟ بعد كل هذه الجلبة؟

- ليس بصوت عالٍ...

تمتت كريسا، ووضعت يداً واحدة فوق عينها. كانت تتجرع النبيذ من كوب صغير في يدها الأخرى، في محاولة للتعافي من أثر ما شربته في اليوم السابق.

- كان يجب أن يأخذ هذا الطاهي بعض النصائح من مطبخي.

قال زوسكاليس من خلف البار: وكان بإمكانني تزويده
بنبيذ معقول أكثر بكثير من ذلك الذي كلفه ألفي
سيسترس في الجرة.

- هذا الكورنيليوس، الشخص الذي أحب غناءكما.
هل بدا وكأنه رجل أمين؟

نظرت «أمارا» و«ديدو» إلى بعضهما بعضاً، ثم أجابت
«ديدو»، وهي تلقي نظرة خاطفة عليه:
- من المبكر القول.

لم ينجُ من ليلة الأمس سوى وردة واحدة من الورود
التي أعطاهها إياها، علقتها في شعرها، بعدما تجمّد باقي
الإكليل في التوجا المهملة التي خلعتها عنها قبل الحفل.
قالت فكتوريا:

- هيا! ماذا حدث بعد ذلك؟

عاد «نيكاندروس» إلى المطبخ، بينما «أمارا» تهز
كتفيها:

- لا شيء مثير للإعجاب. كنت أفضل ما في الحفل.
لقد كانت نهاية غريبة لليل، إذ كان الأربعة الذين
عادوا إلى منزل «كوينتوس»، كلهم في غرفة النوم نفسها،
والعبيد يتجولون دخولاً وخروجاً لملء النبيذ.
سألتها فكتوريا:

- أنت تخبريني أنهم دفعوا سبعين ديناراً من دون
أن يهتموا؟

كان هناك ميزة في صوتها، إذ كانت تضحك مع أي
شخص آخر، لكن «أمارا» تعلم أنها محطمة لاستبعادها من

مثل هذه الليلة المثيرة. وفي الحقيقة لم تحصل أي من نساء «فيليكس» على أجر مقابل حضور حفلة منزلية خاصة.

أجابت ديدو

- كانوا في حالة سُكر. «بيرونيس» و«زوسكاليس» يضحكان. ثم يقول المالك:

- لا يمكن للمال أن يشتري لك كل شيء. بالتأكيد لا يجلب الإحساس.

- ألم يستطع رفعه بعد ذلك؟

هزت «ديدو» رأسها، لأنَّ هذا ليس صحيحًا تمامًا، إذ لم يتمكن «ماركوس» من الأداء بعد الحفلة، لكنه حقق نجاحًا أكبر في الصباح. لقد أثبت أنه عاشق مرهق، يزعج «ديدو» للحصول على موافقتها المستمرة، ويرغب في معرفة ما إذا كانت تستمتع بنفسها حقًا، حتى «كوينتوس» أدار عينيه. خمنت «أمارا» أن «ديدو» تفضل أن يسمع «نيكاندروس» نسخة أقل حضورًا من مآثرها التي يتتصت عليها «زوسكاليس» بينما يملأ الكؤوس. قالت فيكتوريا، وهي تتأرجح وتهز ذراع أمارا:

- هل كانت الليلة فاشلة بالنسبة إليك أيضًا؟ ألم يكن هناك إثارة على الإطلاق؟

شعرت بالضيق من التركيز على الجزء الأقل إثارة من

المساء. أجابت بقليل من اللوم:

- كان هناك بعض الأعمال المثيرة. إلا أنَّ الإثارة الحقيقية كانت في الحفلة، ما زلت لا أصدق أننا غنينا أغنية الحانة تلك.

وصل «فيليكس» إلى الحانة، متصنعاً نظرة الرضا المطلق عن النفس.

- وكيف حال فتياتي المفضلات هذا الصباح؟
سأل، وهو يشير بفارغ الصبر إلى «كريسا» أن تتحرك من مرماها، حتى يتمكن من الوقوف بين «أمارا» و«ديدو»، يقبلهما، واحدة تلو الأخرى، ويأخذ وجهيهما بكلتا يديه ويضغط عليهما بشدة، ثم يقول:

- زبائنكما دفعوا ديونهم. أرسلوا عبيدهم في جولة هذا الصباح.

اعتقدت «أمارا» أنه يبدو مبتهجاً، إذ إنها لم تره قط في مزاج مثل هذا.

- «زوسكاليس»! كل شيء للفتيات هو على حسابي اليوم! بعض النبيذ لنا جميعاً. ابتسم ليبيرونيس وفيكتوريا وكريسا، حتى لو لم تكسبن جميعكن.

تهتدت فكتوريا، وقالت:

- «ديدو» المسكينة لم تنل منهم، كان عشيقها يعرج مثل الملفوف.

- وعلى الرغم من ذلك ما زالوا يدفعون! نظر فيليكس إلى ديدو باحترام متجدد، وقال: يا لها من فتاة!

- لم يكن الأمر يتعلق بالعمل فقط، قالت أمارا، سمعتنا نغني. هذا ما دفعوا من أجله، وهذا ما أرادوه.. الترفيه.

- كان من الممكن أن يجعلكما ترتديان زي الدجاج، ويأمرا بالضرب على الأرداف، وكأنني أهتم.

قال فيليكس ذلك، وهو يأخذ النبيذ من زوسكاليس أثناء تحضيره، وأردف: ماداموا قد دفعوا، إذن، كيف كانت هذه الحفلة؟

- كان المنزل... ترددت ديدو، في محاولة للعثور على الكلمات التي من شأنها أن تستحضر حجم الثروة الضخم، كان هناك الكثير من الفضة والذهب! ونوافير... وأكبر فطيرة في العالم.

- من الواضح الآن السبب في أن النبيذ كلف ألفي سيسترس للجرة. يضع زوسكاليس إحدى قواريره الخاصة خلف العارضة بضربة، وتابع: إنه الجنون!
قالت أمارا، وهي تتذكر فورتوناتا وجبينها ذا العلامات الواضحة:

- كان كل شخص في الحفلة من المحررين. بصرف النظر عن الأولاد الأثرياء الذين استأجرونا، ولم يفعلوا شيئاً سوى السخرية لو كنت غنية، فلن أزعج نفسي بدعوة رجال مثل هؤلاء لمشاركة نبيذي. لماذا يستعد المرء ليُسخر منه؟

- نعم، قال فيليكس متعاطفاً، ينظر إليها ثم يستدير بعيداً. إنها لحظة نادرة من العلاقة الحميمة بينهما، لكن السؤال هو - يمد ذراعيه ويضعهما حولها وديدو - هل يمكنك تكرار هذه الحيلة مرة أخرى؟

بدأت كلتاهما بالرد على الفور، متلهفتين لإخباره بكل شيء عن «كورنيليوس»، من رداءه الأزرق إلى الأغاني التي طلبها:

- كثير جداً جداً! أشار فيليكس إلى أمارا، يمكنك شرح ذلك في الطابق العلوي. وضع يده على كتف ديدو، ودفعها إلى أسفل، وأردف: أنتِ ابقي هنا. يكفي وجود فتاة صغيرة لأذعة واحدة معي.

نزلت «أمارا» من على مقاعد البدلاء، بعد أن كان سيدها ينظر إلى صديقاتها وهن يستمتعن بوجبة غدائهن المجانية.

انشغلت «بيرونيس» بالطعام مرة أخرى، بينما «كريسا» غابت عنهم، و«فيكتوريا» تتجنب عينيها عن قصد، و«ديدو» تتفوه بأمنيتهما لها بالحظ السعيد. مشت خلفه حول الزاوية إلى الشقة. فتح «باريس» الباب، واندفع رئيسه أمامه يسحب «أمارا» على الدرج.

- هنا...

أدخلها إلى مكتبه؛ الغرفة، التي كانت تستخدم دائماً لتخويفها، بدت صغيرة بعد منزل «زويلس»، وجماجم الثيران المرسومة - والتي عادة ما تكون مليئة بالخطر - مسطحة، بعد اللوحات الجدارية الرائعة في غرفة نوم كوينتوس. إنها تتخيل نفسها فعلاً في مكان آخر، جلس فيليكس مستريحاً، وقال: - إذن متى نتوقع المزيد من هؤلاء الشباب؟

- في مهرجان فلورا .

ردت أمارا، وهي تسحب كرسيًا من دون أن تدعى، لكن، كان هناك عميل مختلف. رجل اسمه كورنيليوس. هذا الحجز هو نوع من... التجربة. إنه يريد أن

يرى ما إذا كان بإمكاننا أن نفعل ما هو أفضل. ثم قد يستقبلنا بشكل أكثر انتظامًا.

- تقدمون ما هو أفضل؟ قال فيليكس عابسًا: لقد فعلها أيضًا، ولكن، من دون أن يدفع!

- لا، إنه يريد منا أن نقوم بعمل أفضل في الغناء والرقص. لقد طلب منا الانضمام إليه في الليلة الأولى من المهرجان الشهر المقبل، مهرجان فلوراليا، لأداء حفلة خاصة. لم يستخدم أيًا منا. على الرغم من أنني متأكدة من أن ذلك سيكون جزءًا من السعر. قال لي أن أخبرك أنه سيكون السعر سبعين للتجربة، وتسعين للحجوزات المستقبلية.

قال فيليكس وهو يأخذ ملفاته من الدرج، ليسجل المبالغ التي وعدت بها:

- كل هذا المال للغناء! حسنًا، أيًا كان ما ينجح. كنت أنت وديدو أفضل من الممارسة. يمكنك اللعب هنا، حتى أعرف ما الذي تتوین فعله.

- كان هناك شيء آخر.

قالت «أمارا» ذلك وهي تأخذ عملة فضية من محفظتها، العملة التي وضعها «نيقيا» في يدها عندما غادرت هي و«ديدو»، وهو يقول: «لكلماتك الحلوة. من أجل فورتوناتا». يكاد يكون مؤلمًا جسديًا أن تضع العملة على المكتب أمام «فيليكس» وتحرك يدها بعيدًا. قالت وهي تنظر إليه:

- أريد نصيحتك. أود أن أنفقه على ملابس الأداء

لكلينا، وربما بعض دروس الموسيقى.

- هل تتوقعين مني أن أكون ممتناً لصدقك؟

- لا، أتوقع منك أن تفهم الاستثمار الجيد. هؤلاء الرجال يريدون أسلوباً معيناً. وأشارت إلى القماش البالي الذي تتكون منه التوغا التي ترتديها، إنه لا يليق بالأداء. لقد أدينا عراة الليلة الماضية. لكن، لا يمكننا لعب الحيلة نفسها في كل مرة.

- خذيها؛ لكني أريد إثباتاً على كيفية إنفاقك لها، دفع فيليكس العملة نحوها مرة أخرى، ومد ذراعيه خلف رأسه متكئاً على ظهره، وابتسم لها: أنت لست الوحيدة التي قضت ليلة ناجحة. أظهرت أمارا دهشتها، إذ لم تكن تعتقد أنهما كانا حميمين جداً، لكنه استدرك ضاحكاً: ليس هذا، تباً لك، لن أصف امرأة أنها ناجحة. حسناً، ربما إذا كسبت لي تسعين ديناراً. ماقصدته أن سيمو تلقى أخيراً درساً من بعض السكارى حطموا حانته في وقت متأخر من الليلة الماضية. حطموا المكان كله. هذه الأشياء تحدث في فيناليا. الكثير من السكارى ينتشرون. للأسف، لم تتحرك دراوكا الصغيرة بالسرعة الكافية. وجهها لا يبدو جميلاً الآن. ليس بعد أن أخرجوا كأساً من عينها.

حدقت «أمارا» في وجهه، كأن رثتها قد فرغت من الهواء:

- لا، لا، تذكرت دراوكا في الحمامات، جسدها المثالي ووجهها الجميل، اجتاحتها الرعب، لا...

- ما هي المشكلة؟ كنت من اقترح قلب لعبته عليه في المقام الأول. حتى أن الفتاة لم تعجبك.
- لكن دراوكا لم تفعل شيئاً لك قط! صرخت أمارا، ممزقة بين الحزن والغضب: إنها مجرد امرأة! ماذا سيحدث لها؟ كيف ستعمل؟ كيف ستأكل؟ كيف ستعيش؟ وجهها المسكينة... وجهها الجميل تلك المسكينة.
- لن تكون منافسة لأي من فتياتي، هذا أمر مؤكد. سيمو سيضطر إلى إنفاق الكثير من المال إذا كان يريد الاستثمار في عاهرة أخرى من هذا القبيل. وأشك في أنه يستطيع تحمل ذلك، ليس مع إصلاح الحانة.

- هل كانت دراوكا الهدف الحقيقي؟

تزايد شعور أمارا بالرعب. استعادت صورة دراوكا وهي ترقص مع فيكتوريا في فيناليا الليلة الماضية، مليئة بالحياة، ووجهها مضاء بشغف. تشعر وكأنها قد أغمي عليها.

- أمارا، تعالي الآن.

كان هادئاً، وهو ينهض من مكتبه ويمشي إليها، ثم سحبها من الكرسي، و حملها منتصبه، ممسكاً بكتفيها، ليس في أحضانه تماماً. لا تتظاهري! كنت الشخص الذي اقترح الانتقام، وأنت من رأى ضرورة ألا يكون الأمر ضرباً مباشراً بعد ما حدث في الحمامات. لا يمكن أن يتبع أي من هؤلاء الرجال لي. لماذا تعتقدين أنني أحافظ على خصوصية الكثير من

عملائي؟ اقترب منها قليلاً، وتابع: المتعة في الانتقام، هو أن يكون تدمير أعدائك هو كل ما يهم. التباهي بذلك، تحديد هويتك، هذا للأطفال. يكفي الحديث عن هذا الأمر. أنت وديدو في حاجة إلى الحصول على بعض الملابس الجميلة، والبدء في التدريب على أغانيكما.

- لماذا تقول لي؟ إذا لم تكن مفاخرة، فلماذا تخبرني؟

- لأنّ لديك الكثير لتخسريه إذا خرج هذا مني، أو ربما يعتبر سيمو أن ديدو أكثر قيمة منك. إنها بالنهاية أجمل.

سيطر الخوف على «أمارا»، وشعرت أنها تفرق في أعماقها، مثل خطاف يخترق سمكة، وتدرك أنه لن يسمح لها بالرحيل أبداً. التقط «فيليكس» العملة الفضية لـ«نيقيا»، وفتح أصابعها وضغطها في راحة يدها، لم تقل شيئاً، أدار ظهره لها، واستقر خلف المكتب مرة أخرى.

- لم تفعل دراوكا شيئاً لك! لم تكن تستحق هذا!

- لا أحد يحصل على ما يستحقه. ما الذي تعتقدين أنه يتطلبه البقاء على قيد الحياة في بومبي؟ عمك والفساتين الجميلة ليسا كل شيء. الآن ابتعدي، تحركي من أمامي.

خارج شقته، اتكأت «أمارا» على جدار المبنى، تريد أن تصرخ، وأن تضرب بقبضتها على الباب، وأن تعوي من آلامها. بدلاً من ذلك، وقفت صامتة، فكها مغلق. كانت تحتاج إلى أن تصرخ، أن تشارك أحداً آلامها، وترمي أثقالها

بعيداً، أغلقت عينيها، وضغطت على جانبي جمجمتها، لكنها أدركت أنها لن تكسب شيئاً من خلال مشاركة هذا. لماذا يجب أن تسير «ديدو» في خوف أيضاً؟ كل لحظة يقظة تخيم عليها ذكرى ما فعله «فيليكس». إنها لا تفكر في الوثوق بأي أحد، ليس مع هذا السر القاتل.

«كنت من اقترح الانتقام في المقام الأول»، تتذكر «أمارا» عبارة «فيليكس» وتتففس بعمق وتفرك العملة الفضية بين أصابعها. لا يوجد شيء يمكن القيام به. ولكن، تخيلي أنه لم يحدث قط، عليك محاولة التظاهر، حتى لنفسك، أنك لا تعرفين.

أرجعت الأخريات صمتها عندما انضمت إليهم في «السابارو» إلى حيل «فيليكس» المعتادة، وغادرت «كريسا» فعلاً، ذهبت لتنام علها تتخلص من آثار السكر في حجرتها المظلمة.

- لا يمكن للرجل أن يريحها أبداً.

قالت بيرونيس، وهي تأخذ آخر حبة من الحمص كان من الواضح أن أمارا لا تريدها:

- فيليكس الأحمق يجب أن يثبت دائماً أنه الرجل الأقوى.

ضغطت «ديدو» على يد «أمارا» تحت الطاولة، فشعرت بفيض من الذنب. هل كانت صديقتها لتحبها بالطريقة نفسها إذا عرفت عن «دراوكا»؟ هل هي حقاً التي أعطت «فيليكس» الفكرة؟

قالت فكتوريا:

- لا أعتقد أنني سأرتدي وجهاً بهذه التعاسة، إذا أرسلني لشراء ملابس جديدة.

شعرت «أمارا» بالآلام التي تتعرض لها «فيكتوريا» في مظهرها، والساعات التي تقضيها في تصفيف شعرها، بدت مستاءة للغاية، وكادت أن تبكي، وازداد إحساسها بالذنب، قالت:

- إذا بقي أي شيء، يمكننا شراء شيء ما لنتشاركه معاً.

تبادلت «بيرونييس» و«فيكتوريا» نظرة صغيرة مع بعضهما بعضاً أكثر حدة من الامتتان، وهي تدرك أن التغيير المفاجئ وغير المتكافئ في الثروة من غير المرجح أن يقربهما من بعضهما.

- أعتقد أنه كان من الأفضل لنا أن نتحرك .

نهضت أمارا مرة أخرى، وتبعتها ديدو، وهما حريصتان على بدء التسوق.

كانت الشمس حارقة، سألت ديدو، وهما تتوجهان إلى الشارع الذي يؤدي إلى بومبيانا:

- أين يجب أن نذهب؟ كم عدد الملابس التي يمكننا شراؤها؟

- أعتقد أن هناك واحداً فقط نبدأ به، في حال لم نحصل على المزيد من الحجوزات.

- لا تدعي فيليكس يفسد هذا، توقفت، وتعبيرها جدي، لا تكوني غير سعيدة. لدينا القليل جداً.

- أنت على حق، دعينا نجرب محل كومينيا.
لطالما أردت الدخول إلى هناك.

يقع صانع الملابس في شارع التسوق الرئيس في المدينة، وليس بعيداً عن متجر مصاييح «روستيكوس». تحب جميع النساء زيارته من وقت لآخر، للتسكع في المقدمة مع الأقمشة، وهي أكثر نعومة من أي شيء يأملن ارتدائه. صورة صغيرة مستديرة لكومينيا الشابة، مرسومة في الطابق العلوي من الطابق الثاني، تطل على إمبراطوريتها. دخلت «ديدو» أولاً عبر نفق من الأقمشة المعلقة.

في الداخل، تتكيف أعينهما مع الضوء الخافت. «كومينيا» نفسها مشغولة عند المنضدة الرئيسية مع زبونة، سيدة يتربص عبدها خلفها، وعلى استعداد لنقل الحمولة إلى المنزل. تقف الذئبتان، شاهدان، غير متأكدتين مما يجب القيام به،

ظهر مساعد شاب نحيف ذو وجه صغير حاد الملامح، تعبيره مهذب لكنه حازم، إذا كانوا لا يستطيعون تحمل أي شيء، فمن الأفضل لهما المغادرة، سألهما:

- كيف يمكننا مساعدتكما، سيدتي؟

- - نحتاج إلى ملابس مناسبة لفلوراليا. للترفيه في حفل عشاء.

- هل ستكونان ضيوفاً؟

- لا ، سنكون...سنغني.

- أنا أفهم. أنا جايا. أرجوكما تعاليا معي.
تبعنا «جايا»، الذي قام بإزاحة بعض الأقمشة الرمادية الثقيلة المعلقة في الجزء الخلفي من المتجر، وكشف عن غرفة أخرى أصغر في الخلف. إنها أعمق بكثير، ومصباح الزيت يحترق.
- أنا أعرف بالضبط ما تحتاجان إليه، نحن نوفر الملابس للكثير من الممثلات والمحظيات. هذا هو النسيج الأكثر شعبية إلى حد بعيد.
أمسك بمادة فضية، ناعمة وشفافة، وأدار «جايا» يده برفق تحتها، مما يدل على شفافيتها، وهو يقول:
- حرير آشوري. مع نسج فضي، تستطيعين أن تري كل شيء من خلاله. إذا كنتِ ترغبين في الإثارة، يمكنكِ شراء المزيد من القماش وطيه، مما يجعله معتمًا كما هو مطلوب.
- حاول أن يريهم الأمر وهو يتلاعب بالحرير ببراعة، بحيث تكون بشرته نصف مخفية في لمعان واضح.
- كيف تربطها؟
قالت أمارا، متوترة للغاية من لمس القماش الرقيق:
- ألا يمزقها البروش؟
- نبيع دبايس خاصة. يمكنني أن أوضح لك كيفية ارتدائها؛ لكنه قماش لا يتمزق بهذه السهولة، فالنسيج متين. هل ستجربينه أم لا؟
نزعت «أمارا» و«ديدو» التوجا التي ترتديان، وتركنا «جايا» يلبسهما. وراحتا تراقبان بعضهما بعضاً عن

كثب، وتحاولان حفظ كيفية طي القماش عندما تكونان بمفردهما. أخرج «جايا» صينية من الدبايبس، وهو يقول:
 - ننتقل من النموذج الأساس - وأشار بإصبعه إلى
 مسمار دائري - إلى شيء أكثر حساسية. أدخل يده إلى
 الطرف الآخر من الدرج، ليظهر نوعاً آخر من الدبايبس
 على أشكال الطيور واليعسوب.

قالت أمارا مخاطبة ديدو:

- يمكننا تجربة نموذج الطيور في الوقت الحالي ،
 إن ذلك يتناسب مع الغناء. ألا تعتقدين ذلك؟
 قام «جايا» بتثبيت القماش في مكانه لكليهما . وقفتا
 تتظران إلى بعضهما بعضاً من أعلى إلى أسفل. قالت
 أمارا:

- إنه مثل ارتداء نسيج عنكبوت!

رد جايا:

- هذا جزء من السحر. الرجال يحبون ذلك،
 صدقوني .

- افعل ذلك مرة أخرى، لقد أضاءتك! لقد تحولت
 تماماً إلى اللون الفضي.

سارتا حول اللهب، معجبتين ببعضهما بعضاً، تتحركان
 لجعل الحرير يتغير لونه، وتشعران أنه خفيف على
 بشرتيهما. فيقول «جايا»:

- إذا كنت تريدين حقاً إحداث تأثير، فلدينا
 هذا، وأخرج جرة صغيرة من الخزانة، وفتحها لكليهما
 ليراها، في الداخل عجينة سميكة من الذهب،

للعيون... وكذلك لتهديب الحلمات وإخفائها.

لم يتبق سوى القليل جداً من عملة «نيقيا» عندما غادرت «أمارا» و«ديدو» متجر «كومينيا»، بعدما اشترتا أكبر جرة من عجينة الذهب المعروضة، وقد خططتا لصب بعضها في وعاء آخر ليستخدماه الآخريات. قالت «ديدو» وهي تحمل حقيبة مشترياتها بالقرب من صدرها:

- سنضطر إلى إعطاء الفساتين لفليكس. لا يمكننا المجازفة بتركهم في المبغى، سوف يسرقهم أحد العملاء.

قالت أمارة:

- لقد أراد إثباتاً على أين أنفقنا المال على أي حال. كانتا تسييران في الطريق الرئيس إلى المنزل، وكانت أمارة تعلم أنهما ستمران قريباً من متجر المصاييح، وهي تشعر أنها في حاجة ماسة إلى التوقف. قالت ديدو:

- أليس هذا حيث يعمل ميناندر؟

- نعم بالتأكيد.

- أعطني هذا. لماذا لا تدخلين؟

- لا أعرف، ربما لا ينبغي لنا ذلك.

ترددت «أمارا» في محاولة للإلقاء نظرة على المتجر بينما هما تتشاجران على حمل القماش، لتتأكد من أن «ميناندر» في الداخل، فتستسلم وتسمح لـ«ديدو» بأخذ

- حقيبتها. استغرق الأمر بعض الوقت حتى رأها تتسكع في الشارع، إنه مع زبون، لكنه أشار إليها أن تنتظر.
- كنا نمر للتو من هنا. قالت أمارا عندما خرج، وهي حريصة على ضم ديدو، وأردنا أن نشكرك.
- شكرانتي!
- نعم. لأنك جعلتنا نغني. كان سيدنا يستمع، واشترى القيثارة، والآن لدينا حجز للغناء في فلوراليا. في حفلة.
- لا شيء من هذا هو تمامًا ما أردت أن تقوله؛ لكنها على الأقل تتحدث معه. فيقول:
- أنا سعيد لأنه اشترى لكِ القيثارة. لقد عزفت بشكل جميل جدًا.
- مياندر!
- جاءه صوت من الداخل أربه، فقال:
- لا يمكنني البقاء الآن. هل يمكنني الكتابة لك؟ على الحائط، خارج «السيارو»؟ خفض صوته، وقال: سأستخدم «تيماريت» و«كالياس» حتى لا يعرف أحد.
- نعم.. نعم...
- استدار «مياندر» وأسرع إلى الداخل من دون أن يقول وداعًا.

-16-

رهنت الأقرات لدى «فاوستيلا» مقابل دينارين. وقد خصمت
 قرطًا شهريًا لسداد الفائدة.
 كتابة على جدران يومي

يمتد دور الانتظار عند البئر على طول الشارع. لا يعني ذلك أن أي شخص يهتم كثيرًا بانتظار دوره. لم تكلف «أمارا» و«ديدو» نفسيهما عناء المضي قدمًا مع الباقين، عوضًا عن ذلك راحتا تتسكعان في ضوء الشمس المتأخر في الصباح، إنه ليس المكان الأكثر راحة للتوقف. تعالت دقات قرع وطرق وصياح من أحد أفخم المنازل المجاورة. لقد تداعى على مدى ما تتذكره «أمارا»، وقتل أصحابه في الزلزال الرهيب، أو هكذا أخبرتها «فيكتوريا». لا بد أن شخصًا جديدًا قد اشتراه، وقرر إنفاق أمواله على تزيينه مثل القصر. انحنى أحد أفراد فريق البنائين عن سلمه، ويصفر لها و«ديدو»، تتجاهلانه، فهما تعرفان جيدًا أنه لا يملك أن يشتري امرأة لساعات، وهو بذلك لا يستحق الالتفات.

- قالت «ديدو»، وهي ترفع صوتها لسمع:
- أحب الجميع الذهب. كلهم استخدموه الليلة الماضية، أليس كذلك؟
 - بيرونيس فعلت ذلك بالتأكيد؟
- قالت أمارا، متذكّرة الطريقة التي لطخته بها بيرونيس بغزارة حول عينيها، وغضبها عندما ضحكت منها فيكتوريا.
- هذا ما يتوقعه الرجال في هذه المدينة الغبية، أن تبدو المرأة المصرية عليه! قالت بيرونيس بإصرار، ووجهها يتلألأ مثل تمثال المعبد.
- لا تستطيع «أمارا» أن تتخيل كيف يجب أن تشعر «بيرونيس» بالنسبة إلى بومبي الصغيرة بعد نشأتها في مدينة عظيمة مثل الإسكندرية، على الرغم من كونها عبدة، ربما لم تر أكثر من المنزل الذي كانت تعمل فيه.
- شاركت «فيكتوريا» و«كريسا» المنتج الجديد أيضاً، لكن «أمارا» تشك في أن الأمر سيستغرق أكثر من معجون الذهب لتخفيف حسد الآخرين. وقد أدى التحول في السلطة إلى أحدث نساء «عرين الذئاب»، إلى عدم استقرار الجميع. قالت أمارا:
- يريدنا فيليكس أن نتدرب لـ«كرنيليوس» اليوم. علينا ابتكار بعض الأغاني الأخرى.
- أجابت ديدو:
- يمكننا دائماً طلب المساعدة من سالفوس.

- لا أعرف أين أجدّه. هل تعتقدين أن «نيكاندروس» قد يعرف؟

- إنه يدير المتجر الجديد، الذي يقع بالقرب من مخبز «موديستوس». أعتقد أنه يمتلكه. لقد أمضيت وقتاً مع «بريسكس» في تلك الليلة عندما كنت تتحدثين إلى «ميناندر». أخبرني أين يعمل كلاهما. شعرت «أمارا» بنقرة حادة على ظهرها، فاستدارت غاضبة، متوقعة أن يكون البناء قد نزل من السلم ليحرب حظه، إلا أنّ فتاة صغيرة تراجعت مذعورة، وهي تمسك دلوّاً ضخماً على وركها.

- آسفة! لم أكن أقصد أن أذهلك، لكن، أستمنا من عرين الذئاب؟ أنا متأكدة من أنني رأيت كليكما في فندق «الفيل» من قبل.

نظرت «أمارا» إليها، ورأت العيون ملطخة باللون الأزرق، والأكتاف متهدلة من الإرهاق، تذكرتها، إنها الفتاة اللطيفة نفسها التي تنتقل بين العملاء في فندق «الفيل»، ارتسمت ابتسامة عصبية على وجهها، وقالت:

- نعم

- أنت النادلة، أليس كذلك؟

- اسمي بيتاني. وأنا لا أخدم الطاولات فقط.

- لا ...

تذكرت أمارا تهكم فيكتوريا نحو دراوكا، حول العملاء الذين يتعين عليها خدمتهم وكذلك معاشرتهم. تبتعد، ولا

تريد أن تفكر في منافستها السابقة أو تتذكر - معاناتها.
قالت ديدو بلطف:

- يجب أن يكون العمل شاقاً. فندق الفيل دائماً ما
يكون مشغولاً جداً. هل لديك أصدقاء هناك؟

- مارثا، كانت صديقتي، لكنها ماتت أثناء الولادة.
مخاطر العمل، أليس كذلك؟

قالت بيتاني وهي تحديق في كليهما، واليأس
على وجهها، كأنها ترغب في أن يفهما ما ترمي إليه.
أعتقد أنه يجب أن تعرف كلتاكما كل شيء عن ذلك،
حول كيفية تجنبه. أو كيف...

كيف تتهيه فكرت «أمارا»، ولكنها قالت:

- هل تريدان أن تسألني عن تجنب ذلك؟

هزت بيتاني رأسها بالإيجاب، بينما نظرت أمارا إلى
خصر الفتاة، وتحاول أن تستوعب جسدها النحيل، هناك
امرأة يمكنك رؤيتها. لكن، لا تتظري طويلاً.

- ألا تحتفظون بأي شيء لأنفسكم؟

- الأعشاب يجب أن تكون طازجة.

- أمارا! ليس هنا.

ظهرت خيبة الأمل على وجه بيتاني، وقالت:

- ليس لدي المال. اعتقدت أنك قد تحتفظين
بالأعشاب، وأنت قد توفرين لي بعضاً منها، و سأعيد
لك المال مع مرور الوقت.

- لكن لماذا؟ أألن يسعد سيدك بهذا؟ عادة ما يكونون سعداء بوجود عبيد نشأوا محلياً.

- استغرقت مارثا ثلاثة أيام حتى تموت!

قالت بيتاني، بينما أمارا وديدو تتبادلان النظرات. كل امرأة تتفهم الخطر والرعب الذي يمكن أن تجلبه الولادة. لقد فاتهم مكانهم في صف الانتظار، لكن لم تدفع أي من النساء الثلاث للتراجع.

قالت أمارا:

- إذا كان المال هو ما تحتاجين إليه، فقد تتمكن من المساعدة. لكن عليك أن تكوني على يقين من أنه يمكنك سداده.

في مسيرتهما إلى تاجر الحديد، لم تذكر «ديدو» الصفقة التي أبرمتها «أمارا» للتو، ولم تسألها عما إذا كانت «مارسيلا» قد دفعت ديونها حتى الآن، أو عن موعد استحقاقها، ولكن «أمارا» تستطيع أن تشعر براحتها تتعرقان عند التفكير. أخبرت نفسها أنه لا يزال هناك متسع من الوقت لكي تفي «مارسيلا»، ولم يتأخر دينها بعد. وربما يؤدي العثور على «بيتاني» إلى دفع «فيليكس» إلى الصبر.

مرّتا من أمام المخبز، وتوقفتا عند تاجر الحديد، تستمعان إلى قعقة الأعمال المعدنية في الداخل، سألتها ديدو:

- هل تعتقدين أن سالفْيوس سيتذكرنا حتى؟
- كم عدد المطربات الجميلات اللواتي تتخيلين أنه يلتقي بهن؟

ردت أمارا، وهي تحول القيثارة إلى أعلى بين ذراعيها، وتغطي توترها بشجاعة. لقد كان من الصعب انتزاع الآلة من باريس. وكان عليهما أن يتظاهرا أنه تم ترتيب درس الموسيقى الخاص بهما فعلاً. لا شك أنه سيضربهما مع فيليكس إذا أثبتت الزيارة فشلها، لأنه طبعاً سوف يتذكر.

سارتا عبر المنضدة الأمامية، حيث ينشغل العبد بالعملاء، وتوجهتا إلى الداخل بشكل أعمق. كان عازف الفلوت في الخلف يشرف على أحد المتدربين، ويساعده في تصميم حامل مصباح، ويثبته بينما يدق الصبي على ساقيه، ويعطي كلمة تشجيع غريبة. وهو تماماً كما تتذكره «أمارا»، بالطريقة اللطيفة نفسها، والشعر الأشيب. انتظرت المرأتان حتى لا تزعجانه.

نظر «سالفْيوس» إلى أعلى، استغرق لحظة ليتذكرهما، لكنه بعد ذلك ابتسم، وقال:

- هذا غير متوقع. العصافير الغنائية الجميلة. ما الذي يمكنني أن أفعله من أجلكما؟
- أردنا أن نطلب معروفًا. حملت أمارا القيثارة كتفسير، على أمل إثارة فضوله.
- مشى «سالفْيوس»، ومسح الزيت عن يديه بمئزره الجلدي.

- إذا كنت تبحثين عن مرافق، فأنا أعزف على الفلوت فقط.
- قالت أمارا:
- سوف أعزف بنفسي، كنا نأمل أن تعلمنا بعض الألحان.
- أضافت ديدو:
- سوف ندفع مقابل وقتك؟
- فلافيوس! استمر في العمل على القدمين، من فضلك. تماماً كما أريتك. ثم عاد إلى المرأتين، لتحدث.
- صعد الثلاثة السلم الخشبي الضيق إلى الأرض من فوق. قال سالفيوس:
- أنا لست موسيقياً جداً، قد تصابان بخيبة أمل. أين ستعزفين؟
- غرفة المعيشة لدى «سالفيوس» مطلية بدرجات دافئة من اللون الأصفر. وهناك رسومات تمثل موكباً من البجع يطير من لوح إلى آخر، وقبرات صغيرة حول الحواف. جلس على مقعد، ودعاها إلى أخذ المقابل. قالت أمارا:
- إنها حفلة أعظم بكثير من أي شيء آخر في حانة السبارو. في اليوم الأول من فلوراليا. كنا نفكر في وضع الشعر على بعض الألحان الشعبية.
- الخلط بين العالي والمنخفض؟
- نعم. أومأت ديدو.

- يبدو الأمر ممتعاً، لكن ماذا ستدفعان لي؟
أو يجب أن أسأل كيف ستدفعان لي.

- هذا يعتمد على ما تفضله.

تركت «أمارا» التوجا تنزلق عن كتف واحد، ليس بعيداً بما يكفي لإظهار الكثير، ولكن بما يكفي لتوضيح وجهة نظرها، آملة أن يأكل الطعم. الواضح أن «سالفوس» ليس رجلاً غير جذاب، لكن سبب رغبتها فيه ليس لهذا وحسب، بل أكثر ما يعنيها من الأمر هو توفير المال.

أجاب سالفوس:

- الدفع المؤجل يناسبني بشكل أفضل.
أمسية أو اثنتان في صحبتك، هنا، في منزلي. وأشار إلى ديدو، سآدعو بريسكوس.

ليس لدى «أمارا» أي فكرة عن رد فعل «فيليكس» على هذا الاقتراح، فالمساء هو أكثر ساعاتهم ربحاً، ولكن قبل أن تقترح طلب موافقة سيدهما، أجابت «ديدو»:

- سنكون سعداء.

- لا يمكنني الحفاظ على وقت طويل اليوم.
ربما يكون الوقت كافياً لتعليمك نعمتين حسب سرعتك.

نهض «سالفوس»، ومشى إلى مكتب مغطى بالفوضى. وراح يقلّب في الأواني والصناديق قبل أن يعود مع الفلوت، ليقول:

- هناك الكثير من الأغاني عن الربيع. هذه بعض الأشعار باللغة الأوسكانية لا أعتقد أن أيّاً منكما تتكلمها؟

بدا سالفوس متفائلاً، وسألته أمارا عما إذا كان لسان كامبانيا القديم هو لسانه أيضاً.

- لا .

- لا تهتمي . يمكنك تعديل اللحن كما يحلو لك .

بدأ «سالفوس» بالعزف على الفلوت، إنه موسيقي أكثر مهارة مما تتذكره «أمارا». يمكنها سماع نغمة العصافير في لحنه، وتتهد الرياح، وتخيل «فلورا» وهي ترقص، نصف مرئية عبر الأشجار، في اللحن المؤلم المتكرر. توقف وأخذ الفلوت من بين شفتيه وهو يقول:

- مرة أخرى؟ أم سنمر بها سطرًا سطرًا؟

التقطت «أمارا» القيثارة، وهي متوترة لأنها لن تضاهيه،

وقالت:

- فلنستعرضها .

إنه مدرس صبور، قام بتقسيم النغمة نيابة عنهما، في انتظار أن تجد «أمارا» النغمات المقابلة، وأشار برأسه عندما كانت تختار الأوتار المناسبة. غنت «ديدو» نغمة اللحن من خلال السماع، وحفظته في الذاكرة. لم تكن نسختهم من اللحن تشبه شيئاً جميلاً مثل العزف المنفرد على الناي، لكن يكفي أن تأخذها بعيداً وتصقلها .

- ماذا عن شيء أكثر مرحًا؟ سأل سالفوس . أواماتاً

إليه .

توقف «سالفوس»، وتنفس بعمق . كان الناي في حالة تأهب، ثم بدأ، هذه المرة يتمايل ويتأرجح، ويغمض عينيه

عن النغمات الأعلى. إنه ليس جميلاً مثل اللحن الأول، لكن يمكن لـ«أمارا» رؤية الإمكانيات على الفور. إنها ندف أغنية، مثالية لها و«ديدو» للعب مع بعضهما بعضهما. تمسك القيثارة، وتتجراً على الانضمام إلى «سالفوس» وهي تتوقع اللحن المتكرر.

- اعتقدت أنك قد تحبين ذلك. قال سالفوس عندما وصلوا إلى النهاية.

بدأ مرة أخرى، ولم يفكها هذه المرة، وبدلاً من ذلك، سمح لهما بالتقاط اللحن أثناء عزفه، كما لو كانوا قد عادوا إلى «السيارو». استمتعت «أمارا» بالموسيقى، حتى أنها نسيت لبضع لحظات أنهما معاً من أجل العمل بدلاً من المتعة. إنها تتوقع أن تؤديها للمرة الثالثة، لكن «سالفوس» توقف عن إدخال بعض الملاحظات، كما لو أنه نسي ما سيأتي بعد ذلك، وتحول صوت «ديدو» إلى الصمت.

- يجب أن يكون هذا كافياً في الوقت الحالي. أدار ظهره لهما، وأعاد الناي إلى صندوقه. ثم وقف مسنداً يديه إلى المنضدة. يمكننا ترك الدرس اليوم عند هذا الحد، لم تكن نبرته عدوانية، لكن شيئاً ما قد تغير. تساءلت أمارا عما إذا كانوا قد أساءوا إليه بطريقة ما، أو إذا كان ببساطة تذكر عمله، لكنه واجههم مرة أخرى، في محاولة للابتسام: - آمل أن يمنحكما هذا شيئاً للعمل عليه.

تداخل صوتا «أمارا» و«ديدو» في محاولة لتهديته:

- نعم هو كذلك! لقد كان مفيداً جداً...
نحن ممتنون للغاية، وآمل أننا لم نتسبب...

لوح «سالفوس» دلالة على قبوله شكرهما، ووجههما
إلى الدرج.

- سأرسل إلى سيدك رسالة، لشرح الترتيب. لدي
بعض الأعمال هنا. كونا حذرتين على الطريق.

في المبنى أتاحت «أمارا» لـ«ديدو» الكلام. وهي تراقب
ابتسامة «فيليكس»، والطريقة التي يستمع بها، وإيماءات
التشجيع. كانت «ديدو» مسترخية، فعلمت أنها في مزاج
جيد، لكن كل ما يمكنها التفكير فيه هو «دراوكا»، وعبارته:
«كل ما يهم هو تدمير أعدائك». تحدد في جماجم
الثيران على الحائط، وظلال مأخذها الفارغة. لم يدرك
«فيليكس» أن «ديدو» قد عرضت للتو أداءً من أجله، حتى
تحولت إليها، وكلاهما ينتظرها لالتقاط القيثارة. فجأة
وجدت أنها لا تستطيع الحركة.

قال فيليكس:

- لا داعي للخجل.

- لم نختر الكلمات بعد، ربما يمكننا التدريب قليلاً
أولاً؟

- الموسيقى لا تعني شيئاً بالنسبة إلي، أريد فقط
أن أعرف أنكِ تعملين. اعزفي في الغرفة المجاورة إذا
أردت.

- شكراً لك. قالت ديدو رداً بالنيابة عن أمارا التي لم تتكلم، نحن نقدر ذلك. خرجتا إلى الشرفة، ووضعت ديدو ذراعاً حولها، قائلة: لا يجب أن تخافي. ليس غاضباً اليوم.

- لا أعتقد أنه يمكنك أن تعرفي الأمر أبداً مع فيليكس. أمارا!

أوقفهما صوته، وهو يخاطب أمارا :

- لحظة قبل أن تغني. هناك شيء نسيت أن أسأل عنه. أشار إلى ديدو لتأخذ القيثارة عنها.

أخذ بيد أمارا وقادها إلى الداخل، وحينما أصبحا وحيدتين، قال لها :

- لم تخبريها؟

صمتت أمارا، إنها تعلم أنه ليس سؤالاً، ثم أخذ ذقنها بين إصبعه وإبهامه، وأجبرها على النظر إلى الأعلى، وتابع قائلاً: هناك طرق عديدة لإفشاء السر. خاصة إذا كنت تجلس هناك مثل شاة مرتجفة. هل تفهمين؟

- أنت تهددني حتى أخاف؟

- هذا أفضل. بعض الاعتدال مطلوب.

إنها غير متأكدة مما تكرهه أكثر، تشعر بالخوف منه أم تنزلق إلى الاعتياد. دفعت يده بعيداً، وقالت:

- إحدى النادلات في مطعم «الفيل» تريد قرصاً منك. دينارين.

- ديناران؟ لماذا تطاردين المبالغ الصغيرة كهذه،

- بينما ستجنين لي سبعين ديناراً الأسبوع المقبل؟
- الأمر كله يتعلق بالمال. لا أحد أصبح ثرياً بعد رفض صفقة.
 - ما هذا الدين؟
 - الإجهاض.
 - وهل تستطيع ذلك؟
 - هي تقول ذلك.
 - مثل بائعة الوجبات السريعة.
- اقترب فيليكس من المكتب، ونظر في الأدراج، ليرى العقد الذي أبرموه مع مارسيليا: ما زلنا ننتظرها. لا أعتقد أنه كان من المفترض أن تتحملي المزيد من المدينيين حتى يقوم الأول بالسداد؟
- لكن قرضها لم يحن بعد.
 - لا تحاولي ذلك. أنت تعلمين أن أقساطها كانت خفيفة للغاية. وأنا لا أقبل أبداً المدفوعات المتأخرة، لا سيما من امرأة، ابتسم حتى لا يبدو كأنه يهددها، وتابع: ولكن في النهاية، طبعاً أنت من تجمعين أقساطها، أليس كذلك؟ لذا فهي آمنة تماماً. حتى تتأخر، حينها يكون تحصيل الدين مسؤوليتي.

-17-

قطرات من دهن الأكاسيا تركض على جبينه المتعرق، وكان هناك الكثير من البودرة في التجاعيد على خديه، لدرجة أنه بدا وكأنه جدار مقشر إثر عاصفة رعديّة.

بترونيوس، ساتيريكون

لا تزال الغرفة تحمل حرارة فصل الربيع وهي مزدحمة أكثر بكثير مما توقعته «أمارا». مجموعة من ممثلات التمثيل الصامت، كلهن عاريات باستثناء أكاليل من الزهور، يمارسن روتينهن. بدت ملابسها هي و«ديدو» مفرطة بالمقارنة معهن. نظرت إحدى الممثلات إليهما نظرة جانبية ثم عادت إلى صديقاتها، ضاحكة متلاعببة بأصابعها الجميلة. همست ديدو:

- لم أكن أعرف أنه سيكون هناك الكثير من الفنانين الآخرين!

كانت أصابع «أمارا» نفسها ملوّنة بالمعجون، لقد حاولتا تزيين القيثارة، فصارت ذهبية وكذلك صارت راحتاي يديها.

- إننا نبدو مختلفين أيضاً، لا يمكن أن نكون جميعاً عراة.

- بضع زهور أخرى وستكونين مثالية ...

سمعتا دوي صوت عميق. إنه إغناطيوس، معلم ترفيه كورنيليوس المعلن من تلقاء نفسه. أذهل أمارا بمقاطعته. لم تلاحظ عودته، لكن ليس هناك ما يشير إلى أنه أخذ تمتماتهما بشكل خاطئ. وبدلاً من ذلك، فهو الآن يتلاعب بشعر ديدو، ويثبت الورود البيضاء التي ذهب لجلبها بين تجعيد الشعر. لم ترَ رجلاً يضع الكثير من المكياج من قبل. عيناه مبطنتان بالكحل والبودرة السميقة على وجنتيه متشققة مثل الجص الجاف. تتعمق الأخاديد بشكل أعمق في كل مرة بيتسم فيها، وهو ما يحدث غالباً، وقف إلى الخلف قليلاً، وقال محاولاً الفوز باعجاب ديدو:

- هذا شيء صغير جداً، لم أر قط وجهاً أكثر روعة. التفت إلى أمارا مداعباً الزهور المتبقية في شعرها، ما عداك طبعاً، يا حبيبتي .

قال ذلك وهو يرفع حاجبيه، ضحكت أمارة، وقف قريباً جداً منها، وقد أمسك شفثيه وبدا مسروراً، قام بتعديل الوردة الأخيرة خلف أذنها، وصفق بيديه في لفطة مسرحية مثيرة، وقال: - الآن انتهيت! ماذا سوف تغني لنا الحوريتان هذا

المساء؟

- عدة قصائد لسافو. مزيح من الأغاني عن فلورا والربيع وحكاية كروكوس وسميلاكس.

- جميل جداً. ربما يمكنك أن تغني لي سطرًا أو سطرين، حتى أعرف أين أضعك؟ بدأت «أمارا» في عزف أغنية «أوسكان» لـ«سالفياس»، والتي قامت هي و«ديدو» بإعدادها من ترنيمة شهيرة لفلورا. قطعت ممثلات التمثيل الصامت بروفتهن بدافع الفضول، ما أسعد «أمارا» أن ترى تعابيرهن تتغير من التسلية إلى الاعتراف على مضمض. لم تستطع أن تطلب مجاملة أعلى.

تدخل إغناطيوس:

- مبهج! أصواتكما حلوة مثل الزهور المتساقطة من فم فلورا نفسها! هل قرأت أي شيء لأوفيد؟ أوه، يجب عليك فعل ذلك! سأكتب لك بعض أبيات كورنيليوس المفضلة في المرة القادمة.

تمنت «أمارا» لو أنها كانت تعرف أن «كورنيليوس» كان له شاعر مفضل قبل هذا المساء، لكنها تأثرت بكرم «إغناطيوس»، قالت:

- شكرًا لك.

قالت ديدو، وهي تضع يدها على ذراعه. بصدق حقيقي لا لبس فيه:

- أنت لطيف جداً.

تابع إغناطيوس:

- سيدي نفسه شاعر. قام بتأليف بضعة أسطر من أجل فلوراليا، إذا كان في مقدورك أن تجدي طريقة ما لنسجها في... وأخرج من ثنانيا عباءته لفافة من الرق.

- أمسكت «أمارا» نفسها، ولم تحاول الاستيلاء عليها:
- سنكون أكثر من سعداء.
- سلم «إغناتيوس» الرق الصغير، ففتحته «أمارا»، واقتربت هي و«ديدو». للحظة، لا يمكنهما تصديق ما تريانه. غرزت الكلمات طعنة من الخوف في قلبها. نظرت بحدة إلى «إغناتيوس» قائلة:
- هل أنت على يقين من أنه سيكون مسروراً لسماع هذه الأبيات؟
- التقت أعينهم، والحقيقة التي لا توصف تمر بينهما:
- أنا واثق.
- انحنى إغناتيوس، ثم أشار إلى الممثلات اللاتي ما زلن منشغلات في بروفتهن:
- أيتها السيدات، الآلهة والهوريات، أتطلع إلى الاستمتاع بكن جميعاً. سيتم إرسالكن بالترتيب المطلوب. وعاد إلى أمارا وديدو: وقال:
- سأؤكد من أن لديكما وقتاً كافياً لحفظ الأبيات.
- إنه أمر فظيع! كيف يمكننا أن نقف هناك ونغني هذه الأشياء؟
- شعرت «أمارا» أنها تتعرق تحت ملابسها الواهية، وقالت:
- علينا فقط أن نجعلها تصلح. على الأقل لم يمض وقت طويل. تلك الأغنية الأخيرة التي علمنا إياها سالفيسوس، هل يمكننا غناؤها مع هذه الكلمات؟
- أفترض ذلك، لكن عندما...

- في نهاية المطاف، عندما يكون معظم الضيوف في حالة سكر.

وقفت ممثلات التمثيل الصامت في عبااتهن للهروب من البرد المسائي، بحلول الوقت الذي يعود فيه «إغناطيوس» لدعوة «أمارا» و«ديدو» إلى تناول العشاء. لا يوجد الكثير من مصابيح الزيت في المكان الذي كانتا تنتظران فيه، لاحظت «أمارا» أنها تومض أثناء مرورها في الأجزاء الأكثر إشراقاً من المنزل، مما جعل إغناطيوس يعلق:

- تبدوان أسطورييتين ...

كان يقودهما خلال مجموعة محيرة من الغرف. المكان كبير إلى درجة أنهما لم تسمعا حتى وصول الضيوف. في مكان ما في هذه المتاهة، تعرف أن «باريس» و«جالوس» ينتظران طوال الليل لمرافقتهم بأمان إلى المنزل. ارتفعت قيمتها بالنسبة إلى «فيليكس» بشكل كبير.

- ساحرتان للغاية، كلاهما جميلة مثل فلورا نفسها.

شعرت «أمارا» أن «إغناطيوس» يثني على كل من يأتي لتقديم عروض لـ«كورنيليوس»، لكنها لا تزال ممتنة لتشجيعه. إنهم يمشون بسرعة كبيرة بحيث لا تستطيع استيعاب كل ما يحيط بها. هناك ثروة هائلة هنا، ولكن لا توجد طاولة تتن بالفضة عند المدخل كما كان في منزل «زويلوس»، وبدلاً من ذلك، عندما وصلوا إلى القاعة الرئيسية، رأت لوحات لأجداد «كورنيليوس» تصطف على الجدران، وصار

بإمكانها سماع الضحك ومقتطفات من الأغاني.

تحدث إغناطيوس بتذمر، وهو يتوجه بهما عبر الحديقة:

- أجد أنه من الأفضل أن تنتقلا بين الأرائك أثناء الأداء، ولا تخافا من إشراك الضيوف، أو قبول أي دعوات. نظرت «ديدو» إلى «أمارا». لم تكن أي منهما متأكدة مما إذا كان «إغناطيوس» يعني دعوة لمشاركة النبيذ أو أي شيء آخر. كان الهواء معطراً بالورود، فقد تم نسج الفروع حول الجدران في تعريشات، مما جعل نمطا من اللون الأخضر يظهر متناثراً بالألوان، فتذكرت «أمارا» مهارة والدتها في نسج الخيوط على نولها.

غرفة طعام «كورنيليوس» مفتوحة على الحديقة من الجانبين، وجدرانها وسقفها مكسوان بأشجار الورد المزهرة نفسها، التي تنمو في الفناء الأمامي، والحديقة الموجودة خلفها شاسعة.

اقتربتا. بدت ملابس الضيوف براقية تتألق من خلال انعكاس الضوء، وهناك نافورة تتدفق من خلال صدفة محارة عملاقة تحملها ثلاث حوريات رخامية. أدركت «أمارا» أن التفاصيل الموجودة على أجسادهن العارية مطلية بالذهب الحقيقي، على عكس الذهب الذي لطخته هي و«ديدو» بأنفسهما على أجسادهما.

أوماً «إغناطيوس» برأسه عند النافورة، وقال وهو يرفع حاجبيه:

- قلت لك إنك مثالية.
- عبرتنا إلى جوار الحوريات، وانتظرتنا على حافة التجمع. الجو أكثر استرخاءً من حفلهم الأخير. هناك أيضاً اختلال واضح في التوازن عدد الرجال والنساء، حيث توجد أربع أو خمس نساء فقط. ضحك «كورنيليوس» بصوت عالٍ على شيء قاله جاره، مرتاحاً لدوره كمضيف، ورأته يحرك عينيه نحوهما، لكنه ينتظر ضيفاً آخر لإنهاء حكايته قبل الإعلان عن وجودهما، وحينما انتهى، قال:
- أصدقائي الأعزاء، لدينا «ماركوس» و«كوينتوس» لنشكرهما على إيجاد هاتين الموسيقيتين الرائعتين، لقد أخذ هذان الطائران المغردان بقلبي تماماً، وستكونان اليوم حوريات فلورا؟
- تراجع «إغناتيوس» إلى الوراء، وانصهر في الحاضرين الآخرين الذين يخدمون الحفلة.
- قالت أمارا، تقلد النغمة المرححة للمضيف:
- نعم تعلمنا أغانيها من إلهة الربيع نفسها. في حياتنا السابقة مثل دريادس⁽¹⁾.
- أجاب كورنيليوس:
- العديد من الحوريات هذه الأيام يتذوقن الذهب هل ستكسبين اللقب هذا المساء؟
- انحنت كلتاهما، وقالت أمارا:
- فلورا هي إلهة المتعة الخالصة، وهذا كل ما نعتزم تقديمه.

(1) من الميثولوجيا الإغريقية، حورية تعيش في غابة أو شجرة، وخاصة شجرة البلوط.

مشت هي و«ديدو» ببطء إلى حيث يستلقي عشاقهما السابقون، بينما تعزف «أمارا» النوتات الأولى للحن الربيع لـ«ساليوس». جلست «أمارا» على حافة الأريكة، وابتسمت بخجل للرجلين، وضع «كوينتوس» إحدى يديه على ركبتهما، وراح يقرص الحزير بين أصابعه.

أصغى جيرانها المقربون جميعهم، لكنها لاحظت أن البعض في جميع أنحاء الغرفة ما زالوا يتحدثون، لذا بدأت العزف بجدية، وأخذ صوت «ديدو» يرن صوتها واضحًا ولطيفًا، مما أدى إلى إسكات المزيد من الحاضرين.

قاموا بترتيب أغنية «أوسكان» تقريبًا بصوت «ديدو» فقط. كانت تتحرك بين الأرائك وهي تغني، وتتف الزهور من شعرها وتسلمها للضيوف وهي تتمر. للحظة، خشيت «أمارا» أنها تبدو نقية جدًا ورشيقة - «فلورا» هي إلهة الجنس وليس الشعر - لكن «ديدو» كانت تعمل لفترة طويلة بما يكفي لدى «فيليكس» لتعرف كيف تتصرف. كان هناك أكثر من لمحة لـ«فيكتوريا» في الطريقة التي تتحني بها لإلقاء وردة في حجر «كورنيليوس»، الذي قال:

- كان يجب أن تعطي زوجتي واحدة.

قرّب ديدو إليه لتقبيلها عند الانتهاء من الأغنية، مكافأة عن جميع الأطفال الذين منحته إياهم، من المفترض أن تكون تلك مجاملة، لكن أمارا يمكن أن تشعر بميزة غير سارة في لهجته.

ردت امرأة من أريكة أخرى، بصوت متشائم:

- لديك ابن طيب.

هي أصغر من «كورنيليوس» ونحيفة بشكل مؤلم. حتى الفستان ذو الألوان الزاهية الذي ترتديه، والمكس في ثياب سميكة من القماش باهظ الثمن، لا يمكنه إخفاء مدى صغر حجمها تحته. إلى جانبها امرأة أخرى، أكبر منها بقليل، متجهمة بشراسة. ربما كانت صديقتها أو والدتها. لا تزال «أمارا» تجد صعوبة في فهم العادات الرومانية المتمثلة في حضور النساء المحترمات لحفلات العشاء المختلطة. لم يكن والدها ليهين عائلته قط بإصراره على الانضمام إليه في محافل كهذه.

- شكراً لك يا كالبورنيا. نعم، ابن واحد بعد الفتيات الكثر.

- والفتيات مبهجات أيضاً. قال رجل آخر. أجاب كورنيليوس تاركاً ديدو:

- للنساء استخداماتهن هل ستغنين أغنية أخرى، أيتها الديرادس الصغيرة؟

- هل تحب أن تكون على شكل قصة؟

سألته ديدو، وهو يلقي نظرة خاطفة عليها من فوق كتفها وهي تمشي عائدة نحو أمارا: يمكننا أن نخبرك قصة كروكوس وحبه لسميلاكس.

- وسوف نغني للإلهة فلورا التي أعطت العشاق غير السعداء حياة جديدة. أضافت أمارا، بعدما تمكنت أخيراً من الانفصال عن كوينتوس، الذي جعلتها يدها المتجولة تخشى على ملابسها باهظة الثمن.

توجهت «ديدو» نحو النافورة، تتبعتها «أمارا». في ضوء المصباح، يجب أن تمتزج شخصياتهما مع الحوريات الرخامية، وتفكر بمدى ما يوحي به ذلك من العري، ويُظهر بريق الذهب على جسديهما. بدأت في العزف، وكالعادة كانت تراقب تحول «ديدو» بدهشة. الطريقة التي تقف بها، على عكس حقيقتها، تبدو كوميدية وشريرة إلى حد ما. يمكن أن تكون تقريباً واحدة من زبائنهم في المبنى، حيث تغني دور «كروكوس» البشري في محاكاة ساخرة للشهوة الذكورية المحبطة.

«أمارا» تلعب دور «سميلاكس»، صوتها صارخ عمداً في الرقص. لا أحد من المفترض أن يتعاطف مع الحورية، بعد كل شيء. إنها تبالغ في الكوميديا، وتوقفها أحياناً عن العزف لترفع القيثارة بينهما كحاجز مادي. يضحك الضيوف بينما تطاردها «ديدو»، وتصبح الأغنية سخيفة أكثر فأكثر، حتى تتحول إلى نغمة أخرى، مما يسمح لفلورا بتحويل «كروكوس» إلى زهرة جميلة و«سميلاكس» إلى عشب قبيح. تغني «ديدو» آخر النغمات، وترفع ذراعيها لأعلى مثل بتلات تتحرك نحو الشمس، حتى تتوقف، كما لو كانت واحدة من التماثيل خلفها.

هتف الضيوف، وشعرت «أمارا» بفيض من الارتياح. نظرت حولها إلى الوجوه غير المألوفة، تتلألأ بالنبيذ والمتعة. ابتسمت، وانحنت. كان «إغناطيوس» إلى جوارها عندما عادت لتستقيم، وهمس أنه يجب عليهما الانضمام إلى رواد المطعم لفترة من الوقت. يقودهما على حد

سواء، ثم ترك «أمارا» على أريكة، وأخذ «ديدو» إلى أخرى.

صرح أحد الرجلين اللذين تجلس بينهما الآن. يذكرها بجلد النبيذ المملوء، غير الموجود تمامًا في ثياب ملابسه الضيقة:

- أقول دائماً إنَّ الفتيات اليونانيات هن الأفضل؟
 - أحب بعضاً من شغف الغاليك، على الرغم من أن هذا كان قدرًا صغيرًا جميلًا ما غنيته للتو. لم أسمع هذه الكلمات من قبل.

- إنها من قصيدة يونانية، واللحن محلي من كامبانيا.
 قال الرجل الأول، وأومأ برأسه إلى رفيقه:
 - فوسكوس سيحب ذلك إنه دائماً مهتم بالشعر. المزيد من الوقت للاستمتاع به الآن، بعدما انتهت مهمته مع الدومفير^(١).

حاولت «أمارا» إلى «فوسكوس» وابتسمت. حاولت ألا تجعل اهتمامها المفاجئ برجل مؤثر واضحًا للغاية. «الدومفير» هو أقوى المسؤولين المنتخبين في المدينة. تعتقد أن «فوسكوس» لديه مسحة من اللين في وجهه، ربما سيكون لطيفًا، بالتأكيد هذا أهم من حقيقة ترقق شعره؟ تابع الرجل الأكبر:

- لا أستطيع أن أقول إنني أعرف الكثير من الشعر بنفسي، أنا أمبريسوس، كما لو كان يتوقع منها أن تكون قادرة على التعرف عليه بالاسم وحده.

(١) أحد حكام أثينا الرومانية

- ردت «أمارا» بلهجتها اليونانية الأكثر سمكاً:
- سامحني. لقد وصلت للتو إلى بومبي.
 - أقدم صوص سمك في المدينة، والأفضل، وأخذ إبريقاً صغيراً عن الطاولة الجانبية وصبّه بسخاء في طبق اللحم أمامهم، ثم مزق شريحة، وغررز فيها سكيناً ناولها لها وقال: قولي لي ما هو رأيك؟
 - أخذتها «أمارا»، وراحت تمضغ المجهول المخفوق في صلصة السمك بمقدار ما تستطيع. طعمها مثل الأنشوجة المخمرة التي تترك لفترة طويلة في الشمس.
 - لذيذ!
 - ما هي القصائد اليونانية الأخرى التي تغنينها؟ سألتها فوسكوس، وهو يراقبها، وهي تلعق آخر قطرة من الصلصة كانت على أصابعها.
 - سافو ...
 - ليس أصلياً جداً.
 - حدق فوسكوس من خلال القماش الشفاف لفستانها، وأردف: لكنه ما زال إلهاً بين الشعراء.
 - تدخل أمبريسوس، الذي بدا منزعجاً من التفاوضي عن وجوده.
 - ماذا عن بعض اللاتينية؟ سنقوم بأداء بضعة أسطر كتبها مضيفنا.
 - أوه، أيتها الفتيات المسكينات، ضحك الرجلان،

وقال فوسكوس: هل يجب عليكما أن تفعل ذلك؟
أدركت «أمارا» أن سخرية أصدقاء «كورنيليوس» منه
تعني شيئاً، وللسخرية نفسها معنى آخر حينما تصدر
عنها، فتقول بحثاً عن مخرج من المأزق:
- يسعدني دائماً تكريم مضيفنا.

- نعم، نعم، طبعاً، طبعاً. قال فوسكوس وهو يلف عينيه:
حسناً، سوف أتطلع إلى أغانيك من أشعار سافو على
أي حال. فرك إبهامه بأصابعها في حركة دائرية ملحة،
وربما تتضمن إليّ مرة أخرى بعد ذلك.

تغير جو المساء مع مرور الوقت وتدفق النبيذ. بعد
كل أغنية، أصبح الضيوف أكثر حرية معها ومع «ديدو»،
وتعليقاتهم أكثر حدة. يتبادل «فوسكوس» الكلمات - أو
ربما المال - مع «إغناتيس»، الذي يوضح أنها الآن
«الضييفة» الخاصة لدى «الدومفير». وعندما يرتفع صوت
الرجال، تلعب المجموعة الصغيرة من الزوجات دوراً أقل
فأقل، ويتراجعن إلى تجمعهن القائم بذاته عبر أريكتين.
لا يعني ذلك أن هذا يخفف مرارة «كورنيليوس» نحو
زوجته. إنه يتناقض مع كل ما تقوله - إذا كانت تستمتع
بزهرة العسل المزجج، يجدها حلوة للغاية، ويزدري آمالها
في شروق الشمس غداً. حتى عندما تكون صامتة، لا
يمكنه تركها بمفردها، ويجد سبباً للسخرية من موقفها،
ودورانها، والطريقة التي تمسك بها كأسها.

صغيرة بالفعل، يبدو أنها تتقلص أكثر مع كل تعليق. لاحظت «أمارا» أن يدها ترتجف عندما ترفع الخمر إلى شفيتها. وتقول كالبورنيا أخيراً:

- أجد أنني مرهقة. أنا آسفة لترككم جميعاً.

«كورنيليوس» لا يقول شيئاً، وكأنها لم تتكلم. تنزلق زوجته النحيفة والشاحبة من غرفة الطعام الخاصة بها، وكأنها خادمة أكثر منها مضيضة.

- لا أعرف لماذا لم يطلق الفتاة المسكينة ويتركها وحسب. همس فوسكوس لأومبريسيوس، عليه أن يخرجها من بؤسها.

- سيطلب «سيفيروس» استعادة المهر بالكامل إذا كان عليه أن يأخذ ابنته إلى المنزل. لقد أخبرني ذلك بنفسه. غير أومبريسيوس تركيزه، وأوماً برأسه نحو المرأة الأكبر سناً، العابسة التي كانت تشارك أريكة كالبورنيا، وهي الآن تطعن الفاكهة على طبقها بعزم شرس، زوجتي تشتاق إلى «كالبورنيا». سأكون ممتناً بعد هذه الليلة، يمكنني أن أخبرك. سوف تزعجني طوال الليل للتحدث إلى «كورنيليوس». لقد أخبرتها أن هذا ما يجعله أسوأ، لكن النساء لا يستمعن أبداً.

- لهذا السبب تركت زوجتي في المنزل. أجاب فوسكوس وذراعه ملفوفة حول أمارا.

- هل ستبقى إذن؟

- أوه، أعتقد ذلك، أألن تبقى أيضاً؟ يرد فوسكوس،
مقرباً أمارا إليه أكثر...

- أعتقد ذلك.

ابتسمت له، على أمل أن تنقل له كيف وجدت الفكرة لا
تقاوم، و من خلف رأسه، يمكنها رؤية «ديدو» جالسة مع
«كوينتوس» و«ماركوس». الثلاثة يضحكون معاً، مثل مشهد
رعوي لعشاق شباب. شعرت بالآلم الحسد، ثم ذكرت
نفسها بما قد يكون عليه الصديق القوي «فوسكوس»،
ولاسيما أنه لم يُظهر أي من صبيان فيناليا الكثير من
الوعد كرعاة منتظمين.

صاح كورنيليوس:

- حان وقت التمثيل الصامت، ألا تعتقدون ذلك؟

صاح فوسكوس:

- ليس بعد، ليس بعد. أعتقد أن العصفورتين الصغيرتين
لديهما هدية أخيرة لك. ضغط على ذراع أمارا، وهمس:
آسف يا حبيبتي، لم أستطع المقاومة.

قالت أمارا وهي تنهض عن الأريكة، تاركة يده :

- إنه الفراق الذي لا يمكنني أن أسامحك عليه.

التقت مع «ديدو» عند النافورة، كان الدم ينبض بصوت
عال في أذنيها. لم تشرب أي منهما الكثير من النبيذ،
لكن لا يمكن قول الشيء نفسه عن أي شخص آخر في
الحفل، وهذا فقط ما يجعل غناء أبيات «كورنيليوس»
ممكناً، فلن يتحملها أحد بكامل وعيه.

- تكريماً لمضيفنا الكريم (تقول أمارا) لقد تجرأنا

بما يكفي لوضع ترنيمة خاصة بك على الموسيقى. لم تنتظر لسماع رد فعل الغرفة، ولكنها ضربت بصوت عالٍ على القيثارة، بوتيرة أسرع بكثير مما كانت عليه عندما عزفت النغمة نفسها في وقت سابق. تغني هي وديدو في انسجام تام، بأسرع ما يمكن، دون الثرثرة.

- أوه يا فلورا الجميلة! إلهة الزهور والجنس، ذات أصابع القدمين الجميلة والأنف اللطيف، أردافك مثل الذرة الناضجة حتى القشر، باركي الربيع بخاتمك الجميل! يا فلورا الجميلة!

بدا «كورنيليوس» كأنه لا يهتم بضحك الجميع عندما يصلون إلى النتيجة النهائية، أو أنه ثمل لدرجة يصعب معها إدراكه للوضع.

ابتسم وهم جميعاً يصفقون، ولوح بيده وكأنه ينتقص من الإعجاب. ثم يقول:

- مجرد تفاهة، تفاهة.. على الرغم من أن الفتيات غنينها بشكل جميل للغاية.

- التمثيل الصامت، التمثيل الصامت، التمثيل الصامت! تتعالى صيحات عدد من الحاضرين وهم يصكون أقدامهم على الأرض بفارغ الصبر مطالبين بالأداء النهائي.

ترنح أحد الضيوف القريبين وأمسك بـ«ديدو»، وكاد يسحبها في محاولة لإحضارها إلى أريكته. بينما تسارع «أمارا» إلى العودة إلى «فوسكوس».

قال ومبريسيوس:

- لا بد أنه كان يعني ذلك على أنه محاكاة ساخرة،
بالتأكيد؟ على الرغم من أن النص سخيّف ويجلب
القشعريرة؟ إلا إنها محاكاة ساخرة.

سحبها «فوسكوس» إلى ركبته، ثم قال وهو يقبلها:

- مهما كان الأمر، كنتما تبدوان رائعتين.

قاد «إغناتيوس» الممثلات الثمانية، اثنتان تحملان
مزامير طويلة لم ترهما «أمارا» تعزفان عليها في
بروفتهما. استقرت مرة أخرى قبالة «فوسكوس»، ولديها
فضول لمشاهدتهم وهم يؤدون.

- زوجتي لن تحب هذا، لن أسمع نهاية الأمر أبداً.

أطلقت عازفتا الناي الانفجارات الخارقة، والممثلات
قفزن إلى العمل، أكثر من الرقص. يبدو أن قصة
المسرحية تدور حول مزحة تؤديها فلورا على حورياتها،
على الرغم من أن الحوار ضعيف وتصبح متابعته.

اعتقدت «أمارا» أن «فيكتوريا» ستكون أفضل في
أداء هذا من أي منهن، فهي تشاهد الممثلة الرئيسية
تقفز إلى النافورة مثل الضفدع، وترش الآخرين الذين
يصرخون بقلق مسبق. تتسلل ذكرى غير مرغوب فيها
لرقصة «فيكتوريا» مع «دراوكا» إلى ذهنها، وتراجع بشكل
غريزي نحو «فوسكوس».

الذي أساء فهمها، ويقول هامساً في أذنها:

- قريباً، يا صغيرتي.

بحلول نهاية العرض، انتهى الأمر بالممثلات الثماني
ممددات على رجال مختلفين، و«إغناتيوس» يقف في

الزاوية، ويقوم بتقييم الغرفة، ويرسل مجموعة من العبيد لتقديم المساعدة عند الحاجة. إنها نهاية العشاء، لكن بعض الضيوف لا يظهرون أي علامات على الرغبة بالمغادرة، بينما ينهض آخرون لتوديعهم، أو إحضار زوجاتهم.

الكثير منهم في حالة سُكر، ويتعين على عبيدهم أن يتصرفوا كعصا بشرية. يقف «أومبريسوس»، وهو يئن من ثقل وزنه على ركبتيه. ويقول:

- من الأفضل إعادة الفتاة العجوز إلى المنزل.
أراك الأسبوع المقبل يا فوسكوس.

شاهدته أمارا مترنحًا أمام زوجته، التي يوحى وجهها أنها لن تنتظر حتى عودتهما إلى المنزل لمشاركته أفكارها حول المساء.

«إغناطيوس» يحوم جانب الأريكة، ثم يسأل فوسكوس:

- هل ستتضم إلى الآخرين؟

- أنت تعلم أنني لا أحب أن أشاهد أبدًا.

- طبعًا.

تجادل «كوينتوس» حول «ديدو» مع الضيف الذي سحبها

نحوه في نهاية أغنيتهم الأخيرة، فقال لها «إغناطيوس»:

- سوف أتأكد من أنها بخير، صدقيني.

- شكرًا.

أجابت وعيناها تلتقيان بينما، وقفت على قدميها.

- سيقودكما الصبي إلى مكان أكثر استرخاءً. وأشار

إلى أحد العبيد.

لم تنظر «أمارا» إلى الورا، بينما يقودها الغريب مع «فوسكوس» من غرفة الطعام المرتفعة. يخطون إلى هواء الليل البارد، يتبعان مرشدهما عبر حديقة الورود إلى المنزل المظلم.

-18-

أنا أكره وأحب.

ربما تسأل كيف يكون هذا ممكناً؟
لا أعلم؛ لكنني أشعر بذلك، وأنا أتعذب.

كاتولوس، القصيدة 85

استيقظت «أمارا» على الإحساس غير المألوف بضوء الشمس على وجهها، فقد وجدت نفسها وحدها على السرير. للحظة، لم تتذكر مكانها، ثم تداعت لديها ذكريات الليلة الماضية في عجلة، فجلست منتصبه تشدّ الملابس إلى صدرها.

لم يكن هناك علامة تدل على وجود «فيليكس»، ربما غادر إلى باليسترًا من دون إيقاظها.

تنفست «أمارا» الصعداء، كانت أصوات العجلات، وثرثرة المارة التي تأتي من الشارع خارج المبنى عالية، لا بد أنها نامت حتى بعد الظهر.

تتابع ذكرياتها عن الليل، مثل سلسلة من المشاهد مرسومة حول غرفة. كان «جالوس» هو الذي أعادها إلى

المبغى بوساطة مصباح يدوي في الساعات الأولى من الفجر، بعد أن انتهى «فوسكوس» منها. جاء بمفردهما، حيث كانت «ديدو» لا تزال مشغولة بالترفيه. لم تكن تتوقع من «جالوس» أن يظهر لها الطابق العلوي، لكنها افترضت أن «فيليكس» أراد المطالبة بأي بقشيش. في ذلك الوقت، لم يكن من المفاجئ أن تجده في السرير، ولكن الأكثر إثارة للدهشة أنه انتظر.

شعرت «أمارا» أن خديها يزدادان سخونة. لقد كان من دواعي سرورها أن تفتخر بنجاح الليلة، ووعد «إغناطيوس» بحجزهم مرة أخرى، فضلاً عن النصيحة التي أعطاها إياها «فوسكوس». كادت أن تنسى «دراوكا»، وهي جالسة هناك مع «فيليكس»، وترى حماسته للمال. كانت جميع العملات المعدنية المنتشرة على السرير هي التي دفعته إلى يكون معها، وهي متأكدة من ذلك، ولم يكن الحب مختلفاً حتى عن الامتثال لمطالبه المعتادة، على الرغم من أن تأخر الساعة أعطاها علاقة حميمة كان من الصعب عليها أن تتجاهلها.

على الرغم من أنها وحيدة، غطت وجهها بيديها في خجل، حين أدركت أنه يريد أن تبقى بعد ذلك؟ هل أرادت البقاء؟ هل بقيت طويلاً؟ يشبه تذكر مشاعرها فتح الباب على أحلك جزء من نفسها. كان «فيليكس» قد أمسك يدها بإحكام شديد، وكان لا يزال يمسكها، على حد علمها، بعد أن نام.

قالت للغرفة الفارغة:

- أنا أكرهه. أكرهه.

أخذت تتجول في ذكرياتها، وتتذكر كل القسوة، والأوقات التي اغتصبها فيها، وعنفه، و«دراوكا»؛ لكن الصور الأخرى تندفع مثل الحشائش، التين الذي اشتراه لها و«ديدو»، الضحك في عينيه عندما قابلته في باليسترا، حماسته لقصصها الليلة الماضية، تناسب أصابعه. تتخبط «أمارا» على السرير وتلقي بذراعها فوق عينيها، وتقول مرة أخرى:

- أنا أكرهه.

في البقع المضيئة والسوداء خلف جفنيها، تستحضر ذكرى أخرى، ذكريات لم تكن موجودة من قبل، رؤية أحيائها صوت «فيليكس» فقط، حين قال: كان من الممكن أن تكوني الإلهة «ديانا»، من الطريقة التي تمسكين بها نفسك. كما لو كنت تتادين كلاب الصيد الخاصة بك لتمزيق كل رجل تجرأ على رؤيتك عارية.

شعرت «أمارا» أن تنفسها أصبح أسهل، وهدأت مشاعرها. الغضب الذي كانت تبحث عنه لا يزال مشتعلًا. لقد رآها «فيليكس»، ورأى كل ما تعانیه من وحدتها وحاجتها، لكنه لن يمزقها. تعود وتقول في نفسها:

- أنا أكرهك. سأكرهك دائمًا.

أرجحت ساقها فوق السرير، وحينما وقفت، شعرت ببرودة الخشب تحت قدميها. كانت ملابسها الحريرية باهظة الثمن ماتزال مطوية في كومة نظيفة على كرسي

قريب. لا يمكنها ارتداؤها في عرين الذئاب، يجب ألا يكون على جسدها سوى عباءة. وباستخدام راحتي يديها، قامت بتتعيم السرير، وتسويته، على أمل محو كل أثر لوجودها، ثم انزلت من الغرفة.

كانت «ديدو» وحدها في المبنى عندما نزلت إلى الطابق السفلي، وعند سماع صوت خطأ «أمارا»، اندفعت نحو الممر.

- هل أنت بخير؟

سألنا السؤال نفسه في الوقت نفسه، ثم ضحكتا.

- هل قضيت الليلة بأكملها مع فوسكوس إذن؟

قالت ديدو وهي تسند ظهرها إلى الحائط، وتبدو متعبة:

- بدا حريصاً جداً على تحقيق ذلك.

- كان علي أن أرى فيليكس بعد ذلك.

قالت أمارا، كانت سعيدة لأنها ليست مضطربة

لمقابلة عين ديدو، وهي تتحول لارتداء التوجا،

لكن هذا لم يكن شيئاً. لقد كان جيداً، وسعيداً

لأننا كسبنا الكثير. أريد أن أعرف ماذا حدث لك!

قال إغناطيوس إنه سيعتني بك. أتمنى أن يكون قد فعل.

- لقد فعل، بمقدار ما يستطيع. لن تصدقي كم هو

غريب هذا المنزل. كرنيليوس لديه مبعي كامل في نهاية

حديقته! أكثر فخامة من هذا المكان، واللوحات أفضل.

لكنه ممر فيه حجرات، مخبأ خلف الحمامات.

وأرقى غرفة فيها نافذة تطل على حجرة أخرى، إنه يحب المشاهدة.

- يجب أن أعتقد أنه كان مخموراً جداً بحيث لا يمكنه فعل أي شيء سوى المشاهدة؟

ردت أمارا، ممتنة لأنها لم يكن لديها سوى فوسكوس للترفيه عنه. لقد كان عاشقاً مملاً ولكنه لم يكن محباً مرهقاً بطلباته. مرة أخرى، يمكنها أن تشعر بدفء جسد فيليكس بالقرب من جسدها وتدفع الذاكرة جانباً.

- إنه أكثر من ذلك، إنه مراقب. لست متأكدة من أنه فعل أي شيء آخر، سواء كان في حالة سكر أم لا. سألتها أمارا:

- هل كان عليك ترفيه الكثير من العملاء؟ أمل أن يكونوا جميعاً قد تركوا بقشيشاً.

- كان بشكل أساسي كوينتوس، أما كورنيليوس لم يدع أيّاً من المخمورين حقاً أن يقترب. أعتقد أنه أراد فقط مشاهدة النساء مع رجال أصغر سناً.

قالت أمارا، متخيلة كل شيء يجب أن تتحمله كالبورنيا من مثل هذا الزوج.

- زوجته المسكينة هل سمعت الطريقة التي تكلم بها معها؟

ردّت ديدو بحدة مدهشة:

- لديها عائلة، وثروة النساء الأخريات واحترامهن. لن أشعر بالأسف الشديد عليها.

أدركت «أمارا» أن الأشياء التي تريدها «ديدو» كلها،
والاثنين اللذين تريدهما أكثر، لن تحصل عليهما أبدًا.
تعرف «أمارا» أنها ستقبل بكل سرور بالثروة على
حساب الباقي. لم ينقذ الاحترام والأسرة، والدها أو
والدتها في أفيدناي بالنهاية.

أصوات النساء الثلاث الأخريات تطفو عبر النافذة
قبل لحظات من دخولهن المبغى
صرخت بيرونييس حينما دخلت:

- لن تصدقا الأخبار! لقد ماتت دراوكا!
- ماتت؟ ...

كررت الكلمة أمارا بدهشة حقيقية:

- الحياة رخيصة، وحياة العبيد أرخص من أي
شيء آخر.

«ديدو»، التي لم تكن تعرف شيئاً عن القتال، كانت
فضولية لكنها لم تصدم. تقول:

- لم أكن أعرف أنها كانت مريضة
- قالت فكتوريا:

- لم تكن مريضة. لقد قتلت ...
- لا!

أمسكت ديدو ذراع أمارا. هذه الضربة الأقرب إلى
المنزل، إذ يلقي تهديد العميل العنيف بظلال عميقة
دائمًا لديها، وتابعت فكتوريا:

- بعض السكارى قلبوا حانة سيمو في فيناليا.

دراوكا كانت ضحية في هذا الأمر.

- ماتت في فيناليا؟ سألت ديدو.

فأجابت كريسا:

- لا، منذ يومين، كانت في حالة سيئة. كانت ماريما في الحمامات اليوم. تعتقد أن سيمو فعل ذلك، على الرغم من أنه ينفي ذلك. لم يعد يتحمل النظر إلى وجهها بعد الآن. كان كل شيء...

قاطعتها فكتوريا:

- لقد فقدت إحدى عينيها، أحرق من أزال عينها اللعينة.

فهمت «أمارا» غضبها، لم تحب «فيكتوريا» «دراوكا»، بل كرهتها حتى، لكن هذا عنف ضد إحداهن؛ ولأن الرجل هو من جعل حياة «دراوكا» رخيصة للغاية، فإن ذلك ينعكس عليهن جميعاً. قالت:

- أتخيل أن فيليكس كان سيفعل الشيء نفسه مثل سيمو. لو كانت أحدنا.

انفجرت فكتوريا صارخة:

- لماذا عليك أن تجعلي الأمر متعلقاً بفيليكس؟ سيمو يقتل دراوكا، وأنت تديرين الأمر ضد فيليكس! ألا يمكنك إعطاؤه قسطاً من الراحة لمرة واحدة؟

ترقرقت الدموع في عيني «فيكتوريا»، واهتزت يداها، وهي تسحبهما من خلال شعرها، مع الانفعال. كانت «أمارا» تعرف أن هذا صحيح. تدخلت كريسا بينهما، وقالت:

- يجب أن نخرج، أمارا، تعالي معي.
أطاعتها، وعواطفها متضاربة للغاية، بحيث لا يمكنها فعل أي شيء سوى المتابعة. مرتا بحشد العصر عند النافورة. شعرت «أمارا» أن قلبها ثقيل، وكأنه دلو ممتلئ لا يمكن سحبه.

سألت كريسا وهما تعبران فيا فينيريا:

- إلى أين نحن ذاهبتان؟
- لا أعرف. إلى الحانة، إذا أردت؟ يمكنني أن أتحسن مع مشروب.

- يوجد مكان للوجبات السريعة بالقرب من المسرح.
أنا أعرف صاحبه.

- جيد. قالت كريسا، وهي تمسك بيد أمارا وتضغط عليها: أنت لا تأخذين الأمر على محمل شخصي مع فيكتوريا، أليس كذلك؟ لقد كانت مستاءة للتو.

- إنها مستاءة لأنها تعلم أن هذا صحيح. فيليكس لا يهتم بأي منا!

انحرفت زوجة محترمة عن طريقهما لتتجنبهما، فتذكرت «أمارا» صورة مفاجئة وحيوية، ماذا لو قابلت والدتها على الرصيف؟ ماذا ستفكر في ابنتها التي تتحدث كالبغايا على ناصية الشارع؟ ثم فكرت مع نفسها: «أنا بغيا عند زاوية شارع». هذه الصورة العبثية جعلتها تضحك.

سألتها كريسا:

- ألا يمكنك أن تشعرني بالأسف حيالها بعد ذلك؟
إذا أخذنا الأمر بعين الاعتبار.

- أفترض،

أوقفها قلق مفاجئ، وضعت يدها على الحائط لتثبت نفسها. ما لم تكن «فيكتوريا» قد خمنت من المسؤول حقًا عن إتلاف حانة «سيمو»، هل أصبحت تلقي اللوم على «أمارا»؟ كنت من اقترح الانتقام في المقام الأول. كلاهما كانت مع «فيليكس» عندما ألمحت «أمارا» إلى أن «سيمو» يجب أن يدفع ثمن طردهم من الحمامات. هل تتذكر «فيكتوريا» ما قيل؟

- سوف تتخطى الأمر، دعينا نشرب فقط. سوف يجعلك ذلك تشعرين بتحسن.

مكان «مارسيلا» يجعل «السيارو» يبدو رائعًا. إنه يقع في شارع جانبي لجذب الزبائن العابرين من المسرح، مع مساحة صغيرة جدًا لفعل أي شيء سوى الوقوف وتناول قارورة من النبيذ، أو إزالة إحدى الفطائر الدهنية التي تقلى من الخلف. لا يبدو أن «كريسا» تهتم، إنها تتدلى على المنضدة، وتقول:

- بعض النبيذ، الأرخص لديك.

الفتاة الجارية، خادمة المكان، كانت حمراء الخد وتتعرق، وهي تحمص ببطء في حرارة الفرن خلفها. سألتها أمارا:

- سيدتك ليست هنا؟

- ستعود بعد دقائق. ماذا تريدين؟
- سأنتظر حتى تعود مارسيلا.
- هزت الفتاة كتفيها، وسكبت مشروب «كريسا». إنها حريصة على عدم الإفراط في ملء هذا الكأس.
- كأس بحجم ثمرة البلوط قوي بما يكفي لضرب بغل.
- ثم دفعت الكأس نحو الفتاة التي أخذت تسكب المزيد من النبيذ، وأمارا مرتاحة لرؤية كريسا لا تعيد هذا النبيذ مباشرة أيضاً.
- هل تعلمين أن دراوكا لديها فتاة صغيرة؟
- قالت أمارا، وهي غارقة في التفكير:
- لا .
- سيمو احتفظ بها. إنها في الخامسة من عمرها الآن، وتعمل في وظائف غريبة في الحانة في النهار.
- كانت «أمارا» تعلم أن «كريسا» لم تتحدث قط عن الطفل الذي فقدته، ولكن بطريقة ما، فإن عدم ذكره، وعدم الاعتراف بألمها، يشعرها بالسوء.
- أنا آسفة جداً بشأن...
- لا تفعلي، لا تقولي ذلك. أنا فقط لا أستطيع...
- تململت «أمارا»، وغطت «كريسا» عينيها بيدها كأنها تحجبها من أشعة الشمس، لكن في الحقيقة - كما تشك «أمارا» - كانت تحجب حزنها.

كان الجو حاراً بشكل كبير بين الفطائر التي تغلي على نار هادئة. إنها تشعر أنها ممتلئة بالطاقة العصبية، تنتظر مُدِينَتها، ولا تزال غير متأكدة من كيفية إقناعها بالدفع، ولكن مع العلم أنه يجب عليها ذلك.

دارت «مارسيلا» حول الزاوية، واندفعت «أمارا» إلى الأمام تسدّ طريقها.

- ها أنت ذا! صرخت، آخذة المرأة الأخرى على حين غرة، ولم تمنحها فرصة للهروب، يا له من يوم! الشمس حارقة، أليس كذلك؟ جيلوس لا يزال يترك لك كل شيء؟

- ماذا تريدان؟

سألتهما مارسيليا، وعيناها تتوجهان نحو جاريتها، وهي تدرك جيداً سبب وجود أمارا هنا.

- جئت فقط لأرى كيف حالك. لا أستطيع أن أصدق أن جيلوس ليس هنا! عليك القيام بكل العمل!

اقتربت أمارا منها، بينما مارسيليا تحاول الابتعاد. وتخفض صوتها، كما لو كانت متعاطفة، مستمدةً من ذكرياتها عن تلك المحادثة الأولى التي سمعتها في الحمامات، وهمست: هل يعرف حتى ما يدور في الحانة؟ هذه الحانة أعني. ربما لن يلاحظ إذا فقد نصف المخزون، أليس كذلك؟ قالت مارسيليا للجارية:

- اهتمي بالمتجر، سأحدث فقط مع... صديقتي.

- ألن تشربي؟ سألت كريسا، متفاجئة من التخلي عنها!

- سأعود إليك في دقيقة. قالت أمارا وهي تبتمس وتضغط على كتف كريسا وتمضي.

تبعته «مارسيلا» صعوداً عبر السلم الضيق إلى الغرف فوق البار. إنها أكثر سخونة هنا، وهي مساحة صغيرة خالية من الهواء تزيد من توتر «أمارا». من الصعب معرفة من هي الأكثر هياجاً، هي أم «مارسيلا».

- عليك أن تدفعي.

- لا، عليك أن توقفي هذا. لقد تلاعبت في عمليات الاستيلاء بمقدار ما أستطيع. إما أن تأخذي أقل وإما أن تعطيني وقتاً أطول! يجب أن يفهم سيدك. لم يكن المعدل معقولاً أبداً.

- إذن ما كان يجب عليك التوقيع على الاتفاق. أخذت أمارا تحديق في الغرفة. هناك القليل جداً من القيمة هنا، على الأقل ليس المعروض أمامها. وتتساءل من أين أتت قلادة العنبر. ربما مرت عائلة الشقيقتين بأوقات عصيبة، كما فعلت هي ووالدها. ثروة أي شخص يمكن أن تتحول إلى حد سكين.

- احتفظي بالقلادة، قالت مارسيلا بصوت متقطع، لا يمكنني الدفع بشكل أسرع.

- القلادة لا تغطي الفائدة.

نظرت «مارسيلا» إليها للحظة مصدومة جداً من الكلام، وأجابت متسائلة:

- لا يمكنك أن تكوني جادة!

كانت الحرارة تشع من خلال الأرض، و«أمارا» تتصبب عرقاً. رائحة الفطائر الساخنة والإحساس الخانق بالذنب يجعلانها تشعر بالغيثان. فكرت في «دراوكا»، وما يمكن أن يفعله «فيليكس» بالمرأة التي أمامها. فصممت على عدم المغادرة من دون أجر.

- ماذا عن الخاتم؟

قالت، مشيرة إلى يديها، ومارسيلا تلفه بشكل دائري دون وعي، وتضع يدها خلف ظهرها كالطفل:

- لا.

- سيضع حدًا للمدفوعات. ويمكننا شطب كامل القرض اليوم.

- كان لوالدتي. إنها ميتة. لا أستطيع أن أعطيه لك.

بدت «مارسيلا» هشة، وتقف بمفردها في المسكن المتهالك الذي تتقاسمه مع زوجها المخمور. وتساءلت «أمارا» عن الوقت الذي سيستغرقه «فيليكس» لتخطيم المكان، وكم الضرر الذي يمكن أن يحدثه، فقالت:

- تبدأ الحرائق بسهولة في حانات صغيرة مملوءة بالدخان. يجب أن تكوني أكثر حذراً مع هذا الفرن في الطابق السفلي. أعطني الخاتم. إذا لم تفعلي، لا يمكنني حمايتك.

لم يحدق فيها أحد من قبل بكراهية أكثر من «مارسيلا»، وهي تدير الخاتم مرات متعددة حول إصبعها للمرة الأخيرة. استغرق خلعها بعض الوقت - لا بد أن

أصابعها منتفخة بسبب الحرارة، وهي تقلق على يدها،
كما لو كانت تقاتل بلحمها على الفراق - وأخيراً أسقطته
في كف «أمارا» قائلة:

- لا تعودني إلى هنا أبداً.

- صدقيني، لقد قدمت لك معروفاً للتو. إنها تعلم
أنّ كلامها صحيح، وأن مارسيلا كانت ستخسر أكثر من
الخاتم، ولكن مع ذلك، يبدو أن الكلمات تأتي من شخص
آخر. أدركت أنها تبدو مثل فيليكس.

-19-

لا أحب المتعة التي تأتي من باب أداء الواجب، حينها لن يكون
لي امرأة مُحِبَّة.
أوفيد، فن الحب II

- تلك كانت أسوأ أبيات أسمعها على الإطلاق!
ضحك «بريسكوس»، بعدما غمرته التسلية إثر سماع
الذئب تغني ترنيمة «كورنيليوس» لفلورا. ضحكت «ديدو»
و«أمارا» أيضًا، بينما كان «سالفوس» يهز رأسه، ثم يقول
بصوت عالٍ، رغم أن عينيه تبتسمان:
- لو كنت أعرف الكلمات التي كنت أعددتها، ستغني
على مثل هذه النغمة الجميلة، ما كنت أعلمها لك أبدًا.
إنها ليلة السداد، لكنها تبدو وكأنها عطلة. تتلأأ غرفة
الطعام الصغيرة في بيت «سالفوس» بالشموع، وينساب
هواء المساء باردًا عبر النوافذ المفتوحة. العشاء هنا لا
يبدو مثل الحفلين اللذين حضراهما مؤخرًا - هناك يخنة
الفاصولياء، وجزء صغير من الحمام المشوي - ولكن هذا
يبدو أقرب شيء إلى الوجبة العائلية التي عرفتتها «أمارا»
منذ أن غادرت منزل والدها. إنها تشتبه في أن الأمر

نفسه ينطبق على «ديدو».

سكب «سالفْيوس» المزيد من النبيذ لهما، وسلم
الإبريق الفارغ إلى عبده لإعادة ملئه، وقال:

- إذن ما هو موعد أدائك القادم.

أجابت دبدو:

- آخر ليلة في فلوراليا! على الرغم من أننا نقرأ
أوفيد هذه المرة. أعطانا إغناطيوس بعض الأبيات
لنتعلمها.

- سأفكر في بعض الألحان الأكثر ملاءمة. إلا إذا
كنت تعرف أي شيء يا بريسكوس؟

- هناك ذلك اللحن الذي اعتاد والدك عزفه دائماً.
أحب هذه الأغنية.

- هل عرفت ما بعضكما بعضاً منذ الطفولة؟ سألت
أمارا وهي تغمس قطعة خبز في حسائها.

- كان آباؤنا يعملون معاً، أجاب بريسكوس، كما
كنا نحن أيضاً، حتى عقد من الزمان أو نحو ذلك.
كنت المسؤول عن بعض من أفضل اللوحات في
بومبي، إذا قلت ذلك بنفسني. وأعاد فتاني طلاء
نصف المنتدى بعد الزلزال العظيم. ورجال والد
زوجتي رسموا النصف الآخر، وأشار إلى سالفْيوس.
كان ذلك بعد أن أقنعت زوجته بتركنا لأعمال المعادن.
نظر الرجلان إلى بعضهما بعضاً، ثم قالاً معاً: لترقد
روحها بسلام.

لم تفاجأ «أمارا» أن مدرس الموسيقى أرمل. إلا أنه كان من الغريب التفكير في أن لدى «بريسكوس» زوجة تنتظر في المنزل. لا شك أنها السبب في أن «سالفوس» هو من يستضيف العشاء. للحظة، تلقي المرأة المفقودة بظلالها على التظاهر المريح أن هذا تجمع عادي من الأصدقاء والأنداد:

- وكيف أتيتما إلى بومبي؟ سأل سالفوس.
أجابت أمارا:

- أوه ... هذه ليست قصة سعيدة للغاية.

- لم تولد أي منكما عبدة، أليس كذلك؟

قال ذلك، بينما تساءلت أمارا كيف خمن الأمر، ثم تذكرت كلمات فاييا: «ما زلت تتصرفين كما لو كنت شخصاً مهماً». تابع سالفوس: أنت متعلمة للغاية أنا آسف؛ يجب أن تكون حياتكما الحالية بلا شك مؤلمة لكليكما.

هو يعني ذلك بلطف، لكن «أمارا» تتمنى لو لم يقل أي شيء. يمكنها أن تشعر بتوتر «ديدو» إلى جوارها. ألا يستطيع أن يفهم الحاجة إلى النسيان أحياناً؟

- أنت متواضعة للغاية. قال بريسكوس لـ ديدو مشيراً إلى تمييز واضح بينهما، مما جعل أمارا تغرق في الضحك، فالتفت إليها وقال: آسف، لم أقصد الإساءة.
ردت أمارا:

- لم أشعر بالإهانة، وعلى أي حال، أنت على حق. كنت محظية قبل هذا، ولم تكن هي كذلك.

استشعر «سالفوس» التحول في الحالة المزاجية،
فقطع الصمت:

- أنا آسف. ما كان يجب أن أقول أي شيء.

- هل نغني؟

قالت ديدو، بطريقة مشرقة وهشة، وبدا وجهها
شجاعاً. مما جعل أمارا تعتقد أنها على الأقل تتعلم
حماية نفسها، وهذا أفضل من البكاء. صاح بريسكوس:

- سيكون ذلك رائعاً!

جلب «سالفوس» نايه من أعلى الصندوق، حيث وضعه
في المساء:

- هل نبدأ بمفضلتنا القديمة؟ لم ينتظر إجابة، وبدأ

في عزف نغمة الراعي وحبه.

بدأوا جميعاً في الغناء، وبعد البيت الأول، يبدأ الحرج
والحزن في التلاشي. نظرت «أمارا» إلى «ديدو»، والفرح
الذي غمر وجهها، وأدركت أنه لا يوجد أحد تحبه أكثر
من الغناء، انتشر الدفء من خلالها، واعترفت لنفسها
أنه لم يكن لديها صديقة مثل «ديدو»، هي النور في
ظلام حياتها.

غنوا أغنية بعد أغنية، وتعلموا أغاني جديدة من
«سالفوس» وأدتا قصة «كروكوس» و«سميلاكس» للرجلين.
وبفضل معنوياتهما العالية، كان الأداء هذه المرة أفضل
حتى من الأداء الذي دفع «كورنيليوس» ثمنه. شعرت
«أمارا» أن خديها يزدادان سخونة، وتنتشر الحرارة عبر
أطرافها لأنها تسمح لنفسها بالشرب أكثر من اللازم.

هل هذا ما قد تكون عليه الحياة لو كانت امرأة حرة في بومبي؟

كاد الصبي العبد أن ينام في الزاوية، وسماء الليل مشرقة بالنجوم، عندما قال «بريسكوس» أخيراً:
- سأعود إلى المنزل قريباً.

صمت الجميع، ونظر الرجلان إلى بعضهما بعضاً، في إشارة إلى ترتيب متفق عليه مسبقاً، ثم تحول بريسكوس إلى ديدو، وقال:

- هل تشرفيني...؟ هل ستكونين لطيفة بما يكفي للانضمام إليّ لبعض الوقت؟
شعرت أمارا أن لديه على الأقل من الحشمة أن يسأل كما لو أن الرفض قد يكون خياراً.

قالت ديدو وهي تمسك بيده، قادها من الغرفة، تاركاً سالفوس وأمارا وحدهما على الطاولة:
- طبعاً.

- هل ترغبين في المزيد من النبيذ؟
أدركت أنه متوتر.

- فقط لأشاركك، وإلا فأنا بخير.
سكب لكل منهما كأساً.

- لم أكن مع امرأة منذ عامين. منذ ماتت زوجتي.
توقف، شعرت أمارا أنه لا ينتظر الرد، بل يحاول فقط العثور على الكلمات الصحيحة، لذلك لم تقل شيئاً أحببت سابيننا الموسيقى. أنت تذكريني قليلاً بها.
- أنا آسفة. إنه لأمر فظيع أن تفقد شخصاً تحبه.

لوح «سالفوس» بيده، وكأنه يقلل من حزنه.

- أنا متأكد من أنك فقدت عائلتك أيضاً.

أمالت رأسها، غير راغبة في الحديث عن والديها، أو أفيدناي. شرب كأسه حتى آخر قطرة، ثم عاود الكلام: حسناً إذن. وضعت أمارا كأسها جانباً من دون أن تمسها ووقفت أيضاً.

أخذ «سالفوس» شمعة ليضيء الطريق إلى غرفة نومه. كان الجو مظلماً في الممر الضيق، وهي تشق طريقها بحذر من خلفه، دفعه ودخلا، كانت الغرفة مظلمة، لكن عيني «أمارا» تكيفتا بسرعة، وأبعدت ملابس المرأة المنتشرة على السرير، من دون أن تسأل لمن هي. وضع «سالفوس» الشمعة على طاولة صغيرة، والتقط رداء زوجته، ثم قال:

- هل تمانعين...؟

أخذته منه، واستدار بعيداً بينما تبدل ثيابها. جعلها الثوب ترتجف، أن تلف نفسها بملابس امرأة ميتة. حزن وحدتها، وحزن «سالفوس»، يجتمعان كغصّة في حلقها. هذا عطرها هناك.

التقطت أمارا الزجاجاة، ووضعت قليلاً على رقبتها، قال سالفوس الذي كان يحدق فيها، ويتهدد: أنت تشبهينها كثيراً. هل هناك شخص ما تودين مني... أعني، يمكنني التظاهر بأنني شخص آخر، إذا كان ذلك أسهل؟

من بين كل الأشياء التي توقعتم منه «أمارا» أن يقولها،

ربما كان هذا هو الأخير. الجدار خارج «السيارو» يتأجج في ذهنها، الكتابة على الجدران الجديدة التي شاهدها هناك هذا الصباح، وحده «كالياس» يحيي «تيماريت». قالت بشكل قاطع:

- لا، هذا لن يساعد.

- أنا آسف. ولكن هل هناك، ربما، ذكرى على الأقل لكونك مع شخص تحببينه؟

- لا.

- لم تكوني أبداً مع رجل باختيارك؟

- لا.

بساطة سؤاله وحقيقة إجابتها تضربها بقوة غير متوقعة، فتدير وجهها بعيداً. أنا آسف.

قال سالفوس وجلس على السرير، وانضمت أمارا إليه، غير متأكدة مما سيقوله:

- هذا ليس خطأك، ما زلت سعيدة لوجودي هنا معك.

- ليس عليك أن تتظاهري، يجب أن تقومي بالكثير من التظاهر، هل شعرت بأي شيء من قبل؟

«هل شعرت بأي شيء من قبل؟»، يا له من سؤال! ألف إجابة تزاحم عقلها. كل أحاسيس حياتها كبغي: اشمئزاز، وذعر، وفراغ مطموس. نفور من أن يتم لمسها بشدة، دهشت لأنها قضت ليلة واحدة في المبنى من دون

صراخ، دون قتال الرجال؛ لكنها تعرف أن هذا ليس ما يطلبه «سالفوس»، فقالت بهدوء:

- لا. لا أشعر بأي شيء أبداً.

جلسا معاً في صمت، يقطعه:

- سابيننا كانت خائفة جداً في البداية. لقد استغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى اعتادت على البقاء معي. وضع ذراعيه حولها، وقربها. من يراه عندما ينظر إليها، كان سيحتار في شأن المرأة التي أمامه، أهي فتاة المبعي، أم زوجته المتوفاة؟ أمارا، سأحاول أن أجعل هذا ممتعاً لك. كل ما أطلبه هو ألا تتظاهري، لا تشعري أنه عليك التظاهر.

أيقظها غناء «فيكتوريا» في الصباح. لفترة من الوقت، وراحت تنصت إلى الصوت، حلاوة الصوت التي تتعارض مع الواقع القاسي لحياة المغنية. إنها لا تعرف شيئاً تقريباً عن ماضي «فيكتوريا». على الأقل كانت هي و«ديدو» محبوبتين في يوم من الأيام، وهي تعلم أن «بيرونيس» و«كريسا» أمضتيا السنوات القليلة الأولى من الطفولة مع والدتيهما، لكن «فيكتوريا» لم تكن ملكاً لأحد سوى المالك. وعلى الرغم من ذلك، تغني من قلبها كل صباح، وتملاً هذا المكان المظلم بالفرح. تتساءل «أمارا» أين تعلمت «فيكتوريا» الكثير من الألحان. وتذكر كم فاتتها صداقتهما منذ تغيير طبيعة وجودها إثر مهرجان فيناليا. نهضت من السرير، وارتدت ثيابها بسرعة، ودلقت إلى

الممر. الأرضية الطينية المضغوطة تحت قدميها صلبة وباردة. وقفت عند باب «فيكتوريا» للحظة قبل أن تزيح الستار:

- هل يمكنني الدخول؟
- توقف غناء «فيكتوريا» فجأة:
- تفضلي، افعلي ما يحلو لك.
- كيف كانت ليلة أمس؟
- كالمعتاد. هل كان لديك حفلة لطيفة؟
- كان عشاء في منزل بائع الحديد. ليس حفلة حقاً.
- ما يزال مميّزاً على الرغم من ذلك، إنه عشاء في منزل، مع نبيذ مجاني. أفضل من وجبة واحدة في اليوم.
- توقفت «أمارا» متسائلة كم تدين لـ«سالفياس» على لطفه الليلة الماضية.
- الزبون جعلني أرثدي زي زوجته الميتة. ذلك الرداء القديم المتعفن! رأيت فيكتوريا مترددة، وتعلم أنه لا يوجد شيء تجده لا يقاوم مثل قصة جنسية سخيفة. كان العطر جاهزاً وكل شيء.
- استسلمت «فيكتوريا» لفضولها، ووضعت فرشاة الشعر جانباً، وقالت:
- أنت تمزحين!
- سألني إن كنت أريد منه أن يتظاهر أنه شخص آخر يخصني!
- ضحكت فكتوريا، وقالت:

- أتمنى أن تكوني قد قلت جوييتر في شكله ككومة من الذهب اللعين.
- وقفت بيرونييس، بعينين غائمتين في المدخل، وسألت:
- ما الذي تضحكان منه؟
- مجرد زبون، قالت فيكتوريا تذكري من يكونون؟
قبل أن يعرف جالوس...؟
- أنت تعلمين أنه كان لدي ثلاثة على الأقل الليلة الماضية، بما في ذلك ذلك الغبي المزعج حقاً من محل الغسيل. ما اسمه مرة أخرى؟
- فاببوس، إنه ليس بهذا السوء.
- لقد سَكِرْتُ مرة أخرى، تغمغم بيرونييس، وهي تتحني إلى الممر وتتنظر إلى حجرة كريسا لا أعرف من أين تجد المال. ستشرب كل قرش تدخره بهذا المعدل.
- ألم يولد كوزموس في هذا الوقت من العام؟ ربما كانت تفتقده. هل بكى فاببوس بالطريقة المعتادة بعد ذلك؟
- جلست «بيرونييس» بقوة على السرير. وتقول:
- ممل للغاية.
- قالت فيكتوريا:
- لهذا السبب عليك أن تجعلهم في الحالة المزاجية المناسبة! لا يمكنك أن تلوميه على البكاء، ليس إذا كنت مستلقية هناك مع وجهك المرهق، فأنا أفضل أن أكون

مع صديقي. على الأقل أبذل القليل من الجهد.
لم تدافع «بيرونيس» عن نفسها؛ لكنها تتجمد. ثم
تقول:

- لقد صفعني.
- ماذا؟ فاببوس؟ شهقت فيكتوريا مصدومة،
يا له من حثالة!
- لا... جالوس هو من فعل، يقول إنني أستمتعت
معهم كثيرًا. يعني الرجال الآخرين.
- ماذا يتوقع منك أن تفعلني؟ تواصلين العويل والأنين
على شرفك الضائع طوال الليل؟ يا له من مزعج!
- هل استمتعت بذلك؟ سألتها أمارا، وكلاهما يحدق
بها.

ردت فيكتوريا:

- يا له من سؤال! تبدين كعميل يا أمارا.
- لكني، أعني... توقفت، غير متأكدة مما تريد
قوله. الليلة الماضية مع سالفوس بصعوبة وصلت إلى
الخلاص. لم تشعر بالسعادة رغم جهوده الكبيرة. لكنها
لم تكن منزعجة تمامًا أيضًا. لأول مرة، كان لديها فكرة
أن الأمر قد يكون مختلفًا، إذا كان الرجل مختلفًا.
- هل كان هناك ما هو أكثر من تلك الزوجة الميتة
لتخبرينا به؟ سألتها فيكتوريا.
- زوجة ميتة! علقت بيرونيس.
- أخبرتهم عن سالفوس إذن؟

- جاءت ديدو، واتكأت على المدخل، فقامت فيكتوريا بدفع بيرونييس لإفساح المجال لديدو للجلوس على السرير، تاركة أمارا واقفة، وثلاثتهن ينظرن إليها:
- من فضلك لا تخبرينا أنك تحبين أن يجعلك الرجل ترتدين زي زوجته الميتة.
- لا! ردت أمارا، على الرغم من أنني أحببت الوجود معه تماماً كصديق.
- صديق! كررت بيرونييس الكلمة غير مصدقة.
- هل ستتزوجينه إذا طلب منك أن تكوني الزوجة الثانية؟ سألتها فيكتوريا كأنها مدعية عامة.
- نعم، لكن هذا ليس حباً. أفضل أن أكون مجرد امرأة حرة تدير حياة تاجر حديد، بدلاً من أن أكون جارية تعمل لصالح فيليكس. أليس كذلك؟
- هل كان رجلاً مدهشاً؟
- توقفت «أمارا» مؤقتاً.
- إنه وضع مدهش! صرخت فيكتوريا، وضحكن جميعهن حتى أمارا نفسها؟
- لقد بذل جهداً، هذا كل شيء. العملاء لا يفعلون ذلك عادة، أليس كذلك؟
- هذا هو السبب في أنك تقودينهم، يمكنك السيطرة على الموقف.
- لست متأكدة، قالت بيرونييس عابسة، أعرف ماذا تقصدين.

- لا أحد يريد أن يسمع ما هو العاشق العظيم جالوس، قالت فيكتوريا، وهي ترمش بعينيها، أرجوك أنقذينا. علقت بيرونييس:
- نعم، لكن الأمر مختلف، إذا بذل الرجل جهداً. ألا تعتقدين ذلك؟
- الأمر لا يختلف أبداً، قالت ديدو. علقت فكتوريا:
- لا يمكنك الاعتماد على الرجل ليمنحك أي متعة، عليك فقط أن تفعلي ما تريدين، وتأخذينهم معك.
- ماذا لو لم يعجبك أي منهم؟
- ثم ماذا... قالت فيكتوريا، وهي تضع ذراعاً حولها مثل المتأمر، عليك فقط أن تأملي، يوماً ما، إذا كنت محظوظة حقاً، أن يطلب منك تاجر حديد أن ترتدي زي زوجته الميئة.
- نظرت «أمارا» إلى الثلاثة وهم يسقطون على السرير، ويصيحون من الضحك وبيتسمون. ربما هناك بعض الملذات في حياة البغي، بعد كل شيء.
- ما المضحك جداً؟
- سأل باريس الذي ظهر عند المدخل. منذ أن عرضت عليه فيكتوريا العجينة الذهبية، وسألته عما إذا كان يريد أن يطهر أماكنه الخاصة، صار حتى أقل وداً من المعتاد. أجابت فكتوريا:
- أوه، الضحك ممنوع الآن؟ لم أدرك ذلك، لكنني

أخشى أن العبوس لن يخيف العملاء. لا يمكنهم رؤية وجهك من الخلف.

هجم «باريس» بسرعة كبيرة جداً لم تترك لهن فرصة لإيقافه، و لكم «فيكتوريا» بقوة على وجهها، ثم تأرجح ليضربها مرة أخرى. قفزت «بيرونيس»، وهي تصرخ، على ظهره، وتخدش ذراعيه، وهو يترنح، ثم سقط على الأرض. اندفعت «أمارا» و«ديدو» أمام «فيكتوريا» رافعتين أيديهما، و صرختا في وجهه للتوقف. حاول «باريس» طرد «بيرونيس»، لكنها تشبثت برقبته، وضغطت على قصبته الهوائية. جرته «كريسا» إلى الغرفة، وهي تجذب «بيرونيس»، لمنعها من خنقه، وصرخت بها لتتركه.

- ماذا يحدث بحق الجحيم؟

عند سماع صوت «فيليكس»، توقف الصراخ، وسقطت «بيرونيس» على الأرض مثل الحجر. وأخذ «باريس» يفرك رقبته، ويلهث بحثاً عن هواء ليتنفسه.

- قلت ما هذا بحق الجحيم؟

قالت أمارا، وهي تشير إلى فكتوريا:

- ضربها على وجهها! ضربها على وجهها! إنها القاعدة غير القابلة للكسر في عرين الذئاب. لا يُسمح لفليكس ولا أي من الرجال الآخرين بلمس وجوههن. ليس على «فيليكس» أن يسأل عما إذا كان هذا صحيحاً. «فيكتوريا» تحتضن عيناها، والجلد على خدها أحمر فاقع.

- دعيني أرى. عبر بسرعة إلى السرير. ابتعدت أمارا

وديدو بعيداً عن طريقه. أمسك فيليكس وجه فيكتوريا ليفحص الضرر، وضغط بإصبعه على عظم وجنتيها، لتفزع من الألم، قال: لم ينكسر شيء ستكونين بخير، ومشى إلى باريس يدفعه: ما الذي كنت تفكر فيه بحق الجحيم؟ لم تعد هذا الرجل الضخم الآن، أليس كذلك؟ اخرج من هنا.

خرج «باريس» مترنحاً من الحجرة قبل أن يطرد ثانية.

- وأنت، قال فيليكس عائداً إلى فيكتوريا التي تبتسم، وجهها إلى الحائط انتبهي إلى كلامك. أنا أعرف ما حدث. لقد استفزته. أليس كذلك؟ لم تقل شيئاً، فأمسكها من كتفيها، وهزها. أليس كذلك؟ نظرت «أمارا» إلى أواني العطور المصطفة على حافة نافذة «فيكتوريا»، وتخيلت أنها تمسك بواحدة، وتحطمها على رأس «فيليكس»، و تصرخ في وجهه لكي يتوقف، لكنها لا تفعل شيئاً، فقط وتقلصت مرعوبة على الحائط، مثل كل النساء الأخريات.

ترك «فيليكس» «فيكتوريا» التي تدفع نفسها إلى بر الأمان، وتتسلق بعيداً عنه على السرير. الألم الظاهر على وجهها، استحوذ على قلب «أمارا»، لكن عيني «فيكتوريا» جافتان، وتذكرت «أمارا» أنها لم تر صديقتها تبكي قط.

قال فيليكس بغضب:

- هذه النتيجة التي تصلون إليها بأفواهكن اللعينة، أنتن جميعكن، لا أريد دراوكا بوجه قبيح عديم الفائدة. انظري إلى نفسك. لا أحد يريد أن يلمسك لأيام. أزاح

الستار جانباً وخرج من المبنى.

قالت «فيكتوريا» وهي ترفع يدها لمنع اقتراب «ديدو»:

- لا تفعلي. لا تقولي أي شيء. فقط دعوني وشأني.

عادت جميع النساء إلى حجراتهن، وكأن طلب الراحة

من بعضهن بعضاً، سيقبل من معاناة «فيكتوريا».

جلست «أمارا» وحدها على السرير، تحديق في حقيبة

والدها المتعفنة. وتفكر في «فيليكس» في الطابق العلوي،

وخاتم «مارسيلا» الصغير في درج مكتبه، والابتسامة على

وجهه عندما سلمته إياه، وأغمضت عينيها.

تموز/يوليو

-20-

كل الفتيات يتوهمن بعشق «سيلادوس» المصارع من تراقيا!
بومبي الكتابة على الجدران

الشمس فوق رأسها حارة للغاية، شعرت «أمارا» أنها
ستصاب بالإغماء، بينما «فكتوريا» تدفعها بحماس في
أضلاعها في زحام الحشد، إنها هي التي تبقئها في
وضع مستقيم. لم تكن هذه هي الطريقة التي كانت
ستختار فيها قضاء يومها الأول في بومبي.

عند الفجر، تسلت إلى الطرف البعيد من المدينة،
برزت في الظلام البارد، تشاهد شروق الشمس، ثم تدبل
في حرارة الشواء، كل ذلك للحصول على أفضل عرض
لمسيرة المصارعين في المدرج.

إنه الأول من تموز (يوليو)، اليوم الذي يتولى فيه
المسؤولون المنتخبون الجدد مناصبهم، والأهم من ذلك،
اليوم الذي تقام فيه الألعاب المجانية للاحتفال به.

تساءلت «أمارا» إذا كان «فوسكوس» موجوداً في
الكلية، جالساً في المقدمة، قلقاً بشأن ما إذا كانت هذه

الروعة ستلقي بظلالها على الألعاب التي ألقى بها العام الماضي. لقد كان غاضباً جداً بشأن هذا الموضوع في المرة الأخيرة التي رآته فيها.

لقد قدم لها «إغناطيوس» العديد من الخدمات، ولكن ربما لا شيء يضاهاى تقديمها إلى «الدومفير». تقدم هي و«ديدو» أداءً منتظماً في كل من منزله ومنزل «كورنيليوس»، على الرغم من أن «فوسكوس» مضيف أقل تطلباً.

هناك، نادراً ما يُتوقع منهن أن يفعّلن أكثر من الغناء، ويرجع ذلك أساساً إلى أن زوجة «فوسكوس» لها نفوذ أكبر على زوجها. إنه شعور غريب، كم هي حميمة الآن مع الرجال الأقوياء. في منزل «كورنيليوس»، سيخبرها «فوسكوس» بتفاصيل قليلة عن حياته - النافورة التي طلبها من أجل والد زوجته، والكتب التي يقرأها ولداه - وطبعاً تعرف تماماً ما يحبه في السرير. في منزله، يقوم بدور صاحب عمل بعيد، ويمنحها لضيوفه جزءاً من الخدمة التي يجب الاستمتاع بها جنباً إلى جنب مع طبق الفاكهة.

في الشارع، إذا اصطدموا ببعضهما بعضاً، فلا شك في أنه سيتجاهلها. بهذا المعنى، لم تتغير حياتها على الإطلاق.

صرخت فكتوريا:

— ها هو! إنه سيلادوس!

لم تكن «أمارا» تسمعها قط إذا لم تكن «فيكتوريا»

تصرخ إلى جوار أذنيها. انفجار الأبواق مع اقتراب المصارعين، جعلها تشعر كما لو أن جمجمتها قد تنفصل عن جسدها. لكن في النهاية، أثمر انتظارهم الطويل الممل. صُدموا، في المقدمة مباشرة، في مدخل المدرج مباشرة.

- سيلادوس! سيلادوس!

لا يمكن أن يكون قد سمع صراخاً واحداً أقوى، في تلك اللحظة، استدار العملاق التراقي، كما لو كان مدفوعاً بقوة إرادة «فيكتوريا». تقدم خطوتين نحوهما، ورفع «فيكتوريا» عن قدميها بيد واحدة، وقبلها. إنها مدهوشة للغاية لدرجة أنها، لمرة واحدة، لا تستجيب.

اندلع الحشد من حولهم، وتعرضت «أمارا» للضرب بشدة على رأسها من قبل فتاة تقف في الخلف، دفعت ذراعيها للخارج، في محاولة للإمساك بحزام المصارع الجلدي، ولمس صدره الملطخ بالزيت.

- سيلادوس! سيلادوس!

وضع المصارع «فيكتوريا» أرضاً، وقال شيئاً في أذنها، ثم انضم إلى الموكب، ولوح بذراعيه أمام الحشد. صرخت «بيرونيس» في «أمارا»:

- كان سيقبلني. كان ليقبلني لو كنت في المقدمة!

«أمارا» سعيدة لأن «فيكتوريا» لا تسمع. بدلاً من ذلك، كانت تقف ثابتة بشكل غير معهود، أقدامها متجذرة في المكان الذي وضعها فيه «سيلادوس» بالضبط، متأثرة بالتدفق العابر للأشخاص الذين يتكدسون الآن للدخول إلى الحلبة.

- هيا! صرخت أمارا، والتقطت ذراعها، أو لن نحصل على مقعد!

كل خمس منهن يتمسكن ببعضهن بعضاً، ويمسكن بأيديهن ويفعلن أي شيء يمنعهن من الانفصال، فهن يعرفن مكانهن في هذه الألعاب، سيتعين عليهن الصعود إلى الصف الخلفي في الأعلى.

إنها قائمة انتظار طويلة. انضممن إلى طابور بطيء الحركة من النساء، كلهن ينتظرن الجلوس في أسوأ المقاعد في الساحة، وبدت ساقى «أمارا» وكأنهما قد تتلاشيان بحلول الوقت الذي تصلان فيه إلى القمة. الصف الخلفي يمتلئ بسرعة وهناك الكثير من الانفعالات السريعة حتى اكتشف «كريسا» مساحة يمكن لهن أن يحشرن فيها. بعد تبادل ساخن مع مجموعة أخرى من النساء تمكّن أخيراً من الجلوس، على الرغم من أن «ديدو» هي الأقل حجماً من بين الخمس، لكنها اضطرت إلى الجلوس نصف جلسة على ركبة «أمارا».

- عليك أن تخبرينا بما قاله سيلادوس! قالت أمارا لفيكوريا، التي كانت تقاوم الإجابة عن هذا السؤال طوال الطريق.

- تخيلي ما سيكون عليه الأمر عندما يكون لديك رجل مثل هذا! ابتسمت فيكوريا، مستمتعة في السر، فقط تخيلي!

- ربما لا يكون شيئاً مميّزاً. قالت بيرونيس، قد يكون ما قاله مجرد هراء.

- أوه، لا تكوني حاسدة مريرة! كما لو أنك كنتِ سترفضين .
- كنت سأرفضه! أصرت بيرونيس، لن أفعل ذلك لجالوس .
- ضحكن كلهن . فقالت ديدو:
- حتى أنا قد يغريني سيلا دوس . وهذا يعني شيئاً ما .
- تتهدت فكتوريا:
- إحساس صدره! مثل عناق أبولو .
- تململت على مقعدها الخشبي . على الرغم من أن «ديدو» ليست ثقيلة جداً، إلا أنها لا تزال تشعر بالحر الشديد، وهي تركع على ركبتها . شُدَّت المظلات فوقها لإبعاد الشمس، لكنها حبست أيضاً الحرارة المتزايدة . لن يكون لديهم أسوأ منظر فحسب، بل إن المكان أيضاً شديد الحرارة هنا . أنفاس الكثير من الناس الذين يتحدثون، و يتردد صدى أحاديثهم في جميع أنحاء الساحة، جعل الأمر يبدو كما لو أنهم كانوا في خلية نحل . سألتها ديدو:
- في أي وقت ستلتقين ميناندر؟
- بعد الاصطياد الأول للوحوش .
- تدخلت فكتوريا بالقول:
- يجب أن يكون شيئاً مميزاً صديقك هذا، حتى تفوتك المصارعة!
- إنه ليس صديقي .

- آسفة، صديقك هو تاجر الحديد أليس كذلك؟

ضحكن جميعهن. لقد أمضت هي و«ديدو» ثلاث ليالي فقط مع «سالفوس» و«بريسكوس»، ولكن من الطريقة التي تضايقها بها «فيكتوريا»، يبدو الأمر كما لو أنها متورطة في علاقة حب بلا أنفاس. يعطيها شعوراً غريباً بالتفكير في «سالفاس» الآن، عندما تكون على وشك رؤية «ميناندر». لقد حدثت علاقتها الحميمة مع الأرملة بالمصادفة تقريباً، من خلال الوقت الذي يقضونه في عزف الموسيقى معاً، ولطفه غير المتوقع، لكنها لا تتسى أبداً أنه رغم كل لطفه، فهو مجرد عميل.

إنه «ميناندر» الذي تجذب إليه - يمكن أن تتخيل المحبة حتى - على الرغم من أن علاقتهما لا تتكون من أكثر من بضع لحظات منتزعة، وتبادل الكتابة على الجدران خارج «السيارو»، هكذا تعرف أين تقابله، فقد كتب هناك: «تيماريت سأنتظرك عند البوابة الثانية، لقد ابتسم الحظ لنا على حد سواء!».

كانت هي التي اقترحت التوقيت أدناه، ثم أمضت ساعات تتألم بشأن ما إذا كان ذلك يبدو شديد الحماس أو مناسباً جداً. هل كان من الأفضل أن تقترح قبل بدء الألعاب؟ أو لاحقاً، بعد أحد معارك المصارعين؟ تغادر صمتها وتقول:

- سالفوس مجرد صديق.

قالت فيكتوريا:

- إذا كان مجرد صديق، لن تمنعي إذا أجرى مبادلة،

وكانت ديدو له في المرة القادمة، أليس كذلك؟

- لم يكن ليفعل ذلك! جفلت أمارا من الفكرة.

- لكنك لا تحبين الفكرة، أليس كذلك؟

- أفكر في بريسكوس كصديق لي أيضاً قالت ديدو، وهي تأتي لإنقاذها، إنهم ليسوا كذلك، أيًا منهما.

- ستقولين إنهم عشاق أفضل من جالوس بعد زيارتك التالية!

- أوه، تبًا! قالت بيرونيس تعترض على فكتوريا، فقط لأن مصارعًا قبلك، لا يعني أنك ستسيطرين على بقيتنا طوال اليوم مثل فينوس اللعينة!

واحدة أو اثنتان من أكثر النساء المحترمات اللواتي يجلسن في الصف الأمامي، ينظرن إليهن بنظرة من الرفض القاطع لحديثهن، على الرغم من أنه لا يوجد لديهن ما يكفي من الشجاعة للمخاطرة بمواجهة مباشرة مع عصابة من البغايا الوقحات.

- اتركنها وحسب، قالت كريسا بضجر: إنها متضايقة فقط.

رن صوت الأبواق، وهدأت الجلبة الغامضة قليلاً، وإن لم يكن ذلك كافياً لسماع الخطب الافتتاحية بوضوح من الخلف. فكرت «أمارا» مرة أخرى في «فوسكوس»، وتخيلت كم استمتع بلحظة مجده العام الماضي. ربما أحضر أبناءه معه اليوم، أم أنهم سيكونون صغارًا جدًا؟ هي لم تقابلهم قط.

الهتاف والصراخ من الحشد ينبههم إلى دخول صائدي الوحوش. الرجال الثلاثة يرفعون أذرعهم أمام الحشود، قفزت مستمتعات بالمجد قبل مواجهة الخطر، فسألت أمارا:

- هل سيكون سيلا دوس؟ غير قادر على التمييز بين مقاتل وآخر من هذه المسافة.
قالت فكتوريا بغضب:

- لن يقوم بمطاردة الوحوش! إنه مصارع قتالي! هناك المزيد من الصراخ، ومزيج من الخوف والإثارة، حيث يتم إطلاق الحيوانات في الحلبة. قفزت النساء على أقدامهن للحصول على رؤية أفضل.

سألت كريسا وهي تقف على رؤوس أصابعها:

- ما هم؟ لا أستطيع الرؤية.

- النمور! لقد أطلقوا النمور!

استطاعت «أمارا» رؤية الوحوش وهي تدور هزيلة وجائعة، بينما يقف الرجال في وسط الساحة. لم ترَ نمراً من قبل، لكنها شاهدت عدداً كافياً من القطط تطارد فرائسها للتعرف على النزرات المختلصة للفريسة المنخفضة والبطيئة، والعضلات المتجمعة، وهي جاهزة للانقضاض.

«أمسكت بيرونييس» بذراعها في الهجمات الأولى. إنه يتحرك بسرعة كبيرة، ولا يمكنها أن تتخيل كيف يكون لدى أي من الصيادين الوقت للرد، لكن أحدهم أمسكه برمحه، والحيوان يرحل مصاباً يعرج.

نمر آخر يدخل المعركة، وهذه المرة، يوجه ضربة،
ويطرح رجلاً على الأرض.

صراخ الحشد شديد للغاية، والعمل في الساحة
محموم للغاية، ولا يمكنها معرفة ما يحدث. إلى جانبها،
قفزت «بيرونيس» إلى أعلى وأسفل، «فيكتوريا» تصرخ، ثم
أدركت أنها أيضاً تفعل، على الرغم من أنها غير متأكدة
من هو الذي تصرخ من أجله، الرجال أم الوحوش.
حتى «ديدو» مصابة بالهستيريا، تضرب الهواء عندما
ينقذ رجل آخر، ويقفز على ظهر النمر المهاجم كما لو
كان حصاناً.

يتحول دور الصياد والفريسة ذهاباً وإياباً، وأحياناً
تتراجع الوحوش، وأحياناً الرجال. مهارة المقاتلين، ونعمة
النمور، كلها تتخللها أعمال وحشية تجعل «أمارا» تلهث.
ظلت تراقب، غير قادرة على النظر بعيداً، حتى ذبح آخر
نمر. وسحبت أجسادهم من الحلبة، تاركين آثاراً حمراء
كثيفة في الرمال. وسُحب أحد الرجال أيضاً، وكان صدره
مغطى بالدم من أثر جرح في الكتف. وظل الصيادان
المتبقيان يقفان سويًا، ويرفعان ذراعيهما لتلقي هتاف
الجماهير.

قالت «فيكتوريا» وهي ترفع صوتها فوق الضجيج:

- أشك في أن المصاب سوف ينجو. هذا النمر كان
عملياً قد خلع ذراعه!

- هل سيحل أحد محله؟ سألت ديدو، أم أن المعركة

القادمة سيكون لها صيادان فقط؟

قالت كريسا:

- عادة ما يستبدلونهم إذا كان هذا مبكراً، وإلا فإن الصيد لن يستمر لفترة طويلة بما فيه الكفاية.
- استغلت بعض النساء فترة الراحة للذهاب إلى المرحاض. قالت «أمارا»:
- أعتقد أنه كان من الأفضل أن أذهب.
- لا تحطمي قلب بائع الحديد. قالت فيكتوريا.
- حظاً طيباً، ضغطت ديدو على ذراعها، وأردفت: لتباركك الآلهة.

كان قلب «أمارا» يخفق مضطرباً، وهي تشق طريقها على الدرجات الخارجية من الحلبة. ماذا لو أساء «ميناندر» فهمها، واعتقد أنها تعني نهاية كل عمليات صيد الوحوش؟ ماذا لو لم يأت؟ مشت بسرعة إلى البوابة حيث رتبوا اللقاء، ويمكنها أن ترى، حتى من مسافة بعيدة، أنه كان ينتظرها بالفعل. وقفاً معاً، وقال وهو يمسك بيدها:

- لا أصدق أنك هنا حقاً.

- أنت أيضاً.

لا يبدو أنهما قادران على فعل أي شيء سوى التحديق في بعضهما بعضاً، حتى يضحك «ميناندر» ويفكك اللحظة:

- هل نحصل على مشروب؟

خرجا إلى الساحة، التي تنتشر فيها الأكشاك التي تباع الطعام والشراب والهدايا التذكارية. لم تعد «أمارا»

تهتم بالحرارة أو تلاحظ الضوضاء. كلاهما كان يضحك من أي شيء، مستمتعين بكل شيء. كانا يتجولان بلا هدف لفترة قبل أن يتذكرا لماذا ذهبا في نزهة على الأقدام وشراء كأس من النبيذ للمشاركة، وبعض الخبز، ثم انطلقا للجلوس في الظل تحت أشجار البلوط، إلى جوار باليسترا. ندرة أيام العطلة تعني أنهما ليسا الزوجين السعيدين الوحيدين اللذين يستفيدان من الوقت، على الرغم من أن حشد الجماهير مع بدء اصطياح الوحوش التالي يعيد بعض المتسكعين إلى الساحة.

لم يترك «ميناندر» يدها حتى الآن، وعندما جلسا، وضع ذراعه حولها. ووضعت «أمارا» رأسها على كتفه، حتى بات في مقدورها أن تشعر بضربات قلبه سريعة وعصبية مثل قلبها.

- هل كان والدك سيحبنى؟
- لا أعرف. قالت، وهي متفاجئة بالصدق في سؤاله.
- هذا أفضل. قالها ميناندر ضاحكاً.
- ماذا عن والدك؟
- أعتقد أنه سيكون سعيداً جداً بابنة الطبيب.
- لم يكن والداي مسرورين جداً بهذا النوع من السلوك.

- لا، لا أعتقد ذلك. أجاب ميناندر مشدداً إحكام قبضته عليها، في حال كانت تنوي تكريم الموتى من خلال الجلوس بعيداً عن بعضهما بعضاً.

التزما الصمت، وهي تشتبه في أنه يفكر، كما هي،
في كل ما خسروه. ثم قال:

- والآن ليس لدي ما أقدمه لك. لا دكاناً لترثيه، ولا
حرية.

- أعتقد أنه يمكننا الاتفاق على أن لدي أقل من
ذلك لأقدمه لك. قالت ذلك على سبيل المزاح، لكنها
تتألم، وتتسع المسافة بين نفسها القديمة وحياتها الآن.
- أوه، لا أعرف. قال مبتسماً ستجلب ما لا يقل عن
خمسة أضعاف ما أجلبه في السوق.

- لكن لا أحد يشتري أي شخص، ليس اليوم.

- لا... قالها، ثم انحنى لتقبيلها بسرعة، وكأنه قد
يفقد أعصابه.

هذا ما يفترض أن تشعر به، كما تعتقد أمارا، وهو
يحتجزها. عندما تريد شخص ما، من المفترض أن
تشعر بالسعادة.

- هل أنت بخير؟ انفصل ميناندر عنها، ونظر بقلق
إلى وجهها، أتمنى ألا أكون قد أزعجتك؟

- لا، كانت ترتجف، أنت لم تزعجني! قالت ذلك
ممسكة به أقرب لطمأنته، أنا فقط أشعر... توقفت، غير
قادرة على إيجاد الكلمات التي في مقدورها أن تعبر عن
السعادة والألم معاً.

نظر إليها، منتظراً، ولا يزال قلقاً. حاولت مرة أخرى:

- تعتاد على عدم امتلاك أي شيء، أليس كذلك؟

ثم فجأة أن يكون لديك شيء، لتشعر بشيء ما، إنه...

- سعيد - حزين؟

- نعم، لأنه لا شيء يخصك، ولا حتى السعادة.

- تيماريت، حتى العبيد يمتلكون سعادتهم. المشاعر هي الأشياء الوحيدة التي نملكها. مدّها قارورة الخمر الصغيرة، وأخذت رشفة، وأنا أعلم أنّ هذا المساء قصير، لكننا نمتلكه، نحن نمتلكه.

- هل ستخبرني ألا أضيعه؟

- لا، لأن الكلام لا يضيعه، لا أحد يخبرنا ماذا نفعل اليوم. فقط اشعري بما تريدين أن تشعري به، توقف قليلاً، وتابع: على الرغم من أنني أمل أن يعني ذلك أنك قد ترغبين في تقبيلي مرة أخرى.

- قد أفعل .

- أريد أن أعرف كل شيء عن غنائك أيضاً، قال وهو يمشط شعرها المتدلي على كتفيها، اعتقدت أنك قد تكونين أكبر من أن تلتقي بي الآن، بعد كل الحفلات التي ذهبت إليها أنت وديدو.

- أبداً.. وعلى أي حال، لن يكون هناك أي غناء إذا لم يكن لديك قيثارة من أجلي.

- لقد كنت أناانياً بالكامل. أردت فقط أن أسمعك تعزفين، وهو يقترب منها. رغبته مألوفة، تنتزع شيئاً دفيناً تحت الظلام في جسدها. لقد رأت الرغبة لدى الكثير من الرجال وتقريباً كلها كانت مؤلمة؛ لكن هذا

ميناندر! تمد يدها لتلمس وجهه، وتضعه بين أصابعها، لتذكر نفسها من هو، وتذكر نفسها أنها اختارت أن تكون معه.

- أتمنى لو كنت أعرفك في حياتنا الأخرى.

- أنا أعرف.

- تحاول الاحتفاظ بها في الداخل، أليس كذلك، كل الأجزاء المختلفة من نفسك، لكنها لم تعد موجودة. فكرتُ في والدتي قبل أيام، ماذا ستفكر بي، من ستري إذا التقينا الآن. لكنها لن تعرفني. كما أنني لا أعرف نفسي. تتحدث أمارا بسرعة، وتحاول استعجال الكلمات، على أمل أن تكون منطقية، ولكنها ليست متأكدة من سبب إخبارها بذلك، بصرف النظر عن الشوق الذي تشعر به لفهمها. في بعض الأحيان أعتقد أنه يجب أن يكون الأمر أصعب عليك. لأن حياتي مختلفة تمامًا، لم يتبق شيء من الماضي. لكن بالنسبة إليك، يجب أن يكون الأمر مثل العيش في الجانب الخاطئ من المرأة.

- أن تكون عبد الخزاف، وليس ابن الخزاف؟

- نعم.

- إنه صعب. لكنني أعلم أن الأمر ليس أصعب من حياتك. أخذ يدها ووضعها على خده مرة أخرى، وغطى أصابعها بأصابعه. أنت الشخص نفسه على الرغم من ذلك. ما زلت أراك كشخص واحد.

- أفتقد أشياء كثيرة. تنهدت، وابتسمت في محاولة

- لتلطيف الحالة المزاجية، الطعام كبداية.
 ظهر على وجه «ميناندر» تعبير غريب:
- الجبن الإيطالي! يا للآلهة... ماذا يطعمون ما عزهم؟
 - وصلصة السمك الرهيبة التي يضعونها على كل شيء!
 - لا توجد حبوب طرية جداً إلى درجة أنه لا يمكن تتبيلها بواسطة سمك الأنشوجة الفاسد.
 - والخبز هنا مذاقه مثل شخص ما يميل إلى الحبيبات فيه.
 - إنه كذلك، أليس كذلك! قال ميناندر بتساؤل: ماذا يضعون في الدقيق؟
 - أفتقد حساء أمي.
 - أنا أيضاً، أراهن أن حساء أمي كان الأفضل.
 - لا أحد يصنع يخنة أفضل من النساء في أفيدناي.
 - هل هذا وعد؟
 - قد يكون.
- قبَّلها «ميناندر» مرة أخرى، وهذه المرة ظل الظلام عند الأطراف، غير قادر على الاختراق.

يبدو أن فترة ما بعد الظهر، التي تمر دائماً بشكل مؤلم في المبنى، تنتهي بعد لحظات من جلستها مع

- «ميناندر»، على الرغم من مرور ساعات.
- أمارا! ها أنت ذا! كان من المفترض أن تقابلينا بعد معركة المصارع الثانية! لقد كنا نتجول منذ وقت طويل بحثاً عنك!
 - لم تكن قط أسفة لرؤية وجه «ديدو» من قبل، ولكن الآن، المنظر يجعل قلبها يسقط بين قدميها. إنها تحدق في صديقاتها الأربعة، يتراوحن حولها، وتمسك يد «ميناندر» بشكل غريزي.
 - لا يمكن أن يكون الوقت قد حان للعودة، ليس بعد!
 - ليس عليك أن تخبريني، قالت فيكتوريا التي بدت غاضبة، لم يحن حتى دور سيلادوس إلى الآن!
 - كان «فيليكس» قد أمرهم جميعاً بالمغادرة في الوقت المناسب، للتأكد من أنهم غبن عن الحشود، وعدن إلى المبنى، لالتقاط الزيادة الحتمية للزبائن بعد الحدث. وبصفته المصارع الأكثر شهرة، يجب أن تكون مبارزة «سيلادوس» قد تركت حتى النهاية.
 - وضع «ميناندر» يده على ذراعها، وقال بلطف:
 - سنرى بعضنا بعضاً قريباً.
 - لكننا لن نفعل! أنت تعلم أننا لن نفعل!
 - احتضنها، وكاد يسحقها على صدره.
 - سيكون لدينا يوم كامل آخر، فقط لأنفسنا. أعدك.
 - حتى لو كان علينا الانتظار حتى عيد الإله ساتورن.
 - أمارا.. تقول كريسا، لا يمكننا أن نتأخر.

لم تقل له وداعاً ولا هو كذلك. التخلي عن «ميناندر»،
والوقوف، والابتعاد عنه، ومعرفة ما ستواجهه الآن بدلاً
من ذلك، يكاد يوقف أنفاسها. الألم الجسدي يصل أقصى
حدود ضراوته. لا يمكنها تحمل النظر إلى الوراء. تقول
لنفسها: إنه من الأسهل ألا تريد، لا أن تشعر. عندما لا
تستطيع اتخاذ قراراتك الخاصة، ما فائدة الرغبة في أي
شيء أو أي شخص آخر؟

- أخذت « ديدو » يدها، وقالت، وهي تضغط على
أصابعها:

- أنا هنا....

-21-

من المؤكَّد أنَّ العيش هو أن تكون مستيقظًا.
بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي

يقع الكشك الذي يبيع الزهور والأكاليل على الجانب المظلل من الشارع، لكن الحرارة في وقت متأخر من بعد الظهر لا تزال تتسبب في ذبول العديد من الأزهار. همست «أمارا» و«ديدو» معًا، في محاولة لانتقاء النباتات الطازجة من دلاء الماء، بينما مساعد المتجر يراقبهما و يحوم حولهما.

- هل يمكننا شراء الزنابق؟

- ربما ينبغي لنا بذل الجهد، إذا أردنا أن يحجزنا أوريلْيوس مرة أخرى.

إنها المرة الثانية فقط التي يذهب فيها إلى منزل بائع النبيذ. «أوريلْيوس» هو صديق لـ«فوسكوس»، ولكن ليس «كرنيلْيوس»، وأسلوبه يبدو أكثر لباقة. المبغي السري في نهاية حديثه فكرة لا يمكن تصورها.

اشترتا الزنابق و وراحتا تتجولان ببطء. بدت الشوارع

أقل ازدحاماً من المعتاد، ولا أحد يتحدى الحرارة، وإذا كانت الليلة الماضية في المبنى تشير إلى ذلك، فإن نصف سكان بومبي يعانون من صداع الكحول. فركت «أمارا» ذراعها، إذ إنها تعرف أن الكدمة تؤثر في الجلد، هدية من عميل عدواني بشكل خاص الليلة الماضية. سيكون من المزعج إخفاء العيب الليلة.

قالت ديدو وهي تشير إلى ذراعها:

- هل تشعرين بتحسّن؟ أعلم أن الليلة الماضية كانت صعبة.

- أتمنى لو لم أره الآن!

قالت أمارا: كلتاها تعرف أنها لا تشير إلى الزبون، لكن الحديث عن ميناندر مباشرة يؤلم كثيراً؛ إنه يجعل كل شيء يبدو أسوأ بكثير.

- لقد أخبرت نيكاندروس بهذا.

- هل كان من المفترض أن تريه أمس أيضاً!

أومأت «ديدو» برأسها، ثم أوقفا حديثهما للسماح لعربة بالمرور، والوقوف بالقرب من الحائط لتجنب الغبار.

- ماذا يمكننا أن نعطي بعضنا بعضاً؟ بصرف النظر عن لطف اللحظة. عندما لا تستطيع أن تكون مع شخص ما، هل يستحق الألم، أن تتظاهر بأن الأمر مختلف؟ أنا آسفة، قالت ذلك وهي تنظر إلى وجه أمارا المنكوب، لكنني لست متأكدة مما يمنحك حب ميناندر؟ لو كان سالفوس حتى، كنت سأفهم. قد يشترك يوماً ما؟ على الأقل هذا ممكن. عبد آخر... لا يوجد شيء يمكنه

أن يعطيه لأية امرأة، مهما أراد ذلك.

- أنا أعلم. قالت أمارا، وهي تحاول عدم التفكير في إحساس ذراع ميناندر حولها أو الضحك في عينيه، أعلم أنه لا يستطيع.

- هل تعتقدين أن سالفوس سيشتريك في أي وقت؟

- لا. أعني، لقد تساءلت عن ذلك، لكن يجب أن تسمعيه يتحدث عن سابينا، فضيلتها غير العادية وخجلها. إنه ليس من النوع الذي ييقيني محظية، ومن الواضح أنني لست شخصاً قد يفكر فيه كزوجة.. ماذا عن بريسكوس؟ (تسأل مترددة)

- لا توجد فرصة! ضحكت، وأردفت: ماذا سوف يفعل؟ يبقيني في منزل سالفوس كحبيبة سرية؟ لقد فعل ذلك بالفعل.

وصلنا إلى المبنى، وطرقنا باب شقة «فيليكس».

أجاب «باريس» بوجه متجهم:

- السيد مشغول...

دفعت أمارا الباب، وقالت:

- لا يهم، نحن هنا للتمرن هذا المساء. إنه يعرف ذلك.

- لا داعي لأن تكوني وقحة وتضغطي على الباب!

- ألا يشعر بالوحدة؟ همست ديدو، بعد أن صعدا الدرج، لا أعتقد أن لديه أي أصدقاء.

- ليس من المستغرب، مع هذا الأسلوب، ترد أمارا،

ولا تكلف نفسها عناء خفض صوتها.

حفظت القيثارة في غرفة المعيشة الصغيرة قبالة غرفة نوم «فيليكس». وحالما أدركتا أن لديه رفقة في الجوار. إنها «فيكتوريا»، سوف تتعرف «أمارا» على تدمرها المنتشي في أي مكان، على الرغم من أنه يبدو أنها تبذل مجهوداً إضافياً من أجل رئيسها.

أمسكت «ديدو» بذراعها، ومنعتها من المشي لمسافة

أبعد:

- هل يجب أن نكون هنا؟

- ليس الأمر وكأننا لا نسمعها كل ليلة.

- نعم ، لكن هذا مختلف، هي لا تعرف أننا هنا

الآن!

توقفت مداولاتهما بصوت لم تسمعا به من قبل.

- هل هذا فيليكس؟ تساءلت أمارا غير مصدقة.

نسيتا تأنيبهما ووراحتا تتصتان، وتظران إلى بعضهما بعضاً في دهشة. إنه مما لا شك فيه أن «فيليكس» يئن من المتعة.

- لا أستطيع أن أصدق ذلك! قالت ديدو، هذا هو الوجه الذي أحصل عليه عادةً. وأخذت تقلد تبجح فيليكس، وتلقي نظرة ازدراء مغرور، كما لو كانت تحديق في رأس امرأة خيالية.

شهقت «أمارا» وهي تضحك، ثم وضعت يدها على فمها وحاولت كلتاها كتم ضحكاتهما، لكن محاولة عدم الضحك تزيد الأمر سوءاً، وسرعان ما أخذتا ترتعشان

من الهستيريا الصامتة.

- أحبك، مستعد للموت من أجلك. أحبك. أحبك...
- إنها حقًا تبالغ في الأمر الآن! قالت أمارا هل سيقع في فخ كلماتها تلك؟ انتظرت هي و«ديدو»، حتى انتهى الصراخ والأنين أخيرًا، لكن «فيكتوريا» لا تتوقف عن إعلانها الحب المتفاني.
- أنا أحبك جدًا، أنت كل شيء بالنسبة إليّ... أحبك. أحبك...
- كان هناك نبرة تضرع ومذلة في صوتها، وكادت أمارا ألا تتعرف عليه. يبدو الأمر كما لو أنها كانت تبكي، بينما صوت «فيليكس» هادئ في الإجابة، ولكنه منخفض جدًا، بحيث لا يمكن نطق الكلمات. همست أمارا:
- إنها ممثلة. يبدو أنه قد اشتراها كلها!
- لا ينبغي أن نسمع هذا حقًا، شعرت ديدو أنها غير مرتاحة. فمشت على رؤوس أصابعها إلى الممر، وأغلقت بابه وكأنهما قد دخلتا للتو. هل نرتدي ملابسنا أولاً، أم تريدين أن تعزفي على الفور؟ اختفت الأصوات المجاورة، أخرجت أمارا وديدو ملابسهما من الصندوق، وبدأتا التمرين على الأغنية الأولى. فتح «فيليكس» الباب، عارياً حتى الخصر، غير مهتم برؤيتهما كليهما. وقال مناديا من في الغرفة:
- يمكنك أن تذهبي الآن.
- خرجت فكتوريا مسرعة، ملابسها شعثناء، ووجهها

رطب، ربما بسبب العرق. حاولت «أمارا» أن تلفت نظرها وتغمز لها، لكنها تجنبت النظر إليها، وبدلاً من ذلك دخلت في الممر وأغلقت الباب بهدوء.

استلقت «أمارا» بطريقة متواضعة على أريكة «أوريليوس» المنجدة بوفرة، وهي ممتنة لأنها و«ديدو» قررتا ارتداء فساتينهما مطوية، مما جعل القماش معتمًا قدر الإمكان. إنها ليست جالسة مع «فوسكوس» الليلة، لكنه بدلاً من ذلك وضعها على أريكة مع أحد أقدم أصدقائه: «بليني»، أميرال الأسطول.

إنه رجل صارم المظهر، شعره رمادي غامق، وفكه صعب المراس. يحاول «أوريليوس» جرّه إلى حكايات من الحياة العسكرية، لكن يبدو أن «بليني» هو ذلك الشخص النادر الذي يفضل الملاحظة بدلاً من التحدث عن نفسه. قال لـ«أوريليوس»، الذي يعرض عليه اصطحابه في جولة ممتعة في كروم العنب:

- سأكون سعيداً. ولكن قد تجدني مملاً إلى حد ما. أمل أن أسافر قليلاً إلى الداخل نحو فيزوف، لأرى بعض النباتات النادرة. على الرغم من أن بحثي يتطرق بالطبع إلى النبيذ أيضاً.

ضحك أوريليوس، وقال:

- النبيذ للشرب وليس للبحث! ولكن يمكننا المغامرة في الداخل إذا كنت ترغب في ذلك.

لم يقل «بليني» شيئاً لـ«أمارا» طوال المساء، باستثناء
مجاملة قصيرة لها ولعرض «ديدو» لـ«سافو»، ولذا فهي
متفاجأة عندما خاطبها مباشرة.

- أنت لا تشاركين وجهة نظر مضيفنا؟

- أنا آسفة...؟

- النبيذ الخاص بك. كدت ألا تلمسيه طوال الليل.

نظرت «أمارا» إلى كأسها، الذي يقف إلى جوار رفيقه
المملوء بالمقدار نفسه، وقالت:

- آه. حسناً، أجد أن الإفراط في شرب الخمر يشبه

النوم، وأنا أفضل أن أكون مستيقظة لما تقدمه الحياة.

حدق فيها، وقال:

- مثير للاهتمام، لدينا الرأي نفسه.

بعد أن لفت انتباهه، سارعت إلى الضغط أكثر.

- هل تدرس الجودة الطبية للنباتات؟

تشنج فم «بليني»، بنظرة رافضة لا يحبها، لكنه يجيب

بسؤال:

- هل ستخبريني بكل الخصائص الخاصة للنساء؟

- لم أكن أتحدث عن جرعات الحب، قالت أمارا،

ووجنتاها تتوردان: والذي كان تلميذاً لهيروفيلوس.

- هيروفيلوس؟ هل هو المفضل لديك؟ ربما يمكنك

ضبطه على الموسيقى.

ضحك الضيوف الذين كانوا يستمعون إلى حديثهم

بتسلية. وقد تحملت «أمارا» الكثير من الإهانات، التي

عادة ما تكون مجاملة، من الرجال في هذه العشاء. إنها تعلم أنه من غير المنطقي، وكذلك من حماقة، أن يقوم هذا الرجل باستفزازها فضلاً عن أي شخص آخر، لكن قلبها يتسارع، ولا يمكنها أن تمنع نفسها من الانتقام.

- عندما تغيب الصحة، رفعت صوتها، وتحولت إلى اللغة اليونانية، لا يمكن للحكمة أن تكشف عن نفسها، والفن لا يمكن أن يتجلى، ولا يمكن للقوة أن تُبدل، والثروة لا فائدة منها، والعقل لا حول له ولا قوة. لن أضع هيروفييلوس في الموسيقى يا سيدي، لكنني سأعيش حياتي بحكمته.

- أسأت إليك، قال بليني والدهشة تعلو وجهه، كما لو كانت كلباً بدأ الحديث، اغفري لي. لا يوجد سبب يمنعك من قراءة هيروفييلوس. ماذا علمك والدك عنه؟ سؤاله أطفأ نيران غضب «أمارا»؛ لكن الخوف باغتها من كشف نفسها:

- ما كان يجب أن أفترض...

- بالطبع كان يجب أن تفترضي! لماذا يجب أن تدعيني أتباهى؟ كفي مع الحياء الزائف. فقط أجيبني عن سؤالي.

- كان والدي تيمايوس طبيباً في أفيدناي. لم يكن له ابن، وأراد رفيقاً يقرأ له. وهو ما فعلته. كان مهتماً بشكل خاص بنظرية هيروفييلوس حول الدورة الدموية. توقفت أمارا مؤقتاً، هل تسمح لي؟ طلبت الإذن لأخذ يد بليني. أخذت معصمه، وتحسست

النبض، وشعرت به يتسارع بلمسة خفيفة من أصابعها.
هذا هو إيقاع دمك، مدفوع بقلبك.
أو على الأقل، هذا ما آمن به هيروفيلوس.

- حذار! لا تدعها تنزف منك!

تركت «أمارا» «بليني»، وكلاهما يضحك. كانت المحادثة تستمر، وتتقطع حينما تتوجه هي و«ديدو» لأداء أغنية أخرى. لم يقل «بليني» شيئاً عندما انضمت إليه مرة أخرى على الأريكة، ولكن على الرغم من أنه لا يتكلم، كانت تشعر باهتمامه الشديد بها.

لم تتفاجأ لأنه اختار المغادرة مبكراً، لكن قبل أن يغادر، خاطبها مرة أخرى:

- هل سيسمح سيدك بترك العمل لمدة أسبوع؟
أود أن آخذك إلى المنزل.

إنه يقدم طلبه بشكل عرضي، ليس أكثر مما لو كان يطلب استعارة معطف، بحيث يستغرق الأمر بعض الوقت لفهمه. فتقول:

- أنا على يقين من أنه يمكن أن يؤجرني.

- جيد.

عبر الغرفة، كانت «ديدو» تحدق فيها، فاندفعت عينا «أمارا» إلى «بليني» ثم عادت إلى «ديدو» مرة أخرى:

- اشرح لي فيليكس... أومأت ديدو.

هناك مقدار كبير من الابتسامات بين الضيوف لأنها تتبع «بليني» إلى خارج الغرفة، على الرغم من أن لا أحد منهم لديه الجرأة الكافية لمضايقه الأدميرال بشكل

صريح. «أوريلْيوس» هو الأقرب.

- أتمنى لك ليلة سعيدة يا صديقي العزيز، يسعدني
أن العشاء أعجبك.

شكره «بليني» بصدق، واختار تجاهل تلميحه، أو ربما
غافلاً عنه. مشوا إلى الردهة، تتبعهم «أمارا» على مسافة،
وانضموا إلى حاشيته الصامتة من العبيد. واحد منهم
التقط القيثارة منها، بينما ساعدها الحمال في ارتداء
عباءتها. ثم خرجت إلى الشارع المضاء.

-22-

أتابع بحثي في ساعات غربية، أي في الليل - أقول هذا فقط في حال اعتقد أي منكم أنني أحزم العمل في ذلك الوقت! بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي

منزل «بليني» الذي أخذها إليه بالقرب من المنتدى، على بعد مسافة قصيرة من المبنى، لكن تخطي عتبة البيت يشبه الدخول إلى عالم آخر. استقبلهم ينبوع رقيق من النافورة عند دخولهم الردهة، كان ضوء النجوم ينعكس على مياهه. والهواء مثقلاً برائحة الياسمين.

قال «بليني»، وهو يأخذ مصباحاً من أحد العبيد ويقودها عبر القاعة المظلمة:

- كان أصدقائي طيبون بما يكفي للسماح لي باستخدام المنزل أثناء وجودهم في روما. هذا هو الطريق.

صعدا الدرج، وسارا على طول الشرفة الداخلية، وحينما دفع الباب، وفتحته، انتشرت رائحة الياسمين مكثفة بشكل خاص، كان في استطاعتها أن تسمع تدفق

نافورة أخرى. فظنت «أمارا» أن الغرفة تطل على الحديقة.

- هذا مكاننا.

أشار إليها للدخول. كانت تتوقع منه أن يجعل العبيد يحضرونها، لذلك كانت متوترة قليلاً للدخول إلى الغرفة بمفردها. الجدران مطلية بمناظر بحرية، وقوارب صغيرة في معارك خلافة، وأعمدة من الدخان تتصاعد من أسطول العدو المهزوم. تتساءل إذا كان «بليني» يزور هذا المنزل بانتظام، إذ كانت هذه الغرفة قد تم ترتيبها خصيصاً له. تمتلئ حقائق السفر بالمخطوطات والرقاقات، فضلاً عن كومة أخرى موضوعة على السرير الكبير، رفعها «بليني» بعناية، ويقول:

- بإمكانك خلع ملابسك، وبدأ ينظّم أوراقه والألواح أثناء قيامها بذلك.

ليس هناك فائدة من القيام بتعر مفر إذا لم يكن يشاهد حتى، أخذت تزيل العباءة وتطوي الفستّان الحريري بعناية وتفكك شعرها، ثم ترتيبه بمهارة على كتف واحد وتجلس في نهاية السرير.

قضى «بليني» بعض الوقت في ملاحظاته، ولكنه في النهاية عاد إليها، وهو يحمل كتيباً من الشمع وقلماً في متناول اليد، أخذاً ينظران إلى بعضهم بعضاً:

- هل يمكنني الحصول على رؤية أفضل؟

لم تتزعج «أمارا»؛ لكنها تتساءل في نفسها هل شكلها ليس مثيراً بما يكفي؟ ما الذي يريد رؤيته؟ تقوس ظهرها، عابسة.

- لا... لا.. ليس هكذا. فقط استلقي أو شيء من هذا القبيل، حتى أتمكن من إلقاء نظرة أفضل، أريد رؤية المزيد منك.

تستلقي على السرير، وتشعر بتوتر أكثر مع مرور الوقت. نظر «بليني» إليها، وهو يخط شيئاً على الكتيب بين يديه، فأدركت أنه يقوم بتدوين الملاحظات. الفكرة مضحكة للغاية، وعليها أن تسعل لإخفاء الضحك الذي يرتفع في حلقها.

- هل يمكنني؟ سألها، وهو يضع الكتيب على الأرض، مشيراً إلى أنه يود أن يلمسها.

راح يمرر يديه على جسدها كله، وهي متجهمة التركيز، تميل قليلاً إلى نفسها عندما يصيب الكدمة في ذراعها. وتتأرجح عندما يلمسها بين ساقها، وهي غير متأكدة مما يمكن توقعه، لكنه لا يتباطأ أكثر مما فعل على كوعها أو ذقنها، ويقول باستحسان:

- يسعدني أن أرى أنك لا تزيلين كل الشعر عادة مثيرة للاشمئزاز، على الرغم من أن كل هذا لطيف وسلس، كما ينبغي أن يكون. شكراً لك، قال وهو جالس على السرير: يمكنك الجلوس الآن.

فعلت «أمارا» ما طلبه، إنها ليست متأكدة من أنه حتى «فيكتوريا» ستصدقها عندما تروي هذه الليلة، لكنه يقاطع الصمت بينهما ويقول:

- لقد تحدثت إلى عدد من المحظيات من أجل بحثي،

معتبراً إياه لقباً أفضل مما يعرف كلاهما أنها تستحقه .
سأكون مهتماً بمعرفة معلوماتك عن الأعشاب .
لم أكن - في الواقع - أسخر من جرعات الحب في وقت سابق .

- ماذا تريد أن تعرف .

يتأهب مع كتيبه ويسأل :

- هل تفعلين أي شيء لمنع الحمل؟

- أقوم بإدخال إسفنجة غارقة في العسل، عندما أستطيع تحمل تكلفته . أستخدمه كحاجز . سمح لي والدي بقراءة كل ما كتبه هيروفيلوس، بما في ذلك كتابه عن القبالة . كان يعتقد أنه سيكون مفيداً لي عندما أتزوج .

- معقول جداً . إذن أنت لا تستخدمين أي مفاتن؟

- لا، على الرغم من أن بعض من في مؤسستي يفعلن ذلك . هناك واحدة تغسل نفسها بالنيبيذ والخل . الرفيقة التي غنيت معها هذا المساء تستخدم أيضاً الإسفنجة، مثلي .

يواصل تدوين ملاحظاته :

- كيف أصبحت... مومساً؟

- أي جزء من القصة تريده؟

- حسناً، كلها . لقد بدأت في قراءة هيروفيلوس لوالدك في أتيكا، والآن، أنت هنا في بومبي . أود أن أسمع كل شيء .

إنه لا يطلب شيئاً سوى حياتها كلها مكشوفة. «أمارا»
غير متأكدة مما إذا كان عملها الآخر أسهل، فتقول:

- كان والدي طبيباً في أفيدناي. كنت الطفل الوحيد.
مات عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري. جراء
عدوى انتقلت إليه من أحد مرضاه. حاولت والدتي إعالتنا
لسنوات عدة، وعندما لم يعد ذلك ممكناً، باعتني كجارية
منزل لأحد رعاة والدي السابقين.

- انتظري لحظة. رفع بليني يده، وقال: هذا لا معنى
له على الإطلاق. لماذا لم تزوجك والدتك بأسرع ما
يمكن؟ لا بد أنهم كانوا يتوقعون أنك ستتزوجين قريباً
على أي حال، في هذا العمر. كنت الطفلة الوحيدة، فماذا
عن المهر؟

لقد نجح، حتماً، في ضرب أحد أكثر الأجزاء المخزية
في قصتها. فتقول:

- لم يكن والدي يحاسب مرضاه دائماً كما ينبغي،
وهي تشعر بالحاجة حتى الآن للدفاع عنه بسبب إهماله.
الديون التي توقعنا أن نسدها يوماً ما، لم تُدفع قط.
وكان لديه ديون كبيرة خاصة به. أي مهر كان هناك،
أنفقتة والدتي لإعالتنا.

- لكن هذا كان أفضح إهمال! كلاهما! رأى
الضيق على وجهها، فقال: لا، أنا آسف، استمري.
تم بيعك كجارية في المنزل. ماذا بعد.

- تركت والدتي المال الذي حصلت عليه مقابل

بيعي مع ممتلكاتي، تقول أمارا، وهي تريد على الأقل تبرئة والدتها من الجشع، لكن سيدي الجديد أخذه، ولم يستخدمني كجارية في المنزل، كما وعد، ولكن كعشيقة. أغمض «بليني» عينيه، وكأنه كان مدهوشاً من إمكان أن يتم خداع أي شخص في تخيل خلاف ذلك، وتواصل هي كلامها:

- ربما كنت هناك لمدة عام، لكن زوجته شعرت بالغيرة وباعتني كبغي. تم نقلي إلى بوتولي. وبيعي هناك في السوق للقواد الذي يدير المبغي في المدينة. هكذا صرت هنا.

- رحلة العقل دائماً أغرب من رحلة الجسد، قال بليني بشكل غامض: كيف قبلت هذا الوضع؟ لا بد أنك قضيت حياتك المبكرة تتخيلين أن تصبحي... ماذا؟ زوجة محترمة؟ أمماً ربما؟

- كنت أعرف أن هذا كان واجبي.

- ماذا كنت تريدين إذن، إن لم يكن ذلك؟

- ما أردته هو أحلام اليقظة. انفجر بليني، إثر نفاذ صبره من مراوغتها، فاستسلمت أمارا: أردت أن أصبح طبيبة مثل والدي. لقد افترضت حينها أن هذا سيحدث بسبب كل الساعات التي أمضيتها في قراءة نصوصه. لم أفهم كيف صار هذا هو حلمي. ثم عندما ذكرت ذلك ذات يوم، أوضح أنه طبعاً، لا يمكن تحقيقه.

- هذا ليس صحيحاً تماماً. رد بليني

بالتأكيد، لم يكن بإمكانك ممارسة الطب مثل والدك، لكن كانت هناك دائماً نساء عالمات وفلاسفة يعشن حياة متواضعة بدرجة كافية. خاصة في أتيكا. لكنني أتفهم قلقه من المخالفة. على الرغم من ذلك... تمتم، وكان من الواضح أنه لا يزال منزعجاً من والديها كان هذا سبباً إضافياً لتوفير المهر. وضع كتيبه جانباً، وألقى نظرة سريعة على كتيبه هل لديك صوت قراءة جيد؟

- أعتقد أنه كذلك.

- ممتاز. يمكنك مساعدتي قليلاً، أثناء وجودك هنا، وتحول إلى اليونانية يمكننا حتى قراءة هيروفيلوس، إذا كنت ترغبين في ذلك. أنا أفكر في إدراجه في تاريخي الطبيعي.

لهجة «بليني» مروعة، لكن لغته اليونانية متقنة تماماً. فقالت مبتسمة له:

- أود ذلك.. أحب ذلك كثيراً. سيكون من دواعي سروري.

ابتسم أيضاً، من الواضح أنه راضٍ عن الطريقة التي سارت بها الأمسية. قال وهو ينهض من السرير:

- الآن، سأستيقظ للقراءة لبضع ساعات. لكن من فضلك لا تدعي ذلك يزعجك. لا تتردد في النوم أثناء عملي.

- أين تريد مني... أن أنام؟

- على السرير طبعاً، قال بليني، وقد تسال السخطل إلى صوته.

جلس إلى مكتبه بطريقة مائلة حتى يتمكن من رؤيتها. «كانت أمارا» تراقبه من تحت الأغطية وتغلق نصف عينيها وتراقبه من تحت الرموش المنخفضة.

سُرّ لرؤيتها مستقرة، وعاد إلى لفائفه كأنها غير موجودة. إنها تتوي البقاء مستيقظة تماماً، لكن حفيف المخطوطات وصوت النافورة ورائحة الياسمين كلها مهدئة، فسرعان ما انجرفت في النوم.

كانت لا تزال نصف نائمة عندما شعرت أن أصابعه تتخلل شعرها، وهو يهمس:

- لم تترك لي مساحة كبيرة.

صارت على الفور في حالة تأهب.

- أوه! صرخت، مدركة أنها لا بد أنها امتدت على السرير بأكمله أثناء نومها، آسفة، قالتها وهي تندفع إلى الجانب الآخر.

انزلق «بليني» إلى جوارها، وهو يقول:

- إنها هدية، أن ينام المرء جيداً.

استلقيا إلى جوار بعضهما بعضاً في الظلام. لم يكن لدى لدى «أمارا» أي فكرة عن الوقت ما إذا كان الليل، أو ربما الصباح. لكنها شعرت من سكونه الشديد وتنفسه الضحل أن «بليني» مستيقظ تماماً.

من الصعب معرفة ما قد يريده، لكن «أمارا» تشعر

أنه من الأفضل لها أن تشك في الأمر الواضح بدلاً من الإساءة إليه. تحركت، واضعة يدها برفق على ذراعه، وهي تقول:

- أنا ممتنة جداً لأنك دعوتني.
- أنت فتاة مبهجة.

عرفت «أمارا» أنه ينظر إليها، لكن وجهه مظلل في الظلام. مالت وقبلت شفاهه الجافة الرقيقة. لم يبادلها «بليني» القبلة، لكنه لم يدفعها بعيداً أيضاً، فاسترخت، وتركت جسدها يستريح على جسده، بينما تحركت يدها عبر فخذه. على الفور فأوقفها، وأمسك بها من معصمها:

- ليس هناك حاجة.

- أريد فقط إرضاءك، قالت وهي تبتعد، لذا لم تعد تكذب عليه، لم أقصد الافتراض.

- أنا أفهم، قالها وهو يقبل يدها بشفتين جافتين ويفك معصمها، لكن ليست هناك حاجة. إنه لمن دواعي سروري ببساطة أن أكون هنا.

مد يده، ووضعها على خصرها. إنه الجزء الوحيد من أجسادهن الذي يمكن ملامسته، على الرغم من أنه قريب جداً، حيث تستطيع رؤية ظلمة عينيه والشعور بدفء أنفاسه. فيقول:

- يا لها من بشرة ناعمة جميلة.

بقيت «أمارا» على الوضع نفسه، متوقعة أنه ربما أراد أن يكون هو من يقوم بالإغواء، حتى أدركت أنه نائم

بالفعل مع زيادة ثقل يده وتنفسه الذي صار أعمق.
رفعت ذراعه برفق، أبعدتها عن جسدها ووضعتها على
السريـر، ثم ابتعدت قليلاً، ولا تريد أن تتدحرج إليه لاحقاً
عن طريق الخطأ.
أغلقت «أمارا» عينيها مسترخية، وفكرت في أن هذا
سيكون أسبوعاً ممتعاً للغاية.

-23-

لا يقدم أي جزء آخر من الجسم المزيد من الأدلة على الحالة الذهنية. هذا هو الحال مع جميع الحيوانات، ولكن بشكل خاص مع الإنسان؛ أي أن العيون تظهر علامات ضبط النفس والرحمة والشفقة والكراهية والحب والحزن والفرح؛ في الحقيقة، العيون هي نوافذ الروح.
بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي

«بليني» يمشط شعرها بأصابعه. يوقظها الإحساس، تفتح عينيها لتراه يحدق فيها. ضوء النهار أقل تسامحاً مع عمره. هناك شعر رمادي على صدره العاري وتعبير عن نوايا غريبة على وجهه، فتساءلت منذ متى كان يراقبها.

قال على سبيل التحية:

- أنا سعيد جداً لأنك لا تصبغين شعرك مثل الكثير من النساء السخيفات. الظل الطبيعي الخاص بك هو مثل هذا.. جميل... لينة مثل السنجاب... مال وقبلها قبلة جافة على أنفها.

إنه مزيج محير من الحنان والخوف، ولم تعد متأكدة مما سيقوله.

- شكرًا لك... قالت وهي تأمل أن يتوقف عن ملاحظتها قريبًا، حتى تتمكن من الجلوس منتصبًا والابتعاد.

انحنى مرة أخرى، هذه المرة قبلها على جبهتها. ثم جلس وهو يؤرجح ساقيه على جانب السرير. ويقول:

- أريد أن أكتب هذا الصباح. ولكن أود أن تقرأي لي بعد الظهر. في غضون ذلك، خذي لفافة أو اثنتين واستمتعي في الحدائق. سيقدم لك سيكوندوس أي شيء قد تحتاجين إليه، إنه يعلم أنك ستبقيين طوال الأسبوع. كان «بليني» يرتدي ملابسه وهو يتحدث - ومرة أخرى فوجئت بغياب العبيد في غرفته الخاصة - ولكن عندما رآها تلتقط رداء الحرير الشفاف، توقف.

- أنت لا ترتدين هذا عادة، أليس كذلك؟

- ليس لدي أي شيء آخر! دهشت من أن مثل هذا الرجل الذكي قادر على أن يكون بليدًا للغاية.

- أفترض أنك لا تمتلكين أي شيء آخر. نظر حوله بغباء، وكأنه يتوقع أن تثبت ملابس نسائية معقولة من إحدى حقائب السفر. سيتعين عليك قبول ذلك الآن. ربما... يتجهم، يراقبها، ربما يمكنك طيه مرات عدة أخرى؟

حينما كانت ترتدي ملابسها، كان يتخبط حولها، بينما تختار لفافة أو بالأحرى تقبل الحزمة التي أعطاها إياها،

ثم اصطحبها إلى الباب، ويبدو الآن أنه حريص على مغادرتها حتى يتمكن من العمل.

سارت إلى الشرفة الداخلية، لتصل إلى الحدائق في الأسفل. قال بإشارة غامضة قبل أن يختفي مرة أخرى في مكتبه:

- ما عليك سوى صعود الدرج.

مشت ببطء إلى الحديقة يسكنها شعور بالسحر التام. الجو بارد في الصباح الباكر ولكن السماء زرقاء بالفعل، ما يعد بيوم ملتهب. رائحة الزهور التي لا تستطيع تسميتها حلوة في الهواء، والنافورة تتلألأ عندما ينهمر الماء منها، الإيقاع اللطيف لتناثرها مثل خطى خفيفة. تشكل شرفة الطابق العلوي جزءاً من الرواق المظلل، ويوجد عدد من المقاعد المليئة بالوسائد لمن يرغب في الراحة.

وقفت «أمارا» تحديق غير قادرة على تصديق ما تراه. كل هذا لها لهذا اليوم. ليس لديها ما تفعله سوى الجلوس والقراءة والنظر إلى هذه الحديقة الجميلة.

- هل تريدين بعض المرطبات يا سيدتي؟

وقف رجل، قد يكون أو لا يكون هو «سيكوندوس» الذي تحدثت عنه «بليني»، على مسافة مهذبة.

شعرت «أمارا» من خطابه الرسمي، وضمت اللفائف إلى صدرها، على أمل تغطية القماش الرقيق.

- سيكون ذلك لطيفاً جداً، شكراً لك.

غادر الرجل، و جلست على أحد المقاعد، في مواجهة النافورة. كان الجو بارداً قليلاً في الظل، وراحت تتفقد

اللفائف التي أعطاها لها «بليني»، كلاهما يوناني، يعرفان «هومر»، على الرغم من أن عائلتها تمتلك فقط نسخة من قسمين من «الأوديسا»، إلا أنها لم تر «الأرغونوتيكا» التي كتبها «أبولونيوس» مطلقاً.

فتحت الجزء العلوي بعناية، وبدأت في القراءة، عندما عاد الرجل نفسه ومعه صينية وبطانية. ليقول:

- اعتقدت أنك قد تشعرين بالبرد.
- ردت «أمارا»، وهي تلف الغطاء حول كتفيها:
- هذا حقيقي جداً، شكراً لك. هل أنت سيكوندوس؟
- نعم.

- أنا أمارا. من الجميل جداً أن ألتقي بك.
ارتجف فمه قليلاً أثناء الحديث، لكنه ظل مهذباً.

- تشرفت بلقاءك أيضاً، يا سيدة أمارا.
- شكراً لك، سألته وهو يضع صينيته على طاولة صغيرة بجانب المقعد: هل تعرف أي موسيقى يحبها الأدميرال؟
أمل أن أعزف له لاحقاً. لقد كان لطيفاً معي. أود بشدة أن أغني شيئاً قد يستمتع به؟

- أنا على يقين من أن الأدميرال سيكون سعيداً لسماع ما قد ترغيبين في غنائه، نظراً لأنه كان سعيداً بدعوتك إلى هنا كضيف له، ثم انحنى لها وغادر.

عندما ابتعد الرجل عنها، تفقدت الصينية بلهفة. كانت تحتوي على قطعة من الخبز الناعم المفتت مع عسل مدهون في الأعلى، وكوب ماء وطبق فواكه - مشمش وخوخ.

حاولت ألا تأكله بسرعة كبيرة أو بطمع شديد، ثم تنهض لتغمس أصابعها في النافورة. إنها على يقين من أن «بليني» لن يحب بقع العسل أو الخوخ على ورقه. ثم استقرت مرة أخرى على الوسائد بحسرة، وبدأت في قراءة «الأرغونوتيكا».

إنه صباح لا مثيل له في حياة «أمارا»، حتى في منزل والدها لم تكن تعرف مثل هذه الرفاهية. بعد قليل ظهر سيكوندوس بصينية أخرى خفيفة من الطعام - الجبن والزيتون والمزيد من الخبز، وكأس صغير من النبيذ الحلو، ثم غادر، أخذت تتجول في الحديقة لتفقد الأزهار، أعجبها الياسمين الذي تعرف أنه ستظهر رائحته أكثر في المساء. نظرت إلى اللوحات الموجودة حول الرواق - مناظر حديقة رائعة، وطيور برية أثناء الطيران، وحماسة تستريح عند نافورة تعكس الصورة الحقيقية التي تتناثر بلطف طوال اليوم. إنها تعرف أنها بالقرب من صخب الشارع، لكن القليل جداً من ضجيجها يزعج هدوءها.

بعد وقت متأخر من بعد الظهر، ارتفعت حرارة الشمس في كل ركن من أركان الحديقة، وتخلصت «أمارا» من البطانية التي أحضرها «سيكوندوس». وبدأت تشعر ببعض القلق من أن «بليني» قد نسيها، عندما وصل، يتبعه عبد يحمل صندوقاً.

- هل استمتعت بالحدائق؟ سألتها، وانضم إليها في صف الأعمدة المظلل.

- إنها رائعة.

لم أعرف مثل هذه السعادة من قبل.

أوماً برأسه، وبدا مسروراً وهو يقول:

- إذا كان في مقدورك أن تقرأي لي قليلاً الآن، سأكون قادراً على معرفة ما إذا كنت أجد صوتك سهل الاستماع إليه أم لا. سلمها العبد لفافة، وأردف بليني: أحضرت هيروفيولوس «أون بولز»، أحتاج إلى دراسته في أي حال، وسيكون من المفيد أن تكوني على دراية بالنص. اللفافة التي بين يدي «أمارا» أرق ألف مرة من تلك الموجودة في منزل والدها، لكنها تشعر بفيض من العاطفة وهو يفتحها. سألته:

- هل هناك قسم تفضله؟

- ابدأي من البداية! قال بليني بسخرية، أجد هذا مفيداً بشكل عام.

بدأت «أمارا» في القراءة. النص أكمل من النص الذي امتلكه والدها، لكن العبارات والإيقاعات لا تزال مألوفة. إنه مثل سرد صلاة، وتعويدة لكل ما اعتادت أن تحبه. كانت تقرأ لبضع دقائق، مع ملاحظات «بليني» المدونة عليها، عندما أوقفها ليقول:

- عودي قليلاً. سطرين فقط.

واصلت القراءة بقوة لساعات عدة، بمساعدة كوب الماء الغريب الذي أحضره «سيكوندوس» المجتهد دائماً. في النهاية، أخذوا استراحة لتناول العشاء.

قال «بليني»:

- لديك صوت موسيقي لا يخدع كثيراً أستطيع أن

أرى لماذا وجدك والدك مفيدة جدة. أجد صعوبة في الاستماع إلى أصوات العديد من النساء لفترات طويلة، لكن صوتك يتمتع بالجودة المناسبة.

- هل تدعني أغني لك؟

- لست متأكدًا من أنني حقًا رجل قد يحتمل الأغاني من أشعار سافو، قال بلطف.

- لم أكن سأفعل ذلك. كنت سأغني نسخة من لقاء نوسيكًا مع أوديسيوس لوالدي. اعتقدت أنك قد تجده ممتعًا.

- ليكون ذلك إذن، على الرغم من أن نبرته توحى بأنه وافق على الأدب بشغف أكبر...

جلست «أمارا» و«بليني» يتناولان العشاء في الحديقة وحدهما. ليس هناك طقوس غرفة الطعام. سألها عن «الأرغونوتيكا»، وعن آرائها لتصوير «أبولونيوس» للحب بين «جايسون» و«ميذا». وقد كانت ممتنة لقراءة ما يكفي لمناقشته. بعد أن أكلوا، أحضر لها أحد العبيد القيثارة، وبدأت تعزف له، وهي نغمة تعيدها إلى طفولتها ونظرة والديها الحنونة.

نظرت إليه بترقب عندما انتهت، على أمل أن يكون قد استمتع بها، لكن التعبير الذي رأيته على وجهه كان يبعث على الحزن الشديد.

قال أخيرًا:

- والداك لم يخدمك جيدًا يا أمارا. أنت فتاة

جميلة. كان يجب أن يتأكدوا من أن لديك مهراً.
- أرجوك. كلاهما مات. لا أستطيع التفكير بهما
بشكل سيئ.

أمال «بليني» رأسه في إشارة اعتراف بحقها:

- أفهم. اغفري لي.
عندما يكون الجو مظلماً وبارداً جداً بحيث لا يسمح
لهم بالبقاء لفترة أطول في الحديقة، يعودان إلى غرفة
«بليني». فهناك المزيد من اللفائف المنتشرة حولها مما
تتذكره.

قال مشيراً إلى كومة من ملابس النساء:

- آه، لقد نسيت لقد جعلتهم يجدون لك بعض
الأشياء الأكثر ملاءمة.

- شكراً لك، قالتها، وهي تقاوم الرغبة في حمل
الكومة ورؤية ما أعطاها إياه، سأرتديها غداً. أنت لطيف
جداً معي.

شاهدها وهي تتجرد من ملابسها، بالتعبير نفسه
الذي تتذكره منذ الصباح. تأمل «أمارا» أن يريدها هذه
الليلة، وألا يبتعد هذا المساء عنها.

إنها تعلم أنه ليس هو الذي وقعت في حبه - إنها
الحدائق، جمال الحياة التي يمتلكها - لكن لا يوجد تركيز
لرغبتها إلا على الرجل الذي أمامها. على الرغم من
جهودها في خلع ملابسها، إلا أنه لا ينضم إليها على
السرير، بل يجلس إلى مكتبه للعمل.

- هل يمكن أن أقرأ لك؟
- لا بد أنك متعبة. لا أتوقع منك أن تجلسي لتقراي طوال الليل.
- أرجوك. أود أن أفعل.
- تردد ثم مرر لها اللقافة التي يدرسها، ويقول:
- من هناك، وأشار مشيراً إلى النقطة في النص بإبهامه.
- هذه المرة لا يوجد «سيكوندوس» لإحضار أكواب الماء السرية الخاصة به، والأطروحة عن النباتات غير مألوفة، بل والأسوأ من ذلك أن خط يد الكاتب ضيق ويصعب فك شفرته. أكثر من مرة، سمعت «بليني» يجفل أو يتملل بفارغ الصبر وهي تتعثر على عبارة، ولكن مع ذلك، تستمر «أمارا» في القراءة، حتى تعتقد أنها ستفقد صوتها أو تغفو مرهقة على الرق.
- أخيراً، كان لديه ما يكفي، وبدأ في الاستعداد للنوم، وهو يقول:
- أرى أننا متشابهون في تجنب النوم. يبدو لي دائماً نوعاً من الموت.
- تقترب منه عندما يدخل بجانبها، على أمل أن يضع ذراعاً حولها؛ لكنه لا يفعل.
- أمارا ليس اسماً سمعته من قبل، قال، عندما كانا مستلقيين في مواجهة بعضهما بعضاً في الظلام. أعتقد أنه ليس اسمك الحقيقي.

- سيدي أعطاني إياه، قال لي إنه يعني الوقوف في منتصف الطريق بين الحب والمرارة.

- نعم، أمارا، أماروم. شعري بعض الشيء لقواد. وضع «بليني» يده في جوف خصرها، كما فعل الليلة الماضية، فخشيت أن ينام، ومالت نحوه حتى تنزلق يده إلى أسفل ظهرها وتقبله. شفته جافة وغير متحركة كما كان من قبل. قبلته مرة أخرى، محاولة تخيل أنه «ميناندر»، وأنه سوف يستجيب لها مثل «ميناندر»، لكنه بدلاً من ذلك، دفعها بعيداً برفق.

- أنا فقط أريد إرضاءك. إنه سطر كررته بلا نهاية للعديد من العملاء دون أي أثر للإخلاص. هذه المرة كانت تتمنى ألا تكون الحاجة ماسة في صوتها.

- أنتِ تسعدينني، قال كأنه يداعب طفلاً، أنا أحب النظر إليك، أنتِ محبوبة جداً. مرر أصابعه ببطء عبر شعرها، كما فعل عندما أيقظها في الصباح، لا أشعر بالحاجة إلى المزيد.

ظنت أنه يجب أن يكون عاجزاً، لم تزعجها الفكرة، ولم تطمئنّها. إنها مرهقة للغاية والسريير مريح للغاية بحيث لم تعد تهتم بأحجية «بليني». غفت، وقد هدأ إحساسها بأنه لا يزال يداعب رأسها.

الوقت يمر مثل شريط من الحرير بين أصابعها. كل ساعة تقضيها كضيفة لدى «بليني» ترى أنها تقع في

حب حياته بشكل أعمق، أيامها هي موكب لا نهاية له من الملذات. إنها تستحم بمفردها في جناح الحمام الخاص، وتصنف شعرها كل صباح، وتأكل بحرية دون التفكير في سعر الطعام. ببطء بدأت تشعر بجسدها يعود إليها. لا أحد يلمسها من دون إذن، ناهيك عن العنف.

في الحديقة الجميلة، بدا قبح المبعي كأنه شيء من خارج الواقع. لكنها لا تزال تعلم بوجوده، مثل الكدمة المتلاشية على ذراعها.

أصبح «بليني» بؤرة الهوس لآمالها. لم تقض معه وقتاً طويلاً كما فعلت في يومها الأول، فغالباً ما يكون مشغولاً باستقبال الضيوف، أو تناول الطعام في الخارج، ولكن كل ليلة، تقرأ له وتنام تحت وطأة يده. تجلس في ظل صف الأعمدة، تراقب بصمت عندما يناديه الضيوف في الحديقة، في محاولة لمعرفة المزيد عن عاداته، وآرائه، وأي شيء قد يسمح لها بجعل نفسها لا غنى عنها بالنسبة إليه.

قالت لنفسها إنه سيكون سيّداً جيداً، وتخيّل حياتها كسكرتيرة له. حتى لو فقد الاهتمام بها، إذا أصبحت شيئاً جميلاً منسياً في منزله، شيئاً يتم وضعه إلى جانب الزهور أو النوافير، فسيظل صوتها مفيداً له، وسيظل يعاملها بلطف.

أحياناً، وهي وحدها في الحديقة، تفكر في النساء الأخريات، والأهم من ذلك كله في «ديدو»، وتتوق للتحدث

إليها. ثم يغمرها الشعور بالذنب بسبب هجرها المخطط له. تروي لنفسها أكاذيب متقنة: إذا اشتراكي «بليني»، فسوف أقتعه بشراء «ديدو» أيضاً، كانت تحاول ألا تفكر في «ميناندر»، فالذكريات مؤلمة مثل حرق الحطب.

في يومها السادس في منزل «بليني»، كان خوفها من إعادتها إلى المبعى شديداً بحيث لم تعد تستطيع القراءة. وعلى الرغم من أنه لم يقل شيئاً عن مغادرتها، لكنه لم يذكر تمديد إقامتها أيضاً. كانت تجلس بصمت في الحديقة، مختبئة في الظل، عندما دخل اثنان من معارف «بليني».

وقفوا يثرثرون عند النافورة وهم ينتظرونه. لقد مرت فترة قبل أن تدرك ما يتحدثون عنه.

- ... لا أعرف لماذا أخذها. وحده بليني يمكن أن يكون غريب الأطوار للغاية، حيث يأخذ إلى المنزل فتاة يونانية صغيرة مرحة غنت في حفلة. دُهِشت... وحولت انتباهها إلى المتحدث. إنه أصغر بكثير من «بليني»، يتمتع بمظهر مغرور وراضٍ عن نفسه. يذكرها بـ«كوينتوس».

رفيقه الذي ترى ظهره، لكنها تسمع التسلية في صوته:
- رآها سيسيليوس عندما زاره في هذا الأسبوع. قال إنها جميلة جداً، لكنها سخيفة تماماً. كانت متحمسة للغاية، كانت ترتجف عملياً، وهي تحدد في الأدميرال بعيون مأساوية. ولم يهتم بها «بليني» على الإطلاق!
الرجل الأول يشخر ضاحكاً بقوة:

- حسناً، عليك تسليمها إلي. سأكون سعيداً جداً إذا كان بإمكانني ممارسة الحب مع بغني في حالة من الإخلاص في تلك السن.
- الصبي العجوز خسر قليلاً من وزنه. دعونا نأمل ألا تصيبه بنوبة قلبية.
- استهزاء الرجال لا يؤذي «أمارا»، لكن عجزها يؤذيها. عبر الحديقة، وقفت بصمت في صف الأعمدة، وأدركت أن «سيكوندوس» يستمع أيضاً. دوره الدقيق في حياة «بليني» غير واضح بالنسبة إليه، لكنها سرعان ما خمنت أنه أكثر من مضيفه - إنه عين سيده وأذنه. تستطيع أن ترى من وجهه، الذي يكون غامضاً جداً في العادة، إلى درجة أنه غاضب. استمر الرجلان في الدردشة بهدوء عند النافورة، متجاهلين الاستماع إلى العبيد.
- نظر إليها «سيكوندوس». كان يعرف دائماً أنها كانت هناك. ابتسم، وأمال رأسه قليلاً نحو الرجال. وهي تعلم حينئذ أنه لن يتم منح أي خدمة حصل عليها الزوجان من الأدميرال اليوم.

- إنه «سيكوندوس» الذي أخبرها لاحقاً أن «بليني» سوف يتناول العشاء معها بمفردها في تلك الليلة.
- هل تعتقد أنه يريدني أن أغني له؟
- أجاب «سيكوندوس» بلباقة:
- أعتقد أنه يستمتع بالقراءة بصوتك كثيراً.

لقد أخبرني كم كنت مفيدة، حيث قرأت له لساعات طويلة في الليل من دون أي شكوى.

- لقد كان من دواعي سروري فقط.

نظر إليها «سيكوندوس» نظرة تتم عن شعور أكبر من الشفقة. ونما إحساسها بالندير.

كان «بليني» يتمتع بمزاج جيد أثناء العشاء، حرص على الثناء على ما كانت تقرأه، حتى، في مرحلة ما، قبل يدها، وهي العلامة الوحيدة على المودة الجسدية التي أظهرها لها خارج غرفة نومه. إنه يقول لها وداعاً. كان فم «بليني» يتحرك وهو يتحدث. بلامح لا تتم عن قسوة في وجهه. وقد اختلط رذاذ النافورة المرح مع كلماته المدروسة، والهواء المعطر بالياسمين. لا تستطيع أن تتخيل العودة إلى «فيليكس»، والعودة إلى المبعى بكل ظلامه، وعنقه اليومي. سوف يقتلها الأمر.

أخيراً، قال بليني:

- سأفتقدك، قالها عندما أحضر أحد العبيد طبقاً كبيراً من الفاكهة. أخذ تفاحة، وأردف: لقد كان من دواعي سروري وجودك هنا.

فقالت أمارا برجاء من فقد الأمل:

- لا تعدني، أتوسل إليك، من فضلك، لا تفعل ذلك. نظر إليها بدهشة، وقد ازداد إحساسها باليأس، وهي تشبك يده وتضغطها على قلبها، وتابعت:

سأكون مخلصه لك؛ سأبذل حياتي لخدمتك، سأكون السكرتيرة الأكثر تكريساً التي يمكن أن تتمناها على الإطلاق. سأكون أي شيء تريده، اذهب إلى أي مكان تطلبه.

- فتاتي العزيزة، ليست هناك حاجة إلى هذا...

- أرجوك لا تبعدني عنك... قالت أمارا، وهي تفقد كل إحساس بالكرامة، وتجلس على ركبتها وتبكي بين يديه. لو سمحت. يمكنك شرائي من سيدي. كنت أقرأ لك كل ليلة، وأخصص كل الوقت لعملك. لن أنام أبداً في خدمتك.

- لديك أجمل صوت... وبدا أنه يتردد للحظة، ويفكر في عرضها. ثم نظر إلى الأسفل: وقال: لكن لدي فعلاً عدداً من الأمناء. لا أعرف ما هو المكان المناسب لك. لقد طلبت منك فعلاً كل ما أحتاج إلى معرفته لعملي. وأنت تعلمين أنني لست رجلاً أحتفظ بمحظية، ساحرة مثلك. مدّ يده يساعدها لتقف على قدميها، وأجلسها إلى جواره:

- إنه لطف منك أن تقدمي مثل هذا العرض. لقد تأثرت بولائك. لكن لا يمكنني القبول. انهارت تبكي على الأريكة إلى جواره، فوضع يده على كتفها.

- أمارا، من فضلك، تحكمني في نفسك. لا يوجد أي معنى لهذا على الإطلاق.

لم تستطع السيطرة على نفسها، و ضجت الحديقة

الجميلة بصوت بكائها الهستيري. في النهاية، عندما تكون مرهقة تماماً فإن عينيها تتورمان جداً مما يؤدي إلى مزيد من الدموع، اقترح أن تخلد إلى الفراش. يبدو أنه منهك، و منزعج من مشاعرها.

قال وهو يشاهدها وهي تخلع ملابسها:

- إنه لأمر مخز أن تكوني قد ضيعت أمسيتك الأخيرة. لقد شرحت ذلك لك فعلاً. ليس الأمر أنني لا أجذك مبهجة، ولكن لا يوجد مكان لك في منزلي. وأنا رجل عجوز حقاً. لا بد أنك تريد شيئاً آخر بالتأكيد؟ ينتهي المطاف بالكثير من المحظيات بالزواج أو الاستقرار بطريقة ما في النهاية.

قالت «أمارا» وهي مستلقية على السرير بشدة، وأطرافها مثقلة بالبوّس:

- لا أريد أي شيء آخر.

يمكنها بالفعل أن تشعر بجدران المبنى تضيق عليها.

لمرة واحدة، لا يتوجه مباشرة إلى كتبه بل يستلقي إلى جوارها، ويسند نفسه إلى كوع واحد متكئاً عليها، ويمرر يده عبر شعرها:

- أنت فتاة ذكية. يجب أن تفهمي.

أغلقت «أمارا» عينيها، بينما الدموع تتسرب من تحت الرموش، وشعرت بالدفء عندما اقترب منها، وطبعت شفثاه الجافتان قبلة على جبهتها، فاستدارت مبتعدة، وتكورت مثل كرة مخفية وجهها بين يديها. فتهد بصوت عالٍ مبدياً انزعاجه، وخرج من السرير.

ثم سمعته يتمتم بكلمة «سخيفة» وهو جالس على
مكتبه .

كانت «أمارا» منهكة من التعاسة . فغضت، كما فعلت في
الليلة الأولى، على صوت عمل «بليني»، ورذاذ النافورة في
الحديقة أدناه .

-24-

الطور هي أكثر الكماليات عديمة الجدوى... أكثر ما يجعلها
مجدية هو الانجذاب الذي يحدثه مرور امرأة قد تجتذب
باستخدامها للعطر حتى أولئك المشغولين.
بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي

عندما استيقظت «أمارا»، كان «بليني» جالسًا إلى
مكتبه، يراقبها. أدركت من تعابيره، أنه لا جدوى من
تكرار تذللها كما في الليلة الماضية.

قالت وهي جالسة، ممسكة بالأغطية على صدرها:
- أنا آسف لسلوكي. لم أقصد رد لطفك بهذه الطريقة.
أتمنى ألا تشعر بالإهانة.

ارتاح «بليني»، ومن الواضح أن مصدر راحته يكمن
في أنه وجدها هادئة. مشى نحوها، وأمسك بيدها ربت
عليها، وقال:

- أعرف أن النساء مخلوقات عاطفية بطبيعتهن.
لم يكن هناك أي شيء مسيء في عرضك. أنا سعيد
فقط لأنك تفهمين الآن.

أخرجها من السرير ودفعها نحو ملابسها، ربما كان يشعر بالتوتر من أنها قد تبكي مرة أخرى. كنت أفكر هذا الصباح في خدمة قد تكونين قادرة على تقديمها لي. ابن أخ صديق عزيز علي، سيأتي لزيارتي قريباً. إذا كنت على استعداد، أود أن تكوني صديقة له.

توقفت «أمارا» عن ارتداء ثيابها.

- صديق؟

- يحتاج كل الشباب إلى بعض الخبرة مع المرأة قبل الزواج، قال وهو يهز كتفيه) يمكن للأب فقط أن يأمل ألا يكون ابنه مع بغي فظة وغير ذكية تعمل من أجل أموال الأسرة. طبعاً، «روفوس» رومانسي إلى حد ما، وأظنه ساذجاً بعض الشيء. أنا أثق في أن تكوني صديقة مخلصه ومفيدة له. من تفهم دائماً مكانها، والأهم بعيدة عن الهستيرية. هل يمكنني الاعتماد عليك للقيام بذلك؟
أومأت «أمارا» برأسها، وهي تقول:

- سأقدم لك أي خدمة.

- آمل ألا تكون هذه الخدمة مرهقة للغاية. روفوس فتى لطيف بما فيه الكفاية. ربما يكون من الحكمة رؤية الخادمة هذا الصباح. سألتقي بك في الحديقة.

خرجت «أمارا» إلى الشرفة الداخلية، متوجهة إلى الغرفة الصغيرة في الجزء الأمامي من المنزل حيث تقوم «سارة»، الخادمة التابعة لمضيف «بليني»، بتصفيف شعرها كل يوم. نظرت في عيون «أمارا» المحمرة، ودون أن تطرح أي أسئلة، نعتت قطعة قماش في الماء البارد.

واقترحت عليها الجلوس على منضدة الزينة. وقالت:

- أمسكي هذا على جفونك. سوف يساعد.

تساءلت «أمارا» عن رأي «سارة» في أن ترسل «بليني»
بغياً لتعنى بها؟

جلست «أمارا» مطيعة في الظلام، وضغطت القماش
على عينيها المغلقتين، بينما تقوم «سارة» بتصفيف
شعرها. عندما انتهت «سارة» رفعت يدي «أمارا» عن
وجهها، وقالت:

- أفضل. الآن جففيهم.

التقطت «سارة» الكحل وفرشاة رقيقة، ورسمت خطوطاً
دقيقة حول عيني «أمارا» بحركات سريعة وخفيفة، ثم
وضعت مسحوقاً رمادياً داكناً على جفونها.

وأعطتها قارورة زجاجية موضوعة على الخزانة، تقطر
بالياسمين من الحديقة، فأزالت «أمارا» الغطاء ومررتها
على رقبتها. وأعادتها إلى «سارة»، وسلمتها المرأة الفضية
الصغيرة، وهي الطقوس الأخيرة في عملهم. نظرت
«أمارا» إلى انعكاس صورتها. في الملابس المحترمة
التي قدمها لها «بليني» - ولا شك أن «سارة» اختارتها
أيضاً - لم تعد تبدو شابة تعمل في مبيع.

- شكراً على كل شيء.

أومأت «سارة» برأسها إيماة مهذبة، لم تكن تميل إلى
كثرة الكلام.

ومهما كانت تعتقد حقاً بشأن ضيف «بليني»، فمن
المستحيل التكهّن به.

قرأ «بليني» بنفسه لفافة، عندما انضمت إليه في الحديقة، وجلست بصمت، تحاول ألا تفكر في الوقت الذي ستضطر فيه لمغادرة هذا المكان. تساءلت في نفسها كيف سيكون شكل «روفوس»، وحاولت استحضر الطاقة لجذبه، وحشد الإرادة لاغتنام الفرصة التي قدمها لها «بليني».

وصل «سيكوندوس» بالخبز والفاكهة. لم يقدم طعاماً منذ اليوم الأول من زيارتها، عندما اشتبهت في أن هدفه الحقيقي هو فحصها، لذلك فوجئت برؤيته مع الصينية. نظر «سيكوندوس» إلى «أمارا»، كما لو أنه كان يقيم الخطأ في المشهد:

- هل سأحضر لك قيثارة يا سيدتي؟

- شكراً لك، قالتها وهي تشعر بالامتنان لأنه قدم لها شيئاً لتفعله.

تناولت وجبة الإفطار، بينما كان «بليني» منهمكاً جداً في القراءة، ثم بدأت في العزف. كان شعور الأوتار تحت أصابعها، وفرصة فقدان نفسها في الغناء، أمراً مريحاً. مرت ساعة، والشمس تدفئ الحديقة، والزهور تفتح وجوهها على نورها.

إنها تعزف بلا كلل مع «بليني»، بينما يقرأ، كما لو كانت ابنته المخلصة.

- روفوس هنا.

قال «سيكوندوس» ووقف إلى جانب سيده. وكالعادة، لم تسمع وقع خطواته قادمًا.

تابعت «أمارا» العزف متمعدة، اختلست نظرة خاطفة لبرهة، ورأت شاباً يحوم بالقرب من النافورة. إنه يحدق فيها، ومن الواضح أنه لا يتوقع رؤية أي شخص سوى الأدميرال.

ناداه «بليني» :

- روفوس! كيف حال يوليوس؟ كنت آسفًا لغيابه، وأفتقدته في ميسينيوم.

- إنه يرسل لك أحر تحياته، كما يفعل والداي. إنهم يقضون الصيف في الخلجان، وإلا لكانوا قد تواصلوا معك أثناء إقامتك في بومبي.

- تأكد من إرسال أطيب تحياتي إليهم. الخلجان مبهجة في هذا الوقت من العام. أخبرني عمك أنك مغرم جدًا بالمسرح هذه الأيام. هذه أمارا ضيفة صغيرة لدي. إنها موسيقية موهوبة.

هذه هي المرة الأولى التي يعرب فيها «بليني» عن أي اهتمام بموسيقاها. «أمارا» توقفت عن العزف، وأحنت رأسها بتواضع إلى «روفوس». بدا الشاب غير واثق بعض الشيء، ربما سمع النكات عن «بليني» وفتاته اليونانية الجديدة. إلا أنه يقول:

- جميل أن ألتقي بك.

تحدث الرجلان لبعض الوقت، ولكن من الواضح أنه بصرف النظر عن المودة المشتركة لعم «روفوس»، «يوليوس»، الذي خدم مع «بليني» في الجيش، لا يوجد سوى القليل من القواسم المشتركة بينهما.

ظهر «سيكوندوس» مرة أخرى، وتمتم بشيء في أذن سيده. فاستأذن «روفوس»، وطلب إليه الانتظار لحظة حتى يرى عميلاً.

جلس «روفوس» و«أمارا» في صمت، كلاهما في حيرة بشأن كيفية التنقل في هذا الظرف الاجتماعي المعين، أخيراً قال لها روفوس:

- لقد كان لحناً رائعاً. هل يمكن أن تغني شيئاً آخر؟
التزمت «أمارا»، وهي تعزف واحدة من أكثر الألحان المؤرقة التي علمها إياها «سالفوس». لم تعرضها قط في الأماكن العامة - قررت هي و«ديدو» أنه كان حزيناً جداً - لكن «روفوس» مسحور.

- يا له من صوت جميل!
اعتقدت أنه يبدو أصغر منها بكثير، على الرغم من أنه يكاد يكون أكبر سنًا. إنه ليس وسيماً تمامًا، وأنفه كبير جداً ووجهه عريض جداً، لكنه طويل، وابتسامته منفتحة وودودة للغاية بحيث تجد صعوبة في عدم الابتسام له. ليس لديه الغطرسة المتهورة مثل «كوينتوس» أو «ماركوس».

- شكرًا لك.
- كيف التقيت... إيه.. الأدميرال؟

- كنت أؤدي في حفل عشاء. كان الأدميرال مهتمًا بعمل والدي الراحل، الذي كان طبيبًا، وطلب مني مساعدته لبضعة أيام في عمله في التاريخ الطبيعي.

- حسنًا! قال روفوس، وبدا مذهولاً.
- الأدميرال رجل مهتم بالسعي وراء المعرفة قبل كل شيء. ليس لديه تحيزات أو افتراضات من أقل الرجال. بمعنى.. ونظرت مباشرة إلى روفوس، إنه لا يلتقط النساء من الحفلات للأغراض التي قد يتخيلها الآخرون.
- احمرّ خجلاً، حتى صار وجهه كَلَّه باللون الأحمر الغامق.
- لا! طبعاً، أعني، لم أفكر...
- قاطعته بسرعة، لتتقذه من إحراجه:
- سامحني. احترام الأدميرال يعني الكثير بالنسبة إلي، وكان لطيفاً جداً معي. ما كان يجب أن أتحدث بصراحة.
- بدا «روفوس» أكثر انزعاجاً بسبب العودة إلى الفضيلة أكثر مما فعل عند ذكر البغايا.
- كم من الوقت ستبقين... لمساعدته في دراسته؟
- سأرحل اليوم.
- هذا مؤسف! هل ستغادرين بومبي تماماً؟
- لا، أنا أعيش في المدينة. كنت مهتمة بسماع أنك تستمتع بالمسرح. ما المسرحيات التي تحبها؟
- أشرق وجهه:
- لا يوجد شيء أكثر صدقاً من المسرح، أليس كذلك؟ أحبهم جميعاً، لكن هل تعلمين، أعتقد أن الكوميديا أكثر شجاعة بطريقة ما. كل الحياة هناك على المسرح، والممثلون

لديهم الشجاعة ليقولوا ما لا يمكن للمرء أن يقوله في مكان آخر. توقف، بدا محرّجًا قليلاً بسبب تدفقه في الحديث: لكن يجب أن تعرفي كل هذا بالفعل، تفعلين ما يفعلون. يجب أن أقول، أنا أحسدك لكونك مؤدية.

إن فكرة أن هذا الشاب الثري، والعالم بأسره تحت قدميه، قد يحسد الجارية المفلسة التي تغني للمقامرين الفاسقين في الحفلات هو أمر سخيف للغاية، ولا يمكن لـ«أمارا» في البداية التفكير في الرد، لكنه حدق فيها بجدية دون أي فكرة عن مدى سخافة صوته، فقالت:

- هذا لطف منك. أنا أستمتع بشكل خاص بترتيب الكلمات على الموسيقى، وإيجاد طرق لرواية القصة.

- يا لها من متعة. هل لديك فرصة للذهاب إلى المسرح كثيرًا بنفسك؟

- لا، للأسف، على الرغم من أنني أود ذلك. لقد كانت هذه السعادة بالنسبة إلي هنا، حيث كان لدي وقت للقراءة، لكن فقدان نفسك في قصة مسرحية هو متعة أخرى تمامًا.

- يجب أن آخذك ذات ليلة إلى هناك. هذا فقط إذا كنت متأكدة حقًا من أنني لن أظأ على أصابع قدم بليني.

لأول مرة منذ أن بدأوا الحديث، ترى «أمارا» درجة من الحساب في الطريقة التي ينظر بها «روفوس» إليها. لا يزال يعتقد أن «بليني» قد حصل عليها، فأدركت ما يرمي إليه، وقالت بحذر:

- كنت أعيش حياة مختلفة تماماً. كنت ابنة طبيب. الأدميرال هو أول رجل عاملني كما لو كان ماضي لا يزال حاضري. لم يظهر لي في أي وقت سوى اللطف الأبوي. إنها كذبة، ومع ذلك، كما تقولها فهي تعلم أن هناك أيضاً حقيقة فيها. لا تنطبق أي من القواعد المعتادة تماماً على علاقتها مع «بليني». تتذكر «أمارا» الليلة الماضية، الإذلال، والتسول، ورفضه غير المستوعب، وللحظة تخشى أن تبكي مرة أخرى.

أخطأ «روفوس» في انفعالاتها المفاجئة، واندفع يجلس إلى جوارها. قال وهو يمسك بيدها:

- أنا آسف. يا لي من أحقق فظ... لم أقصد إزعاجك. يا لها من حياة مأساوية يجب أن تعيشها! وكم كنت فظاً بلا إحساس، وأنا أسألك مثل هذه الأشياء. فكرت «أمارا» أنه يريد قصة حزينة، حتى يتمكن من إنقاذها. قالت لنفسها إنها قامت بأدوار كثيرة. على الأقل هذا له فضيلة عكس الحياة الحقيقية:

- لا، أنت لطيف للغاية. أنا حزينة فقط لأنني يجب أن أعود إلى سيدي اليوم، وأترك حماية الأدميرال.

- أين بيت سيدي؟

ترددت «أمارا» متسائلة عما إذا كان الوقت مبكراً لنقل المعلومات المهمة، لكنها قالت أخيراً:

- عرين الذئب.

- مبغى المدينة!

تراجع روفوس، وأخذت «أمارا» وجهها بين يديها

مهزومة. لقد أثبت الواقع أنها حبكة بعيدة للغاية.
 - أنت فتاة مسكينة. كم هو مأساوي تمامًا. من فضلك لا تبكي. لن أفكر فيك أقل من ذلك، أعدك. سأنادي على... سأنادي، وأخذك إلى المسرح. سيكون من دواعي سروري أن أعرفك بشكل أفضل.

بكت أمارا بكاءً صادقاً، ومسحت دموعها براحة يدها، وقالت:

- أود ذلك كثيرًا.

اقترب منها، ويده مستلقية على المقعد بالقرب من ركبته. وبدت نظرة مألوفة أكثر على وجهه:

- هل أقبلك؟

إنها تشعر بوميض من الانزعاج. بعد كل ما أخبرته به عن ماضيها، وعن الطريقة التي عاملها بها «بليني»، لا يزال يريد امتلاكها بعد محادثة استمرت خمس دقائق. ترفع يدها ليقبلها.

قال وهو يأخذها:

- طبعاً... طبعاً، ليس في منزل الأدميرال.

- شكرًا لك، أطمح أن تعاملني بلطف.

- أنت لا تستحقين أقل من ذلك. سأضطر إلى المغادرة الآن على الرغم من ذلك، وقف وقال: ربما يمكنك نقل وداعي إلى «بليني». أعدك بأنني سأتصل بك هذا الأسبوع.

- شكرًا. لا تدع الأمر يطول كثيرًا.

عندما غادر، جلست «أمارا» في الحديقة، يرفعها تيار من الأمل. إنها تتطلع إلى شكر «بليني» على المقدمة. ثم رأت «سيكوندوس» على بعد خطوة من ظل الأعمدة، يحمل حزمة صغيرة، إنها أشياءؤها. فهمت على الفور أن «بليني» لن يعود ليقول وداعاً.

مشى «سيكوندوس»، وجلس إلى جوارها على المقعد، ووضع ملابسها بينهما.

- عندما أحضرك إلى هنا، قال، وهو يتطلع مباشرة إلى النافورة، أخبرته أنه سيكون محظوظاً إذا لم تطلبي هدايا بقيمة وزنك كل يوم. على الأقل ستغادرين من هنا بجوهرة واحدة لا تقدر بثمن. راهنني على دينار أنني كنت مخطئاً، إذن لقد كلفتني ديناراً.
تبتسم له.

- آسفة. في الواقع، لقد خطرت لها فكرة طلب هدايا من بليني. لكنها كانت تعلم أن فيليكس سيأخذها جميعاً.
- هل قال لك ما طلبت منه؟

- خدمتك التي لا تنتهي. هذه هدية على الرغم من ذلك. ليس طلباً، كلانا يعرف تكاليف الخدمة.
جلسا متحدين لفترة وجيزة من خلال الفهم الصامت الذي يمتلكه عبد لآخر.

- سمعت أيضاً أنك كنت تبكين الليلة الماضية. أعتقد أن البيت كله سمعك. هذا لا يمكن أن يحدث اليوم.

- لن أفعل. كما تعلم، لم يكن الأمر من أجل الحياة

فقط. قالت، وهي تشير إلى النافورة، والحديقة، أعني، بالطبع كان ذلك من أجل كل هذا، لكنني أعتقد أنني أحبه أيضاً.

لم يرد «سيكوندوس» على الفور بل وقف، لكنها، أدركت أنه سيغادر، وأنه سيتعين عليها المغادرة. عضت «أمارا» على شفيتها عازمة على ألا تخرج نفسها بدموع أكثر. لكنه قال:

- أنتِ لم تطبي هدية، لكنه على الرغم من ذلك اخترت هدية لك. لقد وضعتها بين ملابسك. سأمنحك لحظة، حتى تتمكني من التمتع بخصوصية أفكارك قبل أن تغادري؛ ولكن يمكن أن تكون بضع دقائق فقط.

- شكراً لك.

انحنى «سيكوندوس» ومشى بعيداً، بينما التقطت «أمارا» حزمة الملابس، وتوقعت أن تجد عملات معدنية تنزلق بين أرديتها؛ ولكن مهما كان، فهو أثقل من ذلك بكثير. سحبت اللقافة التي تركها لها «بليني». والتي كتب عليها: «على النبض» لـ «هيروفيلوس».

-25-

يجب أن ينتصروا أو يسقطوا.
كان هذا هو الغرض الثابت للمرأة - قد يعيش الرجال ويكونون
عبيدًا!

تاسيتوس أون بوديكا، ملكة إيسيني، سجل الأحداث 14

- انظروا صرخت ببيرونيش، بينما كانت أمارا
تدخل إلى المبغى:

- كنا نظن أنك لن تعودى إلى المنزل أبدًا!
اندفعت «فيكتوريا» و«ديدو» إلى الممر للانضمام إليها.
- أنا سعيدة جدًا بعودتك؛ أنا سعيد جدًا برؤيتك،
رفعت ديدو ذراعيها حولها، وهي تبكي معانقة إياها:
اعتقدت أنني لن أراك مرة أخرى.

- لقد كان أسبوعًا فقط!
كانت أمارا، ممزقة بين السعادة لرؤية ديدو، والشعور
بالذنب من معرفة أنها أمضت أمس تتوسل ألا تعود إلى
هنا أبدًا.

- كيف كان وضعه؟ كانت فيكتوريا أيضًا سعيدة للغاية

برؤية أمارا، لكنها لن تكون أبداً ناعمة إلى درجة أن تقول ذلك.
أراهن أنه كان منحرفاً تماماً... القدامى دائماً.

ترددت «أمارة». كانت تريد أن تتحدث إلى «فيكتوريا»
بشأن تلك الليلة الأولى السخيفة مع «بليني»، لكنها الآن
تشعر بالخصوصية الشديدة. إن فكرة السخرية منه
تجعلها حزينة فقط. أجابت بصوت مرتعش:

- لقد كان ألطف رجل قابلته في حياتي.
- أوه، انظرن إليها! ها هي تتدفق بالمشاعر. لقد
كان لدينا تاجر الحديد الغريب، والآن أنت في حالة حب
مع جد عجوز مراوغ. لديك أسوأ ذوق في الرجال عرفته
على الإطلاق!

- كان ذلك الرجل الذي قابلته في الألعاب على ما يرام،
قالت بيرونيس وهي تدافع عنها، لم يكن سيئاً على الإطلاق.
- قولي ذلك بصوت أعلى، وقد يسمعك جالوس.
همست فيكتوريا، وجميعهن يضحكن، بينما كانت
بيرونيس تدور حولها.

- اللعنة عليك. قالت بيرونيس مخاطبة فيكتوريا،
إنما بلهجة المزاح.

أشارت فيكتوريا إليها نحو الملابس:
- وما كل هذا؟ كم عدد الفساتين الجديدة التي
أعطاك إياها؟

- ثلاثة. أعتقد أنني سأضطر إلى منحهم جميعاً
لفيليكس.

- قماش جميل. قالت فيكتوريا وهي ترتدي أحد الفساتين، لكنك تبدين رزينة بعض الشيء. ونظرت إلى الملابس المحترمة التي ترتديها أمارا. لا ينبغي أن أعتقد أن أي شخص يجروء على طلب المتعة منك إذا كنت تتجولين بهذه الملابس. من فضلك لا تخبريني أن الرجل العجوز يريدك أن ترتدي زي زوجته الميتة أيضاً!

- لا، لا شيء من هذا القبيل.

- ماذا بعد؟ سألتها بيرونيس، لا بد أنه كان شيئاً مميزاً لشرائك لمدة أسبوع.

- أراذني أن أقرأ له.

- كتب مثيرة؟ هل هذا هو الأمر؟

- لا! أعني أننا ذهبنا إلى الفراش معاً، قالت أمارا بشكل دفاعي، وهي تفكر في الليالي التي قضتها عارية إلى جوار بليني، ويده مستلقية عليها بينما كانا كلاهما نائماً. هذا فقط... تقدمت، وهي لا تعرف كيف تشرح ما حدث أو كيف تشعر حيال ذلك.

- لا بأس. قالت ديدو وهي تعانقها مرة أخرى، لست مضطرة لقول أي شيء.

- ذهبنا إلى الفراش معاً! قالت فيكتوريا تردد العبارة الخجولة، لقد سمعت كل ذلك الآن.

شعرت «أمارا» فجأة بالإرهاق. بعد الكثير من الوقت وحدها، سيكون ضغطاً عليها أن تعود إلى الافتقار التام للخصوصية.

- قد أحصل على قسط من الراحة فقط، فأنا متعبة جداً الليلة.

- أوه، لا يمكنك الذهاب إلى هناك... قالت فيكتوريا، بينما تسحب أمارا الستار على حجرتها.

- من هذه؟

تساءلت «أمارا» بدهشة وهي ترى امرأة غير مألوفة تجلس على سريرها. إنها شاحبة بشكل مذهل ولديها كتلة متشابكة من الشعر الأحمر الطويل. على مرأى من الآخرين، نهضت، شاهقة فوقهم، تتقاضى بشكل عاجل بلغة غريبة حليّة. لا تستطيع «أمارا» معرفة ما إذا كانت غاضبة أم خائفة، فتتراجع إلى الممر في حالة إنذار.

- اجلسي! اجلسي!

قالت فيكتوريا، بينما الغريبة تعود إلى الحجرة، وهي تتحدث بلسانها غير المفهوم، وتشير إليهم.

- اشتراها فيليكس بمال رجلك العجوز. أخبرنا أن السبب هو أنك أنت وديدو في الخارج كثيراً، ونحن نحتاج إلى المزيد من الجثث في المبعى.

- أين سأنام إذن؟

- يمكنك أن تأتي معي. يبدو هذا منطقيًا. قالت ديدو.

قالت فيكتوريا:

- لا تتحدث بكلمة لاتينية لقد أطلقنا عليها بريتانىكا، لأنها تنتمي إلى تلك البلاد. كريسا هي الوحيدة التي

تبدو أنها تحبها. إنها في الخارج الآن لشراء المزيد من الطعام لهذه الجشعة.

قال «بيرونييس» وهي تنظر إلى «بريتانिका» بخيبة أمل:

- اعتقدت أن جميع البريطانيين لديهم وجوه زرقاء. هذا ما يقوله الجميع، أليس كذلك؟ البريطانيون ذوو الوجه الأزرق.

- إنها بالتأكيد متوحشة. إنها فقط تصرخ طوال الليل، وتخدش الرجال، وتعض. لقد لكمت واحداً بالأمس! إنها مثل الحيوانات!

لم تعجب «أمارا» الطريقة التي تتحدث بها «فيكتوريا» عن «بريتانिका»، حتى لو كانت المرأة الأخرى لا تفهم. نظرت إليها مرة أخرى، كانت البريطانية صامتة الآن. من المؤكد أنها تبدو مثل القط الوحشي، بشعرها الأحمر وعينيها الخضراوين، لكن المشاعر فيها إنسانية للغاية، ولاسيما الغضب من حبسها.

قالت كريسا، وهي تحمل قطعة خبز، وتدفعهم بعيداً عن الطريق حتى تتمكن من الدخول إلى الحجر:

- هل أنتم واقفون هناك تتحدثون عنها مرة أخرى؟ أليس لديكم القليل من التعاطف.

أشرق وجه «بريتانिका» حينما رأت «كريسا»، وبدأت بالثرثرة. جلست «كريسا» إلى جوارها، وراحت تتحدث إليها بهدوء، كما لو كانت طفلة صغيرة، تمشط شعرها، وتعطي الخبز لـ«بريتانिका» التي تفسده.

- آسفة يا أمارا، لم أدرك أنك عدت! قالت بعدما لاحظتها أخيراً.
- لا بأس، أتذكر أنّ والدي أخبرني عن النساء في بريطانيا. الكثير منهن محاربات. ربما كانت بريتانिका جندياً.
- النساء يذهبن إلى الحرب! سألت ديدو باستغراب.
- ليس كلهن. أخبرني والدي أن لديهم ملكة مشهورة، لا أعرف اسمها، لكنها دمرت الجيش الروماني.
- رسمت «بيرونيس» علامة العين الشريرة:
- ليس من مهام المرأة أن تحكم. إنه أمر غير طبيعي.
- بريتانिका ليست ملكة محاربة! قالت فيكتوريا، إنها لا تستطيع حتى هزيمة بحار مخمور.
- على الرغم من أنّ «أمارا» لاحظت أنّ «فيكتوريا» تنظر إلى الغريبة بنظرة جديدة، تكاد تكون الاحترام الحذر.
- هل كنت محاربة؟ سألتها كريسا، هل هذا هو سبب كرهك لوجودك هنا كثيراً؟
- ابتسمت بريتانिका، لم تفهم الكلمات، بل وصلها اللطف الذي يقف وراءها.
- وفجأة، صرح ثراسو من مدخل المبنى:
- أمارا! هل ما زلت هناك؟ قلت لك أن تصعدي إلى فيليكس
- أنا قادمة حالياً.

- لا، أنت لست كذلك، دخل وأمسكها بقوة من ذراعها، حتى صرخت من الألم. أنت تضيعين الوقت اللعين. تحركي.
- لقد أزعج بالباس للتو، تسبب له بعين سوداء أمس. إثر مشاجرة غبية حول دراوكا.
- ماذا عنها؟ سألت أمارا بقلق فجأة.
- هزت فيكتوريا كتفيها قائلة:
- من يدري. ثراسو سيبدأ الشجار حول أي شيء.

- إنها غرفة كانت تأمل ألا تراها مرة أخرى. الوهج الأحمر، جماجم الثيران. وقفت وهي لا تقول شيئاً، بينما مرر «فيليكس» يده على ملابسها الجديدة.
- هل هذا كل ما أعطاك إياه؟ بعد أسبوع؟
- كان هناك هذا أيضاً قالت، وهي تمسك الكتيب لكنها لم تسلمه.
- لمحه «فيليكس» بفارغ الصبر، فأعطته إياه. وقام بفكه بشكل أخرق، باحثاً عن عملات معدنية أو مجوهرات مخفية.
- تشريح؟ تجهم وجهه، ونظر عن كذب إلى أحد الرسوم التوضيحية.
- لم تجب «أمارا»، فهي تعلم أنه إذا فهم «فيليكس» ارتباطها بهدية «بليني»، فسيستخدمها فقط ضدها.
- سلمها إياها مرة أخرى، وأخذتها، ولفتها، محاولة عدم

- السماح للراحة بالظهور على وجهها.
- ليس كثيرًا بعد هذه الإقامة الطويلة.
 - لقد قدمني لعميل جديد على الرغم من ذلك.
- لذا فإن تلك الفساتين ستكون مفيدة.
- أي عميل جديد؟
 - رجل يدعى روفوس. سوف يتواصل معك لشرائي كي أقضي أمسية معه. تبدو مترددة، وهي تعلم مدى كره فيليكس أن يعطيه أحد النصيحة. آمل أن يكون استثمارًا طويل الأجل، لذلك أعتقد أنه قد يكون من الأفضل ألا نفرض الكثير في البداية، حتى يستمر في الدفع.
 - هل أنت من يدير العمل الآن؟ أليس كذلك؟
 - لا. لم أقصد...
 - أمارا. كنت أمزح. لقد قمت بعمل جيد. دفع الرجل العجوز ثمنًا عادلاً. التقط أحد الفساتين، وتابع القول: إذا تحول هذا العميل الجديد إلى عميل منتظم، فيمكنك الاحتفاظ بهذه الأشياء حتى تنفذ معه. إذا لم يكن كذلك، فسأبيعهم. وأشار إلى الملابس التي ما زالت ترتديها، لكنك بالتأكيد لست في حاجة إلى ارتدائها الآن.
 - كانت أمارا قد خمنت أنها قد تضطر إلى تغييرها، وأحضرت التوجا القديمة المبهرجة من الطابق السفلي. تجردت من ملابسها، وسلمته الملابس الجديدة.
 - قال وهو ينظر إليها وهي ترتدي الثياب:
 - لقد زاد وزنك. هذا يناسبك.

- سيكون عليك إطعامي أكثر بعد ذلك، إذا كان هذا قد أعجبك كثيرًا.

هزّ «فيليكس» رأسه، وبدأ مستمتعًا.

عادت إليها ذكرى الليلة التي قضياها معًا، طريقة إسناد رأسه على كتفها، نظر إلى الأعلى بالفكاهة نفسها في عينيه، فابتسمت في وجهه.

«أمارا» لا تحب التذكر، فقالت محاولة تغيير الموضوع:

- بدا ثراسو أسوأ حينما رأى ثيابي. لماذا كان يتقاتل هو وبالْبوس؟

شعرت بعد أن سألت أن ذلك كان خطأ. غابت ملامح المرح عن وجهه. وقال متجاهلاً سؤالها:

- اعتقدت أن الرجل العجوز سيشتريك. أميرال الأسطول! يا له من تغيير كان يمكن أن يكون. لكن ها أنت هنا، مرة أخرى في المبغى، ماذا فعل معك طوال الأسبوع؟

- المعتاد فقط.

- أشك في ذلك. قال فيليكس وهو يضع ذراعيه حولها في محاكاة ساخرة للعاطفة هل أخبرك كم كنت جميلة؟ حدِّق في عينيك؟ هل كان لطيفًا؟

- لا.

- لم يكن لطيفًا؟ تظاهر فيليكس أنه مصدوم: يا له من هراء! بالتأكيد أطعمك جيدًا. لكنني لست متأكدًا من أنني أصدقك. أعتقد أنه أفسدك،

ذلك الرجل العجوز، جعلك تنسين من أنت.
 حفر أصابعه بشكل مؤلم في أعلى ذراعيها، لكنها
 ظلت صلبة. فهي تنتمي إليه منذ فترة طويلة، وتعلم
 أنه سيفتصبها، ويذلها، ويحاول تدمير آخر آثار السعادة
 التي عادت بها، والآن تتلاشى مثل رائحة الياسمين على
 بشرتها. إنها تمسك بالليفة التي أعطاها إياها «بليني».
 هناك أجزاء من نفسها لا يستطيع «فيليكس» معرفتها أو
 لمسها، فتقول:

- أنا لا أنسى أبداً.

- جيد. يجب أن تعودى إلى العمل بعد ذلك.
 كانت على وشك الوصول إلى عتبة الباب، وتفتست
 الصعداء، عندما أوقفها:

- هل قلت إنه يمكنك أخذ ذلك؟ قد أتمكن
 من بيعه. قلب الكتيب بنظرة استهجان وقال:
 أنت لا تعرفين أبداً ما سيقدره شخص آخر.

-26-

التايلاندية: أنا لا أتحدث من قلبي؟! هذا ليس عدلاً!
 ما الذي كنت تريده مني، حتى لو كان الأمر في المرح الذي لم
 تحصل عليه؟
 تيرينس، الخصي

خشبة المسرح مضاءة بالمشاعل، على الرغم من أن
 الغسق لم يحل بعد. الأعمدة والتمثيل المطلية بألوان
 زاهية، تألق الممثلين، الضحك، كلها تذكرها بالجوف في
 فيناليا. لم يسبق لـ«أمارا» أن شاهدت مسرحية من قبل،
 ولا أن تستمتع برفاهية المشاهدة بدلاً من أن تكون هي
 الموضوع. أن تدع شخصاً آخر يقوم بالعمل الشاق للترفيه
 عنها لفترة من الوقت.

إلى جوارها، أمسك «روفوس» بيدها، ونظرته المبتهجة
 في المشهد الذي يكشف عنها، حبه إليها. واعتقدت أنه
 حقاً مثل الطفل.

كانت المسرحية سهلة المتابعة. إنها «المخصي» التي
 كتبها «تيرينس»، هو الذي أكد لها «روفوس» بشغف أنه

سيد أعظم من «فيرجيل». إنها بالتأكيد تود أن تستعير حظ البغي في المسرحية، التايلاندية، التي يبدو أنها تحكم الرجال من خلال السحر وحده. تفترض «أمارا» في أن التايلاندية لم تواجه سيداً مثل «فيليكس».

وجدت نفسها تضحك على هذا العالم، حيث العبيد أذكى من أسيادهم، والرجال يحبون النساء لإلهائهم. تتذكر أن «روفوس» أخبرها أنه معجب بالمسرح لقوله الحقيقة - هل يمكنه حقاً أن يعتقد أن العالم هكذا؟ على خشبة المسرح، شاهدت ممثلاً يتكرر في هيئة مخصي من أجل اغتصاب الجارية التي يتخيلها. إنه رجل طويل القامة، يقنع الجميع أنه آمن لتركوه مع العذراء الشابة. علا الضحك حول المسرح على سخافة النكتة وجرأتها.

همس لها روفوس:

- التوقيت الهزلي! إنه مثالي.

صرخات الفتاة المبالغ فيها خارج المسرح تسبب المزيد من الضحك والتسلية. «روفوس» يضحك مع البقية. أما «أمارا» جلست تستمع إلى صرخات الممثلة، وابتسامة ثابتة على وجهها. ربما الكوميديا هي مرآة بعد كل شيء.

تحولت السماء إلى الأزرق الأعمق، وطالت الظلال على خشبة المسرح. كان «روفوس» يداعب يدها، يتلمس شكل أصابعها بيده. كانت قلقة، قبل هذا المساء، من أن تكون

خارج المكان وسط حشد محترم.

أصرت «فيكتوريا»، لتسمح لها بإجراء بعض التغييرات على العباءة البيضاء التي أعطاها إياها «بليني»، وقالت: - أنت لا تريدين أن يعتقد روفوس أنه أخذ والدته! أظهرني على الأقل القليل من الكتف.

بدت ممتنة لصديقتها. من الواضح أن العديد من النساء هنا بغايا مع عشاق أثرياء. تتجذب عيناها إلى امرأة تجلس كملكة، وثوبها مغموس بأناقة في الخلف لإظهار خط شفرات كتفها ذات اللون البني الداكن. جلست «أمارا» على مقعدها، وحاولت سحب ثوبها إلى أسفل ذراعها قليلاً.

فاجأتها نهاية المسرحية. يجب على التايلاندية الاحتفاظ بكل عشاقها - الشخص الذي تحبه والشخص الذي يدفع. نظرت إلى «روفوس» الذي يهتف بحماس. ربما تزعجه حياتها أقل مما كانت تخشى. التفت إليها، وأضاء وجهه من الإثارة.

- هل أحببتها؟

- كانت رائعة! لا أستطيع التفكير في أمسية أكثر سعادة!

- أنا سعيد للغاية. قال، وهو يقبل يدها، أتمنى أن تكوني أنت أيضاً كذلك.

عادا إلى الشوارع مع بقية الجمهور. ضحك ومحادثة دافئة في هواء المساء. رأت «أمارا» حشداً صغيراً يتجمع

حول حانة «مارسيلا»، فابتعدت بشكل غريزي.

- هل هناك مكان للترفيه في مكانك الخاص؟ سألها روفوس. فهو لم يذهب بعد إلى هناك، لكنه أرسل أحد عبيده ليأخذها.

- أوه! لا يمكننا الذهاب إلى هناك!

قالت أمارا وهي تتخيل روفوس يخطو إلى الممر الضيق والهادئ، ويستقبله عامل غسل يتقيأ، وأنه يحتضنها على صوت أنين فيكتوريا، والهواء الراكد برائحة المرحاض. لن تراه مرة أخرى إنه مكان فظيع!

- لكنك تبدين... جميلة جداً! يرد روفوس ناظراً إلى الفستان الأبيض شبه المحترم، وشعرها الذي صُف بعناية.

لا تستطيع «أمارا» أن تخبره أنها تخجل من القذارة. يجب أن تخترع سبباً أكثر شاعرية للابتعاد. فتجيب:

- سيدي قاس بشكل لا يصدق. إذا كان يعتقد أن هناك فرصة لأكون سعيدة معك، حتى لمدة ساعة، فلن يسمح لي برويتك مرة أخرى.

- حقاً؟

نظرت «أمارا» بطرف عينيها، كما لو كانت خجولة، بحيث لا يمكنها أن تنظر إليه مباشرة.

- إذا كان يعتقد أنني قد أهتم بأي شخص، فسوف يعاقبني بشدة.

ضغط «روفوس» على يدها.

- سأخذك إلى بيتي. والداي بعيدان حتى نهاية الصيف.

سارا إلى منزله، برفقة حاشية صغيرة من العبيد الذين لا بد أنهم اضطروا إلى التسكع خارج المسرح أثناء العرض.

كان «روفوس» يستمتع بالحديث عن المسرحية، وهما يسليان نفسيهما معاً بتخيل الأذى الذي قد أحدثته التايلاندية وعشيقها بعد انتهاء الحدث. ويقول عن المغتصب:

- وحتى مخصينا تزوج فتاته في النهاية. لذلك لم يحدث أي ضرر.

سمح لهما الحارس بالدخول، وشعرت «أمارا» بفيض من الارتياح، لأنهما لم يذهبا إلى المبنى. إنه منزل ثري، ليس بعيداً عن منزل «زويلوس»، وبينما يقودها «روفوس» عبر الردهة، لفتت نظرها الفسيفساء البحرية الجميلة تحت أقدامهما، توقف وكسر غصن ياسمين، وهما يمران عبر الفناء وقال:

- هذه الرائحة تجعلني أفكر فيك دائماً، طريقة جلوسك في تلك الحديقة! محاطة بألف نجمة بيضاء. كنت أفكر في نفسي فقط، لم يكن لدي أي فكرة أن الأدميرال لديه ابنة، ثم تذكرت...

فكرت «أمارا» بتكملة العبارة، متوقعة أن يقول: «ثم تذكرت أن بليني استأجر بغيًا، لكنها قالت:

- هذا شيء جميل أن تقوله، ووضعت الغصن خلف

أذنها بعد أن استنشقتَه: شكرًا لك.
 لن تمنعه عندما يقبلها هذه المرة. لماذا ستفعل؟ بعد كل شيء، هي هنا لهذا السبب.

- سنمضي مسافة قليلة بعد، غرفتي من هذا الاتجاه. رافقهما أحد العبيد، والتفت إليه روفوس قبل أن يقودها، وقال:
 - بعض المرطبات من فضلك يا فيتاليو.

تقع غرفة «روفوس» قبالة الحديقة الكبيرة. ابتسمت لنفسها وهي ترى اللوحات على الجدران: أقتعة المسرح والممثلين على خشبة المسرح.

دعاها «روفوس» إلى الأريكة، واستلقى إلى جوارها، بينما جلب لهم «فيتاليو» النبيذ، ووضع عشاء خفيفًا على طاولة صغيرة إلى جوار الأريكة: الخبز والجبن والتين المجفف. ثم غادر.

من الواضح أن «روفوس» ليس لديه نية لتناول الطعام بعد. لم يكد «فيتاليو» يرحل، حتى كان كله فوقها. وجدت «أمارا» نفسها خائفة بشكل غير متوقع. هذا يبدو مألوفًا جدًا، مثل المبعي: يعتمد الكثير على إعجابه بها، وليس لديه أي فكرة عن الكيفية التي يتوقع أن تتصرف بها المحظية. هل تقبل أم يطاردها؟

- قف!

قالت، وهي تدفعه بعيدًا وتجلس. تعيد ترتيب ملابسها لتغطي نفسها، وقلبها ينبض بالقلق:

- لحظة واحدة.

نظر إليها «روفوس» في دهشة. بعد كل شيء، لم يكن

عنيفاً. وماذا يجب على الرجل أن يفعل بعد أن استأجر امرأة تشاركه الليل؟

في المقابل كانت تفكر في التايلاندية، في وهم القوة التي كانت تمارسه. اعتقد «روفوس» أن هذا هو شكل الحياة حقاً. لديه كل القوة، وليس لديها أي قوة، لكنه لا يعرف هذا. وهي لا تستطيع أن تدعه يدرك.

استدارت إليه بغضب وتقول:

- أنت تفترض أكثر من اللازم.

حدّقا في بعضهما بعضاً في دهشة متبادلة. يبدو أن الكلمات تأتي من شخص آخر. إنه دور تلعبه «أمارا»، لكنها وجدت صوتها يتغير بطريقة ما. أخذت زهرة الياسمين من شعرها، مما يسمح للغضب الحقيقي الذي تحمله دائماً بداخلها ليشتعل، وكأن النار تضطرم بداخلها. وتقول:

- لذلك كنت تعتقد أنني ابنة الأميرال. وبعد ذلك، لأنني لست كذلك، قررت معاملتي كبغي. أخبرتك أن هذه لم تكن دائماً حياتي، وأنني أقدر اللطف والاحترام، وأنت لا ترينيني شيئاً منهما.

كانت «أمارا» مستعدة لأن تجادل، وأظهرت أنها على استعداد لتركه، لتخرج في الليل في حالة من الغضب، لكن «روفوس» استسلم على الفور.

- أنا آسف، لم أقصد إزعاجك.

رأت «أمارا»، بعد أن أشعلت الشرارة، أنه ليس من السهل إخمادها.

- هل هذا ما تظنه؟ أنني التي يمكنك أن تأخذها
من دون أن تسأل؟

- لا! لا على الإطلاق، أنا...

- ماذا عن كل هذه المسرحيات التي تعني لك الكثير؟
ماذا عن الحب؟ لدي عدد كافٍ من العملاء.
اعتقدت أنك مختلف، اعتقدت أنك تريد شيئاً آخر.

بدأ الغضب يأخذ زخماً يتجاوز «روفوس»، وهي تعلم
أن عليها التوقف. أخذت نفساً، وأدارت وجهها جانباً،
وكأنها تخفي عواطفها، وواصلت:

- اعتقدت أنك قد تهتم بي!

لمس ذراعها، بدءاً بأطراف أصابعه، ثم بثقة أكبر
عندما لا تتحرك بعيداً. قال وهو يضع يده على يدها:
- أرجوك. أنا آسف جداً. اسمح لي أن أترك
الأمر لك.

سمحت «أمارا» لنفسها ببطء بالفوز بالجولة. ليس من
الصعب عليها أن تلاعبه. لم يقم أي شخص بمثل هذا
الجهد من أجل سحرها. ضايقها «روفوس»، محاولاً بشكل
هزلي تقديم الطعام لها، وقلب كل فكاهته ضد نفسه.
قبلت «أمارا» كأس النبيذ الذي قدمه، وابتسمت عندما
يقارن نفسه بشكل سلبي بـ «الخصي» في المسرحية
التي شاهدوها للتو، وعندما أخبرها أخيراً عن التأثير
المرعب الذي أحدثه غضبها عليه، ووسع عينيه على أنها
محاكاة ساخرة للدهشة، إلا أنها ضحكت بشكل حقيقي.

قال لها:

- كنت أتمنى أن أتمكن من الكتابة للمسرح. بمجرد أن يصبح أصدقاء واضحين مرة أخرى. يشير إليها لأخذ حفنة من التين المجفف ثم، عندما تفعل ذلك، يأخذ واحدة أيضاً ويواصل كلامه:
- لكن ليس لدي أي موهبة.
- لا أستطيع أن أصدق أن هذا صحيح.
- لا، إنه كذلك. قد أكون غيبياً، لكن على الأقل أعرف أنني كذلك. وإلى جانب ذلك، كان والدي يكره ذلك. يريدني أن أترشح للحصول على جائزة العام المقبل. هل يمكنك أن تتخيلي؟ كل ذلك الاحتكاك اللامتناهي، ودفع الناس للتصويت لك، يليه عام كامل من الملل، عليّ فيه أن أستمع إلى كل شخص يتحدث عن توزيع الحبوب. سأكون رجلاً ميوّساً منه.
- ألا يمكنك اختيار الاحتفالات التي تقام على الرغم من ذلك؟ ربما أداء مجاني في المسرح بدلاً من الألعاب المعتادة في الساحة؟
- نعم، كنت أفكر في ذلك. نظرت المفاجنة، ذكرتها بنظرة بليني عندما تكلمت عن هيروفيلوس، ربما يجعل ذلك كل شيء أكثر احتمالاً.
- ابتسما لبعضهما بعضاً. اقترب منها أكثر، وحينما لم تبتعد، قبلها. هناك حساسية أكبر نحوه هذه المرة. يمكنها أن تقول إنه يحاول ألا يستعجلها. قال وهو يمسد ذراعها:

- يجب أن أسألك شيئاً. أعلم أنك محاصرة في حياتك في... حيث تعيشين. أعلم أنه ليس لديك خيار. لكن هل قلبك حر؟
- فكرت «أمارا» على الفور في «ميناندر»، لكنها تكذب وتقول:
- نعم.
- وفي منزل الأدميرال، أنتما لم تفعلوا... أعني، أنت وبليني...
- لا. لم يلمسني قط، ليس هكذا.
- قال روفوس بارتياح:
- صحيح، لقد بدوت مغرمة جداً بالرجل العجوز. كان علي أن أتساءل. يجب أن يكون لديه إرادة من حديد، ويحافظ على يديه في مكانها وهو بالقرب منك.
- لقد علم بماضي. لقد شعر أن حياتي لم تسلك طريقها الصحيح.
- يومئ «روفوس» ويقول:
- يكتب تيرينس عن ذلك، الأخطاء التي ارتكبت. عندما لا يُقصد بالفتاة أن تكون جارية. هل تم اختطافك؟ سأل، وكأن الفكرة صدمته فجأة، إذن قد لا تكونين حقاً جارية على الإطلاق. إذا كان بوسع المرء أن يثبت ذلك.
- للحظة، فكرت «أمارا» في استعارة قصة حياة «ديدو»، واعتبارها قصتها. لكنها أخبرت «بليني» فعلاً بالحقيقة، ولا يمكنها المجازفة بالاكشاف.
- لا. لقد فقدت والدي، وكل شيء معه.

- حبيبتي المسكينة، يقول روفوس، ويقبلها مرة أخرى. إنه أكثر جرأة بعض الشيء هذه المرة، يريح ظهرها على الأريكة ويده ترحف إلى ساقها. توقفه.
- يمكنك أن تأخذ ما تريد. كلانا يعرف ذلك. ولكن ألا تفضل أن تعطى؟ ألا تفضل الانتظار؟ إذا أعطيتك من قلبي؟

كانت «أمارا» تدرك أنها تقوم بالمقامرة، وأن النرد لا يثقل لصالحها. لدى «روفوس» كل الأسباب للشعور بالغضب. لقد دفع مقابل صحبتها لـ«فيليكس»، وهي الآن تطلب منه أن يعاملها مثل بطلة عذراء في مسرحية؛ لكن أكاذيبها لها شدة الحقيقة، لاسيما وهي تنظر إليه بعيون عريضة مظلمة.

- نعم! قال روفوس، وهو يلامس شفيتها بأصابعه: أود الفوز بقلبك.

أربعة من عبيد «روفوس»، بما في ذلك «فيتاليو»، رافقوها إلى المبنى. إنها تشعر بالسخرية في معرفة أن المكان الذي سيأخذونها إليه ليس أكثر أماناً من الشوارع المظلمة. سار الخمسة بسرعة، ومشاعل العبيد تلقي بأصابع الضوء، وتريح الظلام عن المنازل أثناء مرورها. لا أحد يتكلم.

فكرت في «روفوس»، وشعرت بإحساس مبهج ينتشر مع القلق لذكرى وداعه بقبلة، على الطريقة الرقيقة، قام بوضع الياسمين خلف أذنيها قبل أن تغادر، وقبوله

الصادق للجزء الذي عرضته عليه. كادت أن تحبه بسبب الهدية التي أعطاه إياها، منحها الوهم أنها إنسان وليست عبدة. لكنها تعرف أن هذا مجرد وهم، والخيال الذي ابتكروه معاً سيظل هشاً. سيكون من السهل العناية به، ونسيان مدى ضآلة حجمها حقاً. تبدأ الآن الرحلة المضنية لاكتشاف كيف يمكنه مساعدتها على الهروب. إنها ليست رحلة يمكنها أن تحمل المشاعر فيها.

-27-

بيثياس: لا أعرف من كان، لكن الحقائق تتحدث عن نفسها فيما فعله.
الفتاة نفسها تبكي وعندما تسألها لا تستطيع أن تستجمع نفسها لتقول ما يجري.
تيرينس، الخصي

الصراخ ليس مثل أي شيء سمعته من قبل. سيطر الخوف على «أمارا»، وهربت إلى الباب، خائفة من مقتل إحدى صديقاتها، لكن «ثراسو» بدا هادئاً تماماً.

- إنها فقط الفتاة الجديدة.
- اندفعت من أمامه، ووجدت «فيكتوريا» و«يدو» و«كريسا» يتجمعن في الممر.
- قالت «كريسا» ووجهها مبلل بالدموع:
- إنها بريتانىكا... لا أستطيع تحمل ذلك.
- ماذا يفعلون بها؟ ماذا يحدث؟
- قالت فكتوريا:

- لا شيء! لا شيء لا يتعين على بقيتنا تحملها. إنها
مجنونة!

كانت «بريتانिका» تصرخ وتصرخ بلغتها، وتتادي اسم
«كريسا». على الرغم من أن أيا منهم لم يفهم كلماتها،
إلا أنهم يعرفون أنها تطلب المساعدة. أمسك «فيكتوريا»
بذراع «كريسا» لمنعها من الاستجابة، وتقول:

- لا يمكنك. ماذا ستفعلين؟ هل ستخبرينهم بالتوقف
وسيعيد فيليكس المال للزبائن؟

تتفجر «ديدو» في البكاء:

- لا يمكننا تركها هكذا وحسب. هناك اثنان منهم
هناك!

- رجلان؟

- كانت تقاتل كثيرًا دخل الآخر ليضغط عليها.
قالت فيكتوريا؟

نظرت «أمارا» بياس إلى «ديدو»، ثم إلى «كريسا». يبدو
من المستحيل ألا يساعد أي منهم، وأنهم جميعًا يقفون
بلا فائدة، ويتركونها تعاني. صراخ «بريتانिका» يخترقها
بشكل عميق لأنه مألوف. يصددها أنها لم تصرخ قط
بألمها هكذا، وأنها كانت صامتة بدلاً من ذلك. تضغط
يدها على أذنيها، رغبةً منها في إيقاف الرعب وإيقاف
الصوت الذي يشق أذنيها.

صرخت فيكتوريا غاضبة فجأة:

- لماذا لا يمكنها أن تصمت! لماذا لا تستطيع
أن تفهم؟ هذا يجعل الرجال في مزاج معكر.

سيكونون عنيفين معنا جميعاً قريباً إذا استمرت في هذا الأمر. الكلبة الغبية اللعينة.

صرخت كريسا في ذهول:

- إنهم يؤذونها! إنهم بحاجة إلى التوقف، وليس هي.

يتحول صراخ «بريتانिका» إلى بكاء.

- لقد انتهى الأمر تقريباً تمتت فيكتوريا، وهي لا تريد مواجهة كريسا، إنها تحارب دائماً حتى النهاية. هذا يعني أنهم انتهوا. ستكون بخير قريباً.

انفتحت الستارة، وخرج الرجلان إلى الممر. فتراجعت النساء غريزياً، وتشبثن ببعضهن بعضاً. نظر إليهن أحدهما نظرة ازدراء، وبصق على الأرض، وغادرا متبجحين. تركت «كريسا» الآخرين واندفعت إلى حجرة «أمارا» القديمة. كانت «بريتانिका» هادئة، والصوت الوحيد الذي كان يسمع، هو بكاء كريسا؟

رجل آخر يخطو إلى المبنى. شكله ومسيرته مألوفة لدى «أمارا»، إنه «ميناندر».

الصدمة جعلت الدم يندفع إلى قلبها. حدقت به، غير قادرة على الكلام.

- جئت لرؤيتك. قال ثراسو إنك لست مشغولة.

إنه يقف حيث بصق جلاد «بريتانिका» على الأرض، ويبدو الأمر كما لو أن آخر قطعة من براءتها قد انتزعت منها.

لم تقل شيئاً سوى السير إلى حجرة «ديدو»، بالكاد تنتظر أن يتبعها، ثم سحبت الستارة خلفهما. لا تستطيع

تحمل النظر إليه، لترى وجهه الجميل، فتقف ممسكة بالمواد، وظهرها إلى الغرفة.

- ماذا تريد؟

- تيماريت...

- ما الخدمة التي تريدها؟

- خدمة؟

- نعم، لقد دفعت ثمنها، إذن ما الخدمة التي تريدها؟

ما نوعية ... الذي دفعت مقابلته؟

- لم أكن...

- لماذا أنت هنا إذن؟

- لرؤيتك. للتحدث معك.

- هل تريد التحدث هنا؟ ردت أمارا وصوتها يرتفع

من الهستيريا. حتى مع إغلاق الستارة، لا يزال بإمكانهم

سماع كريسا وهي تبكي، وصوت بيرونيس مع زبون

في الحجرة المجاورة، وفيكتوريا، وهي تتجادل الآن مع

ثراسو، وتصرخ في وجهه حتى لا يسمح بدخول البلطجية

إلى المبنى.

- ماذا لدينا أيضاً؟

رأت الحزن الهادئ في وجهه، وعلمت بلا شك أنه يقول

الحقيقة. كان ارتياحها أكثر إيلاً تقريباً من الصدمة

السابقة. مشت إليه، ووضعت ذراعيها حول رقبته، ليكون

جانب وجهها مقابل وجهه.

- لقد دفعت مقابل التحدث معي.

- لم أكن أرغب في الانتظار حتى كانون الأول، لقد كنت ادخر لفترة من الوقت. يسمح روستيكوس لعبيده بالحصول على بعض المتعة، يعتقد أنها تجعلنا أكثر طاعة.
- لكن يجب ألا تتفق أموالك بهذه الطريقة! أنت تحتاج إليها. تحتاج إلى أن تحافظ عليها.
- كنت في حاجة لرؤيتك.
- فكرت في «روفوس»، في كل الأشياء السخيفة التي قالتها في ذلك المساء عن الحب، في كل الأكاذيب التي روتها:
- لا أستطيع أن أعطيك أي شيء، ليس لدي أي شيء، أنا حتى لا أملك نفسي، أو جسدي، أو حياتي الخاصة.
- ولا أنا أيضًا.
- إذن ماذا سنفعل؟ ما الذي نفعله هنا نتحدث.
- أعلم أنك وحيدة. قال وهو يجلس إلى جوارها على السرير: أنا وحيد أيضًا. لكنني لا أشعر بذلك عندما أكون معك.
- قالت وهي تميل برأسها على كتفه وتتركه يمسكها مرة أخرى:
- سيكون الأمر مؤلمًا جدًا بعد ذلك. هذا مؤلم وحسب.
- لأنه يجعلك تفكرين في الوطن، وكل ما فقدناه من قبل.

- ليس هذا فقط. هل تعرف عدد الرجال الذين كنت معهم؟ لم أرغب في أي منهم، لكنه حدث على أي حال، وهذه هي حياتي الآن، ولا بد لي من قبولها. وبعد ذلك أراك، الشخص الوحيد الذي أردته بالفعل، وعلى الرغم من أننا وحدنا معًا الآن، وليس هناك ما يوقفنا، وعلى الرغم من أنك دفعت مقابل وجودك معي للقواد اللعين... لا يمكنني ذلك. ليس في هذا المكان. لا أستطيع.

- أنا أعلم. لن أطلب الأمر منك. ليس هنا. مال وقبلها على صدغها، ولكن يمكننا أن ننتمي إلى العديد من الأماكن. ألا تفكرين في نفسك على أنك في مكان آخر؟ فكرت «أمارا» في حديقة «بليني»، ورائحة الياسمين ورذاذ النافورة، وهي تقول:
- نعم.

ساعدها «ميناندر» على الجلوس مرة أخرى على السرير، بحيث يتكئ على الحائط وتكئ عليه، وذراعاها تحيطان بها كلها. ويقول:

- في الليل، أحياناً، عندما أنام على الأرض فوق المتجر. أتخيل أنني عدت إلى أثينا. أتخيل المشي في الشارع في المساء، عائداً إلى منزلي القديم، المتجر الذي كان والدي يمتلكه. ولكني لا أتخيل والدي أو أخواتي ينتظرونني هناك، إنني أتخيلك أنت. يمكنني رؤيتك في القاعة، على الرغم من أنك لم تكوني هناك من قبل، ونحن نتحدث، لدينا كل الوقت الذي نحتاج إليه.

- أفكر فيك في أفيدناي، أحياناً أيضاً. لكن بشكل أساس أتخيل أننا في مكان آخر تماماً. في مكان ما لا نعرفه حتى الآن. توقفت أمارا، ماذا يمكن أن تقول له حقاً؟ هل فكرت به عندما قبلها روفوس، وأنها كانت تتمنى أن يكون هو بدلاً من ذلك؟ أو أنها أخبرت روفوس أن قلبها حر؛ لأنها لا تستطيع تحمل تكاليف الحب.

- ألا يمكن أن يكون ذلك ممكناً؟ سألتها، وهو يلتصق بها: العبيد يتزوجون، أليس كذلك؟ أو قد يمنحني روستيكوس حريتي يوماً ما، ليس لديه وريث، ولا أحد يتولى عمله. لا تستطيع «أمارا» حتى أن تبدأ في تخيل رد فعل «فيليكس» على الفكرة الأولى، وليس لديها القلب لإخبار «ميناندر» أن كل مالك عديم الضمير - منذ فجر التاريخ - قد خدع عبداً موهوباً في العمل بجدية أكبر بوعده غامض بالحرية يوماً ما. لا تستطيع تحمل تدمير الخيال. فتقول:

- إذا كان لدي الخيار، فستكون أنت وحدك. تحدثنا سوياً طوال الليل، وشعرت «أمارا» بوحدتها تتحسر مع كل لحظة في صحبته. حتى أن المبلغى بدا مكاناً أقل فظاعة، لأنه موجود هنا وحسب. أخبرته عن «بليني»، وكيف شعرت بقضاء تلك الأيام القليلة من الحرية، وأخبرها عن شعوره في المتجر، واللحظات التي نسي فيها أنه عبد، محاصر في عمل إنشاء مصباح جديد، كائن جديد، تماماً كما فعل في حياته من قبل.

لقد ضاعوا في كل شيء ما عدا بعضهم بعضاً، حتى يحين وقت المغادرة، وصل «ثراسو» لطرده أي عملاء باقين.

قال وهو يقترب من الحجرة:

- تباً لك. لقد أخذت الكثير من الوقت، أكثر من قيمة أموالك.

حاولت «أمارا» تقبيل «ميناندر»، لكن «ثراسو» دخل بينهما ودفعها بقوة. ترى «ميناندر» يتفاعل بشكل غريزي للتدخل.

- لا! صرخت، ونظرت أمارا إلى ميناندر، وهي تهز رأسها، لو سمحت.

إنها لا تستطيع تحمل كراهية الذات التي تعلق وجهه، وفهمهما المشترك أنه لا يملك القدرة على حمايتها من «ثراسو»، أو من أي شيء آخر.

عندما رحل لم تبك «أمارا». وقفت ووضعت يديها على جدار حجرتها. إنها تريد أن تفرغ غضبها في الليل مثل «بريتانكا».

غضبها يتصاعد كالبحر ويغرقها.
عليها أن تخرج.

-28-

يتم الإشادة بالقصائد، لكنها تثير اللفهة مقابل المال؛
حتى المتوحش مرحب به إذا كان ثريًا.

أوفيد، فن الحب II

الجو حار في «السابارو»، على الرغم من أن اليوم لم
ينتصف بعد. ظلت «كريسا» في المبعغى لتعنى بـ«بريتانیکا»،
وجلست «أمارا» والآخريات على طاولة يتشاركن بعض
الخبز والجبن، ووعاء صغيراً من يخنة الخضار الباردة.
شعرت «أمارا» أن ملابسها تلتصق على جلدها من العرق.
سألتها فكتوريا:

- لمّ جاء الصديق بعد ذلك؟
- أومأت «أمارا» برأسها، غير راغبة في التحدث عن
«ميناندر»، وفيكتوريا لا تضغط عليها. قالت «أمارا»:
- آسفة، أنه كان عليكما أن تتشاركا معاً الحجرة.
- اعتقدنا أنك قد ترغبين في بعض المساحة؟
- شكراً.
- وعدن إلى الصمت، الذي خرقتة بيرونييس قائلة:

- ماذا سنفعل لها؟ متى ستتوقف عن القتال والصراخ؟

تمتم رجل عجوز على الطاولة المجاورة لهم، كان في حالة سكر أو مرض، ومد يده المرتعشة، ليس من الواضح ما إذا كان يحاول الوصول إلى خبزهم أم تلمس «بيرونييس»:

- ليس اليوم أيها الجد! ردت فيكتوريا عليه بصوت عالٍ. لا يمكنني الحصول على أي سلام سخيف في أي مكان؟ لقد كنت بالكاد قد وصلت مع عميلي إلى نقطة التفاعل، ثم صار في مزاج سيئ، وبدأ يتعامل معي بخشونة.

قالت ديدو:

- أعتقد أنها شجاعة

ردت فكتوريا مستكبرة:

- شجاعة! إنها متوحشة...

قاطعتها أمارا:

- أتمنى ألا تتاديبها بذلك. فقط لأنها لا تتحدث اللاتينية. وأنا أتفق مع ديدو. إنها تفعل ما سيفعله بقيتنا، فقط إذا كانت لدينا الشجاعة.

قالت فكتوريا غاضبة:

- إذا كنت تعتقدين أنها رائعة جداً، فلماذا لا تعلمينها بعض اللاتينية إذن؟ إنها ليست شجاعة، إنها غيبة. هل رأيت الكدمات عليها؟ الذي يخوض معركة كهذه لن يفوز بها أبداً؟

- هذا ما تعنيه الشجاعة.
- أوه، اغربي عن وجهي، بجدية! إذا كنت لا تستطيعين أن تري ما هي المشكلة، فربما يكون ذلك لأنك تقضين كل وقتك في حفلات رائعة. لن تكوني موجودة عندما نتعرض إلى الهجوم، أليس كذلك؟ ما الذي يهملك؟
- نهضت «أمارا» من على الطاولة، وأخذت معها قطعة خبز وجبن. كانت فعلاً في حالة مزاجية سيئة قبل هذا، ولا تثق بنفسها حتى لا تفقد أعصابها.
- إلى أين تذهبين؟ سألتها فيكتوريا، في منتصف الطريق بلهجة ودودة؟
- لمحاولة تعليم بريتانكا بعض اللاتينية.
- حثت «أمارا» الخطى عائدة نحو المبنى، بينما «نيكاندروس» يسير على طول الرصيف إلى «السيارو» مع دلو من الماء، قال:
- احذري!
- رفعت يديها اعتذاراً لكنها لم تتوقف من أجل تبادل الكلام. إن رؤيته تجعلها تفكر في «ميناندر»، في الاختيار الذي اتخذته «ديدو» بعدم السماح لمشاعرها نحو «نيكاندروس» بالتجذر عندما لا يوجد مكان ينمو فيه الحب. ربما كانت حكيمة.
- كان «ثراسو» يقف على الباب، منهكاً من حراسة المبنى طوال الليل. تنحى جانباً للسماح لها بالدخول.
- أين كريسا؟

- إنها ليست على ما يرام،
- قالت فاييا، من دون أن تنظر إلى أعلى، وهي تكنس الممر، إنها تشعر بالمرض. وجاء صوت من المرحاض، فأسرعت «أمارا» إلى نهاية الممر:
- كريسا! هل أنت بخير؟
- خرجت «كريسا» ممسكة بالحائط، شاحبة، وعيناها مظلمتان باليؤس. شعرت «أمارا» بالمرض وهي تخمن ما تواجهه «كريسا». قالت بهدوء:
- يجب أن تأكلي شيئاً. سوف يساعدك. لا تزال الآخريات في السبارو.
- هزت «كريسا» رأسها:
- لا شيء سوف يساعد.
- على الأقل تناولتي شيئاً من فضلك. ستشعرين بغثيان أقل.
- ماذا عن بريتانكا؟
- يمكنني العناية بها.
- هل أنت واثقة؟ ستكونين لطيفة معها، أليس كذلك؟ أنت وعدت؟ أومأت أمارا برأسها، وهي تعرف أن كريسا تفكر في شخص آخر، إنها في حجرتي. كنت على وشك مساعدتها في الاستحمام. كانت كريسا تتجاوز أمارا التي أوقفها، ممسكة بذراعها، قائلة:
- ألا يمكنني مساعدتك أيضاً؟ نظرت «كريسا» إلى الأسفل، كما لو كانت غير قادرة على تحمل لطف «أمارا».

- لا أحد يستطيع مساعدتي.
أسرعت محاولة تجنب «فايبا». بعد رحيلها، استدارت
المرأة العجوز إلى «أمارا» وهي تهز رأسها.
دُهشت «بريتانिका» عندما رأت «أمارا» وهي تقترب
منها، وبدت حذرة أكثر منها خائفة. كانت هناك كدمات
على ذراعيها الشاحبتين، بما في ذلك بصمات حية حيث
يجب أن يكون قد تم إمساكها. دماء جافة ملطخة على
وجهها. جبناء، فكرت، وابتسمت لـ«بريتانिका»، مشيرة إلى
نفسها.

- أمارا. أنا أمارا. صديقة كريسا.
- كريسا؟ نظرت بريتانिका إلى ما وراء أمارا، تنتظر
ظهور المرأة الأخرى.
انحنت «أمارا» ووضعت الخبز والجبن على السرير،
وقالت:

- لك. ستعود كريسا قريباً.
أخذت «بريتانिका» الطعام من دون أي بادرة شكر،
وانتظرت «أمارا» حتى تنتهي من تناول الطعام، ثم تمر
بأداء شاق، وأخذت تسمى الأشياء في الحجرة، وتطلب
من «بريتانिका» أن تغسل وجهها.
قالت:

- ماء، وأشارت إلى الإبريق. غمست يدها فيه،
وأظهرت لبريتانिका القطرات المتساقطة من أصابعها
ماء. الآن قولها. ماء.

رداً على ذلك، أصدرت «بريتانिका» سيلاً من الكلمات

بلغتها القاسية. حركاتها عنيفة، تعبيرها حاد، ولكن على الرغم من أن الخطبة غير المفهومة تجعل «أمارا» تشعر بعدم الارتياح، إلا أنها تعتقد أن الغضب ليس موجهاً إليها. مدت «أمارا» يدها إلى الإبريق مرة أخرى، فالتقطت «بريتانिका» ذراعها. قبضتها قوية مثل قبضة الرجل. وكررت «بريتانिका» الكلمة الغريبة نفسها مراراً وتكراراً، وحدقت باهتمام، راغبة في أن تفهمها «أمارا».

ثم تركتها لتبكي بسخط، وتلقي بنفسها على السرير مرة أخرى.

- أنا أعرف. أريد أن أقتلهم أيضاً. لكن الأمور لا تجري بهذه الطريقة. ليس لدينا خيار.

أدارت «بريتانिका» وجهها إلى الحائط متجاهلة إياها. إنها لا تقاوم بينما تقوم «أمارا» برش الماء على بشرتها، ولكنها لا تفعل شيئاً للمساعدة أيضاً.

- شعرك في حالة من الفوضى. هل يمكنني تنظيفه؟ عدت أمارت صمتها قبولاً، والتقطت الفرشاة، وراحت تحاول فك العقد: شعرك أحمر!

لم تر «أمارا» أي شيء مثله من قبل. يمكنها أن تتخيل أنه كان يتوهج مثل النار في شمس تموز عندما وقفت «بريتانिका» عارية في سوق العبيد، بشرتها بيضاء بشكل غير طبيعي. من الواضح أن «فيليكس» أراد شيئاً غريباً ولم يكلف نفسه عناء معرفة حقيقة عدم قدرتها على الكلام. «الأحمق اللعين»، تمتعت في نفسها.

لم تثر «بريتانिका» أي ضجة، على الرغم من أن تمشيظ

الشعر مؤلم بسبب وجود الكثير من العقد المتشابكة. لم تكن أمارا تفكر في شيء سوى تمشيط كتلة الشعر، حينما سمعت صوت «فيليكس»، يتحدث إلى «ثراسو» عند الباب. كل حواسها استيقظت على الفور.

تخطى شخص عتبة المبنى. فقفزت «بريتانिका» وصرخت في وجه «أمارا». يبدو كلامها وكأنه أمر أكثر منه تحذيراً، لكن ليس لديها فكرة عما قد يكون.

- تكوين صداقات؟

وقف «فيليكس» عند المدخل، ونظر إلى الداخل، فتكورت «بريتانिका»، مذكرةً «أمارا» بالنمور في الحلية. وكشرت عن أسنانها في «فيليكس» وراحت تصفر، فتذكرت كلام «فيكتوريا، إنها متوحشة.

سحب فيليكس سكيناً صغيراً من سترته، وراح يتفحصه وكأنه يحتاج إلى تنظيف. توقفت «بريتانिका» عن الهسهسة، وهي تراقبه، وعيناها متسعان للغاية حتى ظهر البياض فيهما. أشار «فيليكس» بالنصل، عرضياً وليس تهديداً:

- أنت لا تحبين هذا، أليس كذلك؟

- إنها لا تفهم أية كلمة باللغة اللاتينية. ردت أمارا؟

- أوه، إنها تفهمني. نحن نفهم بعضنا بعضاً بشكل جيد. أليس كذلك؟ تقلصت بريتانیکا مرة أخرى، ثم قال لأمارا وهو يرفع السكين بعيداً: كما ترين. هي تتحدث لغتي.

- إنها لا تفهم الحياة هنا. إنها تصرخ طوال الليل.

هذا أمر ليس جيداً للأعمال.

- سوف تعتاد على ذلك. وإذا لم يكن كذلك، فبعض العملاء يحبون ذلك. لا داعي للقلق، ليس بعد أن تلقيت هذه الرسالة من صديقك الفاخر، حمل فيليكس ملاحظة، ونظرة من التسلية على وجهه: إنه يطلب أن يكون لك غرفة مفروشة خارج المبنى.

- روفوس؟ ردت أمارا مذهولة.

- كم عدد الأولاد الفاخرين لديك؟ نعم، روفوس. لقد أرسلت رداً مع جالوس. إنه لا يقدم ما يكفي لكل ليلة. لكنني وافقت على أنك ستقضين ليلتين فقط هنا في الأسبوع، مادام أنه يدفع للموظف.

فكرت «أمارا» في «روفوس»، وفي المسرح، والطريقة التي أعطاهها بها الياسمين، وتقبله لغضبها. شعرت أنها متأثرة بطريقة لا تستطيع التعبير عنها، وبالتأكيد ليس لـ«فيليكس».

- لا تجلسي هناك وحسب! قال فيليكس، منزعجاً من افتقارها إلى رد الفعل، احزمي أغراضك.

- ولكن إلى أين أنا ذاهبة؟

- يمكنك النوم في الطابق العلوي. في المخزن مع باريس.

- لا يمكنني ترك بريتانكا وحدها؛ لقد وعدت كريسا.

سحب «فيليكس» السكين مرة أخرى، وعبر إلى

«بريتانिका»، ويوجهها إلى وجهها. لقد جفلت، لكن «أمارا» مدهوشة من أنها لا تظهر خوفاً جسدياً أكبر.

- أنت .. ستظلين هنا .. لا .. تتحركي.

مال إلى الأمام، وأمسك بفخذها بيده الحرة، في لفطة لا لبس فيها من الاعتداء. هذه المرة بدت «بريتانिका» أكثر خوفاً، وظل «فيليكس» حيث هو، حتى تخاف أكثر، لم تعد تلتقي بعينه. في لحظة كهذه شعرت «أمارا» أنها تحتقره أكثر من أي وقت مضى.

- أنت فقط بحاجة إلى أن تكوني حازمة معها. توجه نحو الباب، وقال:

تبعته «أمارا»، ولكنها نظرت لفترة وجيزة إلى «بريتانिका» قبل مغادرة الحجرة. وهي تأمل أن تكون الكراهية على وجهها موجهة إلى «فيليكس» وحده.

ظنت «أمارا» أن «باريس» سعيد بترتيبات المعيشة الجديدة، في الحقيقة لا يجرؤ فتى «فيليكس» العبد على التعبير عن استيائه أمام سيده، خاصة بعد أن أوضح رئيسه أنه لا يريد أي شجار، ولكن حالما ترك «فيليكس» «أمارا» في المخزن - وكان قطعة أخرى من الممتلكات يجب أن تكون أضيفت إلى الكومة - انقلب «باريس» عليها، وقال مشيراً إلى بعض الأكياس الفارغة في الزاوية البعيدة:

- يمكنك النوم هناك. هناك فقط. لا أريد أن تكون مؤخرتك ذات الرائحة الكريهة في أي مكان بالقرب مني.

ردت «أمارا»، وهي تضع حقيبة والدها على الأكياس:
 - أوه.. أغرب عن وجهي كما لو لم يكن عليك
 تأجير مؤخرتك أيضاً. وأراهن أنك لا تتحني على ركبتيك
 لتنظيف الأرضيات هنا.

- اللعنة عليك... قال باريس، وهو يمسك بقبضته،
 ووجهه أحمر من الغضب.

قالت أمارا وهي تسقط على الأرض إلى جوار حقيبتها،
 موضحة أنها هنا لتبقى:

- لا تقاتل، تذكر سمعت ما قاله فيليكس للتو.
 إذا أعطيتي عيناً سوداء، فكر فقط في ما سيفعله
 بك في المقابل. إنه يضاجعك أيضاً، أليس كذلك؟
 تماماً مثلنا جميعاً.

في تلك اللحظة، ولأول مرة، ترى «أمارا» شيئاً من
 «فايبا» في ابنها. إنها هناك في انحناء كتفيه، وفي
 تعبيره الجريح. إنها تعرف أنه ليس أصغر منها بكثير،
 لكن بساقيه النحيفتين وهيكله الرفيع، يبدو وكأنه طفل
 يتعرض للضرب. أشعرها منظره بالذنب، كانت على وشك
 أن تقول شيئاً لطيفاً حينما تحدث:

- أنت تقرفينني، ولكن بغايا قذرات. وإذا وجدت
 أنك قد لمست أيّاً من أشياءي بأصابعك السيئة والقذرة
 عندما أكون في الخارج، فسوف أقتلك!

خرج «باريس» من الغرفة، تاركاً «أمارا» تتساءل عما
 إذا كان «روفوس» قد قدم لها مثل هذه الخدمة بعد كل
 شيء. لن تكون الأكياس الساخنة المغبرة أكثر راحة من

السريير الحجري في حجرة «ديدو»، لكنها على الأقل ستكون قادرة على النوم، وليس العمل طوال الليل. إنه شعور غريب أن تكون في هدوء المخزن، مع العلم أن المبنى في الطابق السفلي.

يجب أن تكون حجرة «كريسا» أسفلها مباشرة، أو ربما حجرة «بيرونيس». تنظر إلى الرفوف في الغرفة الضيقة المكدسة بالجرار وحزم القماش. على الأرض إلى جانبها، هناك كيس فاصوليا نصف فارغ، قد تتمكن من استخدامه كوسادة. انسكب القليل من فتحة صغيرة في الزاوية أثناء تحريكها له. تأمل ألا يكون هناك الكثير من الفئران، أو الجرذان.

نهضت «أمارا» وتسللت إلى الباب. إنها لا تعرف الكثير عما يجري في شقة «فيليكس». وتفترض أن الغرفة المجاورة يجب أن تكون حيث ينام «جالوس» و«ثراسو». وأسفت لعدم كونها أكثر صداقة مع «باريس»، فقط لمحاولة الحصول على مزيد من المعلومات منه.

افتقدت «أمارا» صديقاتها في الطابق السفلي، ولم يمض سوى بضع دقائق. إنها تتساءل عما إذا كان «ثراسو» سيخبرهم بما حدث، ولماذا حركها «فيليكس». للحظة شعرت بالغرابة كونها وحيدة، أمر يجعلها تشعر بالحساسية.

أمالت رأسها إلى دعامة الباب الخشبي، في محاولة لتصفية أفكارها. ليس هناك فائدة من أن تكون بأسة

وتضيع وقتها هنا، من المستحيل تحديد المدة التي سيحتفظ بها «روفوس»، وما إذا كانت مصلحته ستؤتي ثمارها. لكنها يمكن أن تستغل هذا الوقت لمعرفة المزيد حول كيفية إدارة «فيليكس» لقروضه، ومعرفة ما إذا كان بإمكانها إقناعه باستخدامها بهذه الطريقة، بدلاً من بيعها. ستكون على الأقل حياة أفضل من تلك الموجودة في المبنى.

انطلقت في الممر.

كان باب مكتبه مفتوحاً، ليسمح بدخول النسيم في حرارة الصيف. يجب أن يكون قد رصد ظلها، لأنه ينادي قبل أن تتاح لها فرصة للطرق.

- ماذا تريدان؟

خطت «أمارا» إلى الغرفة، لكنها لم تقترب كثيراً من مكتبه.

- تلك الفتاة من فندق الفيل، التي سددت قرضها «بيتاني». ذكرت لي أنها قد يكون لديها زبون آخر لك. اعتقدت أنه يمكنني استخدام هذا الوقت للقيام ببعض الأعمال.

- لا يمكنني إرسال أي شخص للذهاب معك.

- ألا يمكنني الذهاب بمفردي؟ فندق الفيل ليس ببعيد. يمكنني تدوين ملاحظة، ومعرفة ما إذا كنت تحب الشروط.

- إنها مثل حكة لا تنتهي بالنسبة إليك، أليس كذلك؟ كسب المال.

إذا كان «فيليكس» رجلاً مختلفاً، و سيكون سعيداً بالمقارنة، فإنها ستقول: «كما هو الحال بالنسبة إليك»، لكنها بدلاً من ذلك، تتجاهل، وتقول:

- الجميع يريد كسب المال. رغم أنني في هذه الحالة أصنعه لك.

- اذهبي إذن.

«الفيل» هو حانة أكبر من «السيارو»، وهو متصل بنزل كبير. يتدلى فوق المدخل فانوس نحاسي على شكل فيل، وتتدلى منه أجراس تصدر الرنين، والجدران في داخله مبطنة بصور الوحوش العملاقة التي تحرض على المصارعين في الحلبة.

هناك تبادل عادل في التجارة بين المبغي والنزل، وقد أعطى «سيتيوس»، المالك، «أمارا» إيماءة تقدير عندما مالت على الحانة.

- ليس هناك الكثير من العملاء لك اليوم.

- تساءلت عما إذا كانت بيتاني متفرغة للحظة.

- إنها في الفناء. ولكن إذا كنت ستواصلين الثرثرة معها، فمن الأفضل أن تتأولي مشروباً.

اشترت «أمارا» أصغر زجاجات النبيذ التي تستطيع الحصول عليها، لقد افتقدت سحر «زوسكالييس» السهل في «السيارو».

بدا الضيق واضحاً على وجه «سيتيوس»، بينما سارت

«أمارا» عبر الفناء الصغير خلف الحانة. إنه مظلّل جزئياً بوساطة كرمة تنتشر تحتها طاولات خارجية. كان زوجان من الضيوف يجلسان ويشربان في الزاوية. و«بيتاني» المشغولة بمسح حجارة البلاطة، أشرق وجهها حالما رأت «أمارا».

لم تحصل «أمارا» على قرض للنادلة فحسب، بل امتنانها الذي لا ينضب معه. نجح الإجهاض، وسددت «أمارا» البنسات القليلة الأخيرة من الفائدة عندما بدا أنّ «بيتاني» لن تتمكن من فعل ذلك من دون أن تخبر «فيليكس». ليس الأمر فقط أنها لم تستطع تحمل وجود «مارسيلا» أخرى، و خمنت أن الأمر يستحق المال لتكوين بعض الخدمات. قد يكون «فيليكس» قادراً على الاعتماد على القوة الغاشمة، لكنها تحتاج إلى نموذج مختلف، إذا كانت ستكسب أي عملاء.

قالت لها «أمارا»:

- تدين جميلة للغاية.
- أنا! ترد بيتاني ثم تخفض صوتها. وتهمس بنظرة جانبية إلى الشاربين في الزاوية، لقد كنت أستخدم تلك الإسفنجة تماماً كما اقترحت.
- قلت إن هناك امرأة أخرى قد تحتاج إلى مساعدة. جلست أمارا إلى طاولة في الظل وهي تحتسي نبيذها، ويتقلص وجهها جراء طعم الخمر الرخيص الذي أعطاها إياه سييتيوس، طعمه مثل الخل، لم تعد تستسيغه، بعد كل

نبيذ الفاليرني الذي شربته برفقة الأغنياء.

- أوامات «بيتاني»، ومن الواضح أنها مسرورة لاستدعائها.
- إنها تيرينتيا. تعرفينها، التي تدير كشك الفاكهة،
وآخر كشك في الزاوية قبل المنتدى؟
- أخفضت صوتها مرة أخرى، مستمتعة بفرصة النميمة:
- لقد خسرت الشهر الماضي، باعها أحد الأوغاد دفعة فاسدة. كانت تخبرني عندما كنت أشتري إمداداتنا للنزل، وقلت إنني أعرف شخصاً يمكنه الحصول على قرض لها، حتى تتمكن من الحصول على المزيد من المخزون، والسداد في وقت أقرب.
- تخيلي بيع الفاكهة الفاسدة! يا له من محتل.
كم تريد؟

- عشرة دنابير.

- حسبت «أمارا» في ذهنها معدل الفائدة لـ«فيليكس» في رأسها. إنها تأمل أن تتمكن «تيرينتيا» من الدفع - فلن تمتد مدخراتها الخاصة إلى هذا الحد أبداً. ثم تقول:
- أعتقد أنني أستطيع المساعدة. سأتواصل معها هذا الأسبوع.

- كانت بيرونيس تخبرني أنك وديدو تذهبان إلى العديد من الحفلات هذه الأيام! قالت بيتاني، ومن الواضح أنها مترددة في ترك أمارا تذهب. لا بد أنها أمسيات مثيرة؟

- إنها تحدث تغييراً. ابتسمت أمارا. وقضت بعض

الوقت في الثرثرة مع بيتاني، مستمتعة بالخروج في الفناء المشمس بدلاً من الحبس في المخزن المترب.

الضيوف في الزاوية يسكتون، ويراقبونهما بفضول. توجا «أمارا» تجعل وضعها المتدني واضحاً، ولا شك أن «بيتاني» كان عليها أن تخدمهم بالفعل، نادى أحدهم:

- مرحباً أيها السيدات. ما الذي يجب على الرجل فعله هنا لجذب القليل من الاهتمام؟

فكرت «أمارا» في وكيل «روفوس» وشعرت بالدفء مع الامتتان. هي ليست مضطرة للترفيه عن أي حمقى اليوم، فقالت لـ«بيتاني»:

- من الأفضل أن أتركك تعودين إلى العمل.

- أوه، أفترض ذلك، نعم. أراك في الجوار.

توجهت إلى الضيوف، وأكتافها الضيقة تتدلى أكثر، موقنة أنه هكذا تنتهي المتعة في الصباح.

-29-

لا تقدم وعدًا سهلاً مقابل دعائه ولا ترفضه بأسلوب قاسٍ؛
امزج بين الآمال والمخاوف؛ لكن الآمال يجب أن تصبح أكثر
إشراقاً.

أوفيد، فن الحب III

أخذت حياة «أمارا» فوق المبغى إيقاعها المنفصل.
إنها لراحة كبيرة أن تقضي ليلاتها من دون مضايقة، وهو
شيء لم تستمتع به منذ إقامتها مع «بليني». لا يعني ذلك
أنها تنام كما كانت تنام تحت حماية الأدميرال. الأكياس
خشنة وغير مريحة، والفئران تخربش، ويمكنها سماع
أصوات أصدقائها الذين يعملون في الأسفل، مما يملؤها
بالذنب والتحرر في آن واحد.

في بعض الليالي تحلم ب«ميناندر»، وعندما تستيقظ
يكون غيابه ثقيلاً على صدرها. في ظلام المخزن،
تسترجع كل لحظة قضتها معه، وتجد نفسها تقلب
الذكريات في ذهنها مثل الأحجار الكريمة، حتى تبدأ في
فقدان حدتها، ولا يمكنها التأكد من مكان التقاء الخيال

والواقع. ثم ستتذكر تحذير «ديدو» بشأن الحب الضائع، وتجبر نفسها على استعادة آخر مرة رآته فيها، عندما كان عاجزاً عن حمايتها أو حماية نفسه.

«باريس» رفيق صامت إلى حد كبير، وغالباً ما يتجاهل «أمارا» إذا حاولت التحدث إليه. شكت في أن سيدهم حذره من التسبب بعين سوداء كالتي أعطاهها لـ«فيكتوريا». ومع ذلك، فهي لا تأسف أبداً، لأن لديها مخزناً لنفسها عندما يتعين عليه العمل في المبنى. والأسوأ من ذلك هو الليالي التي أقرضها فيها «فيليكس» لـ«ثراسو».

«باريس» لا يقاوم تماماً، كما لو كان «ثراسو» مع جثة. تتكور «أمارا» إلى أصغر حجم ممكن، في مواجهة الحائط، في محاولة لمنح «باريس» بعض الكرامة. تجد صمته المطلق مزعجاً تقريباً مثل صراخ «بريتانिका». في المرة الأولى التي يحدث فيها ذلك، بعد مغادرة «ثراسو»، تخاطر بسؤال «باريس» عما إذا كان على ما يرام، لكن كل ما يقوله: «كان يجب أن تكوني أنت».

حاولت مقابلة أصدقائها في «السيارو» كما كان من قبل، ولكن بصرف النظر عن «ديدو»، فإن المحادثة متوترة. بالكاد تحدثت «فيكتوريا» معها منذ الخلاف حول «بريتانिका». وبالعودة إلى المبنى للعمل، وجدت أن مقاومة البريطانية قد غيرت الأجواء بشكل دائم. الجميع على حافة الهاوية، يحاولون حمايتها من العملاء، من أجلهم بمقدار ما من أجلها. في الأوقات النادرة التي يتكلم فيها أي شخص بمزاح، لم تعد تشعر «أمارا» أنها جزء من

الأجواء، و في المساء أرسلت هي و«ديدو» للترفيه في منزل «كورنيليوس».

«أمارا» سعيدة جداً برؤية «إغناتيوس»، مع تحياته السخيفة ومزاجه الجيد الأبدي، تقبله تقريباً، ثم هناك «روفوس»، الذي لم يطلبها كثيراً كما كانت تأمل - ليس أكثر من مرتين في الأسبوع - ولكن في كل مرة تراه، تشعر بثقة أكبر قليلاً في ارتباطه بها. إن مشاعرها الخاصة تنمو مثل الحشيش، تشابك أفكارها، وتهدد بخنق مكائدها. إنه يبذل كل الجهد الذي في استطاعته ليكون ساحراً، وطريقته لطيفة جداً، ومن الصعب ألا تهتم كثيراً، لكنها تدرك دائماً عدم توازن القوة، والخوف هو ظل عاطفتها. تعيش مع العلم أنه يمكن أن يمزق حياتها لمجرد نزوة، في حين أنها لا يمكن أن تلحق به ضرراً أكثر من حصة سقطت في بركة.

إنه أسبوعها الثالث الذي تعيش فيه فوق المبنى، عندما يطلبها «فيلوس»، عبد «روفوس»، صباح الخميس، ويشدد على أن تكون مستعدة لسيده في المساء. كانت تسمع «فيليكس» وهو يأخذ الرسالة - والمال - ثم صرير خطواته وهو يقترب من المخزن. تتدافع «أمارا» على قدميها، وتتفرض الغبار عن التوجا التي ترتديها.

- أعتبر أنك سمعت ذلك؟ قال فيليكس، وهو يدس رأسه حول الباب، يمكنك على الأقل أن تجعلي نفسك مفيدة حتى ذلك الحين.

- طبعاً، وتبعته في الممر متوجهين إلى مكتبه؟

هذا هو أغرب جزء في حياتها الجديدة، كل الساعات التي تقضيها مع سيدها. تجلس على مقعدها المعتاد بالقرب من المدخل، على كرسي إلى طاولة صغيرة. لم يطلب منها «فيليكس» مطلقاً مشاركة سريره مرة أخرى، لكنه في النهاية خضع وسمح لها بالمساعدة في حساباته. بدأ الأمر بقرض «تيرينتيا»، عندما جعلها تقوم بإعداد العقد وكتابة السجلات. الآن صارت تعمل على عدد من الملفات. وتتساءل كيف تمكن من فعل كل شيء بنفسه.

لطالما عدت «أمارا» أن سيدها مجرم، لكنها مجبرة على الاعتراف بالسحر في طريقته بالتهديد التي يستخدمها في إقراض المال. عند زيارة العملاء - من دون أن يلاحظوا أن الشخص الصغير المنحني في الزاوية يسجل محادثاتهم - يعامل «فيليكس» الرجال أثناء شرب النبيذ، وباستخدام النكات والإطراء، وهي الوسيلة التي يستخلص بها آمالهم وأسرارهم.

- لا يوجد شيء اسمه معلومات عديمة الفائدة، قال لها، بعد مغادرة أحد العملاء بعد أن اشتكى من حماته مدة نصف ساعة.

إنه دقيق في حساباته، حيث يتم استثمار جميع أموال المبغي في مشاركة القروض، ولا يأخذ سوى القليل جداً من أجل المتعة. في الواقع، يبدو أن المتعة تحتل مرتبة منخفضة في حياته تماماً. يتسكع مع أصدقائه في الحانات في بعض الأمسيات، وربما الرجال أنفسهم، الذين رأتهم ذلك اليوم في «باليسترا»، لكنها غير متأكدة

من مدى إعجابه بأي شخص، أو ما إذا كان لديه أي أصدقاء حقيقيين.

حاولت التخلي عن كراهيتها لبعض الوقت، لتتعرف عليه بالطريقة التي شاهدهته بها وهو يدرس أشخاصاً آخرين. لو كان غريباً ماذا ستلاحظ؟ حبه للمال، تصميمه، قسوته، افتتانه العجيب بأفكار الآخرين ومشاعرهم، افتقاره التام للرحمة، وفي النهاية، تكاد لا تستطيع أن تعترف لنفسها، لكنها تقول إنها «وحدته».

حاولت حساب مدفوعات الفائدة على القرض، مما يجعلها تتعارض مع المعلومات التي حصل عليها «فيليكس» حول أصول المدين، عندما تدرك أنه ينظر إليها، ويقول:

- ألم ... الصبي الثري بعد؟

- لا.

- يا لك من كلبة باردة القلب. كان في صوته سخرية، وهي تعلم أن الإهانة المقصود بها الإطراء، لا تتركه طويلاً. حادثة الرفض تزول بعد فترة. وأنت بغي ولست زوجة. لقد قرأ مخاوفها كما لو كانت تحمل علامات على جسدها.

- أنا خائفة منه، أعتقد أنه قد يستمتع بالعنف. قالت ذلك كاذبة.

- ستتدبرين أمرك معه، ليس الأمر كما لو أنه لم يكن لديك الكثير من التدريب. ويمكنني أن أتقاضى أكثر إذا كان هناك أي شيء متطرف، لذا تأكدي من إخباري؟

- من هو بارد القلب الآن؟ ماذا لو قتلني؟ ثم قال بعدها أنا آسف لفقد مثل هذه البغي القيمة. كيف يكون الأسف؟

- لا تتوسلي الفئات، هذا لا يناسبك. أعادت كلماته ذكريات مؤلمة لـ«بليني»، عن توسلها الذليل إليه لشرائها. لقد كان سيشفئها ذلك بالتأكد من التعرض لإغراء التسول مرة أخرى. رمت نظرة على مكتب «فيليكس»، لا تزال لفافة «هيروفيلوس» عليه، ولا شك أنها تركت هناك عمداً لتعذيبها.

لم تعطه قط ما يرضيه حينما سألها عما إذا كانت تستطيع قراءتها، فقالت، مشيرة إلى الحساب الذي كانت تبحث عنه:

- أعتقد أنه يمكنك فرض رسوم إضافية على هذا الحساب. عندما تفكر في عمله، فإن مانيلوس لديه بالتأكيد أصول أخرى يمكنه الاستفادة منها. لقد لاحظت هنا أن «البروش» على عباءته كان من البرونز.

- إنه قرضه الثالث. ولم يتأخر قط. إنه رهان آمن للغاية فلا حاجة للضغط عليه بشدة. أذهب للدم فقط إذا كنت أعتقد أنهم لا يستطيعون العودة مرة أخرى.

فكرت «أمارا» في «مارسيلا»، وتساءلت عما إذا كان قد باع ذلك الحجر الكريم في خاتمها أم ليس بعد. تتذكر إصبع المرأة الأخرى، الدائرة الباهتة حيث جلس خاتم والدتها، والطريقة التي كافحت «مارسيلا» لإزالته. تحاول

الفرار من الأفكار التي باغتها فتقول:

- يجب أن أذهب إلى الحمامات اليوم. أنت محق، لا يمكنني إبقاء روفوس منتظراً إلى الأبد. هل تسمح لي بالمال لتصفيف شعري؟ يمكنني أن أصل إلى النقطة التي نريدها بتغيير شكل شعري.

نظر «فيليكس» إلى شعرها، وناقش نفسه بوضوح ما إذا كانت نفقات ضرورية؛ ثم أخذ بعض العملات المعدنية من الدرج وهو يقول:

- يمكنك الذهاب في غضون ساعتين. بعد الانتهاء من تصفح بقية هذه الملفات.

خطت «أمارا» إلى الشارع، مرتاحة لوجود بعض المساحة من «فيليكس». جعلتها حسابات عملائه تتساءل ما هي الملاحظات التي ربما يكون قد دونها عن نساءه، وما هي الملاحظات التي خزنها بعيداً عنها.

إنها مترددة وهي تتخطى الباب الخلفي للمبغى، ممزقة بين رغبتها في معرفة ما إذا كانت «ديدو» موجودة، والطلب منها مرافقتها أيضاً، والقلق من أنها ستبدو وكأنها تترفع على الجميع عن طريق تصفيف شعرها.

وقف «جالوس» عند الباب الأمامي.

- هل يوجد أحد؟

- فقط فيكتوريا. ألا تسمعين؟

أدركت «أمارا» أنها تستطيع فعلاً سماع صوت

«فيكتوريا»، وهي تتحدث إلى أحد العملاء، وتهذي حول رجولته.

- الأخريات في الخارج يصطدن بصرف النظر عن الهمجية.

- شكرًا. أعط بيرونيس حبي. أنا لست عبدًا رسولاً سخيفاً لبعض الفتيات. أخبريها بنفسك.

الذهاب إلى الحمامات بمفردها هو تجربة جديدة أخرى منذ أن صعدت إلى الطابق العلوي. خبات «أمارا» ملابسها الرخيصة في إحدى الفتحات الصغيرة في غرفة تغيير الملابس، متجاوزة بعض الصديقات اللواتي لا يزلن يتسكعن بعد حزم ملابسهن الخاصة بعيداً.

تردد على الجدران الحجرية صدى ثرثرة أصوات النساء، وصراخ بعض اللواتي يستحمن في حوض السباحة الصغير في الزاوية. كانت هناك مضيضة تجميل تروّج للعمل وتذهب إلى الغرفة الساخنة، مرتدية قباقيب خشبية لحماية قدميها من الأرضية المحرقة.

رفيقتها يونانية، ولكن، لا يبدو أنها في حالة مزاجية تسمح لها بتبادل حكايات الوطن الأم. إنها مفعمة بالحيوية مع جسد «أمارا»، حيث تقوم بإزالة الشعر بملقط من تحت ذراعيها، وتغسل ساقها بصمغ شمعي، ثم تقوم بكشطها حتى تصبح ناعمة، بينما «أمارا» تجفل من الألم. في كل مكان حولها، يتم تقليم وتهيئة النساء الأخريات

بالطريقة نفسها، على الرغم من أن بعضاً اخترن الاسترخاء للتدليك بدلاً من ذلك، إذ يمكنها سماع صفة اليدين على الجلد العاري. جلبت مضيفتها حوضاً صغيراً من الماء، ونظفت «أمارا» نفسها، وأزالت آخر الشمع والأوساخ، شعرت بعد ذلك أن جلدها قد تجدد، بعد كل ما تعرض له من الحرارة و الكشط.

يعدّ تصفيف شعرها تجربة أكثر راحة. حيث ترتدي ملابسها مرة أخرى، وتذهب مع مضييفة أخرى إلى غرفة صغيرة وتجلس، الجو أكثر برودة هنا، وضعت مصففة الشعر ملقط النحاس في المجرمة:

قالت أمارا وهي تراقب الحرارة المتوهجة:

- هذا يكفي شعري مجعد بالفعل، أنا فقط في

حاجة إلى تصفيفه.

- كيف تريدين شكله؟

- لإثارة إعجاب الرجال.

- ليس زوجك؟

- لا.

ابتسمت مصففة الشعر، كما لو أنها لم تكن تعرف بالفعل من توجا «أمارا»، وبينما تكدس المرأة الأخرى شعرها في سلسلة من الضفائر، تفكر في «روفوس». من الصعب جداً معرفة ما يريده تماماً. هل سيفضلها على حقيقتها، ليرى أنها تشعر بالتوتر، بل وحتى الخجل، أم أنه يتوقع أن تغمره بالسرور وتعامله بخبرتها كبغي؟ الآن

صارت تتمنى لو طلبت نصيحة «فيكتوريا».

- مناسب لمقابلة إمبراطور... قالت مصففة الشعر
عندما انتهت

خرجت إلى الشارع متجاهلة صافرات رجلين يقفان
حول مدخل الحمامات. إنها بقعة سيئة السمعة لجذب
العملاء. تتساءل عما إذا كان أي من أصدقائها في هذا
المحيط اليوم. تغريها رائحة الطعام المقلي بالعودة إلى
المنزل، لكنها تمشي في الماضي.

سوف تأكل مجاناً هذا المساء، ومن الأفضل أن تدخر
مالها. سمح لها «باريس» بالعودة إلى الشقة، وكان تعبيره
عندما رأى شعرها حقدًا خالصًا.
- السيد يريدك.

صعدت الدرج متسائلة عما يحتاجه «فيليكس»، لكنها
عندما دخلت مكتبه، لم يتكلم، كل ما فعله هو أنه أشار
إلى كومة اللفافات على طاولتها، فجلست للعمل. بعد
ذلك بوقت قصير، وصل «سيدروس»، أحد زبائنه. كانا
يناقشان القرض، ويتحدثان عن الأعمال، وحرارة الصيف
الحارقة.

عرض عليه «فيليكس» خصمًا في المبنى إذا زاد المبلغ
الذي يقترضه، وهو أمر لاحظت «أمارا» أنه يفعله كثيرًا.
استدار «سيدروس» لينظر إليها، وسأله:

- هل هي...؟

- نعم، لكنها عادة ما تكون محجوزة. تكلف أكثر
بعض الشيء.

- رجل حكيم، سأحتفظ بمتلها لنفسي أيضاً.
- إذا كنت ستختار الطابق السفلي، فإنني أوصي
بفيكتوريا
- هل كل نساءك يعملن في الحسابات؟ سأله
سيدروس ، مستمتعاً
- هذه فقط. إنها ابنة طبيب.
- أبدى «سيدروس» إعجابه وهو يقول:
- لقد استثمرت في الأسهم عالية الجودة.
ليس لديك أي عذارى، على ما أظن؟
- فكرت «أمارا» في «ديدو»، وبالألتم الذي تحملته لفقدان
براءتها في هذا المكان، وكادت أن تكسر قلمها من الضغط
عليه بشدة في الشمع.
- هز «فيليكس» رأسه. وانتقل مع الرجل إلى أمور
أخرى، وعندما غادر «سيدروس»، لم ينظر إليها كثيراً،
كما لو أنه نسي وجودها.
- لا تفعلي ذلك مرة أخرى.
- أفعّل ماذا؟
- تتصتين إلى الأحاديث.
- لوهلة كانت «أمارا» على وشك الاحتجاج لكنها فكرت
في ذلك بشكل أفضل، فقالت:
- لا أتذكر إخبارك أن والدي كان طبيباً.
- كان ذلك بعد أن اشتريتك. أعطيتك أنت وديدو
بعض التين، وأخبرتني أنها المفضلة لدى والدك.

وسألتك ماذا كان يعمل؟

عادت الذكريات إلى «أمارا»، وهي تنبض بالحياة وتشتعل، مثل أرضية الحمامات المحرقة. الطريقة التي ابتسم بها «فيليكس»، لمستته برفق على ذراعها، وتقديمه الفاخرة لها، مع شيء يشبه الحنان تقريباً، وشعورها الأحمق بالراحة، والاستلطاف، لكنها تتجاهل كل ذلك وتقول:

- أنا لا أتذكر ذلك.

عملت «أمارا» بصمت بقية فترة ما بعد الظهر، واحتفظت برأسها منخفضاً عندما يأتي موكب من العملاء. يبدو أنها لا تهتم، حتى عندما يبكي أحدهم، متوسلاً «فيليكس» لمزيد من الوقت، ولكنها كانت طوال الوقت، تعصي سيدها، وتواصل الاستماع باهتمام، ملفوفة بكرائية تشعر بها تتكتل داخلها.

أخيراً، أتى «باريس» ليخبرهم أن عبد «روفوس»، «فيلوس» ينتظر. طرده «فيليكس» ثم مشى وهو يراقبها وهي تكدس الألواح، وعندما انتهت، سلمها أحد فساتين «بليني» وظل واقفاً، بينما هي تغير ثيابها.

وجوده جعلها متوترة تتحسس مكان «البروش». فاقترب «فيليكس» وأخذ يساعدها، بينما راحت تراقب تعابيرها وهو يرفع القماش فيتهجم وجهه ويبدو عليه التركيز، وهو يحاول تثبيت الدبوس، مما جعلهما يبدوان زوجاً وزوجه. عندما انتهت من ارتداء ملابسها، كادت أن تستدير لتذهب، لكنه أمسك بمعصمها، وشدها نحوه، إنها ليست

لحظة حميمة، فقد قال:

- تذكري ما يحدث للأشخاص الذين يخونوني.

ثم ترك ذراعها تسقط، وعاد إلى مكتبه من دون أن

يراقبها وهي تغادر.

-30-

لو أن أحدًا لم ير «فينوس» التي رسمها «آبيل»، فإن عليه أن
 ينظر إلى صاحبتني؛
 إنها مشرقة بالضياء ذاته.
 كتابة على جدران بومبي

المطعم خطوة للأعلى بالنسبة إلى أمارا»، خطوة إلى
 الأسفل لـ«روفوس». تخيلت أنه يجب أن يمنحه شيئاً من
 التشويق، تناول الطعام في مكان ما ليس محترماً تمامًا.
 أي شخص يستحق أي شيء يأكله، آمنًا، مع العلم أن
 الرفاهية أقرب إلى المنزل.

بالنسبة إليها، التجربة ممتعة، إذ يتم تقديمها على
 التراس، ويمنحهم التوهج الأحمر للغسق إطلالة على
 سطوح المنازل المصنوعة من الطين، والجبل ذي القمة
 الحادة الذي ظل داكنًا خلفه. تتدلى المصابيح من
 التعريشة أعلاه، وهي قضية أكثر تفصيلاً بكثير مما
 كانت عليه في «الفيل»، منسوجة بالكروم وثقيلة بالعنب
 الناضج.

أمر «روفوس»، وهي تشعر بالقلق من محاولة أكل قنافذ البحر دون إحداث فوضى.

- اعتقدت أننا يمكن أن نذهب إلى المسرح مرة أخرى الأسبوع المقبل، إحدى مسرحياتي المفضلة قيد العرض. والفرقة ممتازة أيضاً، تتجول على طول الطريق من روما. أنا مهتم جداً برؤية كيفية تنظيمهم.

- سيكون ذلك رائعاً، تقول كما هو الحال دائماً بالارتياح، لأنها تفكر مسبقاً في اللقاء المقبل. هل زرت روما من قبل؟

- لا، أبعد ما سافرت إليه هو ميسينيوم، حيث مكثت مع الأدميرال، الذي يقيم أساساً هناك. ولديه مكان جميل.

ابتسمت «أمارا»، وتجنبت التفكير في الكيفية التي كانت تهدف إلى جعل فيلا الأدميرال منزلها.

- أود أن أرى اليونان. تستد الكثير من مسرحياتنا إلى تلك التي كتبها شعراؤكم بالفعل. هل قضيت وقتاً في أثينا؟

لا تستطيع أن تخبره أن ذاكرتها الدائمة للمدينة كانت تمر عبرها إلى أرصفة العبيد.

- لا، حقاً لا. المكان الوحيد الذي أعرفه هو مسقط رأسي، أفيدناي. أعتقد أنك تعرف تمثالنا لهيلين طروادة. أمسك «روفوس» يدها وقبلها قائلاً:

- أنا متأكد من أنها ليست جميلة مثلك. حدّقا في بعضهما بعضاً، وتمكنت من قراءة السؤال

الذي يطرحه بعينه: «هل انتظرت طويلاً بما فيه الكفاية؟».

- روفوس!

نظرت «أمارا» إلى الأعلى، فرأت «كوينتوس» يقف إلى جوار طاولتهما، ترافقه امرأة جميلة. كانت «أمارا» قد رأتها من قبل. إنها الجميلة التي لاحظتها في المسرح، والفيستا مغموس في ظهرها. إنها أكثر إثارة للإعجاب عن قرب، كان شعرها يدور حول رأسها في ضفائر متقنة وبشرتها داكنة بشكل غير عادي، مثل «زوسكاليس»، ترتدي سواراً ذهبياً يلمع في أعلى ذراعها.

- أعتقد أنك تعرف «دورسيلا»؟

- طبعاً

ومن دواعي سروري أن أراها دائماً. والتفت إلى صديقتها بفخر لا لبس فيه: وهذه هي أمارا.

- حقاً! قال كوينتوس، وهو يلاحق شفثيه: أنت رجل محظوظ. لقد سمعت صوتها الجميل من قبل. شعرت أمارا بطعنة من الذعر، لاسيما بسبب الابتسامة المتكلفة على وجهه.

صرخت دورسيلا:

- أوه، هل تغنين؟ يا لك من جميلة! أنا أعشق الموسيقى. يجب أن تتضمني إلينا ذات مساء في منزلي. ابتسمت حرارة لأمارا التي ابتسمت بدورها ممتة.

- هذه السيدة تحب الترفيه، قال كوينتوس، لا أستطيع أن أطأ بقدمي المنزل، هذا فضلاً عن أنها

- دائمًا تستضيف الفتيات اللواتي يعشقن النميمة.
- قدمت «دروسيلا» عرضًا مرحًا من التحدي.
- كأنني أنكرت عليك أي شيء. غادرت مائدتهم متبرمة، وتبعها كوينتوس معذرًا.
- عادت «أمارا» إلى «روفوس»، وهي لا تزال مبتسمة، لكن تعابير وجهه تقشعر لها الأبدان.
- إذن أنت تعرفين بالفعل كوينتوس؟
- لقد حضر الحفلات التي كنت أؤدي فيها، قالت وهي مصرة على عدم إظهار خوفها، ناهيك عن الشعور بالذنب. شريكتي في الغناء يبدو تعرفه بشكل أفضل.
- لديه سمعة إلى حد ما سيئة. أتمنى ألا تقتربي منه أبدًا.
- هل تعتقد أنه كان لدي خيار في مثل هذه الأشياء؟ قالت بحدة.
- انسي ذلك. ولوح بيده رافضًا استمرار المحادثة.
- قالت بصوت بارد:
- لا، قالتها بصوت بارد، أنا لن أفعل. إذا كنت ستحمل أكثر الأجزاء إيلاًماً في حياتي ضدي، فلا يمكنني أن أكون صديقتك.
- لم أقصد شيئاً سيئاً ب... بدا روفوس أكثر شبيهاً بنفسه مرة أخرى، وبدا عليه القلق والخوف من إغصابها.
- آمل ألا يكون ذلك. فقط لأنك كنت سخياً بما يكفي للسماح لي بالاختيار، لا يعني أن أي شخص آخر قد فعل ذلك.

شعرت «أمارا» بإرهاق مفاجئ، الإرهاق من الاحتفاظ باهتمامه، ومحاولة شرح نفسها، مع العلم أنه غير قادر على الفهم طوال الوقت. جاءت ذكرى «ميناندر»، بعد الظهر خارج الساحة، وهما يتحدثان عن الماضي. أنتِ الشخص نفسه، ما زلت أراك الشخص نفسه.

أدرك «روفوس» حزنها، على الرغم من أنه لا توجد لديه طريقة لتخمين السبب.

- أنا غبي، آسف. أعلم أنك... غنيت في الكثير من الحفلات. علا الحزن وجهه، ليبين أن التعبير الملطف يسخر منه وليس عليها، من السخف أن أشعر بالغيرة. أنت جميلة جداً. أعلم أنه يمكن أن يكون لديك أي شخص تريدينه. أصدقاء مرة أخرى؟

ردت وهي تضغط على أصابعه:

- الشيء المضحك هو تخيل أنني قد أفضل كوينتوس عليك.

بدا ذلك وكأنه حد فاصل، لكنها تعني كل كلمة تقولها.

- دروسيللا تبدو ممتعة للغاية. أوه، إنها ممتعة للغاية، صاح روفوس، ثم توقف مرعوباً من نفسه. ليس لأنني فعلت ذلك من قبل... تلعثم، وضحكت أمارا وانضم إليها مرتاحاً، حسنا على أي حال. إنها تقيم أروع وجبات العشاء. ترك لها سيدها القديم حريتها، ومن الواضح أنه ترك لها مقداراً لا بأس به من المال أيضاً. على الرغم من أنني أعتقد أن أصدقاءها يدعمونها أيضاً.

نظرت «أمارا» إلى «دروسيللا» باهتمام أكبر. لديها

الاتزان نفسه الذي تتذكره من المسرح، حتى «كوينتوس» المتعطر يبدو أنه يبذل بعض الجهد لإثارة إعجابها.
- يجب علينا بالتأكيد قبول دعوتها. قال روفوس، متبعاً نظرتها، إذا كنتِ ترغبين في ذلك.

- أود ذلك كثيراً جداً. نظرت أمارا إلى الأسفل، كان من السهل الخلط بين توترها وخجلها، ولكن حينها أعتقد أنني يجب أن أستمتع بالبقاء في أي مكان معك. نظرت إلى الأعلى ورأت أن روفوس قد فهم قصدها.

مر الباقي من عشايتهم دون اهتمام كبير بالطعام. كلاهما في حالة ترقب عالية، كل لمسة صغيرة لليد، حتى عند تمرير النبيذ، يصير لها معناها العميق، يكاد الأمر يكون مثل الحب.

حل الظلام حينما سارا مسافة قصيرة عائدين إلى منزل «روفوس»، يرافقهم «فيلوس» وعبد آخر، ويضيئان طريقهما. المنزل مألوف لها الآن، لقد تلاشى الياسمين في الحديقة، وبدلاً من ذلك، كان الهواء معطراً بالآس. تذكرت عرضها على «فينوس» في فيناليا، الخدمة التي طلبتها، وهذا يساعدها في اتخاذ قرارها بشأن كيفية التصرف. ستعيش هذه الليلة بكل تفاصيلها في إطار التمثيل.

إنها ممتنة لـ «روفوس» بعدما طرد العبيد الآخرين، فهي تفضل أن تكون وحدها معه. ترك «فيلوس» المصابيح مشتعلة، وحيثما كان وهجها يلامس الجدران، فإنها تضيء

مشاهد من المسرح، على الرغم من أن معظم الغرفة مغطاة بالظل. ففكرت «أمارا» أنها لم تكن داخل منزل «روفوس» في وضوح النهار من قبل.

نصفها كان يتوقع أن يقفز عليها، كما فعل في أول أمسية معاً، لكنها بدلاً من ذلك، وجدت أنه متحفظ. نزعَت «أمارا» ملابسها - ببطء، حتى لا يفوته أي شيء - ودخلت في الدور الذي اختارته لنفسها: المومس العاشقة، إنه دور يقع في منتصف الطريق بين الحقيقة والكذب. كل حيلة تعلمتها في أي وقت مضى، وكل وسيلة من وسائل المتعة، تقدمها لـ «روفوس»، حتى أنها تجد لياليها مع «سالفوس» مفيدة، ليس لنفسها، ولكن لأنه علمها عن التأخير، في سعيه غير المنجز لإرضائها.

لا شيء من ذلك غير سار بالنسبة إليها، بل إنها تجد لأول مرة متعة معينة في إسعاد الرجل، لأن هذا الرجل بالذات هو شخص تحبه، لكن من المستحيل فصل عاطفتها عن حاجتها لجعله يريدها، ليس فقط ليلية واحدة، بل تريد ما يمكنها تقديمه بهذا الشكل، مراراً وتكراراً.

بعد ذلك رقدا معاً، غارقين بالعرق، وجلده الدافئ على جسدها. قال وهو يقبلها:

- أنا أحبك. أحبك.
- أنا أحبك أيضاً.
- لم أعرف امرأة مثلك من قبل. أنت لا تسألين عن

الهدايا أبداً. الشيء الوحيد الذي طلبته هو أن أعطيك الوقت.

فكرت «أمارا» في صديقاتها «ديدو» و«فيكتوريا». إنها تعرف أن هناك العديد من النساء مثلها، لكن نادراً ما يحصلن على التعاطف الذي يمنحه لها «روفوس»، فتقول:

- لقد كنت كريماً معي فعلاً. أنت تستمع... هذا فضلاً عن أنك تحميني، حتى عندما لا نكون معاً.

- لهذا السبب أحبك. قالها وهو يقبلها مرة أخرى. رفع نفسه على مرفقيه، واتكأ على الوسائد، باحثاً عن شيء تحت الأريكة، ثم أعطاها صندوقاً خشبياً، ووجهه ينتظر كصبي صغير.

- ما هذا؟

- افتحيه، افتحيه!

فعلت «أمارا» ما قيل لها، كان في داخله قلادة فضية مع حلية متدلّية من الكهرمان، لوهلة شعرت أنها فقدت قدرتها على الكلام، صُغت، ثم نطقت:

- هذا جميل!

«روفوس» يساعدها على ربط المشبك:

- يجب أن أقول إنه يبدو جميلاً جداً عليك. بدا سعيداً للغاية باختياره، إنه من أعمال أسرتي، لقد استغنت بأحد أفضل الحرفيين لدينا للعمل عليه.

لقد شاهدت «أمارا» متجر المجوهرات وورش تقطيع الأحجار الكريمة التي تحيط بمنزل «روفوس». تسالت مرة واحدة في صباح أحد الأيام مع «ديدو» لإلقاء نظرة،

تتذكر ذلك وهي تلامس القطرة الناعمة للكهرمان على رقبته.

الكهرمان يجعلها تفكر في «مارسيلا»، وفي العقد الذي أحضرته هي و«فولفيا» إلى المنتدى، لكنها أبعدت المرأة التعيسة عن ذهنها. وقالت:

- إنها أجمل هدية قدمها لي أي شخص على الإطلاق.
لكن يا حبيبي، لا يمكنني أن آخذها معي.
لن يسمح لي سيدي أبداً بالاحتفاظ بها.
- لكن هذه هدية شخصية! قال روفوس غاضباً.
لن يكون له حق.

- سأرتديها عندما نكون معاً.

أجابت وهي تضع يدها على يده لطمأنته، يمكنك الاحتفاظ بها بأمان هنا. سيذكرك أنني في انتظارك دائماً.

- ولكن ماذا عنك؟ ما الذي سيجعلك تفكرين بي.
نظرت إليه «أمارا»، إنه حبيبها بكل ثروته، وحياته الاجتماعية التي لا تنتهي، ويمكنها أن ترى أنه قلق حقاً من أنها قد تتساه، وكأنها تستطيع فعل أي شيء بخلاف حساب الساعات في مخزن «فيليكس» حتى تراه مرة أخرى.

- لدي فكرة! يمكنك أن تشتري لي بعض الخرز الزجاجي الرخيص، أو حتى الخشبي، الذي سأرتديه سواراً.
لن يهتم «فيليكس» بذلك أبداً، لكنه سيذكرني بحبك كلما رأيته.

- إنه أمر رومانسي... قال روفوس وهو هادئ إلى حد ما، على الرغم من أنه سيجعلني أبدو بخيلاً بشكل مقيت إذا ذهب لإخبار أصدقائك أن هذا هو كل ما أعطاك إياه صديقك. ولاسيما إذا كانوا يعرفون شيئاً عن أعمال عائلتي!

- أعدك بأنني لن أفعل.

قالت «أمارا» مستمتعة أنه قد يخشى سوء السمعة بين البغايا في مبغى المدينة. فضلاً عن تخيله أن لديها أصدقاء آخرين أرقى.

- هل سيحاول منعك من رؤيتي؟ سألها روفوس رئيسك؟ إذا كان يعتقد أنك تهتمين لأمرى؟

في البداية، لم تستطع «أمارا» فهم ما يقصده، ثم تذكرت الكذبة التي قالتها لتتأكد من أنه لم يأت إلى المبغى - أن «فيليكس» يشعر بغيرة شديدة من سعادتها. فتقول:

- أوه. أنا آمل أنك لا تمنع، لقد قلت له إنني أخاف منك. لقد كان مسروراً من فكرة أنك قد تكون قاسياً معي.

- إنه يبدو مروعاً! فتاتي الحبيبة المسكينة. قام بعناقها بقوة، حتى أن القلادة حضرت في جلدها، كنت أتمنى أن تبقي طوال الليل، ولكن هل سيجعل ذلك حياتك أكثر صعوبة؟

إنه يتشبث بها، ومن الواضح أنه يريد أن تبقى، و«أمارا» نفسها تتوق إلى القبول، لكنها تعلم أنها إذا استسلمت لكل رغبة، وأوفت بكل شغف، فإنها تخاطر

بحرق افتتاحه بسرعة كبيرة، فوجدت أنه من الأفضل
حرمانه من وقت لآخر، لذا قالت بصوت منخفض:
- أعتقد أن هذا قد يكون أكثر أماناً. في المرة
القادمة، سأبقى.
تركها، ووضع وجهها في يديه، وقبلها بحنان على
جبهتها، ثم قال:
- سأفعل كل ما تعتقد أنه الأفضل.
صدقه يؤذي قلبها.

-31-

أرى أن المبعى والبارات الناعمة هي التي تثير رغبتك في
المدينة.

هوراس، الهجاء 1.14

انزعج «فيليكس» من رؤيتها قبل الفجر. كان ينتظر في
الممر وهي تصعد الدرج، من الواضح أنه سمع «فيلوس»
وهو يتركها عند الباب.

- لا تقولي لي إنكِ لم تفعلي ما يريد.

- لقد فعلت كل شيء. لم أرغب في البقاء طوال الليل.
قلت لك إنه يخيفني. فضلاً عن أن.. تلتقي نظرتة الباردة
بإحدى نظراتها، هذا يجعله أكثر حرصاً على هذا النحو.
نريد أن يبقى مشدوداً إليّ لأطول فترة ممكنة، أليس
كذلك؟

- أيتها الصغيرة اللعينة. قال فيليكس، بينما بدأت
في فك عباؤها، وهي تتوقع أن يطردها، لكنه أشار
إليها بالتوقف: لا تخلمي ذلك. أنا متوجه إلى الخارج.
يمكنك القدوم معي.

- لماذا؟ سألت أمارا غير قادرة على إخفاء دهشتها.
- لا يضر التباهي بالمتاع. قال فيليكس ذلك وهو يضع ذراعاً حولها، في لحظة محيرة، اعتقدت أنها لفتة من المودة. ثم شعرت بأصابعه صلبة ومضغوطة على خصرها، مثل خباز يفحص جودة عجينته، فقط لا تفتحي فمك الكبير اللعين.

الحانة في جزء غير مألوف من المدينة، إنها منخفضة وضيقة، ليست أكبر من ثقب في الحائط، يلفها الدخان المتصاعد من الأنايب. كانت «أمارا» هي المرأة الوحيدة الحاضرة. جلست محصورة بالحائط، و«فيليكس» بينها وبين الرجال الذين يلتقي بهم هناك.

معظم الآخرين يكونون في حالة سكر عند وصولهم، ولكن على الرغم من قيامه بعرض طلب النبيذ، إلا أنها لاحظت أن «فيليكس» يظل رصيناً. يده على فخذه، وهي تدرك أنه يعطي إشارة للرجال الآخرين: لا تلمسوا.

إنها ليست الوحيدة التي عبّرت عن دهشتها من إحضار «فيليكس» امرأة معه.

- ماذا تفعل هذه هنا؟

سأل رجل مشيراً إليها بنبيذه، الذي ينسكب بعضه على الطاولة. تعرفت عليه حين كانت في باليسترا، من الندبة البيضاء على وجهه، لكنه لم يتعرف عليها.

- إنها شيء مميز، أليس كذلك؟ أم أنها سئمت منك،

وهي هنا لتجرب الآخرين؟

انضم إليهم الآخرون، ولكن على الرغم من أنهم يتحدثون عنها جميعاً، إلا أنهم يتحدثون فقط إلى «فيليكس»، كما لو أنها ليست موجودة. لم تقل شيئاً وسط كل ذلك، فقط نظرت إلى يده على ساقتها، بينما يقول «فيليكس»:

- هناك الكثير من ... من حيث أتت. يمكنكم المحاولة لاحقاً.

فقدوا الاهتمام ب«أمارا» وانتقلوا إلى العمل. إنها منهكة إلى درجة أنها تكاد تسند رأسها إلى الحائط وتغفو، لا بد أن يكون الوقت الآن في الساعات الأولى من الصباح. قال أحد الرجال، وهو شخص نحيف وماكر يشبه ابن عرس في مراوغته:

- أعتقد أن الإسكافي أصبح قلقاً بشأن الدفع. كل العمل الذي نقوم به، والحفاظ على الشوارع آمنة. لكنه ليس ممتناً بما فيه الكفاية، أليس كذلك؟ ضحك الرجل ذو الندبة البيضاء، لكن «فيليكس» بدا غير متأثر:

- ربما يحتاج إلى القليل من التذكير. لا شيء عنيف للغاية. أدركت أمارا أنهم لا يتحدثون عن القروض، الأفضل أن يقوم بذلك شخص لم يره من قبل. أنا أعرف من ... قال المراوغ وهو يومئ برأسه.

انتقل الحديث ذهاباً وإياباً بين العمل والمزاح: من يدفع، من يحتاج إلى الإقناع، ما هي أحدث الألعاب في

الساحة، ومن هي البغي الأفضل في الأرصفة. لم تتفاجأ «أمارا» أن «فيليكس» متورط في عملية حماية، لكنه غير مرتاح للمخاطرة. ألا يكسب ما يكفي فعلاً؟ ماذا لو انتقم شخص ما منه؟ هل يمكن الوثوق بأي شخص في هذه الحانة؟ إنها تأمل أن يكون أي درب إلى المبنى مخفياً بشكل جيد.

مر الوقت، وشعر كأنها شبخ، فقط يد «فيليكس» هي التي تربطها بالحاضر. تذكرت ما قاله عن عرض بضاعته، ولم تجرؤ على النوم. بدلاً من ذلك، كانت تتواصل من خلال عينيها من حين لآخر مع الرجال، ثم تنظر بشكل إيحائي إلى «فيليكس»، وتضمن أنهم يتذكرون دورها، وما قد يحصلون عليه.

عندما نهض «فيليكس» أخيراً، وسحبها لتقف على قدميها، كادت أن تبكي من الارتياح. سار رجلان معهما إلى المبنى، بطريقة ما لا يزالان مستيقظين بدرجة كافية ليقدم «فيليكس» عرضه بخصم. شعرت بالأسف نحو تلك التي ستضطر للترفيه عنهم. راقبتهم وهم يدخلون الممر المظلم، على الرغم من أنها تعلم أنهم لن يصلوا إلى حجرتها، شعرت أن الإرهاق قد استفد إحساسها بالذنب. فتبعته خطوات «فيليكس» إلى مكان آمن نسبياً في شقته.

في الجزء العلوي من الدرج، أمسك بمعصمها، مائلاً إلى الخلف لينظر إليها، كما لو كان يوازن الاحتمالية التي تمثلها، ثم سمح لها بالذهاب، وقال وهو يسير في طريقه:

- أرسلني باريس إليّ.
- أسرع إلى المخزن، ودفعت «باريس» النائم بقدمها.
- استيقظ. السيد يريدك.
- قفز «باريس» مستيقظاً مثل قطة، يبعد البطانيات عن نفسه.
- الآن؟ يريدني الآن؟
- أنا آسفة. أجابت، وهي تتوجه إلى ركنها، هذا ما قاله.

نهق «باريس» بصوت بائس تماماً. شاهده «أمارا» وهو يخرج من الغرفة، غير قادرة على الشعور بأي شيء سوى الامتتان؛ لأنه هو الشخص الذي سيتم تعذيبه بدلاً منها. وخلال لحظات من استقرار رأسها على كيس الفاصوليا المتكتل كانت نائمة.

- عندما استيقظت، أدركت أن شخصاً ما يميل عليها، فتحت عينيها، إنه «باريس»، وجهه قريب جداً، وأنفاهما يكادان يتلامسان، همس:
- يوم سيئ لك، أيتها اللعينة.
- ابتعد عني! دفعته أمارا، فهبط على مؤخرته بضربة، وأردفت: ما خطبك؟
- نفض «باريس» الغبار عن نفسه بغضب، فقد بدا أحمرق.
- الليلة الماضية كانت خطأك. لماذا لا يمكنك أن

تكوني مع فيليكس؟ كنت مستيقظة على أي حال، وهذا لا شيء بالنسبة إليك، لا شيء. هذا ما أنتِ موجودة من أجله؛ هذا هو بيت القصيد من وجودك!

توقف «باريس» عن الكلام، وبدا وكأنه على وشك البكاء، و صدره النحيف يعلو ويهبط بجهد للسيطرة على عواطفه. فكرت «أمارا» في كل القسوة التي تحملها «باريس»، من ارتباك نشأته في بيت دعارة، ومشاهدة الطريقة التي عوملت بها والدته، وخوفه عندما أصبح هدفًا هو نفسه. ومن ثم الاضطرار إلى المعاناة من ازدراء الرجال الآخرين، حتى أولئك مثل «جالوس» الذي يسعى بشدة لإقناعه.

ردت «أمارا»:

- أنا آسفة لأنه آذاك، لكنك تعلم أنه لم يكن بسببي. لا أحد يخبر فيليكس بما يجب عليه فعله.

- إنه ... حتى، أليس كذلك، عندما يكون معك في المكتب؟

عدّ باريس صمتها إجابة، فرفس الحائط في إحباط؟ كل هذه السنوات كنت أريده أن يثق بي في العمل، ثم يختارك بدلاً من ذلك. كما لو كنت أنا المرأة.

نطق «باريس» الكلمة الأخيرة مثل لعنة قد تدنس فمه من خلال نطقها.

لا تشير «أمارا» إلى أن «باريس» لن يفيد «فيليكس» كثيرًا في حساباته، لأنه لا يستطيع حتى القراءة. فتقول:

- لن يستمر ذلك إلى الأبد. لن يعاملك بهذه الطريقة إلى الأبد. أنا متأكدة من أنه يثق بك.

نظر إليها «باريس» وعض شفته. استطاعت أن ترى أنه يريد التحدث، كل وحدته مكبوتة بداخله مثل بئر ممتلئة تكاد تنفجر بالماء؛ لكن الكبرياء تغلب عليه، هزّ كتفيه، كما لو كان يهز جسدها.

- لا أحد يدفع لك للبقاء هنا اليوم، أليس كذلك؟ فلماذا لا تعودين إلى المكان الذي تنتمين إليه وتتركينني بسلام.

وقفت «أمارا» على قدميها المتعبتين. يبدو أنها نامت بضع ساعات فقط. من الواضح أن «باريس» أيقظها في أقرب وقت ممكن، فقالت:

- إن التصرف بهذه الطريقة المقرفة لن يجعل حياتك أسهل.

لم يكن ضوء الشمس قد أشرق على الشارع. من المرجح أن كل من في المبنى نيام، حتى أن الباب الخلفي موارب. تسللت «أمارا» إلى الداخل، مستسلمة للنوم في الممر بدلاً من إيقاظ «ديدو». سمعت صوت بكاء مكتوم. لا تحاول «بريتانिका» أبداً أن تكون هادئة، لذا في البداية افترضت أنها يجب أن تكون «ديدو»، ولكن بعد الوقوف على قدميها والمشي على رؤوس أصابعها على طول الممر، أدركت أنها «فيكتوريا».

استغرق الأمر بعض الوقت لتثق في أذنيها، «فيكتوريا» لا تبكي أبداً. ترددت «أمارا» قبل أن تفتح الستارة. لقد

مرت أسابيع على حديثهما بشكل صحيح مع بعضهما بعضاً، لكنها لا تستطيع تحمل فكرة معاناة صديقتها.

تطل برأسها حول الستارة:

- هل أنت بخير؟ سألتها بصوت منخفض حتى لا توقظ الأخريات.

إنها تتوقع أن تتوقف «فيكتوريا» عن البكاء أو تطلب منها أن تبتعد، لكنها بدلاً من ذلك ظلت متكورة على السرير تبكي تحت بطانياتها. دخلت «أمارا» مسرعة، خائفة، وجلست على السرير تلمس كتف «فيكتوريا».

- ما الخطب؟

دفعت «فيكتوريا» نفسها لتجلس بشكل مستقيم، وتمسح وجهها بشراسة:

- ما الخطب؟ ما الخطب؟ حدقت في أمارا، وعيناها محمرتان، وشعرها جامح، مثلك لا تعرف!

بهتت «أمارا»، وظلت في حيرة من أمرها:

- تعرف ماذا؟

صفعتها «فيكتوريا» على وجهها. جفلت «أمارا»، وهي تشبك يدها على خدها اللاذع، مصدومة من الانتقام، فصرخت في وجهها «فيكتوريا»:

- لا تتظاهري أنك غبية سخيفة. كبار السن من الرجال الأثرياء، وأصدقائك الرائعين، أليسوا كافرين بالنسبة إليك، هل يجب أن يكون لديك فيليكس أيضاً؟ أنت لا تحبينه حتى، ما زلت لا تريدينه! ماذا تفعلي؟ أتريدين أن تترفعي علينا جميعاً، مما يجعلنا نشعر بأننا لا قيمة لنا؟

- وكأنه لدي أي خيار! هل تعتقد أنني أستمتع بالبقاء حول فيليكس؟ وعلى أي حال، لماذا تهتمين؟ أنت تكرهينه بمقدار ما أفعل!

حالما قالت ذلك، تذكرت تلك الظهيرة حين سمعت هي و«ديدو» «فيكتوريا»، وهي تلهث معلنة إخلاصها: «أحبك، مستعدة للموت من أجلك». نظرت «أمارا» إلى وجهها البائس وفهمت ما كان يجب أن تدركه منذ فترة طويلة، إذ لم تكن «فيكتوريا» تتظاهر حينها، فقالت:

- لكن لا يمكنك ذلك، لا يمكنك أن تحببه. إنه وحش سخيف! إنه لا يهتم بأي منا. هل يمكنكما الاحتفاظ بحديثكما هادئاً؟ وقفت بيرونيس في المدخل، وبدت شاحبة من الإرهاق، وتابعت: وإلا اذهبا إلى الخارج. بعضاً منا يحاول النوم؟

غضبت «أمارا» و«فيكتوريا» من مقاطعتهما، وقالت فكتوريا بصوت منخفض:

- أنا أعلم أنه هراء، أعلم ذلك... ليس عليك أن تخبريني. لكنك لا تفهمين ما يمكن أن يكون الأمر عليه في بعض الأحيان. لم تريه من قبل. لمعت عيناها بالدموع، وهي تتعثر بكلماتها، وتتعثر في داخلها كل المشاعر التي ظلت مدفونة. كان محبباً ولطيفاً. وهو دائماً آسف حقاً عندما يؤذيني. يتوسل لي أن أغفر له. إنه يتوسل حقاً. أرى جانباً منه لا يراه الآخرون جانباً. إنه وحيد، مثلي. أنا أحبه كثيراً.

فكرت «أمارا» في الطريقة التي تحدث بها «فيليكس» إلى «فيكتوريا» بعد أن لكمها «باريس»، في المرات العديدة التي رآته فيها يؤديها، الطريقة التي قدم بها - في أمس فقط - جسدها إلى «سيدروس» كما لو كانت لا شيء. شعرت بالغثيان في معدتها، وأمسكت بيد «فيكتوريا»، وضغطت عليها قائلة:

- أعتقد أنكِ تستحقين أكثر من ذلك بكثير.
- ما هو أكثر من ذلك؟
- شخص ما لم يضربك. رجل لم يبيعك.
- ماذا تعتقدين أننا عليه؟ أين تعتقدين أننا نعيش؟ سألتها فيكتوريا، بذهول، وهي تشير إلى الجدران الملطخة بالسخام. هذه ليست مسرحية سخيفة! نحن لسنا آلهة! إلى أي مدى تهدفين؟ الإمبراطور؟ سمعنا صوتاً عنيفاً. فنظرنا إلى بعضهما بعضاً بقلق.
- كريسا!
- وصلت «بيرونيس» إلى المرحاض قبلهما، رافعة رأسها فوق الجدار المنخفض.
- هل أنت بخير هناك؟
- لا، لست بخير، قالت كريسا، قبل أن تتقيأ مرة أخرى. كانت النساء الثلاث ينتظرن، بلا حول ولا قوة، بينما «كريسا» مريضة. الصمت يلفهنّ، ثم خرجت «كريسا»، متكئة على الحائط لتثبت لنفسها كما لو كانت على سطح السفينة المتعثر.

فكتوريا:

- هل تعتقدين أنك يجب أن تأكلي شيئاً؟
أومأت «كريسا» برأسها:
- لكن ليس عند السبارو.
قالت «بيرونيس»، وهي تلقي نظرة على «أمارا»
و«فيكتوريا»:
- لا يزال الوقت مبكراً جداً على أي حال، لن يكون
قد فتح أبوابه بعد.
قالت أمارا:
- يمكننا الذهاب إلى المخبز. لنحضر لك بعض
الخبز.
ظلت «ديدو» و«بريتانيكا» نائمتين. في الخارج كانت
السماء تميل إلى اللون الأزرق، وبدأ الازدحام في الشوارع
يظهر. فوجئ «جالوس» برؤيتهن في وقت مبكر جداً.
ألقى نظرة خفية على الطريق صعوداً وهبوطاً، بحثاً عن
«فيليكس»، ثم قبل «بيرونيس».
- ألا يمكن لكن تركها لي؟ قال، ويده تتسلل داخل
عباءتها، يداعبها.
نظرت «بيرونيس» إلى صديقاتها ممزقة، بينما يتنفس
«جالوس» في رقبتها، ثم قالت وهي تسمح لها بأخذها
إلى الدخل مرة أخرى:
- سألحق بكن.
راقبتها «أمارا» وهي تذهب، محبطة:
- إنها لا تعرف حتى إلى أين نتوجه.

ردت فيكتوريا وهي تسير في الشارع :
 - اتركها... هي من سمحت لذلك المقرف أن يطأها.

فكر «أمارا» في إخلاص «فيكتوريا» اليائس لـ«فيليكس»،
 لكنها لا تقول شيئاً.

قالت «كريسا» وهي ممسكة بذراع «أمارا»:
 - ليس بسرعة كبيرة. بدت أسوأ في وضح النهار،
 كان جلدها مغطى بطبقة رقيقة من العرق.

عدد قليل من المقاهي بالقرب من الحمامات فتح أبوابه. اخترن واحدة وطالبن بطاولة بدلاً من الوقوف على المنضدة. الخبز قاس وقديم. خشيت «أمارا» من أنها ستمزق خديها وهي تحاول مضغه. طلبت «كريسا» نبيذاً حلواً لتهدئة معدتها، وجلست في صمت، لا تنظر إلى أعلى، وأخذت تغمس خبزها في النبيذ لتلين القشرة.

قالت لها فيكتوريا بهدوء:

- لا يمكنك الاستمرار في تجاهل ما هو واضح،
 نعلم جميعاً أنك حامل. فقط أخبرينا بما يمكننا فعله للمساعدة.

توقفت «كريسا» عن تغميس الخبز وقالت بصوت عالٍ:

- لا شيء. لا يوجد شيء يمكن لأي شخص القيام به.

قالت أمارا:

- أجهضت بيتاني التي تعمل لدى الفيل مؤخراً.
 وقد نجح الأمر حقاً. هل أسألها من أين حصلت على الأعشاب؟

- لا ، حاولت ذلك في المرة الأخيرة، مع كوزموس، ولم ينجح. كلفني ثروة وحسب، وجعلني مريضة حقاً. أخذت «فيكتوريا» تدلك ذراع «كريسا»، كما لو كانت تستطيع التخلص من ألمها.
- ربما يسمح لك فيليكس بالاحتفاظ بالطفل هذه المرة؟ قالت بصوت يشع بالفرح بشكل غير طبيعي، ألا يستحق السؤال على الأقل؟
- بدأت أكتاف «كريسا» بالاهتزاز، وعرفت «أمارا» أنها تبكي، على الرغم من أنها لا تصدر أي صوت:
- وما الخير في ذلك؟ ما هي الحياة التي يمكنني أن أعطيها لطفل؟ بارييس آخر؟ فتاة صغيرة يبيعها كبغي قبل أن تكبر؟ ستقتلني مشاهدتي ذلك. أفضل الموت. قالت بصوت عالٍ مرة أخرى، لقد أخبرني فعلاً: «أي طفل آخر سيذهب مباشرة إلى كومة القمامة في المدينة. إنه لا يكسب ما يكفي من بيع طفل».
- ربما يكون ذلك أفضل. قالت فكتوريا، وهذا لا يعني أن الطفل سيموت. انظري إليّ، لقد نجوت.
- أنت لا تفهمين! ليس لديك فكرة. هل تعتقدين لأنني لم أتحدث عن كوزموس قط، أنني لم أفكر فيه إطلاقاً؟ في كل ثانية من كل يوم أفنقه، أريده، أتمنى رؤية وجهه فقط. طوال الوقت، وفي كل لحظة يقظة، ووضعت يدها على قلبها، كما لو أنها كانت تخفي جرحها، إنه ألم مستمر، لا مثيل له. لا يمكنني التخلي عن طفلٍ آخر. نظرت «أمارا» و«فيكتوريا» إلى بعضهما بعضاً، غير

قادرتين على التفكير في أي كلمات تبعث على الراحة.
فقالـت «فيكتوريا» بصوت خفيض:

- ربما لا ينجح الحمل.

- ربما... أجابت كريسا وهي تشرب نبيذها، وتابعت:
لعله لا يفعل.

في طريق العودة، تركتهم «كريسا»، وسارت بمفردها
بدلاً من ذلك. فأمسكت «فيكتوريا» بيد «أمارا» كأنها
تخشى الفرق.

أيلول / سبتمبر

-32-

خذوني إلى بومبي، حيث يكون الحب جميلاً.
كتابة على جدران بومبي

أخذت «أمارا» إحدى حبات التين عن مائدة «دروسيلا»، وراحت تتذوق الحلاوة الناعمة على لسانها. إنهم على مشارف تشرين الأول/أكتوبر. كان «روفوس» متكئاً إلى جوارها، وحرارة جسده تتدفق عبر يده إلى ظهرها. لقد كانا يقضيان وقتاً أطول في منزل «دروسيلا»، منذ أن عاد والدا «روفوس» من المصيف في الخلجان. والداه يعرفان بأمرها، وقد أكد لها «روفوس»، أنه من المناسب تماماً أن تكون صديقة له، ولكن من الأفضل ألا يصطدم أي منهما بها في المنزل. والدته لديها مفاهيم مضحكة، إذ تعتقد أن العبد المنزلي يكفي لمثل هذه الأشياء، إنها لا تفهم معنى أن تكون في حالة حب.

كانت «أمارا» يائسة لولا كرم «دروسيلا» في السماح لهما بالبقاء في منزلها. فقد دفع «روفوس» لها طبعاً، كانت «أمارا» تدرك أنه من الجيد تأجير الغرف بدلاً من

تأجير جسدك. أخذت حبة تين أخرى عن الطاولة. الليلة هي المرة الأولى التي تنضم فيها «ديدو» إليهما، وهذا شعور أقرب إلى السعادة بمقدار ما يمكن أن تحصل عليه من الحياة.

- إذن كلاكما قرطاجي؟ قالت دروسيلا، مخاطبة ديدو ولوسيوس، الشاب الثري الذي دعت ديدو للترفيه عنه، والذي تشك أمارا في أنه قد يكون أحد عشاق دروسيلا السابقين، لكنها لا تستطيع التأكد من ذلك.

رفع «لوسيوس» حاجباً مستغرباً من السؤال، قال لـ «ديدو» شيئاً بلغة لا يفهما أحد، ولكن من الواضح أنها مزحة، ضحكت «ديدو»، وبدت مسرورة، وردت عليه باللسان نفسه، فابتسم لها، مسروراً بكل ما قالت. ثم عاد إلى «دروسيلا» قائلاً:

- يبدو كذلك.

- لكن هذا رائع! صفقت دروسيلا، وقالت:

- هذه صدفة. قال كوينتوس الذي يجلس إلى جوارها، وهو يتهد ويدير عينيه.

تمنت «أمارا» أن ترمي التين على رأسه. لا تزال لا تستطيع أن تتخيل لماذا سيكون لدى «دروسيلا»، المرأة الأكثر سحراً التي قابلتها على الإطلاق، مثل هذا الصديق العادي. يجب أن يكون أكثر ثراءً مما أدركت.

قال لوسيوس:

- عائلتي كلها من قرطاج - بدت لهجته شبيهة بلكنة ديدو ولكنها ليست متطابقة، فخمنت أمارا أنه يجب أن يكون

أعلى منها بعدة آلاف من الطبقات على المستوى الاجتماعي -
لقد نُفيت إلى إيطاليا لرعاية الأعمال. لدينا عدد من
القواعد هنا في كامبانيا.

قالت ديدو، بلهجة حزينة:

- لا بد من أنك تفتقدها، إنّه أمر مرهق جداً أن
تكون بعيداً هكذا.

رد عليها «لوسيو» بالقرطاجية، وابتسمت مرة أخرى
ثم نظرت إلى الأسفل. خمنت «أمارا» أنه أشاد بها للتو.
قال مخاطباً أمارا:

- هل تعرضت للاختطاف؟ هذا يعني أن بيعك لم يكن
قانونياً! أنا مقتنع أن الصفقة بشأنك أيضاً لم تكن كذلك.
مقتنع تماماً. ليس من الممكن أن تتحولي من كونك ابنة
طبيب إلى جارية، أليس كذلك؟ ألا تعتقد ذلك؟

كادت «أمارا» أن تجفل من الحرج. و«روفوس» مصمم
على تحويل حياتها إلى حبكة مسرحية «بلوتوس»، حيث
تكون في الواقع فتاة حرة وقابلة للزواج. إنه عالم حيث
المأساة هي الحقيقة المطلقة، وليس التعجرف هو ما
يفرق بينهما.

سعل «لوسيو» بأدب:

- ربما، لا.

قال كونتيوس بتكاسل:

- هذا ممكن تماماً. أعني أنّ كل أنواع الناس ينتهي
بهم الأمر كعبيد، إذا لم يكونوا مواطنين رومانيين.

غيرت «دروسيلا» الموضوع قبل أن يعترض «روفوس»:

- هل تغنيان لنا كلاكما؟ أخبرتي أمارا أنك تمتلكين صوتاً رائعاً يا ديدو.

قالت أمارا لدروسيلا:

- ولكن فقط إذا عزفتِ على القيثارة .

فصاحت ديدو بفرح:

- أوه، أرجوك افعلي. لقد كنت أتوق إلى سماعك تعزفين.

خاضت النساء الثلاث عرضاً من التواضع الكاذب والتردد، وقدمن لبعضهن بعضاً المجاملات الصغيرة، وتغازلن مع الرجال، بينما كانت خادمات «دروسيلا» يخرجن القيثارة.

اختفت «ديدو» و«أمارا» في مكان قريب. من المفترض أن يبدو العرض بلا فن، على الرغم من أنهما تدربتا طوال فترة الظهيرة. ثم صار المشهد أكثر نشاطاً، حيث ركزن ثلاثتهن على الموسيقى، وجربن مجموعات مختلفة، مع نكتة غريبة من المضيئة، كانت تستهدف دائماً أحد عشاقها.

كانت «أمارا» قد تساءلت في البداية لماذا كانت «دروسيلا» لطيفة جداً، لكنها الآن تتفهم. لقد سمح لها التدفق المستمر من الضيفات باستئجار الغرف والترفيه، مما يدعم سمعتها كواحدة من أكثر المحظيات رواجاً في بومبي.

ليس لدى «دروسيلا» أي سبب للخوف من أن تكون «أمارا» أو «ديدو» على المسرح. إنها عازفة قيثارة ماهرة،

تستعرض ذراعيها الرشيقتين وأصابعها النحيلة، بينما يهتز صوتها بالعاطفة، مما يرفع صوت غناء النساء الأخريات أثناء محاولتهن المنافسة.

استراح الرجال على الأرائك يشربون الخمر ويضحكون مع بعضهم بعضاً، ويبدون راضين تماماً عن كونهم يتلقون الكثير من العمل المخلص. تأثرت «أمارا» لأن «روفوس» نادراً ما ينظر إلى رفاقها. الاثنان الآخران وقحان تماماً في النظر إلى صديقات بعضهما بعضاً.

انقضى المساء بسرور. كان الطعام جيداً، وإن لم يكن فخماً، وهناك الكثير من النبيذ، وحظي الرجال بجلسة مصارعة وهمية وجدها «روفوس» مسلية وأخذها «كوينتوس» على محمل الجد - وقرضوا الشعر لبعضهم بعضاً، وخلقوا القوافي الخاصة بهم عندما أصبحوا في حالة سكر متزايد.

فرحت «أمارا» لرؤية مدى استغراق «لوسسيوس» مع «ديدو»، على الرغم من أنها تشتبه في أنه قد لا يكون رجلاً يبحث عن الحب بالطريقة التي كان عليها «روفوس» عندما قابلته. لمس الأقران الجديدة التي أعطاهما إياها، وشعرت بتأرجحها الخفيف على أطراف أصابعها.

هناك كنز متتام من الهدايا في الصندوق الخشبي في غرفته، جميعها لهاً وحدها. تنزلق يدها في يده، وتضرب راحة يده، بينما يبتسم بلطف، لإحدى نكات «كوينتوس». فكرت «أمارا» في أنها يجب أن تحاول مشاركة ثروتها

الطيبة مع المزيد من أصدقائها، لكنها تجد نفسها تكافح من أجل تخيل «بيرونيس» أو «فيكتوريا» تقضيان أمسية كهذه، هذه الفكرة جعلتها تشعر بالذنب.

من المحتمل أن تحظى «فيكتوريا» بشعبية كبيرة، يمكنها فقط أن تتخيل رقصها كما فعلت في فيناليا، وهي تقوم بالتعري، لكن هذا في حد ذاته سيقرب التوازن، ويمزق الحجاب الذي يخفي النوايا الحقيقية وراء هذا العشاء.

- أعتقد أن الوقت قد حان للنوم، قال كوينتوس، وهو يتمدد بشكل فاخر كما لو كان المضيف وليس دروسيللا، وإلا، فلن أكون لائقاً إلا للنوم.

ردت دروسيللا:

- أتمنى ألا تجرؤ ليس تحت سقفي. لا يمكنني التفكير في إهانة أسوأ.

ضحك الجميع، وتمنى الرجال ليلة سعيدة لبعضهم بعضاً، منكمشين على النساء كأنهن غنائم هذا الليل. منزل «دروسيللا» لا يشبه حجم منازل عملائها، لكنه أنيق ومريح، وغرفه مطلية بمشاهد لعشاق أسطوريين، والغرفة التي تقيم فيها عادة فيها لوحة «ليدا والبجعة»، تقع أعلى الدرج، فوق الفناء الصغير وغرفة الطعام.

تبعث هي و«روفوس» خادمة «دروسيللا» إلى غرفة النوم. وبدأ في خلع ملابسها قبل أن تنتهي الفتاة من إضاءة جميع المصابيح. إنه شيء لاحظته عن «روفوس»، طريقته تقول إنه لا يرى العديد من العبيد الذين يخدمونه. في منزله، كان «فيتاليو» يأتي دون سابق إنذار

ليضع النبيذ أو الفاكهة، حتى عندما كانا في السرير معاً، إلى أن طلبت منه «أمارا» التوقف عن فعل ذلك.

- إنه لا يفكر في أي شيء!

لكن «أمارا» لم تكن متأكدة من ذلك، منذ انتهت لتلك الطريقة التي نظر بها «فيتاليو» إليها مرة واحدة، من عبد لآخر، بينما كان «روفوس» يتأمل في مسرحية. عرفت حينها أنه يكرهها، وأن خدمتها أغضبتة، رغم أنها ما زالت لا تفهم السبب.

الليلة، شعرت بالارتياح لأنهم لم يتقدموا إلى ما وراء التعري قبل أن تغادر الخادمة. تتذكر دائماً الأداء مع «روفوس»، حبه لها يبدو حقيقياً جداً. تتساءل عما سيحدث إذا حاولت السعي وراء سعادتها، أو اقترحت ما قد يعجبها، لكن من الأسهل فقط إرضاءه وتزييف رضاها. إنها تعرف أن عدم قدرتها على الاستمتاع بجهود «سالفوس» هو ما برد اهتمامه في النهاية، لأنه طلب منها ألا تتظاهر.

بعد ذلك صارت تستمتع أكثر، عندما تسمع «روفوس» يقول لها إنه يحبها، ممسكاً بها كما لو أنه لن يتركها تذهب أبداً، هي لا تصدقه حقاً، بل وتعرف أنه لا يستطيع أن يحبها، ليس حقاً، ليس بالطريقة التي أحبت بها عائلتها، أو محبتها لـ«ديدو»، كشخص تعتبره ذا قيمة مساوية لنفسك. ومع ذلك، لم تمل قط من سماعه يقول الكلمات.

بعد أن قبّلها «روفوس» قبلة الوداع وزحف من الغرفة،

سمعته في الفناء أدناه، وهو يضحك مع الرجلين الآخرين. نادراً ما يمكث طوال الليل لدى «دروسيلا»، لكن ليس لدى «أمارا» أي نية لإخبار «فيليكس» بذلك. إنها إحدى الامتيازات، البقاء كضيف، وليس كعبد، في منزل صديق. ابتسمت لنفسها، وهي تتخيل «ديدو» في أمان في مكان قريب، ممتدة على الملاءات، تماماً كما هي، ليلة نوم هنيئة غير مضطربة بالخوف من المستقبل.

هواء الصباح البارد له رائحة الخريف. «أمارا» و«ديدو» تنتظران مضيفتهما في الفناء الصغير، وتتمتعان بالهدوء. لقد استفادت «دروسيلا» بذكاء من المساحة، فالنافورة مقابل الحائط بدلاً من أن تشغل مساحة كبيرة في المركز. يسقط الماء منها في شلال فوق فسيفساء من البلاط الأزرق، ليتناثر على تمثال «فينوس» الذي يقف عارياً على حافة البركة تحته، كما لو أنها كانت على استعداد للاستحمام.

قالت «ديدو» وهي تنظر حولها:

- إنها جميلة جداً.

- النافورة مثالية؟

- أنا سعيدة باتفاق السيدات معي.

استدارتا لرؤية «دروسيلا» تراقبهما. إنها ترتدي سترة خفيفة، وسواراً ذهبياً على ذراعها. وتضع على رأسها قماشاً حريراً تريده «أمارا» على الفور لنفسها. إنها

الطريقة المثالية لإخفاء الشعر غير المصنف، إذا كان هناك أي شخص تحتاج إلى إثارة إعجابه في الصباح.
- لماذا لا تأخذان بعض المرطبات معي قبل أن تغادرا؟

كانتا تتوقان إلى الاتفاق معها، لذا تبعتاها إلى غرفة الطعام، التي نظفت الليلة الماضية، وجُهِز صحن من التين والكمثرى والخبز على طاولة جانبية.

- إذن كيف كان لوسيوس؟ توجهت دروسيلًا بالسؤال إلى ديدو، وهي تضع نفسها على الأريكة وتشير إلى الآخرين لأخذ الجانب المقابل، يبدو أنه كان مأخوذًا تمامًا.

قالت ديدو، وهي تنتظر من دروسيلًا إلى أمارا، متحمسة بشكل واضح لمشاركة الأخبار:

- سيحاول العثور على عائلتي إنه يعتقد أن ذلك قد يكون ممكنًا، من خلال التعداد.
صرخت أمارا:

- لكن هذا سيكون رائعًا!

سألتها دروسيلًا:

- هل أخبرك بهذا قبل أم بعد..؟

- بعد. بينما كان يغادر.

- هذه علامة جيدة. هذا يعني أنه كان جادًا. على الرغم من أنك قد لا تزالين بحاجة إلى تذكيره. لم يعتد لوسيوس على التفكير في الآخرين. وإذا وجدهم؟ ماذا بعد؟

قالت ديدو وقد بدا عليها أكثر عدم اليقين:
- لا أعرف سيعني الكثير بالنسبة إلي مجرد
معرفة أنهم على قيد الحياة.

- ألن يعيدوا شراءك؟

نظرت «أمارا» إلى «ديدو»، متلهفة. لقد ناقشتا هذا
مرات عديدة. لكن «ديدو» تقول:

- لا... لا أعتقد ذلك... ليس عندما...
ليس بعد ما كنت عليه. لن يكون هناك مكان
لي في المنزل الآن. إذا كنت حرة، إذا كان لدي
بعض المال المدخر، فيمكنهم التفاوضي عن ذلك.
من مبدأ حفظ ماء الوجه والتظاهر. لكن ليس عندما
أكون... هكذا.

- هل لوسيوس يعرف ذلك؟

- نعم

أخبرته أنه لا توجد وسيلة للعودة بالنسبة إلي.

- ربما يكون كذلك. هو عمل أقل بالنسبة إليه، وقد
يقدم لك معروفاً في الواقع إذا لم تكن هناك فرصة للدراما.
ما لم يكن قد وجد أخيراً جانبه الرومانسي.

- هل كنت أنت ولوسيوس يوماً...؟

- لقد كنا عشاقاً لفترة، نعم. لبضعة أشهر.
وفي بعض الأحيان لا يزال يزورني. لدي ولع به. على الرغم
من أنني يجب أن أكون حذرة مع «كوينتوس»، الأخير لديه
فخر أكثر مما تتخيلون. نظرت إلى أمارا، وهي ترفع حاجبها،

وإن لم يكن عليّ أن أكون حريصة مثلك، فروفوس لن يتعامل بشكل جيد مع منافس على الإطلاق.

- لا... لكن لا يوجد خطر من ذلك. نظرت أمارا إلى الأسفل وهي تقشر تينها وتفكر في ميناندر.

كانت «أمارا» هي التي أصرت على التوقف عن التواصل معه، حتى من خلال الكتابة على الجدران. لم تكن لديها القوة لتخبره بنفسها أن لديها الآن «راع»، ولذلك اتخذت الطريق الجبان للخروج من العلاقة، وتركت «ديدو» تزور متجر الخزاف بدلاً من ذلك. ألمها التفكير فيه، فتوقفت عن تقشير الثمرة، وتركتها شاحبة وعارية في يديها، و نظرت إلى «دروسيلا» متسائلة:

- هل كنت أنت وروفوس عاشقين من قبل؟

- هل الإجابة عن هذا الأمر تهملك بطريقة أو بأخرى؟

- لا
مشاعري ليست... تتوقف مؤقتًا، غير متأكدة من كيفية شرح ما تشعر به، لذا تتجاهل باقي الإجابة.

- فقط بإيجاز شديد، أجابت دروسيلا وهي تراقب رد فعل أمارا، أرى أنني أزعجتك.

- لا، على الإطلاق، أو بالأحرى أنا لست غيورة. إنه فقط أخبرني أنه لم يفعل. لقد كان مقتنعًا تمامًا.

«دروسيلا» تضحك من سذاجتها:

- كل الرجال يولدون كذابين. يجب أن تعتبرها مجاملة.

لم يكن يريد أن يجرح مشاعرك. على الأقل يدرك أن لديك بعضاً منها.

- ألا يمتلك كوينتوس بعضها؟ (تسأل ديدو).

- حسناً... قالت دروسيل بنعومة، وهي تقطع قطعة خبز وتتكئ على وسائدتها: لست مضطرة حتى لأن أسأل عما إذا كان أي منكما قد كانت مع كوينتوس. أعلم أنه يجب أن تكونوا قد فعلتوا ذلك. وإلا فكان سيضايقني من أجل تجربتكما. إنه كما يبدو تماماً. ولكن من الغريب كيف يمكن أن يتكبر الرجال وهم يطؤونك، حتى كوينتوس.

- بعض الرجال لا يفعلون ذلك أبداً.

- رئيسك؟ سألت دروسيلا، وأمارا تومئ برأسها رافضة أن تقول اسمه.

- لا أعرف... أنت وفيليكس تجلسان معاً وتبحثان في الحسابات. من المؤكد أنك رأيت جانبه الأكثر نعومة؟

- إنه حقير... ينتشر قبح الكلمة في صباحهم اللطيف، حاملاً معه ظل المبغي؟

- أنا آسفة قالت لدروسيلا، محرجة من اللفظ، لم أقصد أن أكون فظة.

- أنا متأكدة من أن لا أحد هنا مصدوم من الشتائم. كوينتوس كذلك أيضاً، على الرغم من أنني لا أستطيع أن أتخيل أنه قد يجعلني غاضبة بما يكفي لأقول ذلك، ولكن في النهاية هو من يدفع المال، وصدقيني، أنا أفهم الفرق.

فكرت «أمارة» في نفسها: «ذلك لأنها حرة ونحن مستعبدون». إنه من السهل أن تتسى الفرق مع «دروسيلا»، فهي مرحبة للغاية وودودة للغاية، ومع ذلك، فهي بعيدة مثل «روفوس» في الامتياز الذي تتمتع به كامرأة حرة. حتى لو كان عليها أن تكسب خبزها بالطريقة نفسها.

جلب التفكير في «فيليكس» التوتر إلى التجمع، حيث لم يكن هناك سوى المرح من قبل. تمتعت «ديدو»، بعد التوقف الثاني المحرج في المحادثة:

- أعتقد أنه من الأفضل لنا أن نعود.

لم تطلب إليهم «دروسيلا» البقاء، على الرغم من أنها كريمة في إصرارها على زيارتهما مرة أخرى، كما لو كانتا ضيفتين حقيقيتين، وليستا ضيفتين يدفع لهما الرجال.

وقفت «ديدو» و«أمارا» عند عتبة المنزل للحظة، تشاهدان تدفق الحياة في الشارع، ثم نزلت «ديدو» على الرصيف، وتبعتها «أمارا».

-33-

أنا لا أكرث بأمر حملك يا «سلافيلا»؛
أنا أحتقره.

كتابة على جدران بومبي

يبدو أن المبغى صار أقل شبهًا بالمنزل الآن، وقد جعله «فيليكس» مكتظًا بعدد أكبر من النساء. وحدهما «بيرونيس» و«فيكتوريا» لديهما حجرة خاصة، بعد انتقال راقصات إسبان إلى حجرة «كريسا» قبل أسبوع.

تشارك «كريسا» الآن «بيرونيس» حجرتها، وتستقبلان عملاء أقل بكثير من أي شخص آخر. لا يستطيع «فيليكس» الاعتراف بذلك، لكن «بريتانيكا» كانت الاستثمار الأسوأ بالنسبة إليه.

تتكلم «إيستيليا» و«تيليثوزا» القليل من اللاتينية، و تفضلان ببساطة عدم الاختلاط. عندما دخلت «أمارا» و«ديدو»، كانتا تضحكان بصوت عالٍ، وتصيحان على بعضهما بعضاً باللغة الإسبانية، وتحتلان الممر بأكمله. حاولت «فايبيا» أن تمسح الأرض من حولهما، لكنهما

- تتجاهلانها، وترفضان تحريك أقدامهما.
- قالت فيكتوريا وهي تقودهما إلى حجرتها. حالما
 جلست أمارا وديدو على السرير:
- شكرا لله، لقد عدتما، فيليكس يريدنا أن نخرج
 الفتيات الجديدات، ونعلمهن كيف يصطدن الزبائن.
- ألا يمكنهما الخروج معاً؟ أنا متأكد من أنهما
 ستفضلان ذلك على أي حال.
- لا، يريد منا أن نراقبهما. ويجب على شخص ما
 إخراج بريتانिका. لقد سئم عدم قيامها بأي شيء، إذا
 أخذنا أنا وديدو الفتيات الإسبانيات، هل يمكنك أخذ
 بريتانिका؟
- لماذا أنا؟
- لا يمكننا أن نسأل كريسا، أليس كذلك؟ وبيرونيس
 ليست على ما يرام. ليس بعد الزبون الفظ الليلة الماضية.
 علاوة على ذلك، اعتقدت أنك أحببتها.
- حسناً إذن. تنهدت أمارا: سأخذها.
- تركت «ديدو» و«فيكتوريا» لمفاوضاتهما الصاخبة مع
 الإسبان، ومشت إلى حجرتها القديمة. في الداخل،
 كانت «كريسا» مستلقية على السرير وعيناها مغمضتان،
 على الرغم من أن «أمارا» تشتبه في أنها ليست نائمة.
 أما «بريتانिका» فتجلس على كرسي، وتراقبها مثل كلب
 الحراسة الشاحب.
- بريتانिका. مدت يدها قائلة: تعالي معي. تعالي.

نظرت إلى كريسا، غير متأكدة مما يطلب منها، فكررت
 أمارا بقوة أكبر: تعالي... سنذهب للبحث عن الرجال.
 وقفت «بريتانिका»، شامخة فوقها على الفور، وتقدمت
 نحو الباب، ووجهها قاتم. «أمارا» ليست متأكدة من مقدار
 اللاتينية التي تفهمها الآن. إنها تشك أنه أكثر بكثير مما
 تسمح بإظهاره، على الرغم من أنها لم تتكلم بعد بكلمة
 أخرى غير اسم «كريسا». غادرتا من الباب الخلفي لأن
 الصراخ والإيماءات لا تزال تتدفق بالكامل في الممر.
 - الحمامات.

قالت أمارا، وهي ترعى رفيقتها، التي كانت بها على
 الرصيف.

الخروج مع «بريتانिका»، لم يلفت الانتباه إليهما، لم
 تحصلا على الاهتمام، لكن لا شيء من هذا هو النوع
 الذي تريده «أمارا»، التي تطارد «بريتانिका»، وتنتبه إلى
 حركاتها غير الأنثوية، إنها مقاتلة أكثر من كونها بغياً.
 تواصلت بالعين مع جميع الرجال، كانت نظراتها
 غاضبة ومليئة بالتحدي. إذا رد أحد على نظراتها بنظرة،
 فإنها تكشف عن أسنانها وتصفر. لقد سارتا في شارع
 واحد فقط، وبدأت «أمارا» تشعر بالخوف من تعرضهما
 للضرب قبل أن تصلا إلى الزاوية.

- هذا يكفي، لقد فزت. علينا العودة.

أدارت «بريتانिका» كعبها، وسارت على الرصيف تتبعها
 «أمارا». أصبح الممر فارغاً أخيراً، لكن أمارا تعلم أنها
 لا تستطيع الاستسلام والبقاء؛ سوف تضطر إلى الخروج

للصيد مع شخص ما . تتابع بريتانिका إلى الحجرة حيث لا تزال «كريسا» ممددة في بؤس . فقالت:

- كريسا! أعلم أنك مستيقظة لماذا لا تخرجين معي؟
الهواء سيفيدك .

- لا أشعر برغبة في ذلك .

- أعلم، لكن لا يمكنك البقاء هكذا طوال اليوم، راحت أمارا تتوسل إليها، بينما تتابع بريتانिका المناقشة بقلق، لكن أمارا تتجاهلها: يمكننا المشي إلى المرفأ . سأشتري لك نبيذاً .

بيطاء، اندفعت كريسا، وقد امتلأت بطنها، لكن وجهها بدا مجوفاً وفارغاً، قالت بضجر:

- حسناً . سوف آتي .

- كريسا! صرخت بريتانिका، بصوت عاجل: كريسا!

- سأعود قريباً . قالت كريسا بهدوء وهي تربت على ذراع المرأة الطويلة كما لو كانت طفلة، اطمئني وارتاحي .

كانت «أمارا» تعرف أن «بريتانिका» لن تستريح . لقد تجسست عليها وحدها هنا من قبل، وشاهدتها وهي تلقي اللكمات والركلات التي لا نهاية لها على رؤوس الرجال الوهميين . نظرت إليها نظرة تحذير وهي تغادر، قائلة: «لا تشيري جلبة» .

سارتا إلى المرفأ بجهد . كان من الصعب التصديق أن «كريسا»، كانت تعنى بمظهرها مثل البقية قبل الآن، أما

الآن، فهي قذرة وشعرها أشعث، تفتقر إلى أقل ذرة من الأناقة، فكرت «أمارا» أن البغايا يتقدمن في السن أكثر من غيرهن بزمن مضاعف، واقشعر بدنهن للفكرة.

قالت «كريسا»، وهي تنظر إلى الوراء من فوق كتفها، كما لو كانت بطريقة ما ترى من ظهرها:

- لا أعرف لماذا يتعامل الجميع بقسوة مع بريتانىكا. ماذا فعلت سوى أنها كرهت أن تكون محاصرة هنا؟ لديها قلب طيب أتعلمين ذلك؟ كنت سأضع ولاءها فوق ولاء أي شخص آخر. وهي ذكية. أعرف أن لا أحد يرى ذلك، لكنها كذلك.

قالت أمارا:

- إنها ليست سهلة.

أجابت كريسا بصوت مخنوق، جعل أمارا تخشى أن تبكي:

- لماذا يجب أن تكون سهلة؟ هل حياتها سهلة؟

- أنا أعرف. قالت أمارا بنبرة اعتذارية فأخر شيء تريده هو إثارة غضب صديقتها القلقة بالفعل، أنا أعرف. سأحاول بذل المزيد من الجهد، أعدك.

استمرا في وتيرتهما البطيئة المؤلمة، حتى توقفت «كريسا» تمامًا. وأدركت «أمارا» أنها تحرق في طفل صغير، ربما يبلغ من العمر ثلاث أو أربع سنوات. حاولت الثرثرة مع الطفل، وابتسمت والدته، متسامحة، قبل أن تلاحظ المرأة الغريبة وهي تركز على كنزها. فتضع ذراعها حول ابنها وتوجهه بعصية بعيداً عن الأنظار. فقالت «أمارا»:

- كريسا ... وحاولت أن تقودها بعيداً.
 - لا تفعلني... قالت كريسا، وهي تنفض يد أمارا عنها عندما حاولت مواساتها، والأخيرة تتنهد، وتكاد تتدم على مطالبتها بالخروج.

سارتا تحت البوابة البحرية، ومرّتا بحمامات «فيو» حيث لم تدخل أي منهن إليه منذ بضعة أشهر، منذ أن قرر «فيليكس» أن النصائح لا تستحق الغناء. أسفل التل، يتلأل البحر. الهواء نقي والملح حاد. بدت «كريسا» أكثر هدوءاً بعض الشيء الآن وقد وصلوا إلى الميناء.

كان يتم على الأرصفة تفريغ العديد من القوارب. ويندفع الرجال يصرخون مشغولين بينما ينقل النمل الفتات إلى عشه. عرضت «أمارا» ذراعها، متوترة بعد الرفض الأخير، لكن هذه المرة قبلت «كريسا»:

- هل نمشي قبل الصيد؟

أومأت «كريسا» برأسها، وتوجهتا إلى الرواق المحيط بالميناء. شعرت «أمارا» بارتفاع معنوياتها. كانت أشعة الشمس تتعكس على الأعمدة والتمائيل المرسومة، كما أنّ نداء النوارس، وهتافات الغناء للبحارة تبدو وكأنها موسيقية. ساعدت «كريسا» على الجلوس في بقعة من الشمس على حافة الماء. تحت أقدامهم المتأرجحة، يمكنها رؤية سمكة رمادية تندفع في المياه الصافية.

قالت كريسا:

- لم يخبرني فيليكس أبداً أين باع كوزموس. ذكر ابنها أمرا غير متوقع إلى درجة أن أمارا لا تعرف ماذا

تقول. نظرت إلى كريسا لكنها لم تستطع قراءة تعابير وجهها ، لأنها أدارته نحو البحر. حاولت فاييا اكتشاف ذلك من أجلي، لكننا لم ننجح في ذلك.

- فاييا؟

سألت أمارا بدهشة. لا يمكنها أن تتخيل أن والدة باريس لديها الشجاعة أو المكر اللازم للقيام بهذه المحاولة:

- لماذا لا تكون فاييا؟ هي ترى أكثر مما تعتقدين. والجميع يتغاضى عنها. هذا ما يحدث عندما تكبر البغي. على الرغم من أن الأمر كان صعباً عليك، هل فكرت للحظة أنه ربما كان الأفضل...؟ أعني أن لا يكون كوزموس محاصراً في المبنى؟

استدارت «كريسا» إليها، فشعرت «أمارا» بالصدمة من مدى تقدم العمر والتعب في وجهها وهي تراه في وهج الضوء الكامل. وتقول:

- أعلم أن لا أحد منكم يفهم. أنت تعتقدين أنه شيء يجب أن أتخلى عنه، حاولت أمارا الاحتجاج ، لكن كريسا رفعت يدها لإيقافها، وقالت:

- إذا كان لديك طفل يا أمارا فسوف تفهمين ما أشعر به.

لم تقل شيئاً، وهي ترى بطن كريسا المنتفخ، بسبب المولود الجديد الذي تحمله. جلستا في صمت، ثم نهضت كريسا ووقفت على قدميها. حاولت «أمارا» المساعدة، لكن كريسا طلبت إليها البقاء في مكانها.

- هل تمانعين إذا أخذت بضع لحظات لنفسي؟

يمكنك الانتظار هنا. لن أغيب طويلاً.
 لم تكن «أمارا» متحمسة للفكرة، فالمكان ليس آمناً
 أبداً في المرفأ، لكن «كريسا» تنظر إليها، وعيناها
 تتوسلان، ولا يمكنها الرفض. فقالت:
 - حسناً. لكن لا تذهبي بعيداً. لا أريد أن أبقى
 وحدي هنا لوقت طويل.

انطلقت «كريسا» بوتيرة سريعة. بدت أقوى وأكثر
 تصميمًا مما كانت عليه منذ فترة. كان هواء البحر فكرة
 جيدة، بعد كل شيء. أمسكت «أمارا» بقاعدة عمود ومدت
 عنقها بشكل دائري حتى تتمكن من رؤية أين تتوجه
 «كريسا». راقبتها وهي تقترب من الأرصفة ثم تتوقف
 عند بعض القوارير التي يتم إنزالها من القارب مالت
 «كريسا» على أحد الأواني الكبيرة، وكأنها ترفع الوزن
 عن قدميها المتورمتين. إنها تتطلع إلى البحر، إلى ارتفاع
 المياه، وانتفاخ بطنها. كان الضوء يرقص على الأمواج.
 وأمارا تتطلع إلى أبعد من ذلك، حيث تقف «فينوس
 بومبييانا»، والماء يتكسر على القاعدة الحجرية الثقيلة
 لعمودها. إلهة الحب، عشيقة «أمارا» الجديدة. التي
 تحمل لها المزيد من الاحترام منذ فيناليا. بعد صلاتها
 للإلهة بدأت حظوظها تتغير. « لا تسيني، يا أفروديت»،
 تقول في نفسها وهي تحدق في التمثال، «أريني مخرجاً،
 وبقية حياتي لك».

ألقت نظرة على المكان الذي كانت تقف فيه «كريسا»،
 وقامت مذعورة، وهي تتدافع على قدميها في حالة من

الخوف الشديد. هناك رجل يحتاج معها، محاولاً منع كريسا من الاتكاء على بضاعته، لكنها تتشبث بعناد. اقتحمت «أمارا» المشهد بعدما توقفت عن الجري، والرجل يصرخ. يبدو كما لو أنه على وشك الإمساك بها. صرخت «أمارا» في وجهه ليتركها وشأنها، ارتاحت حينما رأت «كريسا» بدأت بالابتعاد، ولكن بعد ذلك، في حركة عنيفة، دفعت إحدى القوارير على حافة جدار المرفأ، واندفعت «كريسا» معها، حتى تم سحبها بسرعة كبيرة، في مشهد ضبابي لم يستوعبه أحد، لا بد أن عباءتها علقت بالمقبض.

صرخت «أمارا» بهستيرية، واندفعت بين الناس، تطرحهم جانباً في يأس للوصول إلى حافة الماء غافلة عن غضبهم. عند رصيف الميناء، ركعت على ركبتها، صارخة:

- كريسا! كريسا! كريسا...

قلبها ينبض، وعقلها غير قادر على استيعاب ما رآته. حدقت في الأمواج، لكن ليس هناك ما يشير إلى صديقتها، فقط رغبة واضطراب طفيف في الماء حيث كسر سطحه.

وقفت «أمارا» في ذهول تبحث عن المساعدة. كان الرجل الذي صرخ في «كريسا» يقف إلى جوارها، يحدق في الماء مذهولاً مثلها، فأمسكت بذراعه وقالت:

- هل يمكنك السباحة؟ هل يمكنك القفز وإنقاذها؟ أرجوك افعل شيئاً! لو سمحت! سوف تموت!

نهرها الرجل غاضباً مبتعداً عنها:

- تلك البغي اللعينة سرقت للتو بعضاً من أفضل زيت الزيتون لدي! هل تعتقدين أنني سأخاطر بالفرق من أجل قدرة ولصة؟ نظر عن كذب إلى أمارا مدققاً في التوجا التي ترتديها. هل كنت معها؟ هل لديك السيد نفسه؟

نظرت «أمارا» مرة أخرى إلى الماء. كان سطحه هادئاً الآن، كما لو أن «كريسا» لم تقفز إليه قط، كما لو أنها لم تكن موجودة من قبل. «أمارا» لا تستطيع السباحة، ومع كل لحظة تمر، تتضاءل فرصة بقاء «كريسا» على قيد الحياة؛ هذا إذا لم تكن ميتة بالفعل.

لقد أدركت أن البحارة والتجار الآخرين بدأوا يتجمعون خلفهم، وهم يهتفون لبعضهم بعضاً، متحمسين للفوضى التي تعالي صوتها، بينما الخوف يسيطر عليها.

- لا، حاولت إخفاء محنتها، للسيطرة على ارتجافها، أنا لا أعرفها. لقد رأيتهما للتو.

استدارت «أمارا» وسارت بأسرع ما يمكن دون أن تجري، عائدة نحو البوابة البحرية.

-34-

حين تموت، لن يبقى منك شيء.
كتابة على جدران بومبي

لم تستطع أمارا أن تتطرق الكلمات، بكت كثيراً، وصبت كل شيء حدث صباً عند «فيليكس». كانا وحدهما، وكان يقف بالقرب منها، ويمسك ذراعيها لئيبقيها ثابتة. وفي الحقيقة كانت تريده أن يمسكها ويريحها ويشاركها حزنها، لكنه بدلاً من ذلك، يستمع إلى القصة بأكملها دون مقاطعة، ووجهه صامت.

- لقد أحسنتِ بعدم إخبارهم أنك تعودين للمالك نفسه. كانوا سيجبرونني على دفع ثمن الزيت. وقد كلفتني كريسا ما يكفي بالفعل. بصعوبة جنت بنساً واحداً على مدار الأشهر الماضية.

صدمت «أمارا» من كلماته وتوقفت عن بكائها. نظر «فيليكس» إليها من دون أي تأثير. لا ينبغي أن يكون بروده مفاجأة، لكنه لا يزال مؤلماً، ومع الألم يأتي الغضب. كانت تدفعه بغضب أعمى، يتراجع، وتضربه مرة أخرى،

ليس صفعًا، بل لكمًا؛ ولأنه سريع للغاية بالنسبة إليها، لا تصيب وجهه، وتلتقط كتفه بدلًا من ذلك.

- أكرهك! أنت لا تهتم بأي شخص! لقد ماتت بسببك وأنت لا تهتم. لا تشعر بأي شيء. أكرهك! يتفادى كل ضرباتها، وهي مستاءة للغاية بحيث لا تصوب بشكل مستقيم، أتمنى لو كنت ميتًا! تصرخ أمارا، ممسكة بملابسه، محاولة هزّه... أتمنى لو كنت ميتًا! أمسك بذراعها اليمنى ولواها خلف ظهرها. فصرخت وسقطت على ركبتيها على الفور. صرخ فيليكس وفمه قريب جدًا من أذنها مما صم أذنيها. وأطلقها بدفعة:

- لا يمكنك أن تخبريني بما عليّ أن أشعر به، الكلبة، الغبية، اللعينة. هل تعتقدين أنني اخترت هذه الحياة؟ هل فعلت أنت؟

لم تقل «أمارا» شيئًا. لم تسأل قط كيف جاء «فيليكس» لإدارة المبنى. كان يبدو كأنه خلق لهذا العمل. جلس إلى جوارها، مضطربًا، فانكمشت هي بعيدًا.

- لقد ولدت هنا. ليس هنا، الطابق السفلي. هل تعتقدين أنني لا أعرف كيف يبدو الأمر؟ أنني لا أفهمه؟ والدتي لم تكن شجاعة مثل كريسا. كانت جبانة لعينة، ليست على استعداد لتقتل نفسها وتجنب ابنها هذه الحياة.

لم تجرؤ «أمارا» على الحركة أو قول أي شيء. لا يمكنها أن تتخيل أن «فيليكس» سيغفر لها لرؤيته هكذا، وليس عندما يدرك ما قاله للتو. إنه منحني، ولأول مرة

منذ أن عرفته، يبدو مهزومًا. هي الآن تتفهمه، وتراقبه، مدركة أنها مهما كانت تكرهه، فإن «فيليكس» سيكره نفسه دائمًا أكثر. يقول:

- والدي، أو الرجل الذي أصرت البغي والدي على أنه والدي، كان يدير هذا المكان. لقد منحني حريتي، لذلك أعتقد أنه لا بد أن يكون قد صدقها. ولكن ليس إلا بعد أن أمضيت فترة تدريب طويلة.

حديق في المكتب - من المفترض أنه كان لوالده - عندما يقول هذا. بينما تفكر «أمارا» في مسؤولية مسك الدفاتر الدقيقة، وتتخيله جالسًا هناك عندما كان طفلًا، يراقب نسخة أقدم وأكثر سوءًا من نفسه. هنا تعلم تجارته؛ لكنها بعد ذلك تتذكر الكتابة على جدار حجرتها. نظرت «أمارا» بعيدًا عن «فيليكس»، تنفسها ضحل، هل يمكن أن يكون سيدها قد عمل في البغاء ذات يوم؟ هل عاش حياة بارييس نفسها؟ إنها تخشى الكلام لتذكيره بحضورها، لكن الصمت المتزايد مخيف أيضًا.

- ماذا حدث لأمك؟

- ماتت عندما كنت في العاشرة من عمري. قال وهو يحديق في الجدار الأحمر، وعيناه تلمعان.

حزنه واضح لدرجة أن «أمارا» تنسى نفسها. في تلك اللحظة، كل ما تستطيع أن تراه هو الفتى الخائف الذي فقد أمه، الذي عذبه والده، وقلبها يتألم بسببه. تلمس ذراعه وأصابعه بلطف، وتقول:

- أنا آسفة.

يشعر فيليكس بالدهشة من أفكاره، فيزمجر واقفاً
على قدميه

- لا تلمسيني.

اندفعت «أمارا» بعيداً عن الطريق، خائفة من أن يركلها
حيث تجلس، بينما هو يحدق بها، وكلاهما يعرف أنها
تستطيع رؤية الدموع في عينيه، فيصرخ مرة أخرى:

- اخرجي....

أغلقت «أمارا» باب الشقة من خلفها، ووقفت على
الرصيف، وظهرها إلى الخشب. إنها تشعر بالتمزق، تقريباً
بسبب ارتباكها بشأن «فيليكس»، وحزنها الشديد على
«كريسا». لا تستطيع تحمل الذهاب إلى المبنى، لمواجهة
«بريتانيكا»، وجعل موت «كريسا» حقيقة، ورؤيتها تسقط
في الماء مرة أخرى وهي تخبر الآخرين بما حدث.

ترنحت في الشارع، وسارت بسرعة ولكن من دون
هدف. تبادر إلى ذهنها «روفوس»، بالطريقة التي يمسكها
بها، ويخبرها أنه يحبها، لكن لن يكون من المعقول أن
تزعجه في منزله، في النهار، بقصة قبيحة عن البغي
التي حملت وماتت منتحرة. كادت أن تأخذ الشارع المؤدي
إلى منزل «دروسيلا»، مستشعرة أن المحظية لن تبعدها،
ومع ذلك، فهي لا تعرفها حقاً.

عرفت أقدام «أمارا» إلى أين تأخذها، قبل أن تدرك
ذلك بنفسها، إنه متجر الخزاف في شارع بومبيانا. إلى
«ميناندر».

وقفت خارج المحل، تراقب. إنه هناك يضحك مع جارياة أخرى، امرأة شابة، وليس هناك أثر لوجود «روستيكوس». شعرت «أمارا» بألم شديد، ربما هذه هي صديقته الآن، إلا أنه ليس لديها الحق في التفكير في ما يفعله. كانت مخطئة في أن تأتي إلى هنا وتفرض عليه حزنها. رآها «ميناندر» وهي تستدير بعيداً، واندفع من المتجر:

- تيماريت! أوقفها نداؤه، لقد أدرك الأمر، ورأى وجهها مبللاً بالدموع: لا أستطيع التحدث خارج المحل. انتظري هنا. يمكننا المشي إلى النافورة.

قبل أن يتاح لها وقت للاحتجاج، عاد. رآته «أمارا» يتحدث إلى الفتاة الخادمة عند المنضدة التي تحديق بها بفضول، ثم تجلب له دلوًا.

- تعالي، من هنا.

سارا بسرعة في الشارع. قالت «أمارا»:

- أنا آسفة. أنا آسفة لما حدث بيننا. وصلا إلى النافورة، حيث تجتمع مجموعة صغيرة من العبيد يثرثرون. إنه مكان مفضل للعبيد المتسكعين.

- لا تهتمي بهذا الآن، قال ذلك وهو يسحبها إلى الجانب الآخر، للسماح لرجل نقد صبره بالمرور. أخبريني ما الخطب. هل جرحك شخص ما؟

كان قلقه عليها واضحاً للغاية، مما جعلها ترغب في البكاء مرة أخرى.

- ماتت كريسا. كانت حاملاً. ذهبنا إلى المرفأ معاً. لقد أغرقت نفسها.

- هل كنتما أنتما الاثنتان فقط؟ هل تركت وحيدة هناك؟ عند المرفأ؟
- لا أحد سيساعد... لا أحد. وعندما سألني ذاك الرجل عن سبب غضبي، قلت إنني لا أعرفها. وضع «ميناندر» دلوه واحتضنها. تشبثت به وهي تبكي على كتفه، فيقول محاولاً تهدأتها:
- لم ترتكبي أي خطأ. لا بأس. إنها ليست غلطتك.
- لم يساعدها أحد... ولم يهتم أحد. لقد كانوا غاضبين فقط لأنها دفعت قارورة من الزيت في الماء. لم تكن مهمة. والآن ذهب وكأنها لم تعش على الإطلاق. كما لو كانت لا شيء.
- لم تكن كذلك. لقد أحببتها، أليس كذلك؟ كانت مهمة. على الأقل كانت تهكم، أنت وأصداؤها.
- أنا لم أساعدها. تركتها تفرق.
- لا يمكنك مساعدتها، وهي من اختارت أن تفرق. سمحت «أمارا» لـ «ميناندر» بعناقها، حتى أدركت فجأة أنها جذبت عدداً من المتجمهرين، ولا شك أنهم استمعوا إلى كل كلمة دارت بينهما، استقامت و مسحت وجهها، بينما يواجه «ميناندر» الحشد الصغير، وهم يحومون مع دلائهم.
- فقط اتركونا وشأننا هل يمكنكم فعل ذلك؟
- اللعنة عليك ...
- تمتم أحد العبيد الآخرين، لكن الشرثرة لا تزال تدور

لمنحهم بعض الخصوصية، لا أحد هنا يريد قتالاً، ليس عندما يكون لديهم جميعاً أسياد ينتظرون.

- لم تفعلني شيئاً خاطئاً، هل تسمعيني؟ لا شيء على الإطلاق.

نظرت «أمارا» إلى وجهه اللطيف، إلى العيون الداكنة التي حاولت جاهدة أن تتساهاها، وأصبحت على يقين من أنها لن تحب «روفوس» أبداً، ليس بالكيفية التي تحب بها هذا الرجل. فتقول:

- أنا آسفة لأنني أرسلت ديدو. آسفة جداً. كان يجب أن أخبرك بنفسي. حالما قالت تلك الكلمات، صار يمكنها أن ترى كيف آذته، أنا لا أحبه. لكنني مدينة له.

- لقد اشتراك، أفهم ذلك. قال ميناندر، وتركها. ليس المال فقط ما قصدته «أمارا». إنها مدينة لـ«روفوس» بأكثر من ذلك. تدين له ببعض مظاهر الولاء، وليس لجعل كل كلمة تقولها كذبة، لكنها لا تريد أن تؤذي «ميناندر» أكثر مما فعلت بالفعل. انحنى لملء الدلو بالماء الذي لا يحتاج إليه، إلا كذريعة لـ«روستيكوس».

- لم أكن أريد أن تهدر مشاعرك علي، ليس عندما لا أستطيع أن أعطيك أي شيء. وأنا آسفة لأنني أتيت إلى هنا، وأخرجتك من عملك، وأثقلت كاهلك. لم أستطع تحمل ما حدث لكريسا، ونسيت. لقد نسيت أنني ما كان يجب أن أتحدث إليك. كان يجب أن أتركك وشأنك.

رفع ميناندر الدلو، مبتعداً عن البئر، وقال:

- يمكنك دائماً التحدث معي. دائماً. وأنا أعلم أنه عليك أن تُعنى بنفسك. أنا أفهم ذلك.
- نظرت «أمارا» إلى الأسفل. يبدو الأمر كما لو أنه سمح لها بالرحيل، وهي لا تريده أن يفعل ذلك. فتقول:
- لا يوجد أحد مثلك، لا يوجد أحد مثلك في حياتي.
- ولا بالنسبة إلي، يا تيماريت، كوني حذرة رجاء، لاتلومي نفسك.
- سار إلى الأمام وقبلها بسرعة على جبهتها، ثم حمل الدلو، واستدار ذاهباً.

علمت «بريتانिका»، حالما رأت «أمارا»، أن هناك خطباً ما. فصرخت بصوت عال يشوبه القلق:

- كريسا؟ كريسا؟

لم تجرؤ «أمارا» على إخبارها أن «كريسا» قد ماتت، ليس وهما وحدهما في الحجر، هي لا تعرف حتى ما إذا كانت «بريتانिका» ستفهم. كل النساء الأخريات في الخارج، حتى «بيرونيس»، وعليها أن تنتظر عودتهن، بينما «بريتانिका» تذرع الممر جيئة وذهاباً وهي تتمتم مع نفسها، وأحياناً تعود إلى «أمارا» لتصرخ في وجهها، وهي بدورها تكتفي بإيماءات من رأسها.

حين عادت «ديدو» وبصحبتها «بيرونيس»، كان معهما زبائن. ولأنها تعلم أن وجهها وحده كفيلاً بإخبارهما أن هناك أخباراً سيئة حال دخولهما إلى المبنى، ولأنه ما

زال عليهما أن تقدما المتعة للزيائن أولاً، ظلّت «أمارا»
جالسة في حجرتها القديمة، منتظرة إياهم أن ينتهوا.
سألت بيرونيس متوجهة نحوها حالما انتهت من
الزبون:

- أين كريسا؟ أين هي؟ ما الذي حدث لها؟

كانت «بريتانिका» تحوم حول السرير، وعيناها تتجولان
بين «أمارا» و«بيرونيس»، متسعان، وممتلئتين بالخوف.
قالت أمارا:

- أنا آسفة، أنا آسفة.

- لا.. هزت بيرونيس رأسها في محاولة للفهم:
لا، هي ليست كذلك. لا يمكنها أن تكون كذلك.

- لقد قفزت في البحر عند الميناء. ربطت
نفسها بقارورة زيت ممتلئة لتتأكد من أنها ستغرق.
لم أستطع الوصول إليها في الوقت المناسب لأنقذها.
لم أستوعب ما كان يحدث.

- لا.. لا... وراحت بيرونيس تنتحب.

كان حزن «بريتانिका» هو ما تخشاه «أمارا»، ولكن عوضاً
عن ذلك كانت «بيرونيس» هي التي خرجت عن السيطرة،
وبدأت تلکم الجدران في الحجرة، وتشد شعرها، وتلطم
على وجهها، وهي تصرخ وتبكي:

- لقد كنت أحبها! أحببتها حقاً! لا يمكن أن تكون
ميّنة!

لم تجرؤ «أمارا» على لمسها، «بيرونيس» صارت مثل

امرأة مجنونة، بينما تكورت «بريتانिका» على الأرض، وغطت أذنيها. في هذه اللحظة دخلت «ديدو»، التي لم تكن في حاجة أن تسأل عما حدث. رمت نفسها على «أمارا» تمسكان ببعضهما بعضاً، وجسديهما يتحركان إلى الأمام والخلف في حالة من الهستيريا.

بينما كن جميعاً يبكين وعويلهن يرتفع، سمعت «أمارا» وقع أقدام «فيكتوريا» تتخطى الضوضاء، وتقول:

- أوه! أستطيع أن أشعر به! كم هو كبير!

كان هناك صراخ وقهقهة من الفتيات الإسبانيات أيضاً، ونغمات أعمق لأصوات الذكور. ابتعدت «أمارا» عن «ديدو» ووقفت في الممر صامتة، وظلها يمتد عبر الأرض، رأتها «فيكتوريا» على الرغم من الرجل الملفوف حولها، لكنها لم تتبه إلى حالتها، إلا أنها سمعت النحيب، فسألت:

- من؟ من هي؟

- كريسا.

أبعدت فيكتوريا ذراع الرجل عن كتفيها. وبدوره نظر إليها، مذهولاً من هذه التي كانت تلهث وراءه قبل لحظات، إلا أن فيكتوريا دفعته بقوة، وأخذت تصرخ، وقد أحمرَّ ووجهها من الغضب:

- إلى الخارج! كلكم... إلى الخارج! لا أريد أي رجال سخفاء هنا!

وقفت «إيبستيلا» و«تيليثوزا» متجمدتين من الخوف والمفاجأة. أحد زبائنهما ضحك بعصبية:

- ما هذا بحق الجحيم؟

صرخت فيكتوريا، وانتزعت ذراعها من حول خصر
إيبستيلا. فتراجعت خشية أن تضربه، بينما رفيقه يرسم
علامة العين الشريرة:

- قلت لكم جميعاً، أخرجوا!
وعقبت أمارا:

- سمعت ما قالتها! لا نريدك هنا. اخرج...

اندفعت «بيرونيس» من الحجرة خلفهم. بوجهها
المخدوش وشعرها البري، وصرخت:

- أيها الأوغاد! لقد ماتت، ألا يمكنكم تركنا في
سلام؟

لم يعد الرجال في حاجة إلى المزيد من المجادلة.
ولم يكن لديهم الوقت لرمي الإهانات. بدلاً من ذلك،
أسرعوا خارجين من منزل النساء الغاضبات، حتى كادوا
يتعثرون فوق عتبة الباب في طريقهم إلى الشارع.

-35-

لعلك تبحث عن مجموعة من العذارى الإسبانيات للفوز
 بالتصفيق من خلال الرقص والأغاني غير المحتشمة
 جوفينال، الهجاء 11.162

في أي صباح آخر، كان «فيليكس» سيشعر بالغضب
 نحوهن ويهاجمهن، لكن حزنهن الشديد جعل منهن نساء
 لا يمكن المساس بهن، ليوم واحد على الأقل. تساءلت
 «أمارا» عما إذا كان هو أيضاً حزيناً، ولكنها تسحق
 إحساسها بالتعاطف. كل ما حدث لـ«فيليكس» عندما كان
 طفلاً لا يغير من هويته الآن.

أخذت «فايبا» تصفف شعرها، وجهها أحمر من البكاء.
 تذكرت «أمارا» ما قالتها «كريسا» عن المرأة العجوز التي
 حاولت العثور على «كوزموس»، وتساءلت عما تحدثت عنه
 المرأتان أيضاً، وما الأسرار التي قد تعرفها «فايبا» عن
 سيدهما.

عندما أصبحن جاهزات، تركن «إيبستيلا» و«تيليثوزا»
 في المبنى، وسرن في طابور صامت إلى «السابارو».

قضت الفتيات الأسبانيات ليلة بائسة، هادئة لمرّة واحدة، خائفات من جنون الحداد على امرأة بالكاد يعرفنها.

حالما دخلن، كان من الواضح أن «زوسكاليس» قد سمع الأخبار فعلاً. واعتقدت «أمارا» أن نصف الحي يجب أن يكون قد عرف الآن، بعد أن طردن زبائنهن. أمر المالك بالنبيذ والطعام لهن وأحضره إلى طاولتهن بنفسه، وقال بصوت مخلص:

- من أجل ذكرى صديقتكم، من أجل كريسا. أتمنى أن يرتاح ظلها أكثر في العالم الآخر.

شكرنه، وبكت «بيرونيس»، لكن «أمارا» خشيت ألا ترتاح «كريسا»، أينما كانت روحها الآن. لا يمكنهم حتى دفنها، ولا يوجد شيء يمكنهم القيام به لتسهيل وطأة وفاتها.

- إلى كريسا...

قالت فيكتوريا، وهي تعيد النظر في النبيذ تتبعها الأخريات؟

حاولت «أمارا» إعطاء قارورة لـ«بريتانिका»، لكنها أدارت رأسها. لم تصدر البريطانية أي صوت منذ أن علمت أن صديقتها الوحيدة قد ماتت. صمتها يزعج «أمارا» أكثر بكثير من الحزن الشديد الذي توقعته. إنها تشعر بإحساس أكبر بالمسؤولية نحو «بريتانिका» الآن. بعد كل شيء، كان آخر طلب لـ«كريسا» على الإطلاق، أن يُعنوا بها.

قالت فيكتوريا:

- لقد انتهى ألمها. لقد كان خيارها. يجب أن نحترم ذلك.
- ردت أمارا متذكّرة وجه كريسا الذي رآته في ضوء الميناء القاسي، والبؤس الذي كان في عينيها:
- لم يكن خياراً . لم تكن تريد أن تفقد طفلها. ذنب من كان ذلك؟
- قالت ديدو وهي تهز رأسها:
- لا تفعلي. من فضلك لا تتحدثي. حديثك لا يساعد. تابعت أمارا متجاهلة نصيحتها:
- كان من الممكن أن تكون أي منا أي واحدة منا. نحن لا نهتم بأي شخص.
- قالت ديدو:
- فقط توقي .
- آسفة ... ردت أمارا وهي تنظر بحزن إلى بيرونيس، التي تمسح عينيها، وتحاول السيطرة على نفسها، بينما تضع ديدو ذراعاً حولها.
- قالت فكتوريا:
- يجب أن نحدد مكاناً لكريسا. لنستخدم مدخراتها لبعض العروض، وأداء الطقوس. الكل يدفع مقابل ذلك إذا احتجنا إلى ذلك.
- أوماً الآخرون. وأضافت «أمارا»:
- ونحن في حاجة إلى العناية ببريتانكا. كان هذا آخر شيء طلبته كريسا. لقد أرادت منا أن نكون أكثر لطفاً معها.

قوبل هذا الاقتراح بحماس أقل. إن تقديم الاحترام للروح مهمة أسهل من الاهتمام ببريطانية كبيرة الحجم وغاضبة على الدوام.

- أمل أن تكون إيبستيلا وتيليثوزا بخير. بدتا هادئتين للغاية هذا الصباح. يجب أن يكون الأمر غريباً بالنسبة إليهما.

ردت فيكتوريا:

- أشك في أن لديهما أي مشاعر على الإطلاق. كان يجب أن تريهما خارج الحمامات أمس.... وقحات! نظرت إلى أمارا، وقالت بلهجة مستفزة:

لديك ليلة ممتعة اليوم.

من المقرر أن تقدم «أمارا» و«ديدو» عرضاً في منزل «كورنيليوس»، لكنهما لن تذهبا بمفردهما، إذ تم حجز «إيبستيلا» و«تيليثوزا» للرقص.

- لا يمكن أن تكونا بهذا السوء

- حسناً، عليك فقط إخبارنا بكل شيء عن الحفلة غداً. أنا متأكدة من أنه لا واحدة منا يمكنها الانتظار.

أدركت «أمارا» أن الحزن يجعل «فيكتوريا» تنتقد بشدة، لكن النظرة التي تتبادلها مع «بيرونيس» تشير إلى أن المرارة التي تشعر بها المرأتان تتعمق. إنها تتفهم، تراقبهما معاً، وتدرك أنه سيكون هناك العديد من المحادثات الأخرى مثل هذه عندما ينفسون عن غيرتهما في غيابها وغياب «ديدو». وربما انضمت «كريسا» أيضاً إليهما حين كانت على قيد الحياة.

تراجعت «أمارا» عن نبيلها، ساعية إلى محو الفكرة.

لم يسبق لـ«أمارا» أن شاهدت «إغناتيوس» يصنع مشهداً مثل المشهد الذي أداه في استقبال «إيستيل» و«تيليثوزا». اقتحم غرفة الانتظار الباردة، غير قادر على احتواء حماسه في لقاء الفتيات الجديرات. يثرثرون باللغة الإسبانية معاً، تمكنت «أمارا» أن ترى كم هي فرحة كبيرة بالنسبة إليه عندما يتحدث لغته الأم. إنها تعرف هذا الشعور، وتتذكر كيف كانت المرة الأولى التي تحدثت فيها مع «ميناندر»، والإحساس بالاعتراف والفهم الفوريين.

تتدرب هي و«ديدو» بهدوء في الزاوية. سيقدمون المزيد من شعر «أوفيد» الليلة، لقد وضعوا بعضاً من نصوص «فن الحب» على الموسيقى. أبيات عن الرقص لتتسجم مع أداء الإسبانيتين. لم يمنحهما «إغناتيوس» سوى القليل من الاهتمام، بينما تتذكر المرة الأولى التي أتت فيها إلى هنا، وكيف كانت الجلبة التي أحدثها لسماعها هي و«ديدو»، وكان من المتوقع إلى حد كبير أن تدافع الممثلات السابقات عن أنفسهن. لا يوجد شيء مثل إغراء الجديد.

في النهاية، يتذكرهما «إغناتيوس»، ويتوجه نحوهما بطريقة شبه اعتذارية، لتزيين شعرهما بالأكاليل.

- إنه مثالي تماماً! قال ذلك وهو يدس بعض الأوراق

خلف أذن ديدو: سيدك اشترى بالضبط نوع الفتيات الذي طلبته .

- شعرت أمارا بالذهول، وسألته:

- ما الذي طلبته؟

- الجواري اللواتي يتدربن في قادس. أوه! أتذكر رؤيتهن في شبابي. لا يوجد رقص آخر مثله في العالم. يستغرق تعلم المهارة سنوات، وطبعاً، تدربن على فنون أخرى أيضاً.

تبادلت «أمارا» و«ديدو» النظرات المرعبة. من سيهتم بزوج من العسافير عندما يكون هناك طائراً فينيق في الغرفة؟ التقط «إغناطيوس» ذعرهما، وربما يدرك افتقاره إلى اللباقة، فتدارك من دون أن يظهر أثراً من الصدق:

- لكن لا شيء يضاهاي أداءكما الساحر! الحوريات الصغيرات اللطيفات البريئات!

قفز، وتبادل ما بدا أنه نكتة قذرة مع الفتيات الإسبانيات وهو يغادر، بينما ثلاثتهم يقهقون.

- تباً

- لم نحصل حتى على أي نغمات جديدة الليلة. همست ديدو.

إنها حقيقة، فقد أعطاهم «سالفوس» كل الأغاني التي يعرفها، أو ربما كل الأغاني التي يريد مشاركتها، والآن، عليهما إضفاء الإثارة على روتينهم بكلمات جديدة، ولكن بموسيقى مألوفة.

- سيكون كل شيء على ما يرام، نحن فقط نختلف عن بعضنا بعضاً. لا بأس بذلك. هل تعلمين أن فيليكس كان يتحدث مباشرة إلى إغناطيوس؟ هزت «أمارا» رأسها. كل تلك الأيام التي أمضتها معه تعمل على حساباته، ولم يذكر لها الأمر قط، فاكثفت بقولها:
- لا.

في البداية، اعتقدت «أمارا» أن الأمور ستكون على ما يرام، و شعرت بالراحة لوجود «فوسكوس» هناك، وأنه ما زال يطلب منها الاستلقاء على أريكته لجزء من الوجبة على الأقل. لقد مرت أسابيع عديدة منذ أن دفع لسيدها مقابل العشاء بأكمله. يتحدثان حول أبنائه وعمله وحتى زوجته، وهو يداعبها بطريقة كسولة ومألوفة، لكن أليس هذا ما ينبغي أن يكون الأمر عليه؟ إن إلحاح البدايات يفتر بعد مضي فترة من التعارف.

شعرت «أمارا» بعدم الارتياح؛ لأن عدد الضيوف أقل من المعتاد، ولا توجد زوجات، ولا حتى مضيفتهم «كالبورنيا». ومع ذلك، يبدو أن الكثير من فقرات حفل العشاء يمكن التنبؤ به بشكل مطمئن. أدت هي و«ديدو»، وبدا أن الجميع استمتعوا بالغناء، كان «إغناطيوس» لطيفاً، لكن «إيبستيلا» و«تيليثوزا» لم يُتركَا حتى نهاية الوجبة مثل مؤديات التمثيل الصامت. بدلاً من ذلك، جلبهما

«إغناطيوس» وكأنهما ذروة الاحتفال، تمامًا في اللحظة التي كانت فيها الروح المعنوية لدى الجميع قد اكتسبت درجة مبهجة بشكل خاص.

استلقت «أمارا» على أريكة مع رجل لا تعرفه عند دخولهما. لم يتحدث إليها مباشرة، لكنها تعتقد أنه ربما يُدعى «تريبيوس». يدير مدبغة ويتغاضى عن الجلود لرفيقه البليد بالمقدار نفسه، عندما بدأ «كورنيليوس» في الحديث بصوت عالٍ فوق همهمة ضيوفه، إذ صرخ قائلاً:

- أصدقائي، أعتقد أنكم قد تستمتعون بالفقرة التالية. إنه طبق إسباني مع بهارات إضافية.

علت الضحكات، وأدركت «أمارا» أن الجميع كان ينتظر ذلك. كانت هي و«ديدو» هنا فقط لإثارة شهية الضيوف. وكانت الأمسية بأكملها مبنية على أداء السيدتين الجديدتين.

دارت «إيبستيلا» و«تيليثوزا» في طريقيهما عبر ينبوع الحوريات، وراحتا تطرقان صنجاتهما الحمراء. حتى «تريبيوس» الممل توقف عن الكلام، وفجأة أصبح مهتمًا ومتبهاً. الراقصتان عاريتان، على الرغم من أن «أمارا» تدرك أنهما استفادتتا من معجون الذهب الذي تركته هي و«ديدو» دون حكمة أو رقابة في غرفة الانتظار.

بدأت المرأتان في الاستعراض بشكل جدي. «أمارا» تحدى، لم ترَ رقصًا مثل هذا من قبل، إنه يجعل أداء «فيكتوريا» في فيناليا يبدو رزينًا. لم تعد متأكدة حتى

من كيفية تعاملهما مع كل هذا الاهتزاز والارتجاج، حيث تنزلان بحسديهما نحو الأرض، ولكنهما لا تلمسانها تمامًا، تفعلان ذلك من دون أن تسقطا حتى، إلا أن الغناء كان الأسوأ على الإطلاق؛ فهو مزيج من النحيب والأنين الصامت، وهو أقل تقليد خفي للحب سمعته «أمارا» على الإطلاق.

أمسك «تريببوس» بساقها، فجفلت. استدارت لتتظر إليه، لكنه لا ينظر إليها، ولا يبدو أنه واع لها. يده تمسك بلحم فخذا فقط لأنه يريد أن يلمس جسد أنثى وهو يشاهد الرقص. إنها تقاوم غريزة ساحقة لتمزيق أصابعه من جلدها، وتفضل ثنيها للخلف حتى تتكسر العظام، وبدلاً من ذلك تلقي نظرة يائسة على «فوسكوس»، المفتون أيضاً بالرقص. تبقي عينيها مركبتين عليه، وترغب في أن يلاحظها، وترسل نداءً صامتاً، حتى ألقى عليها نظرة خاطفة في النهاية. ركزت نظراتها عليه، مصممة على أن يفهم. يشير إلى «إغناتيوس»، موجهاً إياه إلى الأريكة حيث كانت محاصرة مع «تريببوس».

نادراً ما شعرت «أمارا» بالامتنان الكبير لرؤية «إغناتيوس» وهو يقف إلى جانبها.

ويتمتع بالقرب من تريبيوس:

- أرجوك سامحني إنه إهمال فظيع مني. هذه الفتاة محجوزة في مكان آخر...

نظر «تريببوس» إلى «أمارا»، متفاجئاً تقريباً برؤية يده تلمسها، ثم قال بنفاد صبر:

- خذها، وكاد يدفعها عن الأريكة، وهو يقول:
أنت تحجب عني الرؤية.

اتكأت «أمارا» إلى جوار «فوسكوس» الذي يحمل وجهه
تعبيراً متعجباً:

- هل أثارك الرقص حتى أصبحت تريدني أيتها
العصفورة الصغيرة؟

- لا يمكن أن أكون مع أي شخص آخر!
جعلت الرجل الأحمق يتخيل أنها كانت تشتاق إلى
جسده بدلاً من حمايته. على الأقل هي تعرفه، حتى لو
لم يكن لديه عاطفة حقيقية نحوها، فلن يؤذيها، ولن
يستخدم جسدها من دون التفكير في وجود امرأة حية
مرتبطة به.

نظرت نحو «ديدو»، وهي تخجل من أنها لم تتذكر
سوى صديقتها. رصدتها بالقرب من النافورة مع رجل لا
تعرفه. على الأقل يبدو أنه تركها وحيدة إلى حد كبير،
عالقاً في رقص النساء بحيث لا يلاحظ وجود واحدة إلى
جواره.

من غير المستغرب أن يكون العشاء أقصر من المعتاد.
يبدو أنه أقل من مجرد نزهة إلى مبغى «كورنيليوس»، بل
هو تدافع. تنتظر النساء العاملات الأخريات فعلاً، ولا
شك أنه تم حجزهن من قبل «إغناتيوس» للتأكد من عدم
التقصير مع أي من الضيوف. شعرت «أمارا» بخيبة أمل
لأن «فوسكوس» لا يأخذها إلى غرفة خاصة، افترضت
أنه قد استثنى هذه الليلة من تفضيله المعتاد ألا تتم

مشاهدته، واثقاً من أن الرجال الآخرين، مثله، سيكونون أكثر اهتماماً بمشاهدة الراقصتين أكثر من بعضهم بعضاً. انتقلت «إيستيليا» و«تيليثوزا» بين الحجرات الفخمة، وقدمتا أداءً للرجال أثناء ممارسة الحب، ولكن من دون أن تشاركاً فيه، أو تضطرا إلى تحمله. فكرت «أمارا» بمرارة: إنها ليست خائفة من «فوسكوس»، ولكن عندما يناورها في وضع حرج مؤلم، للحصول فقط على رؤية أفضل لـ «تيليثوزا»، تدرك أن المسافة بينه وبين «تريببوس» ليست كبيرة كما تخيلت. جسدها - المألوف جداً - لم يعد مثيراً بمفرده، هو وسيلة لزيادة سعادته بالراقصات. وهي محاصرة به، ووزنه مثل أمواج البحر يدفعها إلى الأسفل. فكرت في «كريسا التائهة تحت الماء، وتحول وجهها إلى الجانب، ممسكة بالقماش الباهظ الثمن على السرير. على حافة بصرها، تمكنت من رؤية وميض ساقى «تيليثوزا» وهي ترقص. وتعتقد أن «فيليكس» هو من وضع هذه المرأة هنا. كل الذهب الذي كسبته لصالحه، صرفه على تقليل قيمتها. في النهاية هو يدمر كل شيء.

-36-

الشموس حين تغرق تنهض من جديد؛ أما نحن، حين يذوي
شعاعنا القصير
علينا أن ننام نومة أبدية في الليل الطويل.
كاتولوس، القصيدة

استطاعت «أمارا» سماع «ثراسو» قبل أن تراه. حين
كان «جالوس» يقودهنّ إلى المنزل في الظلام، على الرغم
من أنّ هذا الشارع لم يكن مظلمًا قطّ مثل باقي الشوارع.
كان حشد صغير يتجمع حول سلم، يقفون مستتدين إلى
الحائط بالقرب من الزاوية عند الباب الأمامي الخاص
بهم، حيث تحاول امرأة صاحبة هزه، ويحاول المارة
السكرارى إيقافها، وفي الجزء العلوي يصرخ بها «ثراسو»
وهو يتشبث بالسلم بيد واحدة، ويلوح بمطرقة باليد
الأخرى.

- ما هذا بحق الجحيم؟
قال جالوس وهو يرفع مصباحه لإلقاء الضوء على
المشهد.

أخذت «أمارا» يد «ديدو»، واقتربتتا من بعضهما بعضاً، ولكن يبدو أن «إيبستيلا» و«تيليثوزا» متحمستان لاحتفال حدوث شجار ما، حيث تقفزان إلى الأعلى والأسفل للحصول على رؤية أفضل. ومازالتا منتشيتين بنجاحهما في منزل «كورنيليوس». حتى أن «إغناطيوس» منحهما بقشيشاً نظير أدائهما، وهو شيء لم تره «أمارا» يفعله من قبل.

- ما هذا؟

صرخ جالوس، مقتحمًا الحشد، ممسكًا بكتف المرأة الصاخبة:

- هل تحاولين قتله، أيتها اللعينة؟

استدارت المرأة وهي لا تزال تصرخ، وهنا تعرفت عليها «أمارا». إنها «ماريا»، أقل النساء قيمة لدى «سيمو». توقفت عن الصراخ عندما رأت «أمارا» و«ديدو»، ثم رفعت وجهها وبصقت عند أقدامهما.

- من أجل دراوكا... قالت وعيناها مشتعلتان من الكراهية. ثم عادت إلى جالوس، وهي تقذف ذراعها بغضب: اجعله يتوقف! انظر إليه! إنه يدمر ممتلكات سيدي!

تأرجح «ثراسو» بمطرقته على قضيب حجري نبت عالياً على الحائط. لم تلاحظ «أمارا» وجوده من قبل، ولكن هناك الكثير في بومبي. استفادت «ماريا» من كل شخص يحدق لأعلى لتهز السلم بقوة، و«ثراسو» يتمسك به، ويقسم عليها، ثم أخيراً صرخت به:

- ليس لديك حق! توقف عن ذلك!

- أيتها ... صاح ثراسو، وهو يلوح بالمطرقة، انتبهي كيلا أسقط هذه على رأسك اللعين!

تقدمت «إيبستيلا» إلى الأمام، وشدت توجا «ماريا» لإبعادها عن الخطر، صارخة في وجهها بالإسبانية. راحت المرأتان تتصارعان مع بعضهما بعضاً، والجمهور يهتف مسروراً بالترفيه

غير المتوقع في الليل. قال جالوس لأمارا وديدو:
- أحضرا فيليكس فوراً.

أسرعتا عائدتين إلى المبنى. إنه ليس بعيداً، ولكن السكارى الخارجين من حانة «الفيل» يصدرون صخباً إلى درجة أن ضوضاء الشجار الدائر على بعد بضعة منازل فقط يضيع في الفوضى. وقف «باريس» على الباب مذهولاً لرؤيتهما تتجاوزان الشارع بمفردهما.

قالت أمارا:

- عليك إحضار فيليكس. هناك مشكلة مع إحدى بغايا سيمو. سوف يعرف ما أعنيه.

أسرع «باريس» إلى الشقة، وقرع الباب وهو يصرخ، وفتح الباب. بعد لحظات قليلة، خرج «فيليكس» مسلحاً بقضيب معدني. فتسلل «باريس» إلى الخلف، ومن الواضح أنه تمت إعادته لحراسة المبنى بدلاً من الانضمام إلى الحدث.

سألها فيليكس، متفاجئاً برؤيتهما بمفردهما:

- أين الراقصتان؟

- بقيتا مع جالوس
- كان من الأفضل إعادتهما معكما .
- وصلوا إلى السلم، وتفرق الحشد، احتراماً للأسلحة أكثر من الرجل الذي يحملها . ما زالت «ماريا» و«إيبستيلا» تتخبطان، حاول «جالوس» التفريق بينهما، لكن حينما وصل «فيليكس»، تفرق الجميع . وأبعد «جالوس» «إيبستيلا» عن الطريق .
- اللعينة ...
- ما هذا؟
- سأل فيليكس، وفي صوته نبرة عادية تكاد تكون مملة، متكئاً على القضيب المعدني كما لو كان عصا .
- اعترضته «ماريا» وهي تهز كتفيها، وتصرخ:
- أخبرني أنت! سفاحك يحطم ممتلكات سيدي!
- سيمو يؤجر هذه الغرفة . إنها له . ليس لديكم حق في فعل هذا .
- هذه الغرفة؟
- قال فيليكس، وهو يؤرجح القضيب نحو الحجرة الصغيرة المظلمة التي تفتح مباشرة على الشارع .
- ويتجدد أنفه وكأنه يشم رائحته الكريهة: سيمو يؤجر هذه الغرفة؟
- وقفت «ماريا» تحمي المدخل . و«أمارا» لا يسعها إلا الإعجاب بشجاعته .
- أنت تعلم أنه يفعل . لهذا السبب كان هذا اللقيط

يحاول تحطيم العلامة.

ابتسم «فيليكس» لـ«ثراسو»، الذي نزل للتو من السلم. ويقول:

- أعتقد أنه يمكننا أن نترك للسيدة علامتها، ما الذي يأمله سيدك؟ بعض الحثالة سوف يتوجهون للانحدار إليكم؟ استدار فيليكس إلى السكارى الذين يراقبون: أي النساء تفضلون؟ تلك السمينة هناك، وأشار إلى ماريا، أم فتياتي هنا.

ضحك بعض الحشد، وضحكت «إبيستيلا»، لكن «تيليثوزا» بدت أقل إعجاباً، وفكرت أمارا» أنها لا تحب قضاء ليلة مع أي من السكارى المعروضين. على الأقل هناك ما يمكنهما الاتفاق عليه.

قالت «ماريا» وهي تبرز ذقنها:

- يمكنك أن تتكلم بكل ما تحب. أنت لا تبهرني. هل تعتقد أنه لم يتم وصفي من قبل بالسمينة؟ حسناً، مؤخرتي الكبيرة السمينة ستبقى هنا.

هذه المرة «ماريا» هي التي تثير الضحك. أوماً «فيليكس» برأسه، وعرفت «أمارا» من خلال تعبيره المبتسم، أنه قاس جداً.

- رغم ذلك، لا يوجد بواب، أليس كذلك؟ قال، وهو ينظر بطريقة مسرحية إليها من أعلى إلى أسفل الطريق بحثاً عن حاميتها غير الموجود: سيمو لا يستطيع أن يفكر كثيراً فيك، إذا كان يبيع نساء مباشرة في الشارع. أي شيء يمكن أن يحدث.

من يترك بضاعته للحظة، يسرقها شخص ما، أو يحطمهما. حدق في ماريا وهو يقول هذا حتى لا تخطئ في معناه.

لأول مرة، يمكن لـ«أمارا» أن ترى «ماريا» خائفة، لكنها اختارت أن تواجهه بشجاعة.

- إذا كنت قبيحة جداً، لا أستحق وقتك لتهديدي، أليس كذلك؟

- أنا متأكد بعد أدائك الليلة، سيكون لديك اختيار من جميع الرجال هنا.

رداً على ذلك، تزاحم اثنان من المارة المخمورين نحو حجرة «ماريا» الصغيرة المظلمة، وشاهد «فيليكس» انزعاجها لأنها تدرك أنها لن يكون لديها أي وسيلة للحد من عملائها أو السيطرة عليهم.

اعتقدت «أمارا» أن عليه حقاً أن يكرهها ليخيفها على حساب جني بعض المال لـ«سيمو». فكرت في «دراوكا»، وشعرت بالخوف مما قد يحدث لـ«ماريا»، وأخيراً، استدار «فيليكس» إلى الرجال المتبقين:

- إذا كنتم تفضلون النبيذ على الماء، فإن المبقى من هذا الطريق.

كان معظمهم هناك فقط من أجل المشهد، انسحبوا، في الحقيقة هم ليسوا على استعداد لدفع ثمن متعتهم، إلا أن الاثنتين المخمورين، بدلا طريقيهما، وسارا مترنحين على طول الرصيف الضيق مع الجماعة.

تبادلت «إبيستيلا» و«تيليثوزا» نظرات قلقة. بالتأكيد،

السيد لا يتوقع منهما ترفيهه السكارى أمثال هؤلاء، وليس بعد أدائهما في المنزل الكبير؟ أمسكت «إيبستيلا» بذراع «فيليكس» وهي تسأله:

- لماذا صعدت إلى الطابق العلوي؟ وأشارت إلى أمارا، معلنة أنها أفضل من في المبنى. نحن نجني لك المزيد من المال، كما فعلنا الليلة.

ضرب «فيليكس» «إيبستيلا» بقوة على مؤخرة رأسها، فصرخت وحدثت فيه بحيرة، ومن الواضح أنها لم تعتد على سيد بلا مفضلات، ولا ولاء. وقال:

- إنها لم تتشاجر في الشارع مثل الكلبة المسعورة أيضاً. لا تسأليني مرة أخرى.

وصلوا إلى المبنى، قال لـ «باريس» عند الباب:

- تأكد من أخذ الملابس منهن أولاً، وأشار إلى النساء اللاتي عدن من الحفلة، أنا لا أريدها أن تتمزق. نقر بأصابعه على «أمارا»، فتبعته، من دون أن تتحمل النظر إلى «ديدو»، التي تركتها وراءها مع الرعاع.

- كلبة صغيرة. هكذا هسهست إيبستيلا وهي تمر، سوف يتعب منك.

لم يقل لها «فيليكس» شيئاً أثناء صعود الدرج، لكن قبل أن تتمكن من التوجه إلى المخزن أوقفها.

- هل كسبت الراقصات أكثر مما كسبته الليلة؟

- نعم.

اتكأ على الحائط ونظر إليها، واستطاعت أن تدرك من الكراهية التي في عينيه أنه لن يغفر لها أبداً رؤيته

تلك الليلة، وأنه سيحتاج دائماً إلى التقليل منها.
 - ستذهبين إلى الصبي الثري اليوم، أليس كذلك؟
 من الأفضل أن تنامي قليلاً. تبدين متعبة، مثل كريسا.
 وجه مشرق. لكن لا أحد يشيخ أسرع من البغي.

ذكرتها منضدة الزينة لدى «دروسيلا» بالصباح
 الفاخر الذي قضته مع سارة في منزل «بليني». وأدركت
 «أمارا» الإحسان الذي تُظهره لها المحظية، مما يسمح
 لها بالدخول إلى مساحتها الحميمة. خادمة «دروسيلا»
 المفضلة «تاليا»، تصنف شعر «أمارا». لديها جلد بني
 غامق مثل سيدتها، وأصابع ذكية وماهرة.

لقد أوضحت «دروسيلا» بالفعل قيمة «تاليا»، ومدى
 تكلفة العثور على امرأة تعرف أفضل تسريحات الشعر.
 استمعت «تاليا» إلى كل شيء في صمت من دون أن تخونها
 مشاعرها وتظهر عليها، أو ما يعنيه الكلام بالنسبة إليها،
 حيث سُحنت على طول الطريق من أكسوم إلى بومبي،
 لجعل الشخص الغريب يبدو جميلاً.

قالت «دروسيلا»:

- كنت طفلة صغيرة عندما أتيت إلى هنا. لا أتذكر
 شيئاً عن عائلتي تقريباً. أصبح سيدي «فيرانيوس» كل
 شيء بالنسبة إلي، ووضعت السوار الذهبي أعلى ذراعها،
 كان هذا هو أكثر ما سمعته أمارا على الإطلاق من
 حديثها عن نفسها. سألتها:

- هل هذه هديته لك؟

رداً على ذلك، أنزلت «دروسيلا» السوار إلى أسفل ذراعها، وسلمته إلى «أمارا»، التي رأت أنه أثقل مما تتوقع، على شكل ثعبان، تتلألاً عيناه بالأحجار الكريمة، وفي داخله نقش: «من السيد إلى جاريته». أعادته «أمارا»، وهي تقول:

- لا بد أنه أحبك كثيراً لأنه صنع لك مثل هذا السوار الجميل.

أعادت «دروسيلا» السوار مرّة أخرى إلى ذراعها وهي تقول:

- كنت خامس امرأة في حياته ترتديه، كنت أعرف بعض اللواتي ارتدينه قبلي. درس مبكر عن الرجال. الرابعة كانت بروسيس»، خادمة زوجته، وهي التي ربّنتي، وعندما صرت امرأة بالغة، كان عليها أن تتنازل عن هذا لي، جنباً إلى جنب مع كل الجميل الذي ترافق معه. لقد كسر قلبها.

لم تعرف «أمارا» ماذا عليها أن تقول، لقد أخبرتها «دروسيلا» للتو أن «فيرانيوس» يعني كل شيء بالنسبة إليها، ومع ذلك يبدو الرجل وحشياً مثل «فيليكس». قالت «دروسيلا»:

- لقد أحببته، واحتقرته. هذا هو الشعور الممكن نحو الرجل الذي يعطي كل شيء ويأخذ كل شيء؟
- لا بد أنه فضلك على غيرك. كما احتفظت به، وحررك.

- يمكنك أن تكوني ساذجة مثل روفوس! لقد نجوت منه، هذا كل شيء. لا شيء أكثر من الحظ. لو أنه مات عندما كانت بروسيس ترتدي هذا، فلا شك في أنها ستكون حرة، وسأقوم أنا بتصفيف شعر أرملة. تراجعت «تاليا» عن «أمارا» وقدمت لها المرأة لترى عملها. أدارت «أمارا» وجهها، وقد أعجبتها تجعيدات شعرها. قالت وهي تضع المرأة الفضية بعناية على الطاولة:

- إنه رائع، شكراً لك.

أشارت دروسيلاً برأسها لتاليا التي غادرت الغرفة، فقالت أمارا بعد خروجها: أشكرك على السماح لي بالمجيء إلى هنا، لولا هذا لن أستطيع الاستمرار في رؤية روفوس هكذا.

- لن يحبك أبداً أكثر مما يحبك الآن، قالت دروسيلاً، بينما تضع أمارا يدها على رقبتها مستاءة لأنها تعلم أن ذلك صحيح. تابعت دروسيلاً: أنا لا أقول أنه قاس، لكن عليك أن تفكري ملياً فيما تريده منه. لن يكون هناك وقت أفضل للسؤال.

- إنه يقول دائماً إنه سيتزوجني. ولكنه أمر المستحيل! سوف يتم اعتقاله، وفسخ الزواج. المواطنون الرومانيون لا يتزوجون من بغايا. الحياة ليست واحدة من مسرحياته.

- لم أقصد أن تطلبي منه الزواج! ربما عليك استهداف أمر على مستوى أقل قليلاً.

ضحكت «أمارا» تضحك محرجة من الكشف عن آفاق
طموحها، وقالت

وهي تشعر بالخجل قليلاً:

- هل يمكنني أن أسألك شيئاً؟ لماذا لم ينجح الأمر
بينك وبين روفوس؟

- روفوس يريد أن يعطي كل شيء لامرأة. يمكنك القول
تقريباً إنه يريد أن يصنعها، ما يريده هو طائر صغير جريح
يمكنه حمله، ويشعر بجناحيه يرفرفان على أصابعه. صار صوتها
منخفضاً ووداعياً. يمكن لـ«أمارا» أن تتخيل تقريباً وهي تمسك
بالتائر بنفسها، وقلبه الصغير الخائف ينبض تحت ريشه الناعم،
لم أكن هشة بما يكفي بالنسبة إليه. أما أنت فلديك هذه الميزة.
نظرت «أمارا» إلى «دروسيلا»، التي لم تنزل قابضة
على راحتها، لا تجد كلمات تعبر عن الألم الذي تشعر
به، مع العلم أنها تعيشه. فتقول «دروسيلا»:

- لقد كنت في وضعك هذا. لم يكن فيرانيوس
يسمح لي بالرحيل، و فقط موته هو الذي فعل ذلك.
لكن قد يكون روفوس مختلفاً. قد تقنعينه أنه لن يكون
هناك متعة أكبر من فتح أصابعه، ومشاهدة الطائر وهو
يطير، ومعرفة كل نبضة تحت أجنحته، وكل نفس يتنفسه،
فهو مدين له.

فتحت دروسيلا يديها، وكلتاهما تحديق في الهواء
الفارغ. ثم ألقى بذراعيها والحزن في عينيها، وقالت:
على الأقل، عليك المحاولة.

تناولت «أمارا» العشاء الخاص بمفردها مع «روفوس»، وكان في خدمتهما في الغرفة «ليدا» و«سوان». أدركت «أمارا» أن «دروسيللا» تستمتع مع «كوينتوس» في مكان آخر من المنزل. إنها تشعر بالاطمئنان إلى أن «روفوس» يريد لها قبل الأكل، وهذا يعني على الأقل أنها لا تزال بالنسبة إليه أكثر إثارة من الطعام، لكنها لم تعد تشعر بالراحة نفسها عندما يداعبها بعد ذلك. لا تزال تفكر في الطائر، بما قد يشعر به بالنسبة إليه، هو الذي يُمسك بغياً صغيرة هشة ومساوية.

- أتمنى لو كان في مقدوري قضاء كل مساء معك، قالت، وهي تتناول السمك والحبوب المشوية في مطبخ دروسيللا. لو أن لدي وسيلة لقضاء كل لحظة يقظة معك. أنت تعرف ذلك، أليس كذلك يا حبيبي؟

كان قلب «أمارا» ينبض بسرعة كبيرة، وأعصابها مشدودة للغاية، ولا يمكنها لمس وجبتها. لن تتوسل، ليس بعد «بليني»، وعلى أي حال، هي لا تريد مبادلة عبودية بأخرى. فتهدت قائلة:

- لو كان لدي منزل فقط، مثل دروسيللا.. حينها يمكنك زيارتي متى أردت.

قبّلها «روفوس»، لكن يمكنها القول إنه لم يأخذها على محمل الجد. حاولت مرة أخرى، بطريقة جديدة تقول:

- أنت أكثر سخاءً من أي رجل قابلته في حياتي. أبكي أحياناً، عندما أكون وحدي، أفكر في كيفية زواجنا، لأنني أعلم أنك كنت تقصد ذلك بصدق عندما طلبته،

على الرغم من أنني لا أستطيع أن أقبل أن أهين عائلتك بهذه الطريقة أبداً.

قبلها «روفوس» مرة أخرى، بحماسة أكبر هذه المرة، وصرفه عشقها عن الأكل، فقال متذمراً:

- كيف تهينين عائلتي وأنا أحبك!

- إذا أسكنتني في منزل كهذا، قد أستطيع أن أكون الزوجة الثانية لك. جاريتك المحررة.

رأت أمارا وميض إنذار في عيني روفوس، لكنها دحرجت النرد وعليها أن ترفع قيمة رهانها، سأكون موجودة من أجلك فقط، ولن آخذ أي شيء من عائلتك أبداً. ليس الآن أو في المستقبل. لن أحتاج إلى أي شيء سوى السماح لي بحبك.

- هل هذا حقاً ما تريدينه؟

أكثر من أي شيء آخر في العالم. ارتجفت شفتها من الخوف، وليس من الحب، لكن روفوس لا يستطيع التمييز. ربما يكون ذلك ممكناً.

تابع، وهو يبتعد عنها ويبدو مشتتاً، وليس متحمساً للفكرة:

- سيحتاج إلى بعض الترتيبات، ما تطلبينه ليس بالأمر الهين.

- أنا أعرف، لكن حيناً ليس حياً صغيراً، وعلى الرغم من أنني لا أستطيع إهانة نفسي من خلال السماح لك أن تجعلني زوجة، يمكنني أن أحبك كسيدة حرة، من دون أن أجلب العار لأي شخص.

وافق «روفوس» على ذلك قائلاً:

- سيكون الأمر رائعاً...

شعر بالدفء نحو فكرة وجود بئر دائم من الإخلاص، وتابع: وبعد ذلك، حتى عندما أتزوج، إذا لم تكوني زوجتي... توقف، ربما لأنه يدرك أن التكهّن بشأن استحسان زوجته المستقبلية ليس رومانسياً للغاية، على أي حال، مهما كانت، سيكون بإمكانني دائماً قضاء الوقت معك، متى أردنا.

- نعم، سأكون دائماً في انتظارك.

- ربما يمكن أن تعلمك دروسيّلا العزف على القيثارة؟ رد روفوس، ووجهه متفائل، مثل طفل، أنتما الاثنان تحبان بعضكما بعضاً، أليس كذلك؟ وليس لديك فكرة عن مدى سعادتي عند رؤيتك تائهة في موسيقاك. أعتقد أنك ستبدين أجمل وأنت تعزفين على آلة الهارب أكثر مما تفعلين مع القيثارة.

ابتسمت «أمارا»، مرتاحة لأنه استسلم بسهولة لفكرة أن تغني العشيقة في قفصها المذهب. لكن كلماته أحدثت صدى غير مرحب به، ومن دون الرغبة في التذكر، فإن الخيال المنافس لـ«ميناندر» يلعب في عقلها. ترى نفسها كما رآها، تنتظره في منزل والده. الحياة المشتركة التي لن يعيشوها معاً في أتيكا.

مالت، وقبلت «روفوس» بلطف على شفثيه ثم نظرت إليه، ليس مثل «تيماريت»، المرأة التي لن يعرفها أبداً، ولكن مثل «أمارا»، المرأة التي هي عليها الآن.

- أياً كان ما تريد .
- سأفعل ذلك. يجب أن تكون هناك طريقة لتحقيقه، ولن أضطر إلى الدفع لك طوال الوقت، ليس بعد النفقات الأولية ... توقف محرراً، لكنه أردف معذراً: أنا آسف يا حبيبتي، بدا ذلك فظاً بشكل لا يفتقر. ما قصدته هو، إذا كان الأمر منطقياً من الناحية المالية، فقد يرى والدي أنها فكرة جيدة.
- أنت أفضل رجل في العالم.
- ابتسم لها، لكنها استطاعت أن ترى نفس النظرة المشتتة على وجهه. مالت برأسها على كتفه، والدم ينفجر في أذنيها، على أمل أن يقصد ما يقوله، وأنها لم تسرع سقوطها، والخروج من حياته.

كانون الأول / ديسمبر

-37-

الآن يا حبيبتي الصغيرة، أوكلي سعادتك إلى الريح
 صدقيني، طبيعة الرجال متقلبة.
 كتابة على جدران بومبي

الجو بارد في ردهة «بالينا» الصغيرة، وقد غطت
 طبقة من الجليد مياه الأمطار في البركة المركزية. كانت
 «أمارا» وامرأتان يجتمعن معاً في عباءات صوفية، في
 محاولة للتوصل إلى اتفاق. لقد كلفها ذلك ثمناً باهظاً،
 حيث دفعت بعضاً من فوائد «تيرينتيا» إلى «فيليكس»،
 ولكن الآن قد يكون الأمر يستحق ذلك في النهاية، فقد
 قدمتها بائعة الفاكهة لعميل آخر.

تقول «تيرينتيا»:

- سأبقي العقد آمناً لكليكما. إنه عقد عادل، بل
 أكثر من عادل.

كانت ديون «بالينا» قد تراكمت عليها بسبب القمار،
 ولا تريد أن يعرف زوجها. حالة مثالية، على مستوى
 اهتمام «أمارا»، بشرط أن تقدم «بالينا» ضماناً كافياً،

فقالت وهي تخفف أمرها بابتسامة:

- دعيني أرى القلادة.

انزلت السلسلة من بين أصابعها، خفيفة ونضرة. لم تكن تملك الخبرة اللازمة لمعرفة ما إذا كانت تستحق مبلغ القرض نفسه، لكنها تعتقد أن قطعة النقش على الأقل ستجلب شيئاً ما. قامت «أمارا» بربط السلسلة حول رقبتها، وتثبيتها تحت عباءة من الصوف، ثم سلمت «البينا» حقيبة يد، وهي تقول:

- قد ترغبين في التحقق من أنه المبلغ المتفق عليه.

حسبت «البينا» العملات المعدنية مرتين، بينما تشهد «تيرينتيا» و«أمارا» على الرقم، ثم أمسكت «تيرينتيا» لفافة الاتفاق ليوقعها كلاهما. تنهدت «تيرينتيا»، وقالت:

- معدل فائدة أفضل بكثير مما حصلت عليه.

- أنا أعلم، لكن هذا أكثر خطورة بالنسبة إليّ.

ما فعلته للتو أسوأ من المجازفة، وهي تعرف ذلك. إذا اكتشف «فيليكس» الخيانة، فإن العواقب لا يمكن تصورها. أخبرت نفسها أن الوساطة في هذا القرض هي شبكة أمان، ووسيلة لكسب نقود إضافية إذا خيب «روفوس» أملها، لكنها تعرف أن هذا جزئياً فقط سبب خوضها لمثل هذه المخاطرة الرهيبة. فالسبب الحقيقي هو المتعة التي تحصل عليها من خداع «فيليكس»، والفرحة الشديدة التي تشعر بها وهي تفعل ذلك.

منذ وفاة «كريسا»، كان العداء بينهما لا هوادة فيه،

معركة ذكاء كانت مصممة على الفوز فيها. هي تعتقد أنها أفضل منه في هذا الأمر.

تحولت «أمارا» إلى «تيرينتيا»، وقالت:

- كلانا نثق بك ونأتمنك على العقد. لذا من فضلك احتفظي به في أمان.

- لقد حصلت على تلك الثقة بخمسة دراهم، على الرغم من أنه لا داعي لإخبار «بالينا» بذلك. إذا كانت الزوجة المقامرة حكيمة، فإنها تكون قد أعطت بائعة الفاكهة رشوتها.

قالت لبالينا، التي وضعت محفظتها بالفعل بعيداً عن الأنظار:

- عندما يتم دفع الفائزة، سأعيد القلادة.

- فردت بالينا بنزق:

- عندما يتم دفع الفائزة سأدفعها في أي وقت من الأوقات، لم يحالفني الحظ وحسب، هذا كل شيء.

لا أحد يريد أن يطيل البقاء، لذلك بعد وداع قصير، خطت «أمارا» و«تيرينتيا» إلى الشارع. وقالت الأخيرة:

- أحسنت صنع العقد. سيكون عليها أن تكون محظوظة للغاية في لعبة النرد لتسديد ذلك دفعة واحدة.

قالت أمارا:

- شكراً لك على الترتيب.

فردت تيرينتيا، وهي تسرع في مسيرها:

- أتوقع الفائدة نفسها لي في المرة القادمة، سيدك بخيل.

كانت «ديدو» تقف في الشارع، متسكعة خارج المخبز، تتظاهر أنها جزء من طابور الانتظار.

فقالت أمارا، حينما انضمت إليها، متقافزة على قدميها فوق الرصيف البارد:

- شكراً على الانتظار، أعتقد أننا يجب أن نحصل على شيء لناأكله.

- لا أعرف كيف تفعلين ذلك. كيف يمكن لأعصابك أن تتحمل ذلك.

صحيح أن «ديدو» تبدو قلقة أكثر من «أمارا»، على الرغم من أن المخاطرة التي تتعرض لها هي كبيرة للغاية، لكنها تجاوزت الخوف، وعضاً عنه ارتفعت نشوتها بوقوع الخيانة. إن خداع «فيليكس» أكثر إرضاءً مما توقعت.

- يجب أن يكون الأمر على ما يرام. روفوس سيحافظ على الضمان لي.

هو نفسه الذي زودها بمحفظة مليئة بالنقود، وهو اختبار آخر لحيته. أخبرته أن الأمر يتعلق بصديقة تعثرت في سداد دين عليها، ولم يستجوبها. ليس لديه حاجة لمعرفة هذا الجانب من حياتها. عندما يتم تثبيتها في عش الحب الخاص بهما، فإنها لا تريد الاعتماد عليه في كل شيء، من الأفضل أن يكون لديها بعض الوسائل لدعم نفسها.

نظرت «ديدو» إليها باستغراب، فسألته «أمارا» وهي

تضع يدها على رقبتها خشية أن تظهر السلسلة:

- ما الأمر؟ ما الخطأ؟

هزت «ديدو» رأسها محرجة:

- لا شيء... إنه فقط... توقفت مؤقتاً، ومن الواضح أنها لا تريد أن تقول.

- ماذا؟ وصلتا إلى مقدمة الخط، وسيحل دورهما على المنضدة قريباً. أمارا لا تتحلى بالصبر لمعرفة ما يدور في رأس صاحبتها.

- أعرف مدى شعورك بالأشياء، لأنني أعرفك. لكنك تبدين باردة بعض الأحيان. تبدين وكأنك...

- كأني ماذا؟

- بدأت تبدين وكأنك فيليكس... انفجرت ديدو، أنا أسفة؛ ولكنك فعلاً كذلك.

جاء وقع الكلمات لاذعاً، لكنها لم ترد إظهار ما شعرت به، فما كان منها إلا أن

هزّت رأسها كما لو أنها لا تهتم، وقالت:

- أفترض أن العبيد أصبحوا مثل أسيادهم، على الأقل هو جيد في العمل.

- لم أقصد إزعاجك، لا يمكنك أبداً أن تكوني قاسية مثله - ليس هذا ما قصدته.

صمتتا حينما وصلتا إلى المنضدة. طلبت «ديدو» الخبز، واشترت القليل من أجل «فابيا» و«بريتانिका»، اللتين لا تستطيعان شراء الخبز الخاص بهما. لم تقل «أمارا»

شيئاً ، ولا تزال منزعجة من المقارنة مع «فيليكس». فكرت مرة أخرى في تعاملاتها مع «بالينا»، كيف كان شعورها مختلفاً عن ذلك القرض الأول مع «مارسيلا»، وكم كانت أقل اهتماماً هذه المرة. وقالت لنفسها: «ليس لدي خيار. هي حرة وأنا لست كذلك».

بدأ الثلج المختلط بالمطر يتساقط وهما عائدتان إلى رحلة صيد الزبائن في الشارع. رفعتا عباءتيهما، لحماية نفسيهما من الرطوبة والبرد، وسارعتا على طول الرصيف الزلق. أخذت «أمارا» ذراع «ديدو» لتظهر أنها غفرت لها، وهي تقول متذمرة:

- لا أعرف كيف يُراد منا أن نلتقط أي شخص في هذا الجو.

- ألن تري روفوس الليلة؟

- لا يهم. يقول «فيليكس» إنه يجب أن أبدأ في ربح شيء ما في هذه الأيام أيضاً، أو سيحمل «روفوس» ضعف التكلفة. لا يمكنني المخاطرة بتكلفته المزيد من المال.

بدأت تشعر بالتعب، وبهجة القرض تتلاشى فعلاً. لقد وعد «روفوس» أنه سيشتريها، ولكن يبدو أن هناك دائماً بعض الأعدار للتأخير. الآن يقول إنه سيفعل في «ساتورناليا»، وأن ذلك سيخفف الصدمة على والديه، إذا فقد المال بطيشه خلال الاحتفالات. هي تأمل أن يقصدها، فكل يوم تقضيه في خدمة «فيليكس» يشبه حجراً آخر يضاف إلى الكومة المتزايدة التي تثقل قلبها. فمهما كانت ذكية، ومهما كانت تتفوق عليه في كثير من

الأحيان، فإنه لا يزال يمتلك السلطة كلها.

- قد تكون الحمامات أفضل فرصة لنا. على الأقل لن يضطر العملاء إلى السير لمسافات طويلة. بدت «ديدو» متعبة أيضاً. و«أمارا» تشعر بالذنب يخزها فمهما كانت مخاوفها، فإن مخاوف «ديدو» بالتأكيد أسوأ.

كان «إغناتيوس» يحجزهما بشكل أقل تكراراً، ولم يكن «أوريليوس» و«فوسكوس» سوى عملاء عرضيين، وقد أثبت صديق «دروسيللا» وعشيقتها السابق «لوسيوس» أنه مخيب للآمال إلى حد كبير، على الرغم من أنه لا يزال يدفع مقابل صحبة «ديدو» في منزل «دروسيللا»، ولكن لا شيء يضاهي «روفوس» في كثير من الأحيان. ولم يقل أي شيء آخر عن العثور على عائلتها. قالت أمارا وهي تتأبط ذراعها:

- إذا لم يخذلني روفوس، أعدك أنني لن أتركك هناك. سأخرجك أيضاً.

- إذا سمح لك فيليكس.

بدت الكآبة على وجه ديدو، إذ إن كليهما يعرف أن شراء حريتها من المحتمل أن يكون هدية أمارا، ما لم يطرها روفوس بالذهب.

الساحة خارج الحمامات أقل ازدحاماً من المعتاد، ولا أحد يهتم بالبقاء في الصقيع. توقفنا بالقرب من مدخل الرجال، تحتميان تحت شرفة متجر النبيذ. وعندما يخرج الرجال، الذين ما زالوا محمري الوجوه من حرارة غرفة البخار، يتمنون لهم يوماً سعيداً، محاولين التواصل بالعين.

لقد مضى أكثر من عام على «ديدو» في بومبي، ولم يتبق أي أثر تقريباً للفتاة الخجولة من قرطاج، أو على الأقل ليس الآن، عندما تركز على اختيار العملاء. تعتقد «أمارا» أنه إهدار وحشي لمواهبها التمثيلية، إذ تتذكر الطريقة التي ترقص بها «ديدو»، وحلاوة صوتها الغنائي، وقدرتها على العيش، وكل هذه المهارة تستخدم في لعب دور بغي في الشوارع!

يتقدم معظم الرجال دون الرد على تحياتهم، بينما توقف الآخرون لتبادل الإهانات أو محاولة سرقة قبلة. كانت «ديدو» هي أول من حصل على عميل جاد، ترددت قبل أن تقوده إلى المنزل. إنها ليست الطريقة التي يحبون العمل بها، والانقسام هكذا، لكن المبلغ قريب بما يكفي ليخاطروا.

هزّت «أمارا» رأسها في إشارة إلى أنها بخير. إنها لا تنتظر مشاهدة «ديدو» تسرع بصيدها، وهو رجل يكبرها، وبدين. إنها لا تستطيع أن تتراخى في عرض مبيعاتها - هناك بغي منافسة على المدخل الآن. المرأة الأخرى كانت أكثر رداءة، وجنتاها مجوفتان بسبب الجوع. لا شيء يضاهاى التقويض، فكرت «أمارا» بمرارة. سيعرف أي شخص ينظر إلى المخلوق الهزيل أنه من غير المرجح أن يتقاضى الكثير من المال.

من المؤكد أن المرأة الجائعة يتم التقاطها في أي وقت من الأوقات، ولا شك أنها تقود الرجل إلى مكان ليس أكثر صحة من زقاق خلفي. صرخت «أمارا» بصوت أعلى

وأكثر عدوانية في نهجها، مقاطعة محادثات الرجال، دافعة جسدها إلى جوارهم.

توقف شابان، وردا على تحياتها، تمهلاً رغم البرد، وقد بدت خدودهما الوردية متعرقّة، قال أحدهما ضاحكاً:

- هل أنت في حاجة إلى التدفئة؟

تظاهرت أنها مستمتعة، وضحكت قائلة:.

- لست أنا فقط، هناك الكثير من الفتيات الوحيديات.

- أخبرتك أنّ المبغى ليس بعيداً عن زاوية الشارع، قال أحدهما، وتابع: وهناك حانة أيضاً. أتذكر ذلك من زيارتي الأخيرة؟ يمكننا احتساء شراب بعد أن ننتهي.

سارت «أمارا» بسرعة، وهما يسارعان لمواكبتها. «ليس أبعد من ذلك بكثير»، تقول لنفسها، «كل ما عليك هو أن تنتهي من هذا الأمر».

عبرت أمارا المبغى المكون من حجرة واحدة لـ«سيمو» في طريقها، ورأت بابها موارباً.

كانت مشاهدة هذا المكان تمنحها شعوراً بعدم الارتياح، ولكن حتى الآن، يبدو أن «فيليكس» قد قرر تجاهل الإهانة، و«ماريا» لا تزال على قيد الحياة.

لم يجدد «فيليكس» عدد الرجال الذين تحتاج إلى إيجادهم اليوم، لكن، إذا تمكنت من إحضار اثنين من الباب، فهل هذا يكفي بالتأكيد؟

مازال «جالوس» يحرس الباب، وقد بدا مبتلاً وبائساً،

أظهر لـ «أمارا» ثلاثة أصابع، في إشارة إلى أنه هناك ثلاث نساء في الداخل.

- تأكد من أنه يعلم أنني أحضرتهم، قالت أمارا بتذمر وهي تتمر.

كانت «بيرونييس» تنتظر في الممر، وهي تشعر بالملل والبرد في عباءتها، فسار واحد من الرجال نحوها للمطالبة بها، لأن «ديدو» مشغولة. وليس على «أمارا» حتى أن تسأل نفسها من هي المرأة الثالثة، لأنها ستكون حتماً «بريتانيكا».

غرفة «فيكتوريا» خالية، لذا تقود «أمارا» رجلها إلى هناك. منذ أن اشترى «فيليكس» الكثير من النساء، كان عليهم جميعاً أن يكونوا أقل تحديداً بشأن المكان الذي يستمتعون فيه. لا أريد أن أفعل هذا، فكرت «أمارا»، وهي تسحب الستارة.

لقد فقدت الإحساس بالرعب والذعر الرهيب الذي كان يغمرها من قبل. بدلاً من ذلك، أصبحت تشعر بنفور صامت، وأنها دفعت أكثر من اللازم، أكثر من مقدرتها على تحمله جسدياً، فقالت لنفسها: «فكري في المال وحسب». استدارت، وابتسمت للرجل، الذي كان قد خلع نصف ملابسه، وقال:

- مقابل الحائط.

انتظرت «أمارا» أن يأتي «فيلوس» لاصطحابها. جلست وحيدة على كيس الفاصولياء الصلب في المخزن، رأسها

على الحائط، وعيناها مغمضتان. تحاول أن تتخيل نفسها مرة أخرى في حديقة «بليني»، وتستعيد الإحساس بالهدوء، وصوت النافورة. مرت ساعات منذ أن لمسها الرجل الذي أحضرته من الحمام، لكنها ما زالت تشعر به. بعد ذلك، سارت إلى البئر تحت المطر، وعادت مع دلو من الماء الجليدي، جردت نفسها من ثيابها، وحاولت تنظيف كل أثر، فكان الماء شديد البرودة مؤلماً على بشرتها. ربما عندما يخبرها «روفوس» أنه يحبها لاحقاً، قد يبدأ هذا الشعور بالتلاشي.

- آمل ألا تظهرني للفتى الثري مثل هذا الوجه البائس اللعين.

فتحت عينيها لتجد «فيليكس» واقفاً عند المدخل يراقبها. لم تسمعه يقترب، وقاومت الرغبة في وضع يدها على رقبتها، للتحقق من أن سلسلة «البينا» لا تزال مخفية. وتقول:

- لقد أخبرتك أنه عنيف. الوجه البائس يجعله سعيداً.

- مادام يستمر في الدفع فأنا لا أكثرث. انتظرت، وهو يقف هناك وسخرية قبيحة على وجهه، كما لو كان لا يزال بإمكانه التظاهر بأنه أفضل منها. فكرت في نفسها: «كانت والدتك عاهرة وكذلك أنت». الكلمات أقوى من أن تخاطر بنطقها بصوت عالٍ، لكن مجرد معرفة سره يجعلها تشعر بأنها أقوى.

حاولت «أمارا» معرفة المزيد من «فايبا»، وقدمت لها

الطعام، وسألت عما تتذكره المرأة العجوز عن طفولة سيدها، إلا أن «فايبا» فتحت فمها وقرصت لسانها بين أصابعها، وهي تجيب: «أخبرني أنه سيقطعه بنفسه».

- هل أخبرك جالوس أنني جلبت عميلين اليوم؟
أوما فيليكس برأسه:

- سأدع هذا العدد يمر هذه المرة. في المرة القادمة أريد ثلاثة على الأقل.

التزمت الصمت وحرصت على ألا يظهر الغضب عليها، ظنت أنه بعد أن ألقى سخريته سيفادر، لكنه لم يفعل، بل قال:

- الصبي الثري لا يترك أي علامات. عادة ما يفعل المحب العنيف.

- أنت أيضاً لا تترك أثراً.

حدقا في بعضهما بعضاً، وصمتهما يشبه صمت نميرين، يدور أحدهما حول الآخر. إن كراهيتها لهذا الرجل صارت أشد ضراوة مما يمكن أن تكون عليه الرغبة في أي وقت مضى

أعلن صوت عال عن وصول «فيلوس» إلى الشارع في الأسفل. وقف «فيليكس» جانباً للسماح لها بالمرور، لكنها استطاعت أن تشعر بعدائه يلاحقها، حتى عندما تكون بعيدة عن الأنظار وتتوجه إلى أسفل الدرج. فتحت الباب، فظهر «فيلوس»، بابتسامته المبهجة وترحيبه الودود، كأنه الزائر من عالم آخر.

لم يتكلم «فيلوس» قط حتى سارا جنباً إلى جنب في

الشارع، بعيداً عن المبغي. استدار إليها حينما أصبحا على مسافة آمنة، وصار في مقدورها أن ترى الابتسامة في عينيه، على الرغم من أن وجهه مهيب:

- نحن ذاهبان إلى مكان جديد الليلة.

- ليس المسرح؟

- إنها مفاجئة. سأدفع حياتي ثمناً إذا أفسدتها.

شعرت «أمارا» بنبضها يتسارع مع الأمل:

- حقاً...؟

- لقد قلت الكثير فعلاً!

صاح فيلوس، لكن ابتسامته العريضة هي بالتأكيد إجابة، فقط تأكيد من أن تبدي مذهولة، هذا كل ما يمكنني قوله.

ضحكت «أمارا»، إنها تحب «فيلوس» وطريقتها اللطيفة والسهولة في الكلام. كان «روفوس» يعتمد عليه في كل شيء، كما كان «بليني» يعتمد على «سيكوندوس». كانت تعلم أن «فيلوس» أذكى بكثير من سيده، لكنها شديدة التحفظ لتظهر ذلك:

- هل لك أي علاقة بها؟

- ربما.

- صرت أعلم أنها ستكون مفاجأة رائعة.

بدا «فيلوس» سعيداً بالمجاملة، وتعرف «أمارا» جيداً مدى ضالة الشكر الذي يحصل عليه أي عبد مقابل عمله. سارا إلى الجزء الأدنى من المدينة، وشعرت أن حماسها تزداد.

قال فيلوس، وهو يتوقف عند مدخل مظلم:

- ها نحن هنا .

وقفت « أمارا » إلى جواره ، حريصة على رؤية كل شيء، دفعته بعيداً قليلاً، كما لو كانوا أطفالاً يتدافعون على لعبة. أعطاهما المصباح ليمسك ببعض المفاتيح الثقيلة، وأخذ وقته مع القفل عن عمد، فضربته على ذراعه بشكل هزلي. أدار «فيلوس» المفتاح، وفتح الباب الخشبي، ودخلا .

كانت الردهة الصغيرة باردة، مع وجود عدد قليل من مصابيح الزيت على الأرض، وضوؤها الخافت أقل شعاعاً من ضوء القمر المتسرب من الفتحة في السقف. استدارت لتسأل «فيلوس» أين هم، لكنه ذاب بالفعل في الظل.

- مرحباً بك في المنزل، يا عزيزتي.

وقف «روفوس» في الممر المؤدي إلى الحديقة، وشخصيته تقطع ظلاً أعمق من الأسود في الظلام. اندفعت «أمارا» نحوه، وهي بالكاد تستطيع إخراج الكلمات بين شهقات البكاء، كل حباها وارتياحها وخوفها يختلطون معاً، والخيوط متشابكة للغاية بحيث لا يمكن فكها .

- أنتِ ترتجفين!

صاح «روفوس» وهو يضمُّها بين ذراعيه، مستمتعاً بمسرحية رفعها عن الأرض؛ لكنها كانت أثقل قليلاً مما كان يتوقعه، فتعثر في الخطوة الأولى، لكنه بعد ذلك

استعاد اتزانَه، وتقدم نحو إحدى الغرف المظلمة. المكان بارد وبالكاد مؤثث، ليس فيه سوى أريكة ومصباح مشتعل في الزاوية، وهذا أكثر من كافٍ.

لا يوجد ادعاء في سعادة «أمارا»، على الأقل هذا الجانب من أدائها حقيقي. وبعد أن منحته كل السرور الذي يمكن أن يتحمّله جسده، لم يكن لدى «روفوس» فرصة لإخبارها أنه يحبها. لقد سبق أن قالت الكلمات بنفسها، مرارًا وتكرارًا.

القشعريرة حادة جدًا بحيث لا يمكنهما الاستلقاء معًا على السرير لفترة طويلة، لكنه قال:

- أخشى أن المنزل مؤجر فقط في الوقت الحالي، تحدث وهو يسارع لارتداء ملابسه، ولكن ربما يمكننا شراء المكان إذا أحببنا ذلك بدرجة كافية.

اخترقت شظية من الخوف «أمارا»، باردة مثل جفاف العرق على جلدها، إنها ترتجف، وتحدث نفسها أنه من الأكيد أن هذا البيت أكثر من برهان على أنه سيطلق سراحها؟

مال «روفوس» نحوها وقبلها مرة أخرى، واحتضن وجهها بين يديه وهو يقول:

- يمكننا أن نقرر متى ستصبحين لا تنتمين إلى أحد سواي.

-38-

تنتظرنا ليلة مبتدلة،
يجب علينا جميعًا السير في طريق الموت.
هوراس، الأوديسا 1.28

وقفت «أمارا» وحدها في ممر المبنى. لم يستيقظ أي منهم بعد، نظرت إلى المساحة المألوفة، والجدران المغطاة بالسخام، واللوحات أعلى بوابات الحجرات: امرأة في الأعلى عند باب «فيكتوريا»، رجل على مدخل حجرة «بيرونيس». كل تلك النساء على الحوائط، لا يأخذن استراحة من ممارسة الجنس، حتى حين تكون العاهرات الحقيقيات نائمات. فكرت في عدد الليالي التي ستقضيتها في هذا المكان وهي تعانق نفسها، متخيلة البيت الفارغ ينتظرها.

صارت على يقين أن «روفوس» سيمنحها حريتها قريبًا، لا بد من أن يفعل، ولكن حتى إذا لم يفعل، وكان فقط سيشتريها، فإن تكون جارية له أفضل ألف مرة من أن يمتلكها «فيليكس».

عاد وخز الخوف يجتاحها، لكنها فركت ذراعيها بغضب، كما لو أنها تستطيع التخلص من قلقها جسدياً، ومع ضجة من زنزانة «كريسا» القديمة يشتم انتباهها، إنها «بريتانिका».

تحركت ستارة الحجر قليلاً، متأرجحة جراء الحركة خلفها، كانت تجمع القماش في يديها، وقد انبعثت الرائحة النتنة التي أذهلتها، قالت:
- إنها أنا أمارا.

لم تلتفت «بريتانिका» إليها، ليست هي المرة الأولى التي تصاب فيها «أمارا» بالذهول من غرابتها. إنها طويلة جداً بالنسبة إلى المرأة، والآن أصبح شعرها الأحمر قصيراً جداً. لقد كان طويلاً جداً حيث لم يكن لديهم خيار سوى قصه. إنها قبيحة تقريباً نتيجة تجاهلها لنفسها، ومع ذلك لا تزال «أمارا» تشعر بالإعجاب بجسد «بريتانिका»، لقوته التي لا شك فيها. يبدو أن كل الجهود التي يبذلها الباقون في البحث عن الأشياء المرغوبة تبدو ضعيفة بالمقارنة. راقبت «أمارا» ذراعيها الشاحبتين، وهي تهز الهواء. وتساءلت متى غادرت «بريتانिका» حجرتها آخر مرة، متى رأت ضوء النهار آخر مرة. وتفكر في الوعد الذي قطعته لـ«كريسا»، فتقول:

- يجب أن تخرجي لبعض الوقت. تعالي إلى البئر معي.

في البداية، لم تبدِ المرأة الأخرى أي إشارة على أنها سمعتها، لكن «أمارا» تنتظر. لقد تعلمت أن «بريتانिका»

تستجيب دائماً في النهاية. ظلّت تشاهد اللكمات الموجهة التي لا تطال الحائط، لكنها إذا ما أساءت الحكم، فسوف تكسر يدها بالتأكيد. توقفت «بريتانिका» فجأة من دون سابق إنذار، وهجمت على البطانيات الموجودة على سريرها، بحثاً عن عباءتها لترمي بها على نفسها، قبل أن تلتقط إبريقاً عن الأرض، وتميل رأسها إلى أحد الجانبين، ناظرة إلى «أمارا» بفارغ الصبر، وكأنها تتساءل ماذا تنتظر؟

قامت «أمارا» بإحضار دلو المبغى من مكانه عند الباب الخلفي، وسارتا معاً في الشارع كانت عينا «بريتانिका» تشعان بالعدوانية، وتحقق في أي شخص أحقق بما يكفي للنظر إليها. تتساءل «أمارا» عما إذا كانت ستكون سعيدة حقاً إذا اقترب منها أحد الرجال - بدت «بريتانिका» أكثر حرصاً على المشاجرة من «باريس».

وصلتا إلى البئر، كان هناك رجلان، ربما عبيد من أسر مختلفة، ينتهزان فرصة الثرثرة انتظرت «أمارا» بصبر، على الرغم من أنهما لا يفعالان أكثر من سد الطريق، ولا يظهران أي ميل لملء دلو. في نهاية المطاف، لاحظا وجود المرأتين، وتنحيا جانباً، لم يكن هناك شك في الطريقة التي حدقا بها في جسدها. لن تتفاجأ إذا أبقيانها تنتظر عن قصد.

صمتت «أمارا»، وتقدمت إلى الأمام، وهي تدلي دلوها في البئر، محدثة قعقعة على الحجر. بدأت في تشغيل المضخة، وهي تدرك أن الرجلين يقفان على مسافة قريبة

جداً. وضع أحدهما يده على مؤخرتها ودفعها قائلاً:

- هل أنت في حاجة إلى بعض المساعدة؟

قبل أن يتاح لها الوقت للانتفاف وإخباره بالتراجع، قبضت عليه «بريتانिका». وأسقطت «أمارا» الدلو، وبلت نفسها، أما الرجل فقد صار بعيداً عن الأرض تقريباً، رفعته «بريتانिका» من قفاه مثل كلب، وراحت تلوحه، لكنها ثبتته، وأمسكت بذراعه وراحت تلويها بقوة، وكلما صرخ ابتسمت «بريتانिका» أكثر. كانت إحدى أسنانها الأمامية مفقودة، نتيجة تذكّار من زبون عنيف.

- حسناً، لا داعي للمبالغة في رد الفعل! صرخ الرجل الثاني مبتعداً، انظري، وأشار إلى أمارا. لا أحد يلمسها!

لم تستجب «بريتانिका» وظلت تحديق في الرجل الذي تحتضنه ولا تزال تبتسم ابتسامتها غير الودية، ثم أنزلته وانتظرت لحظة، مثل قطعة تلعب بالفأر، قبل أن تتركه في النهاية. نظر الرجلان إليها، ثم نظر كل منهما إلى الآخر. من الواضح أن أيّاً منهما لا يملك الجرأة للقتال مع هذا الكائن الغريب المثير للأعصاب. وسارعا في النزول إلى الشارع.

راقبتهما «بريتانिका» وهما يذهبان. وقالت:

- رعا. خرج صوتها خشناً وحاداً من كثرة الصراخ.

- سألتها أمارا باستغراب:

- ماذا... ماذا قلت؟

- رعا..ع، كررت بريتانىكا الكلمة اللاتينية ببطء، كما لو كانت تتذوق حوافها الصلبة. وابتسمت مرة أخرى، ابتسامتها الشرسة .

- هل تتكلمين اللاتينية؟ تستطيعين أن تتحدثي! مالت «بريتانىكا» برأسها في أقصر إقرار يمكن أن يراه أحد. إنه أقرب ما توصلت إليه هي وأمارا على الإطلاق من التواصل الحقيقي.

- كنت أعلم أنه يمكنك أن تفهمي! كنت أعلم! لم تبدو «بريتانىكا» سعيدة تمامًا بهذا التواصل، مشت قدمًا نحو البئر، وبدأت تملأ الدلو تتبعها «أمارا»، غير قادرة على كبح جماح شغفها:

- من فضلك تحدثي معي. يمكنك الوثوق بي. لو سمحت.

لم تجب «بريتانىكا»، بل أشارت بفارغ الصبر إلى الإبريق الذي تركته على الأرض، فأعطتها أمارا إياه وهي تقول:

- لقد وعدت كريسا أن أكون صديقتك. لقد وعدتها.

تشنجت «بريتانىكا» عند سماع اسم «كريسا». وسحبت الدلو من البئر، وألقته بين ذراعي «أمارا» بقوة إلى درجة أنها تأرجحت وكادت أن تسقطه، ثم التقطت بدورها الإبريق، وبدأت رحلة العودة إلى المبنى.

لا تملك «أمارا» سوى أن تترنح وراءها. الدلو مملوء وثقيل جدًا بحيث تفقد أي أمل في اللحاق بالمرأة الأخرى. وفي الوقت التي وصلت فيه، كانت «بريتانىكا» قد اختفت في حجرتها.

- حينما دخلت أمارا، كانت فكتوريا تتكئ على الجدار الصغير: فقالت لها:
- لقد تحدثت «بريتانكا» إليّ قبل قليل! تحدثت باللاتينية!
- ردت فكتوريا بدهشة:
- حقاً؟! ماذا قالت؟
- رعاع!
- رعاع؟ لا شيء آخر؟
- لا، هذا كل شيء.
- هذا ليس حديثاً إذن. إنها تكرر الأصوات التي سمعتها فقط.
- إنها تفهم على الرغم من ذلك. لقد استاءت عندما ذكرت كريسا.
- اسم المرأة المتوفاة له تأثير ملطف عليهما.
- قالت فيكتوريا، وهي تتحرك من درجات السلم إلى الممر:
- يجب أن نزور قبرها لم يزرها أحد منا منذ عصور.
- هل تريدين الذهاب الآن؟
- نظرت «فيكتوريا» إلى الممر بكل ستائره المغلقة، وتقول:
- أفترض ذلك. لمّ لا؟ يمكننا التوقف عند «السيارو» للحصول على بعض النبيذ لنقدمه لها.
- دخلت إلى حجرتها، وخرجت مرتدية عباءتها، وهي

تحمل إناءً صغيراً من الفخار، كان من بين ممتلكات كريسا، وقالت: هيا بنا.

سارتنا مسافة قصيرة إلى الحانة في الساحة. حاولت «أمارا» تجاهل الجدار بزخرفته، والعبارات المكتوبة عليه، وشعرت بالألم حينما تذكرت كتابة «ميناندر» لها عليها، إنها لا تريد أن ترى آثار رسالته الأخيرة.

كان «نيكاندروس» مشغولاً عند البار، يستعد للعمل اليومي، فحياهم بابتسامة:

- كيف حال ديدو؟

- بخير. ردت أمارا، وهي تشعر بالحرَج.

تهددت فكتوريا، وقالت:

- أنت لا تستسلم أبداً، أليس كذلك؟

- كنت سأفعل لو كان هناك رجل آخر.

لكن لا يوجد. هل هناك أحد؟

- لا ...

- أردنا شراء بعض النبيذ لكريسا. كم سعره؟

ملاً «نيكاندروس» القدر، ثم ألقى نظرة حوله، وتحقق من أن «زوسكاليس» ليس في الجوار، ثم أوماً لهما بمعنى صريح أنه لن يتقاضى الثمن.

قالت أمارا متأثرة بلفتته الطيبة:

- شكراً لك.

- كانت كريسا امرأة طيبة. كلنا نفتقدها.

غادرتا الحانة، وسارتا في الشارع، إلى جوار بعضهما

بعضاً، قالت فكتوريا ، وهي تمسك بالوعاء:
 - أنا لا أفهم ديدو! إنه لطيف. تخيلي الجهد الذي
 سيبدله من أجلها! قد تحصل أخيراً على وقت لائق.
 - إنها لا تريد أن تكسر قلبها بمحبة رجل لا تستطيع
 أن تحصل عليه.

صمتت فيكتوريا ، وأدركت أنهما يفكران في فيليكس.
 امتلأت الشوارع وهما تسييران نحو البوابة المؤدية
 إلى بلدة نولا، كانت أغلب الحركة في الاتجاه المعاكس،
 حيث يصل التجار للبيع في المنتدى أو تسليم الحصاص
 من المنتجات إلى المتاجر. أولئك المحظوظون بما
 يكفي يأتون على متن عربية تحدث الجلبة فوق الحجارة،
 وآخرون يمشون جنباً إلى جنب مع البضائع المكدسة في
 سلال على ظهورهم.

مجموعة من الخنازير الصاخبة تجري في المقدمة،
 تندفع بين العجلات الدوارة لعربة مالکها . شاهدتهم «أمارا»
 وهم يندفعون من الشارع، وذيولهم مرتخية، كما لو كانوا
 متحمسين لذبحهم. دفعتها «فيكتوريا»، مشيرة إلى عربة
 بغل تتدحرج من الاتجاه الآخر. أمسكت بذراع «أمارا»،
 ووقفت على رؤوس أصابعها لإلقاء نظرة أفضل، أعجبتها
 لفائف القماش ذات الألوان الزاهية. وحينما رأهم صاحب
 البغال ضرب بغاله بسوطه، وأخذ يضحك بينما هما
 تتقافزان.

شعرت «أمارا» أنها أقل أماناً على أطراف المدينة.

حيث الكثير من الغرباء الذين ينجرفون إلى بومبي ليختفوا مرة أخرى مثل الدخان. ينتظرون مرور صف من العربات المكدسة بكتل من حجارة البناء، مما لا شك فيه أنه جزء من أعمال البناء التي لا تنتهي في المدينة، مشتتة تحت القوس الحجري العالي، وعبرتا مدينة الأحياء إلى مدينة الموتى.

كان الطريق محاطاً بمقابر ملونة ضخمة، بعضها يكاد يكون في مثل حجم المبغى حيث تعملان. الأغنياء فقط هم من يستطيعون أن يتذكروا هذا بالقرب من البوابة. عند مداخل قبورهم، يحدق الموتى الأقوياء، وتماثيلهم الملونة الزاهية تراقب الأحياء المارين.

لم يكن في مقدور الذئاب شراء نصب تذكاري لـ«كريسا» هنا، حتى أصغرهما سيكون باهظ الثمن بشكل لا يمكن تصوره. وبدلاً من ذلك، تسير «فيكتوريا» و«أمارا» أبعد خارج المدينة، حتى يتسع الطريق وتقل الحشود. مرّتا بمجموعة من المعزين تجمعوا حول جرة من الرخام في أرقى ملابسهم، يحرقون القرابين لإرضاء الموتى. فكرت «أمارا» في والديها، فهي تدين بظلالهما، لكنها لا تستطيع التنازل عنهما، ونظرت بعيداً.

تذكرت «فيكتوريا» مكان التحول إلى طريق ضيق يقطع فجوة بين نصبين. وأصبحت المقابر أصغر كلما ابتعدتا عن الطريق السريع الرئيس. عبرت «أمارا» و«فكتوريا» كرمًا كبيراً، أغصانه عارية فوق الجدران الحجرية. وتساءلت «أمارا» عما إذا كان من الممكن أن يكون هذا

أحد مزارع الكروم التي زارها «بليني» في جولته، لكنها تفترض أن هذا ليس كبيراً بما فيه الكفاية، واستدارت تنظر نحو جبل فيزوف، الذي أراد دراسة نباتاته، وذروته الحادة المحاطة بالغيوم.

في النهاية، وصلنا إلى المكان الذي جاءنا من أجله - مجال الفقراء - وهو يمتد في خليط قبيح من أكوام الصخور وأعناق قوارير مكسورة. آخر ما يخرج من الأرض مثل أفواه مفعجة. هناك رائحة كريهة من مكب النفايات القريب، و«أمارا» تتساءل، لكنها لا تسأل، عما إذا كان هذا هو المكان الذي وجدت فيه «فيكتوريا» عندما كانت طفلة.

همست أمارا وكأن الميت التعيس قد يسمعها:

- كيف سنعرف مكانها مرة أخرى؟

المشيح الآخر الوحيد الذي تستطيع رؤيته هو رجل عجوز يبكي فوق كومة من الأرض المحفورة حديثاً، قالت «فيكتوريا» وهي تشق طريقها بثقة عبر الحقل المسنن:

- أعرف المكان.

توقفت عند قبر صغير، لا يكاد يبدو أكبر من لوح، على الرغم من أنه لا يزال أكبر من أي شيء آخر في محيطه. عند قاعدته كومة من الحجارة، هي كل ما تبقى لذكر «كريسا». لم يكن هناك جدوى من دفن جرة أو قارورة؛ لم يكن لديهم رماد ليضعوه في القاع، ولم يبق بشر لياخذوا هداياهم من النبيذ إليه. أخذت «فيكتوريا» القارورة التي أعطهاها إياها «نيكاندروس» وسكبت أرخص

نبيذ لدى «السابارو» على أحجار «كريسا» وهي تقول:
 - كانت دائماً تحب الشراب.

وقفنا تحديقان في الكومة المتناثرة، وتذكران المرأة الميته. فكرت «أمارا» في أن الحجارة تبدو لطيفة، كما هي «كريسا» وما رافقها من معاناة خلال حياتها، وعلى الرغم من ذلك، فإنه أمر غير مهم لكنه يلامس أقرب الناس إليها، وحاولت ألا تتذكر آخر يوم لـ«كريسا»، ومشهدا وهي تقف على حافة المياه، تراقب الأمواج.
 - كم الثمن؟

قاطعهما صوت رقيق، أقرب إلى صفير، أتى من خلفهما مباشرة، فقفزت المرأتان رعباً، وظهر رجل منحني في وضع جبان، مثل المتسول، لكن شيئاً ما في عينيه أخاف «أمارا»، التي قالت، وهي تشد عباءتها حول جسدها: .:

- ليس لدينا أي نبيذ لنبيئك

- كم ثمن ...؟ ووضع كفيه بين ساقيه.

فدفعته فيكتوريا بعيداً، وقالت:

- تحلّ ببعض الاحترام! ألا ترى أننا في حداد؟

مد الرجل يده إليها وقال بأنين:

- اشعري بالشفقة علي!

شعرت «أمارا» بخوف «فيكتوريا» من خلال الطريقة التي تنتزع بها ذراعها. وأسرعنا فوق حقل الرماد، عائدتين نحو الطريق الضيق. لكن الرجل اندفع سريعاً إلى الأمام.

- لماذا لا نكون معاً؟

سارتا بشكل أسرع، تدوسان على شفاة القوارير المكسورة. و المتسول يستمر في الاقتراب منهما، ويصبح صوته أعمق، ويفقد أنينه الرقيق. نادى «أمارا» المعزي العجوز الذي لا يزال منحنيًا فوق تلة، لكنه تجاهلها، لا بد أنه سمع الرجل الآخر يتوسل إليهما، وليس لديه مصلحة في مساعدة بغايا في صد الزيون.

بدأ المتسول بالركض، في البداية اعتقدت «أمارا» أن صرخاتها طلبًا للمساعدة ربما أخافته، لكنها أدركت بعد ذلك أنه قد تقدم فقط لإغلاق الطريق. الجدران الحجرية لكروم العنب على جانب من الطريق، وقبر كبير في الجانب الآخر، مما يجعل من المستحيل تقريبًا تجاوزه. إنهما تقتربان أكثر، محاولتين تحديد الجانب الذي يجب اختراقه.

- تعالي معي... قال، وهو يحدق مباشرة في عيني أمارا.

إنه مثل الأفعى، على وشك الانقضاض، التفتت إلى الخلف، خائفة جدًا من النظر بعيدًا. فاندفع إلى الأمام، ممسكًا بذراعها، لكنها توقعته حركته، وأمسكت «فيكتوريا» بيدها، وركضتا عائدتين إلى الحقل، متوجهتين إلى الرجل العجوز. استدار المتسول مرة أخرى، مما دفعهما نحو المقابر، نحو فتح طريق آخر غير مألوف. حيث لا يوجد مكان آخر تذهبان إليه.

هربتا، ومطاردهما يقترب من الخلف، يقودهما عبر

المقبرة. نظرت «أمارا» إلى الأسفل، وأدركت أن العشب ينمو من خلال حجارة الرصف. فتأكدت أن هذا ليس طريقاً هادئاً فحسب، بل طريقاً مهجوراً. لقد حاصرهما. راحت تلهث، وتتأرجح إلى الأمام في زعر، وتتعثر مرة أخرى، وتمسك بقدمها. وفكتوريا تصرخ:

- استمري ...

ليس لدى «أمارا» أي فكرة عن مكان وجودهما. باتت القبور قريبة من بعضها بعضاً، ويصعب الركض بينها. نظرت إلى الورا وأخذت تصرخ. بينما الرجل ينحني فوقها، ويمسك بخصرها، ويسحبها. ضربت الأرض بقوة، لكنه ثبت جسدها بسكين في يده. أمسكت «فيكتوريا» بذراعه، صارخة، لكنه ألقى بها بعيداً على مسافة منه. رأت «أمارا» رأسها يرتطم بقبر، وتسقط في حالة ذهول على الأرض.

- سيدك يعتقد أنه يستطيع فعل أي شيء. أمسك بها الرجل من حلقها، وتنفسه الممزق يخرج ساخناً في وجهها. إنها خائفة للغاية لدرجة أنها لا تستطيع الحركة. وقرب السكين من عينها، وقال: هذا من أجل دراوكا.

لكن صوت تحطم الفخار أذهلها، واستدار مهاجمها، في تلك اللحظة غرزت «فيكتوريا» قطعة عميقة في رقبتة. حاول أن ينتزعها بمخالبه ويداه ملطختان بالدماء، لكن «أمارا» عرفت أنه مهما فعل، فهو ميت بالفعل. حدقت في الطين المدفون في حلقه، وابتعدت

لا تريد أن تتلطخ بالدماء المندفعة منه.
وقفت إلى الخلف، تراقب و«فيكتوريا» إلى جوارها،
وبقايا وعاء «كريسا» الفخاري على الأرض عند أقدامهم.
أخذ الرجل يرتجف حيث يرقد، لكن الموت لا يستغرق
سوى لحظة. أمسكت «أمارا» بيد «فيكتوريا» وبدأت
الركض هاربتين.

-39-

من لا يعرف كيف يحمي نفسه؛
لا يعرف كيف يعيش.
كتابة على الجدران هيركولانيوم

انكمشتا معاً خلف قبر، في محاولة لاستعادة أنفاسهما،
وجمع أفكارهما، وفهم ما حدث. كانت «فيكتوريا» في
حالة صدمة، ترتجف بشدة، حتى أن «أمارا» خشيت
أن تنكسر أسنان صديقتها بسبب الاصطكاك العنيف،
أمسكتها بذقنها، وقالت:

- كان سيقتلني أنت أنقذت حياتي. قمت بحفظها.
- لقد قتلت رجلاً... لقد قتلته! أنا قاتلة!
- لن يعرف أحد على الإطلاق. لا أحد سوف يكتشف.
أنت آمنة. كلتانا آمنتان.

فكرت في جسد الرجل الملقى على الأرض وشعرت
بالهدوء. إنه ميت، كل ما يهم الآن هو تجنب الشك.
تفقدتا ملابسهما، و نظرت أمارا إلى وجه «فيكتوريا»،
ومسحت بيدها على خديها، ثم تفحصت أصابعها. كانت

كلتاها محظوظتين لعدم وجود المزيد من الدم عليهما .
راحت تجمع الطين في يديها، وتفركه على أي بقع حمراء
يمكن أن تراها على عباأتيهما .

- هل يوجد شيء علي؟

أدارت وجهها وكأنها تطلب من صديقتها أن تفحص
مكياجها . هزت فيكتوريا رأسها، وقالت:

- جيد . الآن يجب أن نعود . علينا إخبار فيليكس .
هل سمعت ما قاله؟

- إن فيليكس قتل دراوكا؟

- هل تعتقدين أنه فعل؟ قالت فيكتوريا بلهجة تتم
عن اليأس، كانت تشك أن الرجل الذي تحبه قد يكون
قادرًا على القتل .

- أعتقد ذلك .

ابتعدت فيكتوريا، مستاءة جدًا من الكلام، فأمسكت
أمارا بيدها: واستطردت: أنا مدينة لك بكل شيء، وكذلك
يفعل فيليكس . من دونك، لن يكون لديه أي فكرة عما
سيحدث .

- كيف سنعود إلى المنزل؟ ماذا لو تذكرنا شخص
ما؟

- لا أحد سيفعل . نحن لا أحد . سنعود إلى المدينة
ببطء، ونبقي رؤوسنا منخفضة . سوف تمر أيام قبل
اكتشاف الجثة . هذا إذا كانوا سيجدونها يومًا .

وقفت «فيكتوريا»، ممسكة بالقبر لئلا تقع، وهي تقول:

- أعتقد أن هنالك بعض الفوائد لكونك عديم القيمة .

شقتا طريقهما ببطء عبر المقبرة، وقد استغرق العثور على الطريق مرة أخرى وقتاً طويلاً، كانت. «فيكتوريا» مضطربة، فأمسكت «أمارا» بيدها، لتجعلها تخفف من سرعتها. سحبتا أغطية رأسيهما، لتحصلا على بعض الدفء، وأخفتا نصف وجهيهما، والتزمتا الصمت.

شعرتا حينما وصلتا إلى المبنى أنها أطول مسيرة في حياتيهما، كانت كلتا المرأتين على استعداد للإفلات من الإرهاق. طرقت «أمارا» على باب «فيليكس»، فخرج باريس الذي كان يعاني من الصداع، وقال:.

- ماذا تريدان؟

ضربت «أمارا» بيدها على الخشب، صرخت:

- لا تعبت معي اليوم. لدينا أمر مهم.

تراجع إلى الوراء، وسمح لهما بالدخول:

- لكن فيليكس مع عميل!

- إذن أخبره أننا ننتظره في غرفة النوم.

شعرت «أمارا» كأنها تقف خارج نفسها، وتراقب «فيكتوريا» وهي تسرد ما حدث. لم ترَ أحداً يبكي كثيراً من قبل. راحت «فيكتوريا» تسرد جريمة القتل، وطوال الوقت، يمسكها «فيليكس»، ويقبل وجهها، ويضغط على يديها لتدفتئتهما. لديه حنان لم يكن في مقدور «أمارا» أن تتخيله.

شاهدت الموقف، بألم في صدرها لا تستطيع تسميته. لم يسبق له أن كان على هذا النحو معها، ولا حتى عندما أخبرته عن «كريسا»، عندما كانت ستفعل أي شيء من أجل الحصول على شيء من الراحة. لم يمسكها أحد سوى «ميناندر» بالطريقة التي يمسك «فيليكس» بها «فيكتوريا». أزعتها الفكرة، فهي غير متأكدة مما إذا كان ذلك يجعل «فيليكس» أسوأ، إذا كان قادراً على الحب. نظر إليها من فوق رأس «فيكتوريا» المنحني، والبرودة المألوفة في عينيه. بدا الأمر كما لو أنه أرغم نفسه على التحدث إليها:

- أخبريني مرة أخرى ماذا قال عن سيمو.
- قال إنك لن تفلت من العقاب. لم تقم بتغطية مساراتك. اكتشف سيمو ما حدث. ثم أمسك بسكين في عيني وقال: «هذا من أجل دراوكا».
- ولم ير أحد ما حدث؟
- لا. الجسد في مكان مهجور. لم يكن هناك سوى رجل عجوز واحد في حقل الفقراء، ولم نعد حتى على ذلك الطريق. غطيت أي أثر للدم عليّ استطعت أن أراه.
- من سيلاحظ امرأتين؟
- لا يبدو أنك منزعة للغاية بمشاهدة رجل يموت. هل أنت متأكدة من أنه مات؟
- لقد ضربته هنا، لا أحد ينجو من ضربة كهذه. حتى لو لم أقرأ كتاباً عن التشريح من قبل، فسأعرف أنه مات.

صرخت «فيكتوريا» مرة أخرى، تتادي «فيليكس»، الذي أسرع إلى حمل رأسها إلى صدره وهزه ذهاباً وإياباً. حدقت «أمارا» فيهما، غير قادرة على فهم شعور «فيكتوريا» بالذنب، منزعة لأنها لا تزال تبكي على مثل هذا الرجل الذي لا قيمة له.

- لا يوجد شيء يدعو إلى القلق.

قال فيليكس:

- ستشعرين به لاحقاً. الجميع يفعل ذلك في المرة الأولى. حتى لو كنت بغياً بقلب متحجر.

سألته أمارا:

- ماذا ستفعل؟ نحن جميعاً في خطر الآن. كلنا.

- أولاً، لا تخبرا أحداً. ولا حتى «ديدو». وإذا كنتما تقدران حياتها، فلن تذكرنا الأمر مرة أخرى، حتى لبعضكما بعضاً.

أومأت «أمارا» برأسها. إنها تعرف أن القتل يربطهم جميعاً معاً، دين الدم لـ«فيكتوريا»، السر الذي يشاركونه الآن. إنها ليست رابطة تريد أن تكون فيها، قاطع «فيليكس» أفكارها وهو يضيف:

- بالنسبة إلى سيمو، يمكنني العناية به.

- لا يمكننا تحمل تركه.

- لا. لا نستطيع.

- لم أقصد قتله. استدارت فيكتوريا واليأس على وجهها: أردت منه فقط أن يتوقف. لم أكن أريد أن يموت أحد.

- أنا أعلم . قال فيليكس، وهو يهددها مرة أخرى. يقبل جبين فيكتوريا ويهمس في شعرها: كنت شجاعة جداً.

نظرت «أمارا» إلى صديقتها، كانت تلتصق بسيدها مثل طفل ، لا يمكن التعرف على المرأة القوية فيها. هل هذه هي حقاً «فيكتوريا»؟ هذه الأفكار أغضبت «أمارا»، لتتطق أخيراً بصوت عال:

- لا داعي للبكاء. لقد استحق ذلك.

- اصمتي. صرخ فيليكس.

انكشمت «فيكتوريا» خوفاً من غضبه، على الرغم من أنه لم يكن موجهاً إليها. تقدم نحو «أمارا»، ممسكاً بكتفيها، ودفع وجهه إلى وجهها:

- لقد أنقذت حياتك للتو. أظهرني بعض الامتتان اللعين. ليست كل امرأة لعينة بلا قلب مثلك. وتركها، ثم أمسك بفيكتوريا مرة أخرى، كما لو كان يحميها من أمارا.

لم تنتظر «أمارا» حتى يتم طردها، بل خرجت من الغرفة. إلى الممر ، وقد شعرت أن ساقها لاتقويان على حملها . وحينما تمكنت من الوصول إلى المخزن، انهارت على فراش الأكياس في الزاوية. وشعورها بالهدوء ينكسر. فكرت في وعاء «كريسا»، وكل تلك القطع على الأرض. الجزء المكسور مغروراً في عنق الرجل الدامي. عاد مدّ المشاعر إلى «أمارا»، وجلب معه الرعب.

أمسكت بالأكياس، وشعرت أن القماش خشن على أصابعها، حاولت دفن خوفها، ودفعه تحتها. لا تريد

أن تشعر بالخوف، لا تريد أن تشعر بأي شيء، ستري «روفوس» غداً، تجلس معه في منزل «دروسيللا» الجميل، وتضحك، وتحدث عن المنزل الذي سيتشاركه. لن تكون المرأة التي كادت أن تموت، والتي كانت عاجزة أمام السكين في عينيها. سيكون الأمر كما لو أنه لم يحدث قط.

عاد الهدوء و الاستقرار مرة أخرى إلى قلبها، مثل الجليد على مسبح «بالينا». زفرت «أمارا»، وأرخت أصابعها تاركة القماش. لا أحد يحيطها بذراعيه، لكن هذا لا يهم، هي ليست في حاجة إلى «فيليكس» أو أي شخص آخر لتهدئتها. يمكنها التغلب على كل خوف إذا حاولت فقط بما يكفي.

لم تغادر «أمارا» المخزن لبقية اليوم، على الرغم من أنه من المفترض أن تكسب أموالاً إضافية في الأيام التي لا يدفع فيها «روفوس» ثمنها، لكن «فيليكس» أصر على الخروج. حل الليل، ولا تزال جالسة في المكان نفسه. حاول «باريس» استفزازها، متخيلاً أنها يجب أن تشعر بالغيرة من «فيكتوريا» التي ظلت طوال الليل في رعاية سيدهم، لكن «أمارا» تحدد في اللاشيء، كما لو أنها لم تسمعه. بطريقة ما، تمام.

في صباح اليوم التالي شعرت وكأنها لا تزال تحلم. أجبرت نفسها على النزول إلى الطابق السفلي، وقضت

وقتاً مع «ديدو» في الحمامات، استمعت إليها وهي تصب مخاوفها بشأن «إيستيل» و«تيليثوزا». هذه هي المرة الثانية التي يحجز فيها «إغناطيوس» الفتيات الإسبانيات بينما تُترك هي و«أمارا» في الخلف. استطاعت «أمارا» أن ترى مدى انزعاج «ديدو»، ولكن بطريقة ما لا تستطيع الوصول إليها. وعلى الرغم من أنهما تجلسان جنباً إلى جنب، إنما يبدو أنها بعيدة جداً.

- سألتها ديدو:

- هل أنت بخير؟ هل كان فيليكس؟

- نعم.

بدأت «ديدو» قلقاً للغاية إلى درجة أن «أمارا» تريد إخبارها بما حدث فعلاً، وتريد تتيبها لتوخي الحذر، لكنها لا تستطيع خيانة «فيكتوريا»، فضلاً عن أنه لا لبس في مسؤولية «فيليكس» عما حدث، فلو لم يقتل «دراوكا»، لما تعرضت للهجوم. توسلت إلى «ديدو» للبقاء على مقربة من «بريتانيكا»، متظاهرة أنه من أجل «كريسا»، لكن في الواقع، لأنها تأمل أن تحافظ البريطانية على سلامتهما.

عندما ذهبت صديقاتها إلى الصيد، عادت إلى الاختباء في المخزن. حتى لو كان «فيليكس» سيحجر «روفوس» على مضاعفة أجر اليوم، فإنها لا تستطيع استجماع نفسها لاصطحاب أي رجل. التفكير في الاقتراب من الغرباء يعيدها إلى المقبرة، والسكين، ويد الرجل على حلقها. كيف ستعرف ما إذا كان أي من عملائها يريد قتلها؟

إن الجهد المبذول لتجاوز اليوم يمثل ضغطًا كبيرًا،
ويلاحظ «فيلوس» ضيقها عندما يأتي لاصطحابها، وعلى
مسافة آمنة من المبغي، قدم لها ذراعه، وسأله:
- هل تحتاجين إلى لحظة؟ فقط لتضبطي أعصابك؟
أومأت برأسها. وعبرا إلى رقعة أقل ازدحامًا من
الرصيف، حيث أسندت ظهرها إلى الحائط، وسألها:
- أنت بخير؟ أعلم أنه ليس من السهل أن تكوني
كذلك.

- شكرًا لك.

استدارت إلى «فيلوس»، لم يكن يوجد شيء سوى
اللطيف في عينيه الرماديتين، دفء وقوفه بالقرب منها
يبعث على الارتياح.
- أنا ممتنة جدًا لروفوس.

- أنا أعلم. وأعلم أيضًا مدى صعوبة كل هذا. لقد
كنت هناك بنفسني. ونظر إلى الوراء على طول الشارع
الذي أتوا منه. ويضيف وهو يخفض صوته، لا أقصد
أنني عملت في المبغي. لكنني لا أعتقد أنني شعرت
بالأمان لدقيقة عندما كنت أصغر سنًا.

شدت «أمارا» قبضتها على ذراعه، وقالت:

- ليس عليك أن تخبرني. أنا أفهم.

- من يريد أن يكون عبدًا، ها؟ عندما تكون صغيرًا،
فإنهم يستغلونك، وعندما تكبر، فإنهم يستغلونك.

- روفوس يقدرك رغم ذلك.

- نعم، هو كذلك، لا يمكنني الشكوى الآن.
- الرجل الذي ... توقفت أمارا، رافضة قول الكلمة، ولا تريد إذلال فيلوس: لم يكن والد روفوس، أليس كذلك؟
- ليس هورتسيوس، لا. إنه غير مهتم بالأولاد. من ناحية أخرى، كان والده مهتمًا جدًا.
- تساءل «أمارا» عن عمر «فيلوس»، قد يكون أكبر منها بعشر سنوات، وربما أكثر من ذلك بقليل. وتذكر أنه لطيف المظهر، على الرغم من أنها لم تلاحظه قط بهذه الطريقة. عندما كان صغيرًا، لا بد أنه كان يضرب. إن التفكير في أنه يعيش في خوف، وغير قادر على الدفاع عن نفسه، يجعلها غاضبة، كان جد «روفوس» المسؤول عن ذلك، وربما ما هو أسوأ من ذلك.
- ما هو شكل هورتسيوس؟
- لم يرد فيلوس، فهي تذكر أنه لا يريد أن يكون خائناً، فقالت: - يمكنك أن تثق بي. لكنني أيضاً لن أشعر بالإهانة إذا لم تفعل ذلك.
- كنت أتمنى لو سألتني سابقاً. قال فيلوس، وهو يفرك يده على وجهه وينظر إليها، وقد بدا ممزقاً بشكل واضح: ليس من المفترض أن أخبرك، لكن روفوس سيحضره الليلة. لمقابلتك. كان من المفترض أن تكون مفاجأة. أصر هورتسيوس على أن يبقى روفوس الأمر هادئاً؛ يريد أن يراك - كما أنت حقاً - أن يفاجئك دون أن تكوني مستعدة، إذا جاز التعبير.
- أوه... أعتقد أنه يريد العناية بابه.

- لو كنتِ زوجتي، وأردف فيلوس متفاجئاً من أنه سيشير إليها بهذه الطريقة: لن أتركك وحدك معه. ليس إذا كان بإمكانني مساعدتك.

- سأكون حذرة. قالت أمارا، وهي لا تزال تمسك بذراعه، و فكرت أنه ربما ينبغي لها تركها: شكراً لك.

بيدو «هورتسيوس» مثل ابنه، وكان على «أمارا» أن تمنع نفسها من التحديق. حتى السلوكيات، وإيماءات اليد المبالغ فيها والتي تخص «روفوس»، ترى ضعفها عند والده. إنها ممتنة لـ«دروسيلا» لأنها جزء من التجمع، لأنها تستطيع بذلك في بعض الأحيان أن تزيل حرارة انتباهه. هذا هو الفرق الوحيد الواضح بين الأب والابن، فبينما بيدو «روفوس» لطيفاً ويفتقر إلى المكر، بيدو «هورتسيوس» داهية وحكيماً.

- أخبرني روفوس أنك ساعدت الأدميرال في بحثه. يجب أن تكوني على درجة عالية من التعليم. هل كان سيدك الأول الذي علمك؟

- لقد كان والدي، عندما كنت حرة. كان طبيباً في أتيكا.

- لقد أخبرتك بكل هذا. قال روفوس، وقد بدا مرتبكاً.

أشار «هورتسيوس» بيديه، ودعاها إلى الضحك معه على ابنه.

- لقد أخبرتني أنها كانت محظية في أفيدناي!
 - هذا حدث لاحقاً.
- قال «هورتتسيوس»، وهو يلتفت إلى «دروسيلا» ويقبل يدها:
- لا بأس في أن تكوني محظية. ابتسمت دروسيلا له كأنها مسحورة، لكن أمارا تعرف أن دروسيلا ماهرة جداً في إخفاء مشاعرها، ويمكنها أن تتمنى موت هورتتسيوس، من دون أن يعرف ذلك أبداً، إذن كان والدك طبيباً. ثم تم إلقاؤك في مأساة وانتهى بك الأمر إلى بغي حزينة. هل هذا صحيح؟ أمالت أمارا رأسها، غير معجبة بسخريته، على الرغم من أنها تتلقاها بابتسامة، تبدين شابة إلى حد ما، ليشعر سيدك بالملل.
 - زوجته لم تكن سعيدة.
 - إذا كان الأحمق لا يستطيع السيطرة على نسائه، يقول هورتتسيوس، فإنه من الجيد أنك تركته. هل ترقصين؟ تعزفين الموسيقى؟ تغنين؟
 - قلت لك ... علق روفوس.
 - لكنني أسألها.
 - علمني والدي ...
 - أوه... بحق السماء! قاطعها هورتتسيوس ضاحكاً: أنت تعلمين أن هذا ليس ما قصدته. أنا متأكد من أن والدك لم يعلمك كيفية الأداء في صحبة الذكور. ليس إذا كان طبيباً حقاً. ماذا علمك سيدك الأول؟

تقول «أمارا»، متجاهلة الإيحاء أنها كاذبة:

- لقد تعلمت القيثارة في منزل والدي. ثم بصفتي محظية تعلمت عددًا من الأغاني لسافو وشعراء يونانيين آخرين. وواصلت تعليمي الموسيقي في بومبي.

- التربية الموسيقية! رفع هورتنسيوس حاجبيه مستمتعًا، على الأقل لديك بعض الذكاء.

- ربما تسمح لنا بالعزف من أجلك؟ قالت دروسيلا، ورداؤها الحريري يرتفع وهي تنهض، وتتنظر إلى هورتنسيوس بغنج، كما لو كانت تجده لا يقاوم.

- لم لا؟

لم يكن مع «أمارا» قيثارة، لكن «دروسيلا» تدفعها نحو آلة الهارب، وتقول:

- سأعزف أغنية سافو «ترنيمة لأفروديت»، لكنك ستغنيها بمفردك.

- شكرًا...

همست أمارا، ممتة أنها لن تضطر إلى التنافس مع صوت دروسيلا المتفوق.

تأرجحت مع الموسيقى، مستخدمة إيماءات اليد الرشيقة التي تعلمتها في منزل «كريمس»، كانت تغني بكل جوارحها. إن رؤية «هورتنسيوس» يراقبها، وقيمها، تكاد تشبه العودة أمام «كريمس»، كما لو أن كل التغييرات العديدة في حياتها كجارية قد أوصلتها إلى نقطة البداية. فكرت في «فيلوس»: «لو كنت زوجتي، لما تركتك

بمفردك معه». راقبت «روفوس» أيضاً، مبتهجاً بفخر. لم يطمئنها الوضع. كم من الوقت سيمضي قبل أن يبدأ في رؤيتها من خلال عيني أبيه

قال هورتسيوس لروفوس، عندما انتهت من الغناء:
- حسناً جداً إنها مبهجة. لقد فزت. لكنني حقاً لا أفهم كل هذا الهراء حول استتجار مكان. عندما يشتريك، يمكنك الانضمام إلى منزل العائلة.

- بحقك يا أبي! ليس الآن. وتبدل لونه إلى القرمزي وهو ينظر بقلق إلى أمارا.

- حسناً حسناً. احصل على القليل من الرومانسية الآن. تنهد هورتسيوس، وأوماً برأسه لدروسيلا وأمارا، الأولاد... لا أستطيع أن أتخيل كيف تتعاملون معهم. أجابت أمارا:

- روفوس هو أطف رجل قابلته في حياتي.

- ليس لدي شك في أنه كذلك. حسناً، أفترض أنني يجب أن أترككم جميعاً تستمعون بليلة حب الشباب. ابتهج أكثر من أي وقت مضى، والتفت إلى أمارا ولكن بدلاً من تقبيلها أيضاً، مرر يديه على طول جسدها، وكأنهما في سوق العبيد. لقد صُدمت لدرجة أنها لا تستطيع التحدث. جيد جداً. قال، وهو يبتسم لها رغم عدم وجود دفء في عينيه. ليس استثماراً سيئاً على الإطلاق. أألن تريني الطريق، يا فتى؟ أسرع روفوس يرافقه والده إلى خارج الغرفة، من دون أن ينظر إلى أمارا.

عندما غادر الرجال، رسمت «دروسيللا» علامة العين الشريرة، وسألت بهمس:

- ماذا كان يعني؟ لقد أخبرتني أن روفوس سيحركك!
- هذا ما قاله!

قرصت «دروسيللا» ذراعها قائلة:

- لا تتزعجي! لا... هذا مهم جداً. استخدمني ذكائك. اجعليه من الصعب على روفوس ألا يفعل ما وعد به، استخدمني شعوره بالذنب، افعلي كل ما تستطيعين. لا تدعيه يعتقد أنك ستكونين راضية كجارية! تراجعتم عندما عاد روفوس، وابتسمت بهدوء، كما لو كانت هي وأمارا تتبادلان المجاملات، وقالت وهي تتثائب:
- أجد أنني متعبة قليلاً. آمل ألا تمانعا إذا تخليت عنكما؟

- غادرت «دروسيللا»، على الرغم من أن «أمارا» تعرف أنها ليست متعبة على الإطلاق. قال «روفوس»:
- سارت الأمور بشكل جيد إلى حد ما. ومال إليها ليقبلها.

دفعته برفق، وقالت:

- ماذا كان يقصد بقوله إنني أستطيع الانضمام إلى أسرتك؟

- هذا ما هو عليه تمامًا. إنه يعرف المكان الذي استأجرته. سوف يستسلم.

- هل يعلم أنك ستحررني؟

لم ينظر «روفوس» إليها، لكنها رأت أحمرار خديه

يتسلل إلى خط شعره.

- هل سيكون الأمر فظيماً إذا لم أفعل؟ سنظل معاً.

لن تكوني في المبغى، هذا هو الجزء المهم، أليس كذلك؟

قالت أمارا وهي تسحب يديها من يده:

- لا أصدق أنك لا تفهم الفرق. كم مرة أخبرتني

أنه يمكنك أن ترى مدى صعوبة أن أفقد كل شيء في

أفيدناي. لقد فقدت نفسي عندما تم بيعي. لماذا تجعلني

عبدة إذا كان بوسعك أن تحررتني؟ لماذا؟

- الأمر ليس بهذه البساطة. والدي لا يهتم بالفكرة.

لا أعرف إن كنت أستطيع أن أتحداه في هذا الأمر

أطلق سراحك... يجب أن أعطيك اسم العائلة. إنه لا

يخصني فقط.

جلست «أمارا» إلى جواره، ولا يزال في مقدورها

الشعور بيدي «هورتينسيوس» على جسدها. إنها تفكر في

«فيلوس»، و«كريميس»، وفي كل ما يحدث للعبيد الذين

أصبحوا أشياء مألوفة في منازل أسيادهم. وضع «روفوس»

ذراعيه حولها، وأخذ يقبلها بلطف على جبهتها، وخذها،

وشفتيها.

- أعدك، إذا أصبحت ملكي فلن أسمح لأي شخص

أن يؤذيك.

- أعدك.

-40-

ذاك الذي يكره الحياة يزدري الآلهة بسهولة.
كتابة على جدران بومبي

كانت «فيكتوريا» و«أمارا» تنتظران في غرفة نوم «فيليكس». لا أحد يتخيل أنه تم استدعاؤهما من أجل الحب. جلست «فيكتوريا» القرفصاء على السرير، وكأنها تنتمي إلى هناك، لكن «أمارا» لا تريد أن تلمسه، لا تريد أن تتذكر الليلة التي قضتها هناك مع «فيليكس». بدلاً من ذلك، جلست على كرسي، و همست فيكتوريا:

- الأمر يتعلق بسيمو، أليس كذلك؟ يجب أن يكون كذلك.

- اعتقدت أنه سيهتم بهذا بنفسه. لا أفهم لماذا يحتاج إلى أي منا.

أخبرني أنني أنقذت حياته وحياتك أيضاً. لم يكن هكذا معي من قبل. قال إنه ما من امرأة أبدت ولاءً له أكثر مني.

بدت في حالة سكر من الحب، غير مدركة تماماً

أن تفاني فيليكس المفاجئ من المرجح أن يكون تلاعباً بمقدار ما هو حقيقي. عملية إحماء لأي عمل فظيع ينتظرهما الآن.

فكرت «أمارا» في خداعها، والقرض السري لـ«البينا»، وتآمرها مع «روفوس». من المستحيل تخيل سبب رغبة أي شخص في أن يكون مخلصاً لسيدته، ناهيك عن «فيليكس». حاولت ألا تجعل غياب «فيكتوريا» يغضبها، فقالت:

- يجب أن يكون ممتناً لك. إذا كان لديه أي حشمة، فسوف يحركك بعد ما قمت به.

سقط الهيام من وجه فيكتوريا وكادت تتدم على حقدتها. فهما تعرفان أن ذلك لن يحدث.

فتح «فيليكس» الباب. جفلت «أمارا» رعباً، على أمل ألا يكون قد سمعها، لكنه بدا مشتتاً. لم يضع الوقت مع التحيات. قال وهو جالس على السرير إلى جوار «فيكتوريا»:

- لا يمكننا الانتظار أكثر من ذلك. سيمو سيتخلى لن ينتظر رجله طويلاً. نحن في حاجة إلى الضرب الآن قبل أن يفعل. تأكدي من أنه انتهى.

- ماذا تريد منا أن نفعّل؟

- سيهتم بعض أصدقائي بالبار. وسيمو... أحتاج منكما إلى أن تكونا مصدر إلهاء ومراقبة.

- مراقبة ماذا؟ سألت أمارا.

- سيراغب باريس أيضاً، تابع فيليكس متجاهلاً سؤالها: إنه ليس معروفاً لسيمو مثل ثراسو أو جالوس.
- هل يعرف باريس عن المقبرة؟
- لا... لا أحد يعرف، قال فيليكس: هذا أكثر أماناً. يجب أن تكوني محجبة. التقطي بعض الرجال مقابل الحانة، وهذا من شأنه أن يصرف بعض الانتباه. قالت أمارا:
- تريد منا أن نكون مع الرجال في الشارع وحدنا؟ من دون حماية؟
- سيكون باريس في الجوار.
- لكنه ليس هناك لرعايتنا رغم ذلك، أليس كذلك! احتجت أمارا قائلة: سيراغب الحانة. فردَّ فيليكس:
- سيكون هناك اثنان منكما. أين المشكلة.
- ماذا سنفعل بالحانة؟ لا أريد أن أذهب إذا كنا لا نعرف.
- فقد «فيليكس» أعصابه وصرخ في وجهها:
- لا أحد يعرض عليك خياراً. منذ متى تخبريني ماذا أفعل؟ إذا كنت أريد أن أبيعك في الشارع اللعين، أو في المبغي، فليس عليك المجادلة. قالت فكتوريا متوسلة:
- أرجوك من فضلك، هل علينا ذلك؟ ماذا لو هاجمنا سيمو مرة أخرى؟

نظرت «أمارا» إلى الزوجين، جالسين معاً مثل زوجين متحدين ضدها. إنها تفكر في كل ما تدين به لـ«فيكتوريا» وتعلم أنه لا يوجد مخرج، حتى لو لم تكن مرتبطة بـ«فيليكس»، ثم أومأت برأسها.

- من الأفضل أن تبقى في الطابق العلوي حتى الليل، نظر إليهما بتعبير خبيث، ثم قال لأمارا: يمكنك الذهاب إلى المخزن الآن. اتركينا. خرجت مسرعة، لا تريد أن ترى «فيليكس» يدفع «فيكتوريا» إلى السرير مرة أخرى.

وجدت «باريس» في الخارج على الشرفة، ينظف الأرضية بقوة أكبر من المعتاد. حاولت الابتعاد عن الرغوة وإعطاءه مساحة، لكنه أوقفها، ووجهه النحيف متلهف: هل أخبرك فيليكس؟ قال، وهو يقف على قدميه وينظر إلى أعلى وأسفل الممر: هل أخبرك أنه يرسلني في مهمة؟ لا ثراسو. وليس جالوس. أنا...

أومأت «أمارا» برأسها، وهي تفكر في منطلق «فيليكس»، واستغلاله أن «باريس» أقل ظهوراً. لا شك أنه أكثر قابلية للاستهلاك. لديها القليل من المودة نحو رفيقها في الغرفة، ولكنها تعلم أيضاً أن ابن «فايبا» التעים سيكون المسؤول الوحيد عن سلامتها الليلة. قالت وهي تمدحه: قلت لك إنه سيبدأ في استخدامك أكثر، إنها مهمة كبيرة كلفك بها.

- عليكما أن تفعل ما أقول. أنا الرجل، سأكون المسؤول.

- طبعاً. احنت أمارا رأسها قليلاً لتظهر له أنها تفهم الأمر.

نفخ «باريس» نفسه، وحرك عينيه نحو غرفة «فيليكس»، ويمكنها أن ترى أنه على الرغم مما تبجح به فهو أيضاً خائف.

- ليس عليك أن تفعل أي شيء تتدم عليه، قالت أمارا وهي تفكر مرة أخرى في فاييا، وبكل ما يعنيه الشاب لوالدته، ليس عليك أن تعرض نفسك للخطر. دفع «باريس» نفسه ليقف أطول، ويرمي كتفيه للخلف مثل «جالوس»، ويقول:

- هذا ما ولدت من أجله. لن تفهمي. أنت مجرد امرأة.

طال النهار، لكن «أمارا» ما زالت تريده أن يصير أطول، لا تريد أن يأتي الظلام. إنها ليست متأكدة تماماً مما خطط «فيليكس» لـ«سيمو»؛ لكنها تعلم أنه أن ينوي قتله. وإلا كيف سينهي الخلاف؟

فكرت «أمارا» في مدى اقترابها من مغادرة هذا المكان، إلا أن عيد «ساتورناليا» بعد أيام قليلة فقط، لا يمكنها أن تموت الآن، ليس عندما يكون هروبها مضموناً. فكرت في محاولة تهريب رسالة إلى «روفوس»، أو حتى «فيلوس»، تتوسل أحدهم ليأتي ويأخذها، ولكن من الذي يمكن أن تثق به لترسله؟ سوف يراها «باريس» إذا حاولت التسلسل، وحينها سيكون غضب «فيليكس» رهيباً.

«فيكتوريا» هي التي تأتي أخيراً لأخذها من المخزن. إنها مغطاة بالحجاب، مثل المرأة المتزوجة، على الرغم من أنه يشبه الكفن. بدأ قلب «أمارا» في السباق مع الخوف، فقالت:

- لا أعتقد أننا يجب أن نفعل هذا، رفضت أن تلمس الحجاب الذي تمسك به فيكتوريا، ماذا لو تعرف علينا شخص من حانة سيمو؟ ماذا لو خرجت ماريا أو أتييس؟
- لقد وعدني أننا سنكون بأمان قالت فيكتوريا، وهي تلقي بالحجاب على رأس أمارا، وعلى أي حال، ما هو الخيار الذي لدينا؟ دعينا ننتهي من الأمر.
- لكن، ألن يكون سيمو يراقب المبعفى؟ ألن يرانا أحد جواسيسه نغادر هكذا؟

- باريس خارج الباب، أجابت فيكتوريا وهي تتلاعب بقطعة القماش، وتتأكد من تغطية أمارا بشكل صحيح. سيتحقق من أن الطريق خال ثم يفتح لنا. قال فيليكس إنه عندما يحدث ذلك، علينا أن نسير بأسرع ما يمكن، نحو البئر على الزاوية، ثم حول الطريق الخلفي إلى حانة سيمو.

تساءلت «أمارا» ما إذا كانت «فيكتوريا» تتمتع بثقة «فيليكس»؟ هذه الفكرة جعلتها تشعر بالمرارة. عليها أن تذكر نفسها بأنها مدينة لصديقتها بحياتها، حتى لو كانت «فيكتوريا» تجعلها تخاطر بذلك مرة أخرى.

حل الظلام في الشارع، وازداد سوءاً بسبب القماش

الموجود على وجهها والذي يحجب القليل من الضوء المتبقي، وراحتا يديها تتحسسان الطريق باستخدام الحائط، من المفترض أن يتبعهما «باريس»، لكن لا توجد علامة تدل عليه، ولم تريا مصباحه يضيء الطريق. تجنبنا مجموعة صغيرة عند البئر، بطريقة ما كيلا تلفتا الانتباه، وتوجهتا إلى جزء أقل شهرة من المدينة.

- لا أعرف حتى مكان البار. همست أمارا: أنا لا أعرف إلى أين نذهب!

- أخبرني فيليكس عن الطريق مرات عدة ، ردت فيكتوريا، وأردفت: أنا متأكدة من أنه يستطيع إيصالنا إلى هناك. وليس علينا حقاً أن نراقب. نحن وسيلة إلهاء لا أكثر.

- أليس هذا أسوأ؟ سألتها أمارا، لكن فيكتوريا صمتت .

كانت حانة «سيمو» تبدو كبركة في ضوء المصباح، وقد ألقى تمثال الإله «بريابوس»⁽¹⁾ البرونزي المعلق توهجه الشاحب على الباب. لا بد أن «سيمو» أصلح المكان منذ هجوم «فيليكس» السابق. يبدو أنه مملوء، إذ يقف العديد من شاربي الخمر في الشارع على الرغم من البرد. وجدت «أمارا» أنها خائفة من الاقتراب منها.

- هيا، شدت فيكتوريا ذراعها، وقالت: لنفعل هذا ونعود إلى المنزل.

وقفنا معاً، تحتميان في ممر صغير عبر الطريق من

(1) إله الحيوانات والخصوبة في الثقافة الإغريقية.

الرائحة، تشبته «أمارا» أنهما ليستا أول البغايا اللواتي يعملن في هذا المكان. عقدت «فيكتوريا» عباؤها مع التوجا التي ترتديها، وأظهرت ساقها العاريتين، وبعد وقفة، فعلت «أمارا» الشيء نفسه. في البداية، لم يلاحظهما أحد، ثم اكتشفهما اثنان من شاربي الكحول، وأشارا إليهما وهما يضحكان، بينما يعبر رجلان آخران.

- ما أمركما بهذه الوجوه المغطاة؟ سأل أحدهما: هل أنتما قبيحتان جداً لتغطيا وجهكما؟ فتراجعت أمارا خطوة إلى الوراء. كلا الرجلين تفوح منه رائحة الكحول.

قالت «فيكتوريا» وبصوتها أنين حزين:

- نحن متزوجات. نحن في حاجة لإطعام الأطفال.

- هذا ما تقوله كل امرأة، رد الرجل، وهو يحاول سحب عباؤها أكثر، حينما مر رجل ثالث، وتوقف ليرى ما يجري.

- اترك لي شيئاً منها ... أيضاً.

تعرفت «أمارا» على الصوت، أخذت تحديق من خلال نسيج حجابها. إنه الرجل ذو الندبة البيضاء، الشخص الذي رآته في باليستر مع «فيليكس»، ومرة أخرى في الحانة. استدار وتجول في الشارع، وأخذ يتحدث مع الرجال الباقين في الخارج، ويشير إلى النساء، ويحثهن على الذهاب.

تعالى الضحك، وتوجه الشاربون يحيطون بها وب«فيكتوريا». يسخرون ويصرخون تشجيعاً. وتملك «أمارا» الذعر.

قام أحد الرجال بثبيتها على الحائط، وشد ملابسها. نظرت من فوق كتفه محاولة أن ترى ما بين وجوه المتفرجين. كل شيء رمادي ومشوه من خلال القماش. وقف الرجل ذو الندبة البيضاء بمفرده خارج حانة «سيمو». رأته يمد يده إلى أعلى، وينزل تمثال «بريابوس» الناري المعلق، وسرعان ما أشعل شعلة من لهبه. وبدأ في إشعال النار في الهيكل الخشبي للمبنى، منتظراً لحظة حتى يبدأ الحريق في التماسك. ثم قذف المصباح عبر الباب، وانطلق في الشارع.

في البداية، لم يصرف الضجيج انتباه الرجال المحيطين بها. ثم خرج العملاء من الحانة وهم يصرخون ويشيرون إلى المبنى المحترق. بدأ السكرى أخيراً في إدراك ما يحدث. الرجل الذي كان يسحقها على الحجر جره أحد الأصدقاء، وسرعان ما نسي غضبه جراء إخراجها من حالة الشبق الجنسي .

تُركت «فيكتوريا» و«أمارا» بمفردهما بينما تبعثر معذبوهما، مما زاد من الفوضى.

- يجب أن نغادر الآن. قالت أمارا. بسرعة!

- طلب مني فيليكس أن أتأكد من أن باريس قد أنهى العمل. قالت فيكتوريا، وهي تشد ذراعها لمنعها من الهروب، وقالت: سيمو لا يمكن أن يغادر من هنا حياً. شعرت «أمارا» أنها محاصرة، وخشيت أن تهرب بمفردها بشكل أعمى، بل إنها تشعر بالرعب أكثر من البقاء. تشبثت بـ«فيكتوريا»، ووقفتا مرة أخرى في جوف القوس، تراقبان.

في ضوء ألسنة اللهب، صار صوت صراخ الرجال عائقاً أكثر مما أنه يساعد. يندفع بعضهم مرة أخرى بالمياه التي جُلبت من بئر قريب، لكن القليل من الدلاء لن ينقذ الحانة. لاحظت شخصية مألوفة أخرى، الرجل الودود من مجموعة الحماية الخاصة بـ«فيليكس». و«باريس» هناك أيضاً.

كانت تتعرف على شكله الهزيل في أي مكان، على الرغم من أن غطاء رأسه مرتفع. كلاهما يركز انتباهه على المدخل، يبدوان وكأنهما عاطلان، لكن بلا شك، يتفقدان من سيخرج. يجب أن تكون الحانة فارغة تقريباً من الداخل، مع ازدياد هدير ألسنة اللهب، والحرارة جائرة حتى أنها تصل إليها وهي على الجانب الآخر من الطريق.

لم ترَ «أمارا» «سيمو» من قبل، لكنها تعلم أنه يجب أن يكون هو من الطريقة التي يخطو بها، كان «باريس» والرجل الآخر يخطوان إلى الأمام. إنه يسعل، يكاد يختنق مرتين من الدخان. أمسكه «باريس»، كما لو أنه كان يحاول المساعدة، ولكن بعد ذلك بوقت قصير، انهار «سيمو» بين ذراعيه، ووضعته باريس برفق على الأرض. واندفع الآخرون إلى الأمام، وتراجع «باريس»، حتى صار على هامش الحشد، ثم استدار ومشى بسرعة نحو البئر.

- علينا المغادرة الآن. فقالت أمارا: لا بد أنه طعنه. سوف يسوء الأمر.

سارتا بسرعة لاتفقت الانتباه، و خرج الناس من

المباني المجاورة إلى الشارع، في محاولة لوقف انتشار الحريق. كانت هناك امرأة تصرخ من غرفة في الطابق العلوي. وشرارات تدور في الجو، فخشيت «أمارا» أن تشتعل النيران في عباأتيهما، ثم سمعت ضوضاء مثل الرعد، صدع رهيب، أدّى إلى انهيار سقف العارضة، وبدأ اندفاع اللهب إلى أعلى. نظرت إلى جحيم النيران برعب، وفكرت في أنّ أي شخص لا يزال في الداخل لن ينجو. شدت «فيكتوريا» ذراعها، واستمرت في المشي، تاركتين الضوء والضوضاء، عائدتين إلى الظلام.

-41-

هذا الثنائي كان هنا، أصدقاء أعزاء للأبد.
كتابة على جدران بومبي

أبقى «فيليكس» «فيكتوريا» معه في الطابق العلوي بعد الحريق، ونقلها إلى غرفته. مكافأة لمساعدتها على قتل «سيمو». لم يعترف بدور «أمارا»، لكنها قالت لنفسها إنه لا يهم، وإن بروده لا يمكن أن يؤذيها إذا كانت تكرهه. كان الأمر الأصعب عليها، هو أن ترى «فيكتوريا» تفتح بها مثل الزهرة التي وجدت الشمس أخيراً. في الصباح، كان في مقدور «أمارا» أن تسمع غناؤها لـ «فيليكس» في الصباح، وتتخيل كيف يجب أن تكون مستلقية بين ذراعيه، تحديق فيه وتظهر كل الحب في قلبها له.

وجدت «أمارا» أن عدم إخبار النساء الأخريات بأي شيء مما حدث أسهل عليها، أكثر مما تخيلت. عندما كنّ يذهبن إلى الحمامات معاً، تخلق كذبة عن استخدام «فيكتوريا» لتسلية العملاء في حانة، متفاجئة بمدى سرعة رحلات الحكاية من لسانها، فحتى لو لم تكن تجيد الكذب

بهذه السهولة، فإن قصة الحانة سرعان ما تُنسى، مدفونة بالثرثرة الأكثر إثارة للاهتمام، عن «فيكتوريا» التي يبدو أن «فيليكس» قد اختارها - «زوجة» من نوع ما.

عندما وصلتهم أخبار وفاة «سيمو» أخيراً عبر «جالوس»، كانت «أمارا» تواصل الإمساك بالسُر، متظاهرة بالصدمة لتتناسب مع البقية، ولكن، على الرغم من قدرتها على دفن مشاعرها في النهار، إلا إنها تكافح في الليل من أجل النوم، وينبض قلبها بسرعة، وكل أعصابها مشدودة بالخوف. جسدها يستعيد الرعب الذي لا يستطيع عقلاها استيعابه. إنها تعلم أن «باريس» يعاني أيضاً، تسمعه ييكي في الظلام؛ لكن في الصباح، يرفض دائماً التحدث معها. مهما كان الشعور بالذنب، فمن الواضح أنه مصمم على دفنه.

في اليوم الثالث بعد الحريق، أرسل «فيليكس» في طلبها. كانت تتبع «باريس» إلى مكتب سيدهم، وتنتظر حتى يفتح الباب. في الداخل، كانت «فيكتوريا» تجلس في حجر «فيليكس»، خلف المنضدة، وذراعاها حول رقبتة، أسقطتهما حالما دخلت «أمارا» محرجة، و«أمارا» تحبها لذلك، مع العلم أن «فيكتوريا» لا تريد أن تجعلها تشعر أنها صغيرة.

قال فيليكس:

- حان وقت العودة إلى المبنى. أحضت أمارا رأسها، وتوجهت إلى الخارج مرة أخرى، لكنه أوقفها: ليس أنت، والتفت إلى فيكتوريا قائلاً: حان وقت رحيلك أنت.

أسقط «فيكتوريا» عن ركبته. فأمسكت بالمكتب لتجنب نفسها السقوط على الأرض. للحظة، اعتقدت المرأتان أنه يمزح. لكنهما أدركتا أنه ليس كذلك.

عرفت «أمارا» أن شيئاً ما قد انكسر في «فيكتوريا» بعد ذلك، رآته في وجهها، ببساطة «فيكتوريا» لا تتوسل ولا تقول وداعاً. استدارت وخرجت من الغرفة وعيناها جافتان .

عندما ذهبت، أخذت «أمارا» و«فيليكس» ينظران إلى بعضهما بعضاً، كسر الصمت أخيراً، قائلاً:

- اشتقت إليك. لم تستطع الرد. لأول مرة منذ أن عرفته، شعرت أمارا أن فيليكس لا يعرف ما يريد أن يقوله. يشير إلى كومة الألواح المتكدسة على طاولتها القديمة، من غيرك يجب عليه القيام بحساباتي؟
جلست من دون أن تتحدث، وفتحت أول الألواح وبدأت في العمل.

إنها عشية عيد «ساتورناليا»، ولم يخبرها «روفوس» بعد، متى سيشتريها. إن ضغط الانتظار والقلق كبير جداً إلى درجة أنها تخشى أن تنهار وتتوسل في المرة القادمة التي تراه فيها. إنها تعلم أنه لا توجد أعماق لن تغوص فيها، ليس إذا كان ذلك يعني الهروب من «فيليكس». حتى لو كان عليها أن تقضي باقي عمرها تحت السقف نفسه مع «هورتينسيوس»

جلست إلى طاولة في «السابارو»، تشرب مع صديقاتها، بينما يناقشن الهدايا التي يمكنهن تحمل تكلفتها. المدينة بأكملها تتأرجح، ويضرب الباعة الجائلون على الأرصفة، في محاولة لتغيير بعض الحلي الإضافية قبل بدء المهرجان.

- لا أطيع الانتظار لأرى ما اشتراه لي جالوس! صاحت بيرونيس، ومنحت ديدو قبلة أشبه بصفعة على خدها، بعدما تناولت الكثير من النيذ. ثلاثة أيام كاملة معه! أوه! فقط فكري في الأمر!

- ليلة أخرى ثم نحصل على قسط من الراحة من العملاء. قالت ديدو بحسرة، هل نشترى شيئاً لبريتانیکا؟ يجب علينا أن نفعل.

- إنها لا تفعل شيئاً. صرخت إبيستيلا.
فردت بيرونيس متجهمّة:

- هذه ليست روح ساتورناليا. أنا لا أمانع في المشاركة. على الرغم من أنني لا أعرف ما الذي تريده.

«سكين على الأرجح» همست «أمارا» لنفسها، لكنها لا تقترح ذلك.

- أحضرن لي أي شيء يا فتيات. صاح زوسكاليس من البار. إنه في حالة مزاجية ممتازة، ولا شك أنه يتطلع إلى يوم عطلة من زبائنه أيضاً.

- قبلة إذا كنت محظوظاً! صرخت بيرونيس والجميع يضحك، باستثناء فيكتوريا التي لاحظت بيرونيس صمتها، فقالت: ربما سوف يحضر لك فيليكس شيئاً ما. على

الرغم من أن فيكتوريا كانت تضايقها بلا هوادة بشأن جالوس على مدار العام الماضي، إلا أن بيرونيس لم تكن سوى داعمة لحسرة قلب صديقتها.

تذكرت «أمارا» الحوار الذي دار بينهما، بعد عودة «فيكتوريا» إلى المبنى: «هل يمكنك أن تتخيلي ألم التفكير في أن الرجل سيتزوجك ثم يرسلك لحزم حقائبك والرحيل! يا له من هراء!».

ردت «فيكتوريا»:

- إنه يعطينا دينارًا دائمًا. أنا لا أهتم على أي حال. اللعنة عليه.

- كيف ينبغي لنا أن نفعل ذلك؟ قالت أمارا لبيرونيس ربما يمكنني أنا وديدو الشراء لك، ولبريتانكا وفيكتوريا، ثم تشتري أنت وفيكتوريا لي ولديدو. وتوجهتا بالقول إلى الفتيات الإسبانيات: وهل تريدان أن تشتريا لبعضكما بعضاً، أم تريدان مفاجأة؟

- نحن نشترى. قالت تيليثوزا بشكل قاطع، وهي تنظر بشيء من الشك إلى الخرز الخشبي الرخيص الذي ترتديه أمارا، وهو هديتها المميزة من روفوس. من الواضح أنها لا تثق في ذوق النساء الأخريات.

- لا يزيد عدد عملاتنا النقدية عن خمسة. دعونا لا نغضب. سنقسم تكاليف كل ذلك لاحقاً.

أنهين آخر نبيذهن، وأخذن وقتهن، ثم افترقن في طرق التسوق. وسارت «أمارا» و«ديدو» في نزهة نحو المنتدى.

- ماذا ستحب بريتانكا؟ سألتها ديدو، إنها لن تريد الخرز أو أي شيء جميل.

- يمكنني التفكير في شيء ما. كان هناك بائع متجول يبيع تمائم من دماء المصارعين. لنقل شجاعتهم. استغرق الأمر بعض الوقت للعثور على البائع، لا بد أنه انتقل منذ آخر مرة رأته فيها «أمارا». كان من الصعب أن تمشي وسط الزحام. في كل مكان، يتزاحم الناس على الأكشاك، ويساومون بصوت عالٍ للحصول على سعر أفضل. يبدو أن معظم سكان بومبي قد تركوا شراء الهدايا حتى اللحظة الأخيرة.

في النهاية، اكتشفت «أمارا» مكان الرجل بجوائزه المروعة، وهي مجموعة من البضائع غارقة في دماء المصارعين الذين قُتلوا في الحلبة. وتتراوح أسعارها حسب شهرة الموتى، لن تستطيعا تحمل نفقات مقاتل شهير، لذا اختارتا المجهولين، الذين قُتلوا في أول ظهور لهم، على الرغم من أن «أمارا» حاولت المساومة على شيء أفضل. لا يوجد شيء جميل في التميمة الجلدية التي اختارتها. كانت محفورة بسيف مرسوم تقريباً. واعتقدت «أمارا» أن «بريتانكا» ستحبه.

لقد استنفد حماسهم للتسوق من التجول والبحث عن بائع التميمة، ولكن على الأقل من السهل شراء الهدايا للنساء الأخريات. مشبك شعر رخيص لـ«فيكتوريا»، وبعض خرز الكاحل لـ«بيرونيس».

قالت «ديدو»، عندما بدأتا في العودة إلى المنزل:

- أنا سعيدة جداً لأن روفوس سيشتريك.
لكنني سأفتقدك كثيراً.

- لا أعرف على وجه اليقين أنه سيفعل ذلك.
لم يحدد يوماً. أنا لا أفهم لماذا لم يفعل ذلك، إذا كان
يقصد ذلك حقاً.

- ربما يريد أن يقوم بإيماءة عظيمة خلال المهرجان.
قالت ديدو وهي تحمل ذراعها، هذا سيكون أمراً يشبهه
جداً.

«ديدو» لطيفة للغاية، وتريد طمأننتها، لكن «أمارا» بدت
مستاءة. تكره نفسها لأنها لم تكن أكثر مراعاة، كان ينبغي
لها أن تولي اهتماماً أكبر لمشاعر «ديدو» خلال الأيام
القليلة الماضية، ستكون يائسة إذا عكست أدوارهم.
فتقول:

- سأفعل كل ما بوسعي لإخراجك. كل شيء. أعدك.
أنا أحبك. أنت كل شيء بالنسبة إلي.

- أنا أحبك أيضاً. أجابت ديدو، وهي على وشك
البكاء.

«ديدو» هي الشخص الوحيد الذي أخبرته «أمارا» عن
خطتها، لكنها لا تعرف حتى مكان المنزل الجديد. كانت
«أمارا» قلقة من خطر ملاحقتهم، لكنها الآن تدرك أن
هذا سيترك «ديدو» بلا أي وسيلة للعثور عليها، ولا توجد
وسيلة لترك رسالة.

- هل تريدان أن تعرفي مكانه؟ المنزل؛ أعني قالت

أمارا بصوت هادئ، على الرغم من أنه من غير المحتمل أن يستمع أي شخص. ثم إذا أوفى روفوس بوعده، يمكنك زيارتي.

سارتا خلف بعضهما بعضاً، قادتها «أمارا» على الطريق عبر المدينة. تذكرت المرة الأولى التي أحضرها فيها «فيلوس» إلى المنزل. لم تكن قط على الطريق في وضوح النهار. حتى عشية عيد «ساتورناليا»، إنه هادئ نسبياً. إن العيش هنا سيشكل تغييراً كبيراً عن مفترق الطرق الصاخب في المبنى. جلب لها التفكير في الهروب اندفاعاً من الإثارة، وحينما وقفنا خارج المبنى الطويل بإطاره الذهبي، شعرت أمارا أن الحياة قد تكون طيبة في النهاية. طرقت على الباب الخشبي، لم تتوقع أن يجيب أحد، لكن «فيلوس» فتح، وبدا مدهوشاً لرؤيتها.

- ادخلي! صرخ، مستعجلاً كليهما إلى الداخل، وأغلق الباب خلفهما. هل هناك خطب ما؟ هل أنت بخير؟
- أردت أن تعرف يبدو أين تجدني. إذا كان روفوس يعني حقاً أن أبقى هنا.

أشار «فيلوس» إلى الردهة خلفه حيث كان «فيتاليو» يتأرجح حاملاً طاولة.

- أعتقد أنه يمكنك رؤية ما يفعله. ألم يقل أي شيء؟

هزت «أمارا» رأسها نافية، وقالت:

- لم أكن أحب أن أفترض شيئاً.

أجابها فيلوس:

- ليس عليك أن تقلقي، لديه كل النية في شرائك.
لا تقلقي.
- لقد أخبرتك أن الأمر على ما يرام. قالت ديدو وهي تبتسم، ويا له من مكان جميل!
- سار «فيتاليو» عائداً إلى الردهة، متخلصاً الآن من عبئه، عابساً في وجه «أمارا».
- دعونا نرى كم من الوقت يستمر هذا. صرخ وهو يصعد الدرج.
- قالت «أمارا» التي كانت تنظر إليه:
- ماذا عنى بذلك؟
- لا شيء. أنت تعرفين فيتاليو. إنه دائماً في مزاج سيئ. ابتسم فيلوس، لكنه يبدو غير مرتاح. كان اندلاع فيتاليو شديداً للغاية بحيث لا يمكن أن يكون له تفسير معقول، وجميعهم يعرفون ذلك.
- قالت أمارة بلهجة تتم عن القلق:
- لا، كان يقصد شيئاً معيناً. ماذا كان يعني؟ أرجوك قل لي. لو سمحت.
- كان روفوس مولعاً بابنة فيتاليو لفترة من الوقت. قال فيلوس من دون أن ينظر إليها.
- ابنته؟ هل هي جزء من الأسرة المعيشية؟ أمسكت ديدو بيد أمارا، محاولة إبعادها، لتهديتها، لكن أمارا هزتها. أخبرني. حدثت في فيلوس، ورغبت في طاعته. كان الحزن في عينيه الرماديتين يصيها بالخوف.

- لقد قابلتها مرات عدة. إنها فاوستيلا، الفتاة الخادم.

في البداية، لم تستطع «أمارا» تخيل من يقصد، الخادمة الوحيدة التي تستطيع تذكرها هي شابة خجولة لم تتحدث قط.

- لكن، لا يمكن أن تكون الفتاة التي قابلتها، إنها صغيرة جداً. ويبدو أن روفوس لم يلاحظها قط. كانت هناك مرات عدة حتى... وضعت أمارا يدها على فمها، مصدومة من الاستمرار. وضعت ديدو ذراعها حولها، لكنها، لم تدفعها هذه المرة بعيداً.

- لا يختلف روفوس عن أي شاب من صفه، أنت تعلمين أنهم جميعاً ينامون مع عبيدهم. كل ما حدث بينهما لم يكن قط أي انعكاس لمشاعره تجاهك.

- هذا ليس ما أنا منزعة منه! قالت أمارا، على الرغم من أنها كاذبة، لأنها اعتقدت أن روفوس كان مختلفاً. إنها تفكر في ابتسامته التي تنزع سلاحها، في الطريقة التي بدا بها دائماً مخلصاً للغاية. الطريقة التي يخبرها بها أنه يحبها. وقالت بإصرار: أنا مستاءة بشأن الفتاة. لا عجب أن فيتاليو يكرهني. يجب على ابنته أن تخدم المرأة التي حلت مكانها. هل كانت تحبه؟ لم يرد فيلوس، لكنه لا يحتاج إلى ذلك. بالطبع كانت تحبه. لا بد أنها اعتقدت أنه كان ألطف رجل قابلته على الإطلاق. فكرت أمارا في الطريقة التي يعامل

بها فيليكس فيكتوريا، وبقسوته المتعمدة. لكن روفوس ليس أقل قسوة على فاوستيل ، حتى لو لم يقصد ذلك. هل انتهى الأمر بينهما حتى عندما قابلني روفوس؟

- أمارا... قال فيلوس بصوت منخفض: فقط تذكرني أنه عليك أن تتعاشي مع إجاباتي. وأنا كذلك.

- ما زال معها، وبطبيعة الحال يجب أن تعتقد أنني حمقاء.

- لا أعتقد ذلك على الإطلاق. بدا على وجه فيلوس تعبير فارغ، كما أي عبد اعتاد إخفاء مشاعره. وتذكرت ما قاله لها عندما كانا بمفردهما: عندما تكون صغيراً، فإنهم يمارسون الحب معك، وعندما تكبر، فإنهم يفسدون حياتك.

- حسناً. قالت لديدو بهجة كاذبة.

- لم يوجر لها منزلاً. لذلك أمل أن يكون لدي القليل من الوقت قبل أن أقدم النبيذ لعشيقته التالية.

- فكري فقط في فيليكس. قالت ديدو: فكري كم ستكونين أكثر أماناً هنا. إنها الجنة بالمقارنة.

- إنها محقة، قال فيلوس، وهو حريص على إصلاح الضرر. وأعتقد حقاً أنه يجبك. لم أره قط يفعل هذا القدر من أجل أي امرأة أخرى. ولا حتى لقربياته.

فكرت «أمارا» في «هورتسيوس»، وكيف جرحها

وأهانها، ومع ذلك لم يقل «روفوس» شيئاً.
- حب السيد لعبده! قالت، وهي تنظر إلى فيلوس،
الذي يشعر بالمرارة في صوتها. أفترض أن هذا القدر
هو ما يمكن لأي منا أن يأمل في بناء حياته عليه.

-42-

مهرجان ساتورناليا، أفضل الأيام!

كاتولوس، القصيدة 14

كان مكتب «فيليكس» مكتظًا، فأفراد أسرته المتنوعة من البغايا والبلطجية منتشرون على مقاعد وبتانيات مختلفة مثل عائلة بومبي الأكثر غرابة. «فيليكس» نفسه يجلس على مكتبه، ومن غير المرجح أن يكون رب الأسرة، بينما يخدم «ثراسو» و«جالوس» زميلهم «باريس» و«النساء» ويقدمان الكعك الحلو والنيذ. وفقًا لروح «ساتورناليا» الحقيقية، يجب أن يكون «فيليكس» هو من يخدم الجميع، لكن لا أحد يشكك في هذا الخروج عن التقليد.

- سأخذ قطعة أخرى، ربما اثنتين! أعلنت فابيا أنها تنهب سلة جالوس للحصول على مساعدة أكبر، تنهد، لكنه، لم يدفع ذراعيها النحيفتين بعيدًا.

- هذا يكفي! صاح باريس، فتراجعت فابيا عن ابنها، وأسقطت الكعكة الخامسة في السلة، فقال فيليكس:

- كن لطيفًا مع والدتك اللعينة. بالتأكيد يمكنك أن

تسيطر على نفسك ليوم واحد!
أعاد «باريس» لـ«فايبيا» الكعكة التي أخذها منها، وكان خداه ملتهبين، ثم نهض وذهب للجلوس في الجانب الآخر من الغرفة.

- هدايا! قالت إيبستيلا وهي تصفق بيديها، حان وقت الهدايا. أليس كذلك؟

استلم الجميع هدية «فيليكس»، مرر حقيبة يد عليهم، وأخرج لكل منهم ديناراً. سرعان ما شعر بالملل من كل الشكر، ولوح بها بعيداً. بحلول الوقت الذي جاء فيه دور «أمارا» لأخذ المال، لم يكن حتى يبحث. كانت جالسة في الزاوية مع «ديدو»، بطنها ممتلئة للغاية من أكل المعجنات الحلوة.

لقد أخبرتا «فيلوس» أن المبغى بأكمله سيتجه إلى المنتدى في وقت متأخر من بعد الظهر. لا يمكنها الاسترخاء، متسائلة عما إذا كان اليوم هو اليوم الذي سيشتريها فيه «روفوس». في كل لحظة، كانت تتوقع طرْقاً على الباب، خائفة من فكرة أنه لن يأتي.

- الآن البقية منهم! أخرجت بيرونيس حزمة الهدايا الصغيرة، كلها ملفوفة في بطانية. خداها يلمعان من الخمر، وبدت إلى حد بعيد أسعد شخص في الغرفة. جالوس يجلس إلى جوارها، ويقترب قدر الإمكان، إنه طفولي في شغفه. تعتقد أمارا أنه ربما يحبها بعد كل شيء. أو ربما يريد فقط هدية. ليس بعد! لا تكن جشعاً! قالت بيرونيس، وهو يقبلها.

ألقت «أمارا» نظرة على «فيليكس»، لكنه بدا غير مبالي تماماً بهذا الاندفاع العاطفي. وتذكرت ما قالته «كريسا» في فيناليا: إن السيد لا يهتم أبداً بالحب الذي يبقي خدمه مطيعين. فكرة صديقتها الميتة، وحياتها القصيرة القاسية، تؤلم قلب «أمارا».

- حسناً، هذه لك فاييا. قالت بيرونيس، وهي تمنحها بعض العملات المعدنية ملفوفة في قطعة من القماش.

لقد قرروا أن المرأة العجوز المفلسة ستفضل خمس عملات نقداً على بعض الحلبي باهظة الثمن.

- هذا لك... وهذا لك... وزعت بيرونيس جميع الهدايا الأخرى، مستمتعة بدورها.

قامت «أمارا» بفك غطاء هديتها عن قطعة القماش. إنه مقطع شعر رخيص، لا يختلف عن ذلك الذي اشترته هي و«ديدو» لـ«فيكتوريا». وتم إعطاء «ديدو» الشيء نفسه. أما «بريتانिका» فظلت تحديق في قلادتها بعبوس، وهي تتدلى بين أصابعها.

- لقد غُمرت في دماء مصارع، مقاتل، لتمنحك القوة. قالت أمارا.

إنها تعرف أن «بريتانिका» قد فهمت على الرغم من أنها لا تشكرها، أو حتى تنظر إليها. وضعت البريطانية التميمة حول رقبتها، وأخفتها تحت التوجا التي ترتديها، ثم تركت يدها على صدرها، وانتقلت عيناها نحو «أمارا» و«ديدو»، ونظرت إليهما بأقصر إيماء للعرفان.

اشترى الرجال لبعضهم بعضاً نبيذاً إضافياً، وهو أعلى من النوع المحلي الذي تقدمه النساء. سكب «ثراسو» خارجاً، وصبَّ جزءاً سخياً بشكل خاص في القارورة الخاصة به. لاحظت «أمارا» أن الجميع قد نسي «باريس». كان يجلس بعيداً قليلاً عن التجمع، ممسكاً بركبتيه النحيفتين بين ذراعيه، ووجهه مقروص من خيبة الأمل. لوحث له «فايبا»، وأشارت إليه أنه يمكن أن يتقاسم معها العملات النقدية الخمس. إلا أن «باريس» تجاهلها كالعادة، فليس ما يريده هو اهتمام والدته. دفع «جالوس» كوع «ثراسو» بينما يسكب المزيد من النبيذ، في إشارة إلى العبد المنسي.

- هل هو حقاً رجل على الرغم من ذلك؟ قال ثراسو. ألم تعطه إحدى الفتيات مشبك شعر أو شيئاً من هذا القبيل؟ ضحك ساخرًا من باريس، وتوقع أن يشاركه فيليكس، لكن رئيسهم لم يبتسم للنكتة، وقال:

- أعط الصبي بعض النبيذ. لقد ربحت ذلك هذا العام.

جلس «جالوس» مرة أخرى إلى جوار «بيرونيس»، وأعطها قبلة سريعة قائلاً:

- هذا من أجلك.

سلمها هدية، أخذتها، ولوحت بها، بينما هو يعترض طريقها، ويكاد يلفها بنفسه في حماسته لرؤية رد فعلها.

- أوه.. إنها جميلة! صاحت بيرونيس لاهثة، وهي ترفع هديتها ليراها الجميع. إنها قلادة

صغيرة، لكنها لا تزال أغلى هدية صنعها أي شخص.
أنا أحبك! صرخت بيرونيس، ورفرفت بذراعيها حوله، ثم
تراجعت قائلة:

لم أحضر لك سوى بعض دهن الشعر!

بدت «فيكتوريا» عالقة، إلى جانب العشاق الذين
يقبلون بعضهم الآن بصخب. نظرت إلى الأسفل، كتفاها
منحيتان. بعد كل هذا الاستهزاء، قد فعل «جالوس»
لـ«بيرونيس» أكثر مما يمكن لأي شخص أن يتخيله. انزلق
«فيليكس» من على المكتب، وهي جالسة على الأرض إلى
جواره. ويقول:

- للبغي المفضلة لدي. وسلم فيكتوريا علبة،
فنظرت إليه، وعيناها مليئتان بالأمل، وانزلقت المحتويات
بين أصابعها. إنها سلسلة من الخرز الخشبي. حدقت
«فيكتوريا» في «فيليكس»، بدا الحب على وجهها مؤلماً.
إنها تبرز من حول الجميع، فخورة بأنها اختيرت أمامهم
جميعاً. ابتسمت «أمارا»، لم تكن تريد إفساد سعادتها.
أما «بيرونيس» فقد غمزت «أمارا» بطرف عينها. لم يكن
لدى «فيكتوريا» أي فكرة عن أن أصدقاءها يشفقون عليها،
وأنهم عندما يتخيلون الحب، فإنهم لا يرون سوى القسوة.
مرّ اليوم، و ثمل الجميع ما عدا «أمارا» و«فيليكس». يبدو
أنه لا أحد منهما مستعد للتخلي عن السيطرة على نفسه،
ولا حتى في مهرجان «ساتورناليا». هي تدرك أنه يراقبها
وتتساءل عما إذا كان يشتبه في شيء ما، على الرغم من أنه
بالتأكيد لا يعرف شيئاً عن قرض «روفوس» أو «بالينا»؛ لقد

كانت حذرة للغاية، لو كان أي رجل آخر، لكانت قالت إنه كان ينظر إليها بشهوة، لكنها تعلم أن هذا مستحيل.

أصر الرجال على محاولة طهي حساء الفاصولياء، معلنين ذلك يوم إجازة للفتيات، لكنهم تسببوا في حدوث فوضى، وقاموا بإلقاء الطعام فوق الموقد، وكادوا يطفئون النار، إلى درجة أن «تيليثوزا» دفعتهم جانباً وتولت زمام الأمور، وصرخت بغضب:

- أنتم تفسدوننها! ابتعدوا! ارحلوا!

عرضت «فايبا» المساعدة، لكن «تيليثوزا» أشارت إليها لتظل جالسة. وقالت بنظرة حادة مخاطبة «ثراسو»:

- لا يوجد سبب حتى نعاني جميعاً.

قالت أمارا مخاطبة ديدو:

- أنا سعيدة جداً من أجل بيرونييس. لا بد أن جالوس يحبها حقاً بعد كل شيء! ابتسمت أمارا، وبدت متوترة للغاية إلى درجة لا يمكن معها الكلام. لن ينسى. أعلم أنه لن يفعل.

أدركت «أمارا» أن «فيليكس» يراقبهما مرة أخرى، فأمسكت بيد «ديدو» وهمست:

- أنا أحبك. قصدت كل ما وعدت به.

بعد حسائهم الطري المحترق، أعلن «فيليكس» أن الوقت مناسب للتوجه إلى الخارج والسير إلى المنتدى. فك «بيرونييس» و«جالوس» نفسيهما بتردد، كانا يجلسان في زاوية، ومنذ فترة طويلة تخلوا عن أي تظاهر بالانضمام إلى الجماعة.

سرن في الشوارع، يلتفَعن العباءات، لقد أُغْلقتُ المحلات التجارية بسبب المهرجان، لكن عددًا من الأسر الأخرى خرجت في نزهة، واغتتمت الفرصة للحصول على بعض الهواء قبل حلول فترة الظهيرة. تأبطت «أمارا» ذراع «ديدو» وهم جميعًا يتقلون إلى المنتدى. بدا كل شخص في الشارع في حالة معنوية عالية، وحتى «باريس» كان يرافق والدته، التي تبدو كما لو كان هذا هو الهدية التي كانت تنتظرها طوال «ساتورناليا». تذكرت «أمارا» الطريقة التي حمل بها «باريس» «سيمو» من الحانة المحترقة، كما لو أنه كان يساعده، لوهلة ارتجفت وهي تتذكر كيف غرز السكين وتركه يموت.

- هل تشعرين بالبرد؟ ضغطت ديدو على ذراعها وهي تسألها،
فهزت «أمارا» رأسها نافية.

تجولت الحشود حول المنتدى، يشربون ويضحكون، يشاهدون فناني الشوارع والموسيقيين. يتوقفون بالقرب من رجل يتلاعب بالمشاعل. راقبت «أمارا» النيران وهي ترتفع وتنخفض، والرجل يمسك بها في يديه مرتديًا القفاز.

- كنت أتمنى أن أراك اليوم.
صوته يشبه ذكرى قديمة من الوطن. لم تلتق «أمارا» بـ«ميناندر» منذ شهور، ولكن عند سماعها صوته، بدا الأمر وكأنه بالأمس منذ أن ذهبت إليه. تستدير، وللمرة الأولى، لا يبدو واثقًا تمامًا من نفسه.

- قلنا إننا سنلتقي في ساتورناليا، أعلم أن ذلك كان منذ بعض الوقت، أضاف، وهو يرى المظهر المرتبك على وجهها، أنا هنا فقط كصديق. أحضرت لك هدية. أمسك بشيء ملفوف بقطعة قماش، وقدمه لها، أخذته، وفتحته، كان مصباحًا طينياً جميلاً مع طلاء أخضر. الحفر عليه مألوف، إنه شبيه بـ«هيلين طروادة» في أفيدناي، التمثال من مسقط رأسها، التمثال الذي أحببت أن تنظر إليه عندما كانت طفلة، عندما أشار كان والدها يشير إليها بفخر.

صنع «ميناندر» هذا لها، حدقت في المصباح، غير قادرة على الكلام. ثم رفعت ذراعيها حول رقبتة، وقالت: - إنه جميل. إنها أجمل هدية قدمها لي أي شخص على الإطلاق.

شدت «ديدو» ذراعها بقوة، لكن «ميناندر» أمسك بيدها، وقال:

- أعلم أن لديك راعياً يا تيماريت، أعرف هذا. ولكن إذا كنت حراً... إذا حصلت على حريتي، هل ستشعرين بشكل مختلف؟

سحبت «أمارا» يدها، وأخيراً فهمت ما رأته «ديدو» خلفها.

- ما هذا؟

لم تعرف «روفوس» غاضباً هكذا قط. كاد الرعب يوقف قلبها. دفعت «ميناندر» جانباً للوصول إلى صديقها، لكنه دفعها، حينما أرادت عناقه.

من هذا؟ كانت تخشى للحظة أن يضربها.
 ترددت «أمارا». ليس هناك شك في ذهنها ماذا يجب
 أن تفعل، فقط ما إذا كانت لديها الشجاعة.
 - هذا! واستدارت لتتظر إلى ميناندر كما لو أنها قد
 لاحظته للتو، إنه لا أحد! أحد الأولاد أراد أن يعطيني هدية
 في مهرجان «ساتورناليا»، لأنه قال إن لدي وجهاً جميلاً.
 أنا لا أعرف حتى اسمه. واصلت وهي تضحك:
 لماذا أنت غاضب جداً؟ لا تكن سخيلاً! لا يمكنك
 أن تتخيل أن لديك أي شيء تشعر بالغيرة منه.
 إنه مجرد فتى عبد. أدركت أمارا أن فيلوس يقف إلى جوار
 سيده، لكنها تجاهلته، فليس هو من تحتاج إلى إقناعه.
 انظر، سأثبت لك ذلك، قالت، كما لو كانت تضحك على طفل.
 يمكنني أن أعيدها إليه وحسب، وأتركه يعطيه لفتاة
 أخرى، على الرغم من أنني آسفة إذا كنت تعتقد أنني
 لست أجمل فتاة في «ساتورناليا»، لأن هذه هي من أراد
 أن يمنح هديته لها.

واصلت «أمارا» مسرحيتها، واستدارت لمواجهة
 «ميناندر» مرة أخرى، إنه يحدق فيها كما لو كانت غريبة.
 أمسكت المصباح، ونظرت في عينيه، تريده أن يفهم:
 - أنا آسفة ولكن لا يمكنني قبول هذا...

لم يتحرك، لذلك خطت خطوة نحوه، وهي لا تزال
 تحمل هديته، وتقدمها له. ارتجفت يد أمارا وانزلقت
 الهدية من بين أصابعها، ليسقط المصباح ويصطدم
 بقدم «ميناندر».

صدمتها تجعلها تصرخ، وحدقت هي و«ميناندر» في بعضهما بعضاً. لقد فهم، رأت على وجهه أن أي عاطفة كانت بينهما قد انتهت. نظرت» إلى الأرض، حيث تناثرت شظايا الطين المزجج عند قدميها.

كل هذا العمل، المحفور بمثل هذا الحب، والذي تم دمغه بذكريات الوطن والشخصية التي اعتادت أن تكون. تذكرت وعاء «كريسا» المحطم في المقبرة، والرجل يحتضر، والتضحية التي قدمتها «فيكتوريا» لإنقاذ حياتها. الخيار الوحيد الذي يمكنها القيام به هو البقاء على قيد الحياة.

- آسفة... اعذرني.. يا لي من سخيفة، قالت وهي تتجه إلى روفوس، عضت شفرتها كما لو كانت مزحة، يبدو أنني كسرتة!

ربما يكون تجاهلها القاسي هو الذي أقنع «روفوس» في النهاية، ليتقدم ويضع ذراعه حولها، وهو يقول لـ«ميناندر»:

- آسف يا فتى، قال وهو يمد يده إلى حقيبته بحثاً عن بعض العملات المعدنية. صديقتي لم تقصد أن تكون خرقاء. أمل أن يعوضك هذا.

أخذ «ميناندر» المال من دون النظر إلى «أمارا»، وقال:

- أنت كريم جداً يا سيدي.

استدار «روفوس» وأمارا عائدين إلى حيث يقف «فيلوس» و«ديدو»، من الواضح أنه حريص على نسيان الحادث برمته. قال وهو يقبلها:

- كم أنا سخيّف! أنا آسف لأنني شعرت بالغيرة.
أجابت وهي تحديق في وجهه:
- لقد شعرت بالإطراء لأنك كنت كذلك. وأدركت أن ميناندر يبتعد، على الرغم من أنها لا تراه يغادر.
وصلا إلى «فيلوس»، ولاحظت «أمارا» أن «كوينتوس» و«لوسيوس» موجودان هناك أيضاً، جنباً إلى جنب مع حاشية من عبيدهم. إنهما يصنعان جمهوراً لا بأس به.
قال «روفوس»: قال
- لدي هدية صغيرة لك، يا حبيبتى.
قال ذلك بنبرة مسرحية، تستهدف أصدقائه بمقدار ما تستهدفها. الأمل جعل قلبها ينبض بشكل أسرع.
خفض روفوس صوته، وتابع: أين قوادك البائس؟
- كانت «أمارا» تعرف أنّ «فيليكس» لن يكون بعيداً، وجدته على الفور تقريباً. لا بد أنه شاهد المشهد بأكمله ، ورأى كيف تعاملت مع «ميناندر»، في تلك اللحظة تردد صوته في رأسها: «ليست كل امرأة بغياً بلا قلب مثلك».
مشى «فيليكس» نحوهم، حالما لفتت نظره، وقال، وهو ينحني لروفوس الذي تراجع قليلاً:
- شرف لي.
- أريد أن أقدم لك عرضاً... قال روفوس بصوت عال بما يكفي حتى يجتمع بقية أهل المبنى: أود شراء هذه المرأة نيابة عن صديق.
نظرت إليه «أمارا» في حيرة، وفكرت: «صديق!»
رفع «روفوس» يده لإسكاتهما.

- أود شراء هذه المرأة نيابة عن جايوس بلينيوس سيكوندوس، أميرال الأسطول الروماني.

جفلت «أمارا» حينما ذكر اسم «بليني»، لكن «روفوس» لم ينتبه. كان غارقاً في الدراما، مستمتعاً بدوره كبطل أمام الحشد.

- لقد فكر الأدميرال في سعرها، وهو على استعداد لتزويدك بأكثر مما تستحق. لا يمكن أن يكون هناك مساومة، ولن ينحني إليها. يجب أن تأخذ عرضه أو تتركه. وأشار روفوس إلى فيلوس، الذي يحمل الختم. هذا هو تعهده، والذي يمكنك الاحتفاظ به إذا وافقت على البيع، كضمان حتى يتم الدفع لك. إنه يعرض عليك ستة آلاف سيسترس للجارية المعروفة باسم «أمارا».

إنه رقم أكثر بألفي سيسترس مما دفعه «فيليكس» خلال شرائها. يمكن لـ «أمارا» رؤية «ديدو» و«فيكتوريا» تمسكان بعضهما بعضاً، بضم مفتوح، تحديقان في «روفوس». نظرت إلى «فيليكس» الذي كان وجهه غامضاً. بالتأكيد لا يستطيع أن يرفض؟

انحنى «فيليكس»، طوال هذا الوقت لم يعترف بوجودها، لكنه نطق أخيراً:

- سأقبل عرض الأدميرال.

لم تقل «أمارا» شيئاً بينما كان يوقع سيدها على الاتفاقية، وينقل الملكية. كان الجميع يشاهدون في صمت، غير قادرين على تصديق ما رأوه للتو. كادت الصدمة أن تفرغها من الشعور. «روفوس» سلم «فيليكس»

الختم والتفت إليها، مشعاً بقوته الخاصة:
- أمارا. نيابة عن الأدميرال، وبحضور الشهود،
وأمام الآلهة، أمنحك حرّيتك. أنت الآن جايا بلينيا أمارا،
الحرّة.
نظرت إليه «أمارا»، عاجزة عن الكلام، وانفجرت
بالبكاء وحسب.

-43-

العديد من الذين رفعوا «فورتونا» عاليًا، أَلقت بهم فجأة،
وقذفتهم بتهور.
كتابة على جدران يوميي

لم تستطع «أمار» التوقف عن البكاء. منعها «روفوس»
أن تقذف نفسها عند قدميه، حيث تعلن حبها وامتنانها
للذين لا يموتان. قَبِل دموعها، ومن الواضح أنه يستمتع
بالعشق، بينما هي راحت تعانق «ديدو» و«فيكتوريا» مرارًا
وتكرارًا، وبكت على كتفيهما، ممسكة بوجهيهما في يديها،
غير قادرة على التعبير عن كل الحب الذي تشعر به.
ألم ما فعلته ب«ميناندر»، نشوة الحرية، لا يشبه أي شيء
شعرت به في أي وقت مضى.

ضحكت مع «كوينتوس» و«لوسيوس»، وأعلنت صداقتها
المخلصة لكل من «إيستيللا» و«تيليثوزا» - اللتين تبدوان
أقل سعادة من حظها السعيد - وتفاجئ «باريس» بإعطائه
عناقًا عظيمًا. وعندما حان دور «فابيا»، أمسكت المرأة
العجوز بها، وبكت، فوعدها «أمارا» بالمساعدة إذا كانت

في أمس الحاجة إليها. وعلى الرغم من أن «ثراسو» كان بعيداً جداً، إلا أنها أومأت إليه برأسها، بالطريقة التي قد تعترف بها الملكة بفلاحها. وهو أكثر مما يستحق.

إنها المرة الوحيدة التي ترى فيها «فيليكس» يبدو متفاجئاً حقاً. لا بد أنه أدرك أن كل حكاياتها عن «روفوس» والعنف كانت أكاذيب. ربما يتساءل ما الذي كذبت بشأنه أيضاً. أدارت ظهرها، وقالت لنفسها: دعيه يتساءل، فهو لا يستطيع أن يؤذيها الآن.

أرادت «أمارا» انتظار «بيرونيس»، متحمسة لمشاركتها الأخبار، لكن «روفوس» أصبح أقل حرصاً، وقال:

- حبيبتي. أعتقد أنني ربما سئمت من البغايا والقوادين لليلة واحدة. أنا متأكد أن هذه الفتاة الأخرى ستكون سعيدة مثلهم.

شعرت «أمارا» بهزة. طبعاً، هذا هو الجانب الآخر من الصفقة. أمضت «ساتورناليا» من دون «ديدو»، من دون أي من النساء اللواتي تحبهن. إنها تريد العودة لتعانقهن للمرة الأخيرة، لكن «روفوس» قادها بعيداً بقوة. لفتت انتباه «ديدو»، وأملت أن تفهم ذلك على أنه تذكير بالوعد الذي قطعته.

لم يكن الرحيل هيناً وسط الجمهور المكتظ، فحاول «فيلوس» والعبيد الآخرون المضي قدماً أولاً، وإخلاء الطريق، لكن لا أحد يميل إلى الإذعان في «ساتورناليا». وبينما هم يشقون طريقهم، ظهر رجل ثقيل يحمل أجراساً ويرقص بينهم، يرتدي زي «رب الضغينة»، وقناع

ثور مقرن، وملابس حمراء بالكامل. اقترب، وراح يلوح بالأجراس في وجه «أمارا»، فسحبها «روفوس» بعيداً ووضع ذراعه حولها. للحظة، بدا أن الرجل المقنع سيكون مصدر إزعاج، لكن «كوينتوس» و«لوسيروس» وكتائب العبيد من الرجال الأغنياء شكلوا حاجزاً هائلاً للغاية.

كان الرجل الثور يرقص، والناس تهتف له، ويدفعون بعضهم بعضاً لإفساح المجال. شاهدت «أمارا» الرجل وأدركت أنه على الرغم من أنه يقفز ويتوقف بين الحين والآخر لإضحاك الناس، إلا أنه لا يتحرك بشكل عشوائي. إنه يتجه ببطء نحو «فيليكس». ويتحول شعورها بعدم الارتياح إلى خوف.

ابتعدت عن «روفوس»، مما أجبره على التوقف. «كانت فيكتوريا» تقف إلى جوار رئيسها. نادتها «أمارا» لكن الضجيج ابتلع صوتها. بدا أن «فيليكس» مدرك للخطر، وبينما يأتي الثور الأحمر نحوه، سحب سكينه. وسحب الرجل الثور سكينه أيضاً. إنه يبلغ ضعف حجم «فيليكس»، لكن «أمارا» تشك أنه يمتلك الرشاقة التي يمتلكها سيدها السابق.

اندفع الثور إلى «فيليكس»، لكنه خدع، وسقطت الضربة في الهواء، ونجت «فيكتوريا» بأعجوبة. اندفعت «أمارا» عائدة، واختفت في أمان الحشد.

أخذ الرجلان يضربان بعضهما بعضاً، وبدا الأمر كما لو أنهما يرقصان، لولا وميض الفضة القاتل. لم

يكن الحشد يعلم ما يجري، أو ربما يخطئ في القتال من أجل جزء منظم من الاحتفالات السيئة. لقد قاموا بإخلاء مساحة صغيرة، وكلهم ملتصقون ببعضهم بعضاً، يهتفون للزوج.

يقول روفوس:

- يجب أن نغادر. إنه لا شيء بالنسبة إليك الآن.

- أين ديدو؟ لا أستطيع رؤيتها! أين هي؟

- سوف يُعنى بها الآخرون، هذا ليس مكاناً لك.

عادت إلى الورا لتتظر مرة أخرى، فقد خشيت أن تطيعه، استطاعت أن ترى «إيستيل» و«تيليثوزا»، وكل منهما تتأبط ذراع الأخرى، صرخت فجأة:

- ها هي ذي. هناك!

من الواضح أن «ديدو» محاصرة، وحدها، غير قادرة على مجارة التدافع في طريق العودة إلى الحشد مثل «فيكتوريا»، مجبرة على مشاهدة «فيليكس» والثور يتقاتلان، وهما قريبان بشكل مقزز. وهناك ثمل يمسك ذراعها ويحاول تقبيلها، غير مدرك للخطر الذي يواجهاه، و«ثراسو» يحوم بالقرب من «فيليكس»، ولا يريد قتل رئيسه بالتدخل.

لاحظت أيضاً وجود «بريتانिका» على الجانب الآخر من الدائرة، قريباً منها، تراقب القتال بشغف، غير مدركة لضيق «ديدو»، و«باريس» و«فايبا» لا يمكن رؤيتهما في أي مكان.

نظرت «أمارا» بياس إلى «لوسسيوس»، الرجل الذي وعد بالعثور على عائلة «ديدو»، والذي قضى معها العديد من الليالي في منزل «دروسيلا»:

- ألا يمكنك مساعدتها؟ لو سمحت!

بدا «لوسسيوس» غير مرتاح لكنه لم يجب. شعرت «أمارا» بغضب شديد نحو جنبه. انتزعت ذراعها من «روفوس»، واندفعت نفسها في طريق العودة نحو القتال، وهي تصرخ:

- بريتانىكا! بريتانىكا، ساعديني!

للحظة، اعتقدت «أمارا» أنها ستغرق في بحر من الأذرع، محطمة في الفوضى، ثم مدت المرأة الطويلة يدها إلى أسفل، وأمسكت بها من عباؤها، وسحبتهما إلى بر الأمان.

- ديدو! صرخت أمارا مشيرة إلى المكان الذي حوصرت فيه.

اتسعت عيون «بريتانىكا»، فأسقطت «أمارا» ودفعت رجلاً جانباً، ولكمته في حلقه عندما رفض أن يبتعد عن طريقها بالسرعة الكافية.

حاولت «بريتانىكا» الهجوم من خلال الحشد، لكن قوتها لا تضاهي الكثير من الناس. استطاعت «أمارا» رؤيتها وهي تكافح، محاطة بكل البشر. أصبحت مساحة القتال أصغر وأصغر، مما دفع «ديدو» إلى الاقتراب من دائرة العنف. لا بد أن المزيد والمزيد من الأشخاص تدفقوا إلى المنتدى، وحشد الجميع معاً.

حاولت «أمارا» الاندفاع نحو «ديدو»، لكن الناس في حالة سكر، أو غير مهتمين للسماح لها بالمرور. فسقطت على ركبتيها، وراحت تزحف في طريقها، يكاد يخنقها خوفها من أن يُداس عليها. وصلت إلى حافة الحشد. القتال فوقها، و الثور يقترب من أصابعها، لكنها منخفضة جداً بحيث لا يمكن أن تكون في النطاق. يمكنها أن ترى «بريتانيكا» تصرخ، ومجموعة من الرجال الغاضبين في حالة سكر يمنعونها من الاقتراب، و على بعد مسافة قصيرة، كانت «ديدو» تندفع، ليس نحو «أمارا»، بل كانت تحاول تجاوز الحشد، بعيداً عن السكاكين، ولا يزال السكير يمسكها حول الخصر.

نفذ الرجال تقريباً من مساحة القتال. كان «فيليكس» قريباً جداً، حتى أنها كادت أن تمتد يدها وتلمسه. لا يوجد خوف على وجهه، لكنه يبدو ضعيفاً، وجسده أكثر انكشافاً من الثور في زيه الثقيل الواقى. تمنى «أمارا»، أن يقتل «فيليكس» غريمة، وينهي ذلك، لكن «فيليكس» تعثر فوق قدم شخص ما، وكاد يصطدم بـ«ديدو».

رأى الثور الأحمر فرصته، ومرر السكين نحو خصمه بينما هو غير متوازن. غاص «فيليكس» بعيداً عن الطريق، وطعن الثور «ديدو» في ظهرها، ودفن السكين بين لوح كتفيها. السكير الذي كان يمسكها سقط في حالة صدمة. الآن، بعد فوات الأوان، تراجع الناس، وتركوا «ديدو» تمر. وتأخذ خطوتين إلى الأمام وتتهار.

صرخ شخص ما في الحشد ، ثم آخر. أخيراً، واتضح

أن هذا ليس عرضاً . اندفعت مجموعة من الرجال إلى الأمام، وألقوا القبض على الثور الأحمر، ومزقوا قناعه، كان وجهه مألوفاً، إنه «بالبوس»، محرّر «سيمو» .

سقط، وفمه مفتوح في حالة من الرعب، ودفن في نوبة من الركلات واللكمات. بدأ الحشد يتفرج، وبعضهم يندفع إلى الأمام لمشاهدة «بالبوس» يموت، وآخرون ينفرون من العنف.

وصلت «أمارا» إلى «ديدو». كانت «بريتانिका» تمسكها فعلاً، وتحتضنها بين ذراعيها.

- أنا هنا! صرخت أمارا وهي تبكي وتنزل إلى جوارها، ممسكة بيدها. كلنا هنا. أنت بأمان الآن. لم تجب «ديدو». كان الدم ينزف من فمها. نظرت إلى «أمارا» والألم والرعب في عينيها.

في جميع الأوقات، تبادلوا الرسائل من دون كلمات، فقط بالنظرات، وتعرف «أمارا» أنها لا تستطيع إخفاء معاناتها. قبّلت «ديدو» على جبهتها. وهي تسمع في رأسها صوت والدها: «لا ينبغي لأحد أن يموت في خوف». ثم قالت:

- لقد رأيت الناس يتعافون من أسوأ من هذا. كل هؤلاء المرضى الذين عالجهم والدي. سوف تتحسنين. أنا أعلم أنك ستفعلين. كانت يد ديدو باردة، لذا وضعتها على جسدها لتدفئتها. ستكونين على ما يرام، أعدك، في تلك اللحظة وصلت فيكتوريا، هي عاجزة عن التنفس، جلست إلى جوارها. وفيكتوريا هنا الآن أيضاً. عندما

تأتي بيرونيس، يمكنها إقناع جالوس بإحضار طبيب.

قالت فكتوريا:

- نحن هنا معك. أنت لست وحدك. نحن هنا.

أغلقت «ديدو» عينيها. فقالت «أمارا»:

- يمكنك الحصول على قسط من الراحة. لا بأس في أن تأخذي قسطاً من الراحة. وضعت راحة يدها على خد ديدو حتى تتمكن صديقتها من الشعور بها، رغم أنها لا تستطيع رؤيتها. بعد فترة طويلة من علمها بوفاتها.

- لقد ذهبت. قالت بريتانىكا، ولم يعلق أحد على حقيقة أنها تستطيع الكلام.

صمتت «أمارا».

- مجرد لحظة، ليس بعد، لم تذهب بعد.

قالت «فيكتوريا» وهي تضع يدها على ركة «أمارا»:

- لقد ماتت يا حبيبتى. لقد ذهبت الآن.

لم تستطع «أمارا» الرؤية، فقد أغشت الدموع عينيها. أمسكت «فيكتوريا» ذراع «أمارا»، وسحبته في وضع مستقيم. لاحظت «أمارا» أن رجلاً يراقبهم. إنه «فيليكس».

- أنت فعلت هذا! صرخت بكل حزنها وغضبها، تمنيت أن تقتله، وتمزقه حيث يقف، لكن فيكتوريا أمسكتها، ومنعتها، كان هذا السكين مخصص لك. قتلتها!

أنت فعلت هذا! ظل فيليكس صامتاً، بينما أمارا تصرخ وتهدهه بكراهيته حتى انكسر صوتها.

قام رجل بحملها ورفعها فوق كتفه وأخذها بعيداً.

ظنت أنه «روفوس»، راحت تضرب بقبضتها على ظهره باكية، وتأمّره أن يضعها على الأرض، للسماح لها بالعودة. في النهاية، استسلمت، وانهارت. فقط عندما وصلوا إلى حافة المنتدى ورأت «روفوس» واقفاً، ينتظرها، أدركت أن من يحملها هو «فيلوس».

-44-

وهكذا بدأنا في حبس الحيوانات التي خصت لها الطبيعة
 السماواتِ مجالاً ملائماً لها.
 بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي، عن حبس الطيور

انتهى مهرجان «ساتورناليا». وجلست «أمارا» إلى
 مكتبها مرتدية ملابس سوداء. لم يكن صوت النافورة
 يصل إلى هذه الغرفة، لكنها تعلم أنها موجودة هناك،
 وتغمغم برفق في أسفل الحديقة. هي بأمان في المنزل.
 لديها حريتها، وقلبها مكسور.

أخرجت الصندوق الخشبي من تحت سرير «روفوس»،
 ووضعت أمامها، فتحته، ووجدت رقاً مطويّاً فوق
 المجوهرات، إنها رسالة من «بليني» إلى «روفوس».
 التقطتها، وقفزت الكلمات في وجهها:

- ... الطائر، وأيضاً ليونا طائر مشهور؛ ولكن على
 الرغم من أن له صوتاً، في أوقات أخرى، يكون صامتاً
 في الأسر...

هكذا يستمر الأمر. يكاد لا يوجد ذكر لـ«أمارا» في

الرسالة. بنى «بليني» قضيته من أجل حريتها من خلال استدعاء عدد كبير من الطيور، لعله شعر براحة أكبر في جعل حجته بعبارات مجردة. لكنها تعرف ما هي الهدية، ليس فقط أنه دفع ثمن حريتها، بل أنه أعطاها اسمه أيضاً.

كان الاسم، وليس المال، هو ما يهم في النهاية. عالقاً بين رفض والده ويأس «أمارا» من الحصول على الحرية، كتب «روفوس» إلى الأدميرال، طالباً نصيحته حول ما يجب عليه فعله. كان «بليني» هو من قدمه إلى «أمارا» في المقام الأول، وبالتأكيد سيعرف. رد «بليني» بسخاء لا يمكن تصوره. قال لها «روفوس» مراراً وتكراراً:

- لم أطلب منه المال قط. وقد دفعت نصف المبلغ، لذا فليس الأمر وكأنك لم تكلفيني شيئاً بدأت «أمارا» تشك في أن متعة فتح يديه لرؤية الطائر ينطلق، بالنسبة إلى «روفوس»، لن تكون مرضية تماماً مثل الشعور بهشاشتها تحت أصابعه.

لم يستمتع بحزنها بعد وفاة «ديدو». لم تكن موجة دموع جميلة يمكنه تقبلها حتى ترحل، ولكن نوبة من الألم والهستيريا أغرقت امتنانها ومجده. سمح لـ«فيلوس» بإعادتها إلى هنا لاستعادة نفسها. أمضت اليومين الأولين من «ساتورناليا» وحدها، باستثناء حفنة من العبيد يشاركونها المكان، «أقرضها» إياهم «روفوس». «فيلوس» هو الوحيد الذي تعرفه.

لا تستطيع أن تتذكر الكثير من تلك الليلة الأولى،

بخلاف الألم، لكن اليوم التالي ظل محفوراً في ذاكرتها. كانت متكورة هنا، في هذا المكتب، ملفوفة في كومة من البطانيات، عندما أحضر «فيلوس» لها النبيذ الساخن. كان الشراب هو العزاء الوحيد الذي كان عليه أن يقدمه. لقد وقف على حافة الغرفة، ولم يقترب منها كثيراً، لم يكن يشبه في شيء الرجل الذي قدم لها ذات مرة ذراعه في الشارع. بدا كأن منظرها يخيفه.

قال وهو لا ينظر إلى وجهها:

- لا يمكنك أن تكوني هكذا عندما يأتي من أجلك. لقد خطط لتلك الليلة لأسابيع، تخيل كل فرحتك، كل الشكر. وبدلاً من ذلك، شعر بالحزن وخيبة الأمل. أعلم أنك أحببتها. لكن روفوس لن يفهم أبداً. كانت مجرد جارية جميلة بالنسبة إليه. سيكون عليك الحداد عليها على انفراد. كانت «أمارا» مستاءة للغاية من الرد. لقد تجنبت «فيلوس» منذ ذلك الحين، على الرغم من أنها لا تزال تأخذ نصيحته. كانت ترتدي فستانها الأبيض عندما عاد «روفوس»، وأغرقتة بالمودة، وأعلنت ولاءها اللامحدود، وحماسها للمنزل. حتى أنها اعتذرت عن حزنها خوفاً من أن يكون قد شوه كل ما فعله لها. وكان «روفوس» كريماً في طمأننتها أنه يفهم. لم يذكر اسم صديقتها قط ولا هي أيضاً.

لا يتعين على «أمارا» تسمية «ديدو» للتفكير بها. عندما تكون بمفردها. كانت تقضي وقتاً واقفة في الردهة، في المكان نفسه الذي وقفت فيه «ديدو»، محاولة أن تشعر

بالراحة من حقيقة وجودها هنا، في هذا المنزل بالذات - لقد رأته، لمستته.

تذكرت «أمارا» محادثاتهم، ولطف «ديدو»، وجرأتها المدهشة عندما قدمت، والطريقة التي غنت بها، بنعومة لا مثيل لها، لكن في الليل، لا يمكنها أن تمحو ذاكرتها الأخيرة، الدم على وجه ديدو، والألم والرعب.

كانت يدا «أمارا» ترتعشان. وضعت رسالة «بليني» بعيداً. «فديدو» تستحق أكثر من حداد خاص. أخذت «أمارا» من درج مكتبها لوحاً خشبياً خاماً، تمثالاً صغيراً للإلهة «ديانا»، مسلحة بقوس الصيد الخاص بها. وغلفت التمثال بقطعة قماش، وربطتها حول الملصق الذي كتبته: «أنا هدية جايا بلينا أمارا الحرة».

نهضت، ونزلت الدرج، تنظر عبر الفضاء المفتوح إلى الحديقة، حيث سيبدأ الرسامون قريباً العمل على لوحة جدارية كبيرة. كان «روفوس» قد رأى أنها علامة مبهجة، تدل على أنها مسرورة جداً بالمنزل، إلى درجة أنها تريد أن تجعله مميزاً لكليهما، وتجعله مكاناً مناسباً له للبقاء. كان أقل يقيناً بشأن الأسطورة التي اختارتها، تلك التي يتحول فيها «أكتيون» إلى أيل، بينما كلاب الصيد الخاصة به تمزقه. ألا تفضل مشاهد من أساطير «فينوس» على «ديانا»؟ ربما لم تكن الإلهة العذراء مناسبة تماماً لعش الحب؟ لكن «أمارا» ضحكت وأغاظته:

- يمكننا دائماً وضع فينوس في غرفة النوم.

نزلت إلى القاعة المفتوحة، كانت هناك امرأة شابة تنتظر إلى جوار حمام السباحة. تحركت «أمارا» بسرعة. لقد جاءت الفتاة صغيرة السن في وقت مبكر، وكانت «أمارا» تعرف أن لديها القليل من الوقت لنفسها. إنها «بيتاني»، النادلّة من حانة «الفيل»، التي تدين لـ«أمارا» بإجهاضها.

قالت بيتاني، وهي تنظر حولها:

- إنه جميل. يا لك من محظوظة! لا أستطيع أن أصدق ذلك!

- يؤسفني أنك لا تستطيعين البقاء لفترة أطول، أو تناول بعض النبيذ معي. لكنني أعرف كيف يبدو الأمر. أنا ممتنة لأنك وفرت الوقت لتأتي.

قالت بيناتي:

- لا توجد مشكلة. أنا خارجة لإحضار الإمدادات. لن يلاحظوا ذلك أبداً.

سلمتها «أمارا» التمثال الخشبي المخفي في قماشة.

- هل يمكنك إعطاء هذا لباريس من أجلي من فضلك؟ إنه من أجل سيده. أبلغني باريس أن يقول لفيليكس إنني أعتذر لأن الهدية قد جاءت متأخرة عن مواعدها في عيد ساتورناليا، لكنها لم ترسل بأي شعور أقل. هل يمكنك تذكر كل ذلك؟

- طبعاً! أومأت بيتاني، وقالت: أنت ألطف مني يجب أن أقول. إذا حصلت على حريتي من سيد جديد، فلن أرسل أي هدايا إلى سياتيوس.

استدارت «بيتاني» ومشيت عبر الردهة، وهي تنزلق
عبر الباب الخشبي الثقيل.
وقفت «أمارا» بمفردها و هي ترتجف قليلاً من
النسيم. المكان هادئ هنا. إنها تتصور «بيتاني» تعود إلى
الضوضاء والفوضى وهي تحمل «ديانا» في شوارع بومبي.
أيقنت «أمارا» أنه حينما تصل هديتها، فإن «فيليكس»
سيفهم ما تعنيه.

تمت

